www.bustaneketab.com



أساليب المعاني في القرآن

السيد جعفر السيد باقر الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

اساليب المعاني

في القرآن

موضوع

علوم قرآن: ۹۸ (قرآن: ۱۹۵)

گروه مخاطب:

ـ تخصصی (پژوهشگران و اساتید حوزه و دانشگاه)

۱۵۳۰

۳۳۰۲

حسینی، جعفر، ۱۳۲۳ ـ

اساليب المعاني في القرآن / السيّد جعفر السيّد باقر الحسيني . ـ قم: مؤسسه بوستان کتاب (مرکز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ۱٤۲۷ ق . = ۱۳۸٦ .

[٦١٢] ص . ـ (مؤسسه بوستان کتاب؛ ۱۵۳۰) (علوم قرآن؛ ۹۸. قرآن؛ ۱۹۵)

ISBN 978 - 964 - 548 - 664 - 6 :ریال ٦٧۰۰۰

فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.

ص . ع . به انگلیسی: as-Sayyid Ja'far al-Husaynī. Asālib al-Ma'ānī f(ī)-i l-Ghur'ān [Style and Meaning in the Qur'ān]

کتابنامه: ص. [۵۸۱] ـ ٦۰۷؛ همچنین به صورت زیرنویس.

نمایه.

۱. قرآن ـ مسائل ادبی ـ معانی و بیان. ۲. زبان عربی ـ معانی و بیان. الف. دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم. مؤسسه بوستان کتاب. ب. عنوان.

BP ۸۲ / ۵ الف ۵ ح   ۲۹۷/۱۵۳

[PJA ۲۰۲۹ / ۵ الف ۵ ح]   [۸۰۸۹ / ۰٤۹۲۷]

۱۳۸٦

اساليب المعاني
في القرآن

السيّد جعفر السيّد باقر الحسيني





اساليب المعاني في القرآن

● المؤلف: السيّد جعفر السيّد باقر الحسيني
● الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)
● المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ● الطبعة: الأولى / ١٤٢٨ ق، ١٣٨٦ ش
● الكمية: ١٥٠٠ ● السعر: ٦٧٠٠ تومان

✔ العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧، الهاتف: ٧ ـ ٧٧٤٢١٥٥، الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤، الهاتف: ٧٧٤٣٤٢٦
✔ المعرض المركزي (١): قم، شارع شهداء (بتعاون أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب)
✔ المعرض الفرعي (٢): طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (پشن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥
✔ المعرض الفرعي (٣): مشهد المقدّسة، تقاطع خسروي، مجمّع ياس، الهاتف: ٢٢٣٣٦٧٢
✔ المعرض الفرعي (٤): أصفهان، تقاطع كرماني، گلستان كتاب، الهاتف: ٢٢٢٠٣٧٠
✔ المعرض الفرعي (٥): أصفهان، ساحة انقلاب، قرب سينما ساحل، الهاتف: ٢٢٢١٧١٢
✔ وكالات بيع كتب المؤسّسة في البلد وخارجه (المنضمّ إلى ورقة الاستطلاع للآثار في نهاية الكتاب)

البريد الالكتروني: E-mail:bustan@bustaneketab.com
استلام الرسالة (SMS) بالحروف اللاتينية: ١٠٠٠٢١٥٥

الآثار الحديثة في المؤسّسة والتعرّف إليها في «وب سايت»:
http://www.bustaneketab.com

مع جزيل الشكر والتقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في استخراج هذا العمل منهم:
● أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ● أمين لجنة الكتاب: جواد آهنگر ● المنقّح: ولي قرباني ● الملخص الإنجليزي: اصغر سلطاني، عبدالمجيد مطوريان ● فيها: مصطفى محفوظي ● المنضد: مؤسسة المعارف القرآنية للامام الرضا ﷺ ● التصحيح والتنضيد: احمد مؤتمنی و منی جمیل‌پور ● تنظیم صفحات الکتاب: احمد اخلی ● التطبیق: الشیخ رسول الشویلي (الحوزة العلمیة في النجف الأشرف) ● مراقبة الفنّية لتنظيم صفحات الكتاب: سيد رضا موسوى منش ● الإشراف والمراقبة: عبدالهادى اشرفی ● تصميم الغلاف: امير عباس رجبی ● الإعداد: حسين محمدى ● طلبات الطبع: على عليزاده و امير حسين مقدم‌منش ● شؤون الطباعة: سيد رضا محمدى وبقية الزملاء في قسم الليتوغرافيا، الطباعة والتجليد. ● الرئيس المؤسسة
سيد محمد كاظم الشمس

فهرس الاجمالي

أبواب علم المعاني

المقدمة

بسم‌الله الرحمن الرحيم

يعد علم المعاني منفذاً مهماً للذي يرغب الدخول الى مكنونات النص الأدبي ليستنطق طاقاته الدلالية وصولاً الى المبتغى، فعلم المعاني لما يكتنزه من قدرات تعزز عملية التأمل، و تساعد على توليد فضاءات معرفية تمنح العقل الانساني رقياً ابداعيا، يستطيع بأدواته النقدية أن يتلمس تلك الأهمية لعلم المعاني. و على الرغم من تواجد هذا العلم في النص الأدبي العربي إلا اننا لم نعثر على من نظر له إلا السكاكي (٦٢٢ هـ) الذي أسمى قسماً من موضوعات البلاغة لعلم المعاني، أما كلمة (المعاني) فقد طرقها الاوائل عندما سمّوا كتباً لهم باضافة كلمة (معاني) الى الدروس، مثل معاني القرآن، معاني الشعر، معاني النحو، معاني الكلام حيث عقد أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) في كتابه الصاحبي بابا أسماه معاني الكلام، و مهما يكن من أمر فإن النظرة الى علم المعاني كانت موجودة، حينما حاول العرب القدماء للحوم حول هذا المصطلح عندما أشار ابن‌المقفع (١٤٣ هـ) الى صياغة الكلام، و تبعه سيبويه (١٨٠ هـ) في دراسته للمسند و المسند اليه، و كان تعرف الجاحظ (٢٥٥ هـ) للشعر بأنه صناعه و ضرب من النسج والتصوير، فقد أحتوت كلمة النسج دلالة مهمة، و تحدّث في نظم القران و تأليفه عبدالله محمد بن يزيد الواسطي (٣٠٦ هـ) في كتابه اعجاز القرآن، و يأتي عبدالقاهر الجرجاني ليتوج كل هذه الدراسات بنظرية النظم التي كان لها الأثر المهم في ظهور و نمو القيمة المعرفية لعلم المعاني الذي نضجت رؤاه عند السكاكي.

ولايغفل أهل البلاغة دور علم المعاني في تمتين الدلالة المعنوية في النص، و منحها جمال التعبير، و ايحاءات القصد، و تكثيف التصوير الفني عبر السياقات الأسلوبية التي

تعطي انزياحات تتلاءم مع الرقي الإبداعي لدى المنشئ، فإذا كان الباعث على القول دليل القصد و معيار التوازن بين الواقعين النفسي و الخارجي في نفس المبدع، فإن ذلك يبنى على مايتصل بالجملة من تقديم و تأخير، و فصل وصل، أو إيجاز و قصر، و مساواة و اطناب، و ذكر و حذف، و تعريف و تنكير، و في نهاية الأمر فإن التفاعل الإبداعي سيتمخض عن نص فني، يقوم على وفق ما يرغب المنشئ، و يتوازن مع اتجاهات الدلالية.

و من هنا فإن البحث في علم المعاني يعني رصد أهمية العقل والشعور معاً، و هما يؤسسان للتكوين الدلالي المستند على علم المعاني فضلاً عن الإدارة المطلوبة في العملية الإبداعية، و اذا كانت نقطة البداية في أي عمل فني تتمثل في وجود القدحة الانفعالية، فان اتساعها في بنية النصّ و ما يترتب عليها من عمليات متوالية بسبب ما يصطرع في أطواء الفنان، وماتريده محاولاته المنظمة في اختيار المعاني التي تشبع حاجاته و هي تعبر عن أحاسيسه الانفعالية، ومايرافقها من ردّ فعل منه تجاه ضغوطها، فان ذلك سيثمر عن ولادة نصّ معبئٍ بانشطارات علم المعاني، و هو يخرج بالدلالات علم وفق ماتقتضيه موضوعات علم المعاني التي مرّ ذكرها.

ولايخفى على الناقد البارع ما يتضمنه النص القرآني المبارك من موضوعات علم المعاني، و هي تحمل الدلالات والحجج التي بهتت أمامها قرائح العرب، و انصاعوا لسلطة ديباجتها، و متانة سبكها، و عظيم دلالتها، و بيان ورودها لذلك فان الكتابة في هذا المجال تتطلب أفقاً واسع الفضاءات و معرفة بعلم المعاني، و قدرة على استقراء النص القرآني في هذا الجانب، و هذا لا يتاتى إلّا لذي فَهمٍ للبلاغة و له بخرة، و ذي مراس في الدلالة و دربة، و نحسب أن السيد جعفر الحسيني قد خاض هذا الغمار من قبل في كتابه (أساليب البيان في القرآن) وجدته قادراً اليوم على ذلك التطبيق الاجرائي لعلم المعاني في النصوص القرآنية المباركة.

فقد أحاط بالموضوع معرفة، و تفهم أنواع علم المعاني دلالة، الامر الذي سهّل عليه ولوج هذا البحر الزاخر، و دقيقاً تطبيقياً إجرائياً، إذْ قسّم كتابه على وفق المباحث البلاغية المتصلة بعلم المعاني، ثم قام بتقسيماتها الدقيقة و لم يفارق كلَّ مايمت لها بصلة، و مايحمد

له أنه، يطبق بلاغة النصوص القرآنية على اغراض علم المعاني و بذلك منح المكتبة البلاغية كتاباً قائماً بذاته، لأننا وجدنا البحوث المتصلة بعلم المعاني عند البلاغيين لم تُجمع في ميدان واحد كماقال السيد الحسيني، الأمر الذي جعل كتابه يتصف بمنهجية واضحة، فيمهد لأن يكون كتاباً منهجياً متعدد الأجزاء أو متكاملها، ففيه فائدة كبرى و غاية قصوى لطالب العلم.

وفقه الله تعالى لخدمة القرآن الكريم، فانه الرائي لأعمالنا، و هو العارف بغياتنا و له الحمد أولاً و آخراً.

الدكتور صباح عباس عنوز
عميد كلية الفقه
جامعة الكوفة

علم المعاني

هو قواعد تعرف بها كيفية مطابقة الكلام العربي لمقتضى الحال، أي: يبحث في الطرق التي يجب على الأديب أن ينتهجها لتكون وافيةً بمقصوده، موضحةً لمعانيه، مظهرةً لما يرمي إليه بحسب حال السامعين، واختلاف طبقاتهم، واتجاهاتهم ونزعاتهم، ومقدار ثقافتهم، وبحسب ما يتطلّب الزمان والمكان، ليحقّق لكلّ مقام مقالاً.

فمثلاً قد يكون المخاطب خالي الذهن من الموضوع الذي تريد أن تنقله إليه، أو قد يكون شاكّاً في هذا الموضوع، طالباً التأكّد من صدقه، وقد يكون منكراً له تماماً، معتقداً خلافه، وكلّ حالة من هذه الحالات تقتضي طريقة معيّنة من التعبير تنطبق على حالة المخاطب:

فالأوّل: يلقىٰ إليه الخبر خالياً من التأكيد؛ لخلوّ ذهنه الموجب لاستقرار ما يلقىٰ فيه، فمثلاً عندما تريد أن تنقل خبر نجاح أحد أصدقائك في الامتحان لشخص غير شاكّ ولا منكر لهذا الخبر، تقول له: «نجح عليٌّ في الامتحان».

والثاني: يلقىٰ إليه الكلام مؤكّداً، كما إذا صادفك مستمع آخر شاكّ بنجاحه، فيحسن أن تؤكّد له الخبر ليطمئنّ، فتقول له: «إنّ علياً ناجح في الامتحان».

والثالث: يؤكّد الكلام له بما يتناسب مع إنكاره قوّةً وضعفاً، كما إذا وجدت منكراً لهذا الخبر غير معتقد به، فتقول مثلاً: «إنّ علياً لناجح في الامتحان».

فإنكار المخاطب لهذا النجاح حال يدعو المتكلّم إلى إيراد خصوصية في

الكلام؛ هي صورة التأكيد، وهذه الخصوصية ـ أو فقل: صورة التأكيد التي وردت في الكلام ـ هي مقتضىٰ الحال؛ أي أنّ الحال اقتضاها ودعا إليها، واشتمال الكلام على هذه الصورة هي مطابقته لمقتضى الحال.

مباحث علم المعاني

يبحث علم المعاني في أحوال اللفظ، أو صياغاته التي يكون فيها مستجيباً لمقتضى الحال، وغنيٌّ عن الذكر أنّ علم النحو يدرس أحوال اللفظ من تنكير وتعريف، وتقديم وتأخير، وحذف وذكر... إلى آخره، لكنّه يدرسها من وجهة مغايرة لما عليه الأمر في علم المعاني، فهو يبيّن جواز التقديم وامتناعه ووجوبه، وجواز الحذف وامتناعه ووجوبه، ويتكلّم عن التعريف والتنكير والتأكيد وعدمه، لكنّه لا يعالجها من حيث إنّها تلبّي مطلباً فنّياً يقتضيه المقام وتستدعيه الحال، لهذا قد تكفّل بذلك علم المعاني[1].



١. الكافي في علوم العربية ج ١: ص ٥٤.

أبواب علم المعاني

الباب الأول: الخبر و الإنشاء

الباب الثاني: اسلوب القصر

الباب الثالث: اسلوب الفصل والوصل

الباب الرابع: أحوال الجملة

الباب الخامس: المساواة والايجاز والاطناب

الباب الأوّل

في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

الفصل الأوّل:

الخبر

الخبر: وهو كلّ كلام يصحُّ وصفه بالصدق أو الكذب لذاته، كقولك: «عليٌّ شجاعٌ» فإنّه خبر صادق فيما إذا كان مطابقاً للواقع، وكاذب فيما إذا خالفه. ويلاحظ أنّ الموصوف بالصدق أو الكذب هو ذات الخبر، فلا تدخل بعض الإنشاءات الموصوفة بالصدق أو الكذب باعتبار دلالتها الالتزامية، فإذا تمنّى زيد شيئاً هو واجد له، نَصِفه بأنّه كاذب، مع أنّ التمنّي من الإنشاءات، وقد اتصف بالكذب لا باعتبار ذاته، بل باعتبار ما يلازمه؛ فإنّ لازم التمنّي هو الإخبار عن الفقدان، فمن يتمنّى يخبر بحاجته وفقدانه. فإذا رميناه بالكذب نكون قد كذّبنا خبره، لا إنشاءه، فلا يوجد إنشاء يوصف به لذاته.

هذا، ولبيان ضابط الصدق والكذب نقول: إنّه توجد نسبتان:

١ـ نسبة تفهم من الخبر ويدلّ عليها الكلام، وتسمّى «النسبة الكلامية».

٢ـ نسبة أُخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر، وتسمّى بـ«النسبةالخارجيّة» أو «الواقعية».

فطلوع الشمس ـ مثلاً ـ تارة يلاحظ ثبوته في الخارج، كما إذا نظرت بعينك للشمس فرأيتها طالعة، وهذه النسبة (أي: ثبوت الطلوع في عالم الخارج) هي النسبةالواقعية.

وتارةأُخرى تقول: «الشمس طالعة»، فتوجد بنفسك نسبةكلامية تتمثّل في معنى طلوع الشمس، أو نسبة الطلوع إلى الشمس تلك النسبة القائمة في ذهن المتكلّم أو

تصوّره فإن طابقت النسبةُ الكلاميةُ النسبةَ الخارجيةَ فالخبر صادق، وإلّا كان كاذباً.

وهذا الكلام كما يجري في الإيجاب كذلك يجري في النفي.

وهذا التعريف يصدق على كلّ كلام يـؤخذ مـن غـير النـظر إلى قـائله، ولذا، فالأخبار التي وردت في القرآن الكريم وكلام المـعصومين عليهم السلام والحـقائق العـلمية والبديهيات التي لا يشكّ فيها، لا يمكن أن تحتمل الكذب، مع أنّها إخبار عن شيء، وتدخل في هذه القاعدة؛ لأنّها ينظر إليها لا لذات القائلين[١]. ويرى بعض الباحثين أنّ هناك جمل خبرية أُخرى، وهي تلك الجمل الخبرية الفنّية التي نعبّر بها عن حاجاتنا النفسية بطريق الفنّ، ونسلك لذلك سبيل التجوّز والمبالغة، وصنوف البيان، وألوان الإيقاع، ونمزج العقل بالعاطفة والخيال، ومن ثَمّ لايكون صدقنا هنا صدقاً واقعياً، ولاكَذِبُنا كَذِباً واقعياً؛ لأنّنا لانطابق بينه وبين الواقع الخارجي، وإنّما يكون الصدق الفنّي هو مقياسنا، فإن أتقن المتكلّم التعبير وافتنّ في التركيب، تسلّلت إلى روحنا عباراته بلا حواجز.

أمّا إذا فَشِلَ هذا المتكلّم فيكون قد زَيّفَ ولم يُعطِ المعنى حقّه، ولا الصورة قدرها، ولا الروابط نصيبها، فمثلاً تقول لصاحبك ـ حين تلقاه بعد غيبة ـ: «أشرقت الأنوار» فيسرُّ؛ لأنّه مطمئنّ إلىٰ صِدْقِكَ، ويغتمّ آخر حين يشعر بقصد مُـحدِّثِهِ شـيئاً غـير المدح.

وهذا غير صحيح وذلك لأن الجمل الفنّية لها واقع تطابقه فتصدق، وقد لاتطابقه فتكذب، فالخنساء حين تقول في أخيها صخر:

طويلُ النجادِ رَفيعُ العما د كثِيرُ الرمادِإذا مـاشَتا[٢]

فالجمل الثلاثة صادقة وإنْ لم يكن عند صخر نجاد وعماد ورماد أصلاً؛ وذلك لأنّ العبرة بالمدلول الالتزامي الّذي عبّرت عنه جمل البيت الشعري هـنا وهـو أنّ أخاها كان قويّ الجسم، طويل القامة، له قدرة علىٰ القتال، ويتّصف بعلوّ المكـانة والشهرة والكرم، وربّما كانت الخنساء تقول ذلك وأخوها يـمتلك النـجاد والبـناء

١. بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل، (منير سلطان) ص١١٨ و ١١٩.

٢. ديوانها، ص٣٣؛ الشعر والشعراء ص١، ج٣٤٣، والشطر الاول في التبيان ص٢٦٣.

الرفيع والرماد الكثير، وتقصد أنّه طويل القامة، ويتّصف بصفات الزعـامة والكـرم؛ فتكون القضية كاذبةً إن كان صخر قصيرَ القامة، ومغموراً، أو بخيلاً، فالصدق هـنا صدقٌ واقعيٌّ، والكذب كذبٌ واقعيٌّ أيضاً؛ لأنّنا نطابق بينه وبين الواقع الخارجيّ.

الإسناد الخبري

هو ضمّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أُخرى أو ما يجري مجراها على وجه يفيد الحكم بمفهوم إحداهما على مفهوم الأُخرى ثبوتاً أو نفياً، ويسـمّى المـحكوم بـه «مسنداً»، والمحكوم عليه «مسنداً إليه»، وتسمّى النسبة بينهما «إسناداً»، كقوله اللّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[1].

ضمّت في الآية كلمة «المحبّة» الى كلمة اللّه على وجه يفيد أنّ مفهوم المحبّة ثابت للّه تعالىٰ.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[2].

ضمّ متعلّق الجار والمجرور وهو حاصل أو ثابت إلى الأجل على وجه يفيد أنّ الحصول ثابت لمفهوم الأجل.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾[3].

ضمّ «الأب» إلى اسم الرسول «محمدﷺ» على وجه يفيد أنّ الأُبوّة منفية عنهﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[4].

ضمّ متعلّق الجار والمجرور«ثابت» إلى «التبديل» على وجه يفيد أنّ خلق اللّه منفيّ عنه التبديل.

وقول الرسولﷺ: «الشَحِيحُ لا يَدْخُلُ الجنّةَ»[5].

نجد أنّ كلمة «لا يدخل الجنة» قد ضمّت إلى «الشحيح» على وجه يفيد أنّ ذلك

---

١. الصف: ٤.

٢. الاعراف: ٣٤.

٣. الاحزاب: ٤٠.

٤. الروم: ٣٠.

٥. وهج الفصاحة، ص٤٧٨.

الدخول منفيّ عن الشحيح.

وقوله ﷺ: «سُكُوتُ اللسانِ سَلامَةُ الإِنسانِ»[١].

ففيه ضمّت كلمة «سلامة» إلى «سكوت» على وجه يفيد أنّ سلامةالإنسان ثابتةلمفهوم سكوت اللسان.

وكقول الإمام علي عليه السلام: «البُخْلُ جامِعٌ لمساوئ العُيُوبِ»[٢].

ضمّت كلمة «جامع» إلى «البخل» على وجه يفيد أنّ جميع المساوئ ثابتة لمفهوم البخل.

وقوله عليه السلام أيضاً: «إنّ الموتَ طالبٌ حثيثٌ لا يَفُوتُهُ المُقِيمُ، وَلا يُعْجِزُهُ الهارِبُ»[٣].

ضمّت كلمة «طالب» إلى «الموت» على وجه يفيد أنّ وصف الطالب الحثيث ثابت لمفهوم الموت.

وكذلك نجد أنّ كلمتي «الفوت» و «العجز» أُسندتاإلى «الموت» على وجه يفيد أنّ كلاً من ذلك (الفوت والعجز) منفيّ عن الموت.

ويسمّى المحكوم به في الجمل السابقة (الحاصل والثابت، والأب، والدخول، والسلامة، والجامع، والطالب، والفوت والعجز) مسنداً.

والمحكوم عليه في الجمل السابقة أيضاً (لفظ الجلالة والأجل، ومحمّد، والتبديل، والشحيح، والسكوت، والبخل، والموت) مسنداً إليه.

وتسمّى النسبةبينهما إسناداً خبريّاً.

أساليب الخبر

ينقسم الخبر ـ باعتبار ملاحظة مطابقته لما يتطلّبه ظاهر حال المخاطب ـ إلى

١. وهج الفصاحة، ص٤٧٨.
٢. غرر الحكم: ٢٣٩.
٣. نهج البلاغه، الخطبة ١٢٣.

ثلاثة أقسام: الابتدائيّ، والطلبيّ، والإنكاريّ.

● **الأوّل: الابتدائي**

هو الخبر الذي يكون خالياً من المؤكّدات[١]؛ لخلو ذهن المخاطب من الحكم، وعدم تردّده فيه، لتمكن الحكم في الذهن حيث وجده خالياً[٢]، نحو قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ...﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿المالُ وَالبَنُونَ زِينةُ الحَياةِ الدُّنْيا﴾[٤].

وقول الرسولﷺ: «شرُّ الناسِ الذينَ يُكْرَمُونَ اتقاءَ أَلْسِنَتِهِم».

وقولهﷺ: «القناعةُ مالٌ لا ينفد».

وقول الامام عليعليه السلام: «الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، أوَ يُجَدِّدُ الآمالَ، ويُقَرِّبُ المَنِيَّةَ، وَيُباعِدُ الأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصِبَ، وَمَنْ فاتَهُ تَعِبَ»[٥].

وقولهعليه السلام في وَصْف الإيمان:

«سَبيلٌ أَبْلَجُ المِنْهاجِ، أَنْوَرُ السِّراجِ، فبالإيمانِ يُسْتَدَلُّ على الصالحاتِ، وبالصالحاتِ يُسْتَدَلُّ على الإيمانِ، وبالإيمانِ يُعْمَرُ العِلْمُ، وبالعِلْمِ يُرْهَبُ المَوْتُ، وبالمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنيا، وبالدُّنيا تُحْرَزُ الآخِرَةُ، وبالقيامَةِ تُزْلَفُ الجنَّةُ...»[٦].

وقول المتنبّي:

على قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتي العزائِمُ وَتَأْتي على قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

---

١. المراد بالتأكيد هنا هو تأكيد النسبة. أمّا تأكيد الطرفين بالتأكيد اللفظيّ أو المعنويّ، فلا مانع منه، فلا فرق بين: «عليّ قائم» و بين «عليّ نفسه قائم»، فكلاهما من الأسلوب الابتدائي.

٢. على حدّ قول الشاعر:

أتاني هَواهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى فَصادَفَ قَلْباً خالِياً فَتَمَكَّنا

(المفتاح: ص٢٥٨).

٣. النور: ٤٧.

٤. الكهف: ٤٦.

٥. نهج البلاغة، قصارالحكم ٧٢.

٦. ن.م. الخطبة ١٥٦.

وتَعْظُمُ فــي عَـيْنِ الصـغيرِ صِـغارُهَا   وتَصْغُرُ فــي عَـيْنِ العـظيمِ العَـظائِمُ[١]

وقوله أيضاً:

أنــا الذي نَـظَرَ الأَعــمى إلى أَدَبــي   وَأَسْــمَعَتْ كَـلِمَاتي مَـنْ بِـهِ صَمَمُ

أنامُ مِلْءَ جُــفُوني عَـنْ شَـوَارِدِهــا   وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَـرّاهَـا وَيَـخْتَصِمُ[٢]

- **الثاني: الطلبي**

هو الخبر الذي يلقى لمن يتردّد فيه، ولا يعرف مدى صحّته، مع طلبه الوقوف على حقيقةالأمر، وفي هذا الحال يحسن التوكيد؛ ليتمكّن من نفسه، وذلك بإدخال إحدى أدوات التوكيد؛ محواًلهذا التردّد، وتمكيناً للحكم في ذهنه؛ سواء استوى لديه طرفا الإثبات والنفي، أو كان لأحدهما أرجحية عـلى الآخـر، هـذا هـو مـذهب الجمهور[٣].

- وللإمام عبد القاهر الجرجاني رأي آخر، فإنّه استحسن التأكـيد للـمتردّد الذي يرجّح أحد الأمرين، فكأنّه ينكر الأمر الآخر، فيؤكّد له الكلام لتحويله عـن هـذا الأمر الراجح عنده، بخلاف الشاكّ الذي استوى عنده الأمران، فـإنّ أدنـى إخـبار يمحو شكّه، ويزيل تردده، فلا داعـي لتـأكـيد الحكـم له، وشـأنه فـي ذلك شـأن خالي الذهن[٤].

وهذا لا يحسن تطبيقه على كلّ الأحوال، فمثلاً في قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى قالَ يَا مُوسَى إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنّى لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ﴾[٥].

لم يكن موسىؑ شاكاً في الخبر أو مرجّحاً لخلافه، وإنّما كان طالباً الوصـول

١. ديوانه، (شرح الواحدي)، ج٢، ص٧٨٤ - ٧٨٥.
٢. ديوان المتنبي (شرح البرقوقي)، ج٣، ص ٨٣ - ٨٤.
٣. انظر شروح التلخيص ج١: ص٢٠٧.
٤. دلائل الاعجاز: ص٢٥٠.
٥. القصص: ٢٠.

لمعرفته، والوقوف على حقيقته، فاستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه بـ ﴿إنّ﴾.

ومن أمثلةالتأكيد الطلبي

قوله تعالى: ﴿إِنَّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[١].

وأداة التوكيد ﴿إنّ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿إذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ...﴾[٢].

للمتردّد الذي لا يعرف صحّة ذلك الخبر، فقوّوا كلامهم باللام في ﴿لَيُوسُفُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلينَ لِإخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلا قَلِيلاً﴾[٣].

والأداة ﴿قَدْ﴾ وهي حرف تحقيق هنا.

وكذا قوله سبحانه: ﴿قَدْ بَدَتِ البغضاءُ مِنْ أفواهِهِم﴾[٤].

وقول رسول اللّهﷺ: «لا يَمْنَعَنَّ أحَدَكُم مَخافَةُ الناسِ أن يتكلمَ بالحقِّ إذا عَلِمَهُ»[٥].

والأداة النون في «يمنعنّ».

وقول الإمام عليعليه السلام: «واللّهِ، ما أسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شيئاً إلّا وها أَنا ذا مُسْمِعُكُمُوهُ، وما أَسْماعُكُم اليَوْمَ بدون أسْمَاعِكُمْ بالأَمْسِ... وَوَاللّهِ، ما بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلا أُصْفيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ...»[٦].

والأداة واو القسم التي اختصّت على اسم الجلالة.

وقول جرير:

إنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ   قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانا[٧]

---

١. المائدة: ٩٠.

٢. يوسف: ٨.

٣. الاحزاب: ١٨.

٤. آل عمران: ١١٨.

٥. سنن ابن ماجه ج٢: ص١٣٢٨.

٦. نهج البلاغه، الخطبة ٨٩.

٧. ديوان جرير (تحقيق عمر الطباع)، ص٤٧٩؛ اساليب بلاغية، ص٩١؛ البلاغة والتطبيق، ص١٠٧.

وقول البحتري:

هل يَـجْلُبَنَّ إليَّ عَـطْفِكَ مَـوقِفٌ ثَـبْتٌ لَـدَيْكَ أَقُـولُ وتَسْـمَعُ[١]

والأداة «إن» في البيت الأوّل، والنون في «يجلبنّ» في البيت الثاني.

● **الثالث: الإنكاري**

وهو الخبر الذي يلقى للمخاطب الذي ينكره ويعتقد خلافه، فيحتاج إلى أن يؤكّد بأكثر من مؤكّد، كقوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ * إذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْـهِمُ اثْـنَينِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنا بِثَالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكم مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَاأَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُون * قَالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[٢].

أكّدوا أوّلاً بأداة التوكيد «إنّ» حينما كان المخاطبون شاكّين في إخبارهم، وهذا هو الأُسلوب الطلبي، ولكن حينما أنكروا إخبارهم أكّدُوا باللام علاوة على «إنّ»، فصار الأُسلوب إنكارياً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَرَيْبَ فيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لايُؤْمِنُونَ﴾[٣].

فأكّد بـ﴿إنّ﴾ واللام؛ لأنّ المخاطبين هم الكفّار الذين ينكرون حدوث الساعة، فاحتاج الخطاب إلى التأكيد نفياً لهذا الإنكار.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا العَذابِ الأَلِيمِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[٦].

---

١. ديوان البحتري (تحقيق عمر الطباع)، ج٢، ص٦٧؛ اساليب بلاغية، ص٩٢، البلاغة والتطبيق، ص١٠٧.
٢. يس: ١٣ ـ ١٦.
٣. غافر: ٥٩.
٤. الصافات: ٣٨.
٥. آل‌عمران: ١٨٦.
٦. الحجر: ٩.

وقول الرسولﷺ: «إنّ ذا الوَجْهَينِ لخليقٌ ألا يكُون عندَ اللّه وجيهاً»[١].

وقول الامام عليعليه السلام في رسول اللّهﷺ: «واللّهِ، لأَنا أوّل مَنْ صَدَّقَهُ...»[٢].

وقولهعليه السلام في كتاب له الىٰ زياد ابن أبيه:

«وإنّي أُقْسِمُ باللّهِ قَسَماً صادِقاً، لَئِن بَلَغَني أَنَّكَ خُنْتَ من فَيءِ المُسْلِمينَ شَيئاً صَغِيراً أو كبيراً، لأَشُدَّنَّ عليكَ شَدَّةً تَدعُكَ قَليلَ الوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَئيلَ الأَمْرِ، والسَّلامِ»[٣].

ومنه قول الحماسي:

إنّا لَنَصْفُح عن مَجَاهِلِ قَومِنا ... ونُقِيمُ سَالِفَةَ العَدُوِّ الأَصْيَدِ

ومتى نَجِدْ يوماًفسادَ عَشِيرةٍ ... نُصْلِحْ وإنْ نَرَ صالحاً لا نُفْسِدِ[٤]

وقول لبيد:

صَادَفْنَ مِنْهُ غِرّةً فأَصَبْنها ... إنَّ المَنايا لا تَطِيشُ سِهامُهَا[٥]

أدوات التوكيد: «القسم» و«قد». أي: اللام الداخلة علىٰ «قد» الموطئة للقسم.

وقول الشاعر:

ولقد نَصَحْتَكَ إنْ قَبلتَ نَصِيحَتي ... والنُصْحُ أَغلَى ما يباعُ وَيُوهَبُ

والمؤكّدات هي: «القسم» و«قد».

وقول آخر:

واللّهِ إنّي لأخو هِمّةٍ ... تَسمُو الى المجدِ ولا تَفْتَرُ

فرض الشاعر أنّ الإنكار أقوى، ولهذا أكّده بثلاث أدوات هي: القسم، و«إنّ» واللام.

---

١. المجازات النبوية، ص٣١١ «ذوالوجهين» المنافق «وجيهاً» ذو جاه؛ أي لا يكون محترماً، و لا ينظرون إليه نظر إكبار.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣٧.

٣. ن.م، الكتاب العشرون، «قليل الوفر» أي قيل المال.

٤. «السالفة» صفحة العنق، «الأصيد»: المتكبّر. البلاغة و التطبيق، ص١٠٨؛ اساليب بلاغية، ص٩٢.

٥. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري) ص٥٥٧؛ ديوان لبيد، (تحقيق الطباع) ص١٤٦. لا تطيش: أي لا تخطئ، البلاغة الواضحة ص١٥٧.

ويسمّى إخراج الكلام على الوجوه المذكورة (أعني الخلوّ من التأكـيد لخـالي الذهن، والتقوية بمؤكّد استحساناً للمتردّد، ووجوب التأكيد للمنكر) إخراجاً للكلام على مقتضى الظاهر، أي: الإتيان بالكلام على مقتضى ظاهر حال المخاطب.

وقد يلاحظ المتكلّم اعتبارات أُخرى خـفيّة، فـيخرج كـلامه عـلى اعـتبارها، ويسمّى ذلك بإخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر، كـما سـيأتي فـي المـبحث الثالث.

❊ ❊ ❊

مؤكّدات الخبر

١. «إنّ» كقوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾[١].

وتأكيد الخبر بـ(إنّ) إمّا لأن الخطاب للمنكرين، وإمّا لتغليب فريق المـنكرين علىٰ المؤمنين لأنهم أحوج إلىٰ تقوية الموعظة.

٢. «أن» كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وٰاحِدٌ﴾[٢].

ومعنى التأكيد في «أنَّ» ـ مفتوحة الهمزة ـ حينما تقول: «علمت أنّ المتخاذلين لا يستحقّون الكرامة» هو أنّ «أنَّ» وما بعدها تؤول بمصدر مفعول بـه، أي عـلمت عدم استحقاق المتخاذلين للكرامة، فالعبارة الأُولى أبلغ من العبارة الثانية، وننطق بها حينما يكون هناك شكّ أو إنكارِ.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[٣].

وهو أبلغ من أن يقال:«ولو تمّ صبرهم» أو «ثبت».

٣. «كأنّ» التي تفيد التشبيه والتوكيد، كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ

١. فاطر: ٥.
٢. الأنبياء: ١٠٨.
٣. الحجرات: ٥.

بالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرِزْقَ لِمَن يَشاَءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَـنَّ اللّـهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرونَ﴾[1].

و(ويكأنّه) مركبة من كلمتين (وي) ـ اسم فاعل بمعنىٰ: اعْجَبَبَ ـ و(كأنّ) التي للتشبيه، والمعنىٰ: التعجب من الأمر، أي: أما تعجب كأن الله يبسط الرزق.

٤. «لكنّ» لتأكيد الجمل، كقوله تعالى: ﴿إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللّه يَهْدِى مَن يَشاَءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ﴾[2].

٥. «لام الابتداء»، التى تفيد تأكيد مضمون الجملة، كقوله تعالى: ﴿وإنّكَ لَـعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

٦. «الفصل»، كقوله تعالى: ﴿إنْ تَرَنِ أَنا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلداً﴾[4].

إنّ ضمير الفصل ﴿أنا﴾ وصف للياء في ﴿تَرَنِ﴾ يزيد تأكيداً.

ومن فوائد الضمير غير التأكيد أن يأتي للاختصاص، وأنّ ما بعده يكون خـبراً لاصفة، فلو أنّ الآية كانت هكذا:«إن ترن أقلّ منك مالاً...» جاز أن تكون «أقـلّ» صفة لا خبراً، ولكن بمجيء ضمير الفصل لا يجوز إعرابها صفة، بل يتعيّن أن تكون خبراً، ولا شكّ أنّ الخبر أقوى في الدلالة وفي تثبيت الحكم من الصفة؛ لأنّ الخبر عمدة في الكلام.

٧. «أمّا» الشرطيّة وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، كقوله تعالى: ﴿وأَمّا الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[5].

٨. «قد» التحقيقيّة، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ * الّذينَ هُمْ فـى صَلاتِهِم خَاشِعُونَ﴾[6].

---

١. القصص: ٨٢.

٢. القصص: ٥٦.

٣. القلم: ٤.

٤. الكهف: ٣٩.

٥. آل عمران: ٥٧. هناك فرق بين «أمّا» بالفتح، و «إمّا» بالكسر، مثل قوله تعالىٰ: ﴿فإمَّا مَنّاً بَعْدَ و إمَّا فداَءً﴾ محمد: ٤، و هذه ليست من أدوات التأكيد.

٦. المؤمنون: ١ ـ ٢.

أي أنّ فلاح المؤمنين الخاشعين في صلاتهم حقّ؛ ولا محالة حاصل.

٩. «السين» وهي حرف يختصّ بالمضارع، كـقوله تـعالى: ﴿أُوْلئِكَ سَـيَرْحَمُهُمُ اللّهُ﴾[١].

السين لتأكيد الوعد، أي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة.

١٠. «لام الجحود»، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[٢]، اللام لتأكيد النفي، والدلالة على أنّ تعذيبهم وأنت بين أظهرهم بعيد عن الحكمة؛ لأنّ سنّة اللّه بحكمته قضت ألّا يعذّب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيّهم بين أظهرهم.

١١. «لن» لتأكيد النفي، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرانَى وَلكِن انْظُرْ إِلى الجَبَلِ فَإِنِ استَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تراني فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاًوَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً...﴾[٣].

١٢. «لو» و «لولا»، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[٥].

١٣. «القسم»، وحروفه: الباء، والواو، والتاء، كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا باللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِم﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿والضُّحَى * واللّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿قالُوا تَاللّهِ تَفْتَؤاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[٨].

١٤. «نونا التوكيد»، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَـيَكُوناً مِـنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٩].

---

١. التوبة: ٧١.
٢. الأنفال: ٣٣.
٣. الأعراف: ١٤٣.
٤. الانفال: ٣١.
٥. البقرة: ٢٥١.
٦. الانعام: ١٠٩.
٧. فاطر: ٤٢.
٨. يوسف: ٨٥.
٩. يوسف: ٣٢.

١٥. حرفا التنبيه «ألا» و «أما»، كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[١].

و«أما» مثل «ألا» إلّا أنّه يكثر بعدها القسم، كقول أبي صخر عبد الله بن سلمة:

أما والّذي أبْكى وأضْحَكَ والّذي ... أماتَ وأحيا والّذي أمْرُهُ الأمْرُ

لَقَدْ تَرَكَتْني أغْبِطُ الوَحْشَ أن أرى ... اليفَيْنَ منها لا يَرُوعُهُما الزَّجْرُ[٢]

١٦. الحال المؤكّدة لمضمون الجملة الاسميّة، كقوله تعالى: ﴿وَهَذا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾[٣].

﴿مُسْتقيماً﴾ حال موكِّدة.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً﴾[٤].

﴿مصدّقاً﴾ حال مؤكّدة.

١٧. الحروف الزائدة لتأكيد المعنى:

١. «إنْ»: كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[٥].

٢. «أنْ»: كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾[٦].

٣. «ما»: كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[٧].

٤. «لا»: كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾[٨].

٥. «من» كقوله تعالى: ﴿وَمَاهُمْ بضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾[٩].

---

١. البقرة: ٢١٤.

٢. شرح اشعار الهذليين للسكري، ج٢: ص٩٥٧؛ أمالي التالي، ج٢: ص١٤٩؛ الأغاني، ج٥: ص١٥ - ١٦؛ الحماسة بشرح المزروعي، ص١٢٣٠ - ١٢٣٢؛ شرح المفصل، ج٨: ص١١٤؛ خزانة الأدب، ج٣: ص٢٥٩، وهو من أبيات الكشاف ومغني اللبيب أنشده في أما، همع الهوامع، ج٢: ص٧٠، لسان العرب (رمث).

٣. الأنعام: ١٢٦.

٤. فاطر: ٣١.

٥. الأحقاف: ٢٦. (إنِ) مزيدة تشبيهاً للموصولة بـ(ما) النافية، أي: في الذي ما مكناكم فيه.

٦. العنكبوت: ٣٣. (أنْ) حرف مزيد للتوكيد، وأكثر ما يزاد بعد (لمّا) وهو يفيد تحقيق الربط بين مضمون الجملتين اللتين بعد (لما)، فهي هنا لتحقيق الربط بين مجيء الرسل ومساءة لوط بهم، قبل أن يعلم بأنهم ملائكة.

٧. آل عمران: ١٥٩. وتقديم المجرور مفيد للحصر الإضافي، أي: برحمة من الله لا بغير ذلك من أحوالهم، وزيدت (ما) بعد باء الجر لتأكيد الجملة بما فيها من القَصْر، فتعين بزيادتها كون التقديم للحصر، لا لمجرد الاهتمام.

٨. الواقعة: ٧٥.

٩. البقرة: ١٠٢.

٦. «*الباء*»: كقوله تعالى: ﴿وَكَفَى باللّهِ حَسِيباً﴾[١].

٧. «*اللام*»، كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٢].

٨. «*الكاف*»، كقوله تعالى: ﴿إنَّ مَثَلَ عِيَسى عِنْدَ اللّه كَمَثَلِ آدَمَ﴾[٣].

مباحث الخبر

● المبحث الأوّل: الأغراض الأصليّة للخبر

للخبر غرضان أصليان يقصدان غالباً هما:

□ الغرض الأوّل: فائدة الخبر

ومعناه إفادة المخاطب الحُكْمَ الذي تَضَمّنَتْهُ الجملة أو الكلام فيما إذا كان جاهلاً به، وهذا هو الأصل في كلّ خبر؛ لأنّ فائدته تقديم المعرفة أو العلم إلى الآخرين، كقوله تعالى: ﴿اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُوْنَ لِلْعَاَلمِينَ نَذِيراً﴾[٥].

وقول النبيّ الأكرمﷺ: «عَدْلُ سَاعةٍ في حُكُومَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سَنَةٍ»[٦].

وقول الإمام عليّ؏: «الفِكْرُ مِرْآةٌ صافيةٌ، والاعتبارُ مُنذِرٌ ناصِحٌ، وكفى أدَباً لِنَفْسِكَ تَجنُّبَكَ ما كرِهتَهُ لِغَيْرِك»[٧].

وقول الإمام علي؏: «مَنْ أصْلَحَ ما بينَهُ وَبيْنَ اللّه أَصْلَحَ اللّهُ ما بَيْنَهُ وبَيْنَ الناسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أمْرَ آخِرَتِهِ أصْلَحَ اللّهُ لَهُ أمْرَ دُنْياهُ، وَمَنْ كانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ واعِظٌ كانَ عَلَيْهِ

---

١. النساء: ٦.
٢. البقرة: ٣٠.
٣. آل عمران: ٥٩.
٤. النور: ٣٥.
٥. الفرقان: ١.
٦. وهج الفصاحة، ص ٤٩٥؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص٧٩؛ جواهر البلاغة، ص٥٩.
٧. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٦٥. المنذر: المخوّف، المحذّر. التجنّب: الترك.

مِنَ اللّهِ حافِظٌ»[١].

ومنه قول الشاعر:

فَلا الجُودُ يُفْنِي المالَ والجَدُّ مُقْبِلُ ولا البُخْلُ يُبقي المالَ والجدُّ مُدْبِرُ[٢]

□ **الغرض الثاني: لازم الفائدة**

ومعناه إفادة المخاطب أنّ المتكلّم أيضاً عالم بالحكم؛ أي بمضمون الخبر، وأنّ كُلَّ هَمِّ المتكلّم أن يُفيد المخاطب بأنّه يشاركه المعرفة بهذه المعلومة.

فالسيّدة خديجة عليها السلام حين تقول للرسول صلى الله عليه وآله: «واللّهِ؛ إنّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ، وَتُؤدّي الأمانةَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُقْري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ»[٣].

لم تخبر الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً لايعرفه فهو يعلم، ولكن الشيء الجديد أنّ السيّدة خديجة عليها السلام أعلمته أنّها تعرف عنه ذلك الخُلُقَ.

وكقول الرسول صلى الله عليه وآله للأنصار: «إنّكم لَتَقِلّون عِنْدَ الطَّمعِ، وَتُكْثِرُونَ عِندَ الفزعِ»[٤].

فالأنصار عالمون بمضمون الخبر والرسول صلى الله عليه وآله لايريد أنْ يفيدهم الحكم الذي تضمّنه، وإنّما أراد صلى الله عليه وآله أنْ يفيد بأنّه أيضاً عالم به؛ لأنّ علم الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي يجهله الأنصار.

ومنه قول المتنبّي مخاطباً سيف الدولة الحمدانيّ، مادحاً شجاعته وبطولته:

تَدُوسُ بِكَ الخيلُ الوُكُورَ علـى الذُّرى وقد كَثُرَت حولَ الوُكُورِ المطاعِمُ[٥]

فالمتنبّي لايقصد أن يفيد مخاطبه علماًبمضمون بيته؛ لأنّ سيف الدولة يعلم ذلك

---

١. المصدر نفسه، الحكمة ٨٩.

٢. الايضاح، ص٣٥٤؛ الاغاني، ج٦: ص٤٣.

٣. تاريخ الطبري، ج٢، ص٢٠٥. الكَلُّ: الضعيف. تقري: تطعم وتكرم.

٤. كنز العمال، ج٤، ص٨٩؛ نثر الدر، ج١، ص١٥٧؛ حسن التوسل، ص٢٠٠؛ أنوار الربيع، ج٢، ص٣٤؛ جواهر البلاغة، ص٧١.

٥. الوكور ـ جمع وكر ـ: و هو عشّ الطير. ذرى الجبال: رؤوسها، أي أنّ خيلك تلاحق المنهزمين في رؤوس الجبال حيث كثرت الجثث من قتلى الروم حول وكور الطير هناك. فأصبحت مطاعم قريبة المنال لهذه الطيور النائية في أعالي الجبال.

قبل أن يُعلِمَه المتكلّم به، وإنّما يريد المتنبّي أنْ يبيّن لسيف الدولة أنّه، المتنبّي عالم بمضمون الخبر الّذي أورده في بيته.

وقول أحد الشعراء معاتباً:

وَتَــغْتابُني فــي كّــل نــادٍ تَـحِلُّهُ وَتَزْعَمُ أَنّي لَسْتُ كفءً لِمثْلِكُما[١]

فالشاعر لايقصد منه أن يفيد مخاطبه علماً بمضمون البيت الّذي أسنده إليه من اغتيابه له في كلّ مكان يكون فيه، ومن الزعم بأنّه ليس كفءً له؛ لأنّ المخاطب يعلم أن ذلك قد حدث منه ويحدث، وإنّما يبغي الشاعر من وراء إلقاء هذا الخبر على من يخاطبه به بأنّه يعلم مضمونه ولا يجهله[٢].

وقد لا يكون قصد المخبر إفادةَ المخاطب الحكم الذي تتضمّنه الجملة الخبرية، ولا إفادته علم المتكلّم بهذا الحكم، بل يكون مراد المخبر غرضاً آخر يتبيّن مـن سياق الكلام، تدلّ عليه القرآئن، وهي أغراض مجازيّة.

● المبحث الثاني: المعاني المجازية للخبر

وهي الأغراض المستفادة من القرائن، ومن سياق الكلام، وأهمّها:

١. إظهار الضَعف: هو الذي يتضمّن إظهار ضعف المخبر عنه، نحو قوله تعالى حكايةً عن زكريّاﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾[٣].

فزكرياﷺ لم يقصد أن يخبر اللّه تعالى بما آلت إليه حاله من الضعف والكبر غاية لا أمل له في الحياة بعدها، إذ يعلم أنّ اللّه لايخفى عليه شيء، ولكنّه قصد مجرّد إظهار الضعف، وأنّه بلغ من الوهن غايةً لا أملَ له بعدها في الحياة.

ومنه قول الشاعر:

قَدْ كُنْتَ عُدَّتي التـي أَسْـطُو بِـها وَيَدِي إذا اشتدَّ الزمانُ وَساعِدي[٤]

---

١. البلاغة والتطبيق، ص١١٦.

٢. علم المعاني: البيان: البديع. د. عبدالعزيز عتيق، ص٤٨.

٣. مريم: ٤.

٤. جواهر البلاغة، ص٤١.

فالشاعر لم يرد أن يفيد السامع فائدة الخبر، ولا لازم الفائدة وإنّما أراد إظهار ضعفه والخضوع والخشوع أمام ربّه.

وكقولنا: «أصبحت لا أستطيع أنْ أسير خطوتين»، «لا طاقة لنا في الحرب».

٢. الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿وَالمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[١].

وإخراج الأمر في صورةالخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنّه ممّا يجب أن يُتَلَقى بالمسارعةإلى امتثاله، فكأنّهُنّ امتثلن الأمرَ بالتربّص، فهو يُخبِرُ عنه موجودا[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يَرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجيكُم مِنْ عَذَابٍ أَليمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فى سَبيلِ اللّه﴾[٤].

كأنّهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾. وجيء به على لفظ الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنّه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

وقوله تعالى: ﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فى سُنْبُلِهِ إلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾

﴿تَزْرَعُونَ﴾[٥]: خبر في معنى الأمر وإنّما يُخْرَجُ الأمرُ في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به، فيجْعَلُ كأنّهُ يُوجَدُ، فهو يخبر عنه.

والدليل على كونه في معنى الأمر قولهُ: ﴿فَذَرُوهُ فى سُنْبُلِهِ﴾[٦].

وكقول رئيسةممرّضات لمجموعةمنهنّ: «الممرّضات الخافرات يراجعنني في غرفتي».

---

١. البقرة: ٢٢٨.
٢. انظر الكشاف، ج١، ص٣٦٥؛ البرهان، ج٣، ص٣٥١؛ معترك الأقران، ج١، ص٢٥٩.
٣. البقرة: ٢٣٣.
٤. الصف: ١٠ و ١١.
٥. يوسف: ٤٧.
٦. الكشاف، ج٢، ص٣٢٥.

وكقول أُستاذ أحد المدارس لطلّابه: «يحضر الطّلاب الضعفاء في دروسهم إلى الصفّ عصر غد».

٣. التذكير بما بين المراتب من التفاوت: نحو قوله: ﴿لاَ يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلى الضَّرَرِ والمُجاهِدُونَ فِى سَبيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم فَضَّلَ اللّهُ المُجَاهِدِينِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً...﴾[١].

فإنّ هذه الآية تذكّر بالتفاوت العظيم بين مرتبة القاعد والمجاهد حتّى يأنف القاعد ويترفّع بنفسه عن انحطاط منزلته[٢].

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «فأَمّا أولياءُ اللّهِ، فَضِياؤُهُمْ فيها اليقينُ، وَدَليلُهُم سَمْتُ الهُدى، وَأَمّا أعداءُ اللّهِ فَدُعاؤُهُم فيها الضلالُ، وَدَليلُهُمُ العَمَى، فَما يَنْجُو مِنَ الموتِ مَنْ خافَهُ، ولا يُعْطى البَقاءَ مَنْ أَحَبَّهُ»[٣].

ومنه قول الزهاوي:

والنَّاسُ إمّا سادَةٌ ... لهُمُ الإرادَةُ أو عَبيدُ

٤. إظهار التحسّر: نحو قوله تعالى حكايةً عن أُمّ مريم عليها السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُها أُنْثَى﴾[٤].

فهي تعلم يقيناً أنّ اللّه تعالى عالم بالتي وضعتها ولكنّها أرادت إظهار تحسّرها، فقد ودّت أنْ يكون المولود ذكراً؛ ليكون وقفاً على خدمة بيت المقدس.

وقول الإمام علي عليه السلام: «مُنِيتُ بِمَنْ لا يُطيعُ إذا أَمَرْتُ، ولا يُجِيبُ إذا دَعَوْتُ... أَقُومُ فيكُم مُسْتَصْرِخاً، وأُنادِيكم مُتَغَوِّثاً، فلا تَسْمَعُونَ لي قَوَلاً، ولا تُطِيعُون لي أمْراً...»[٥].

وقول الشاعر:

أُصِبْتُ بسادةٍ كانُوا عُيُونا ... بِهِم نَسْقي إذا انْقَطَعَ الغَمَامُ

---

١. النساء: ٩٥.

٢. المطول، ٤٣.

٣. نهج البلاغة، الخطبة: ٣٨.

٤. آل عمران: ٣٦.

٥. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٩.

وقول ثانٍ:

ذَهَبَ الشبابُ فَما لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ وَأَتى المَشيبُ فأَيْنَ مِنْهُ الْمهْرَبُ

وقول ثالث:

وَأَيْقَظْتَ أجفاناً كانَ لَها الكَرَى وَنامَتْ عُيُونٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَهْجَعُ

٥. الوعظ والإرشاد: نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٢].

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ هذِهِ القُلُوبَ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدَانُ، فابْتَغُوا لَهَا طرائِفَ الحِكَمِ».

وقوله عليه السلام:[٣] «قيمةُ كُلِّ امْرِىءٍ ما يُحْسِنُهُ»[٤].

وأكثر الأخبار الحكيمة مسوقة لهذا الغرض، كقول بشّار:

إذا كنتَ في كُلِّ الأُمورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهُ

وقول زهير:

وَمَنْ يَكَ ذا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ علىٰ قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمُ

٦. إظهار الفرح: نحو قوله تعالى: ﴿جَآءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ﴾[٥].

فإنّ هذه الآية نتلوها غالباً عند الفرح والسرور بمقدم، والشماتة بمدبر.

وكقول الشاعر:

هناءُ مَحا ذاكَ العزاءَ المُقَدَّما فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّمَا

وكقولنا: «الثورة الإسلامية نرجو أن تؤتي ثمارها».

٧. الوعد: وهو الذي يفيد شيئاً مستحبّاً حصوله، كقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنَا فِي الآفَاقِ﴾[٦].

---

١. الرحمن: ٢٦.

٢. الطور: ٢١.

٣. نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩١.

٤. نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨١.

٥. الإسراء: ٨١.

٦. فصّلت: ٥٣.

وكقول الرسولﷺ: «إنّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتها لطالبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَطْلُبُ»[١].

٨. الوعيد: وهو الذي يتضمّن تهديداً بما سيكون، كقوله تعالى: ﴿إنّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

وقوله تعالى[٢]: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أوْلَى لَكَ فَأوْلَى﴾[٤].

وقول الرسولﷺ: «إنّ أشدَّ الناسِ نَدامةً يَوْمَ القيامَةِ رَجُلٌ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنيا غَيْرِهِ»[٥].

٩. الدعاء: كقوله تعالى: ﴿وقالَ مُوسَى ربَّنَا إنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وأَمْوالاً فِي الحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوالِهِم واشْدُدْ عَلَى قُلوُبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتّىٰ يَرَوُاْ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٧].

أي: أعنّا على عبادتك.

١٠. التحذير: هو الخبر الذي يفيد تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبّه، كقول النبيّﷺ: «أبغضُ الحلال عِنْدَ اللّه الطَّلاقُ».

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «إنّ الدُّنيا وَالآخِرَة عَدُوّانِ مُتَفاوِتانِ، وَسَبيلانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنيا وتَولّاها أبْغَضَ الآخِرَةَ وعادَاها، وَهُما بمَنْزِلَة المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وماشٍ بَيْنَهُما، كُلَّما قَرُبَ مِنْ واحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ»[٨].

وقول الشاعر:

وَمَن رَعَى غَنَماً في أرضِ فاسدةٍ   وَنامَ عنها تولّى رَعْيها الأَسَدُ

١. وهج الفصاحة، ص٣٧٢.
٢. إبراهيم: ٤٧.
٣. الشعراء: ٢٢٧.
٤. القيامة: ٣٥.
٥. وهج الفصاحة، ص٣٤٧.
٦. يونس: ٨٨.
٧. الفاتحة: ٥.
٨. نهج البلاغة، الحكمة: ١٠٣.

١١. المدح: هو الذي يفيد المبالغة في إظهار صفات الممدوح على الأغلب وإظهارها بما هي عليه من الصفات الكريمة، كقول النابغة في مدح النعمان بن المنذر:

فإنّكَ شَمْسٌ والملُوكُ كَواكِبُ إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[١]

وقول الشاعر:

تـراهُ إذا مـا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنَّكَ تُعْطِيهِ الذي أَنْتَ سائِلُهُ[٢]

وقول الفرزدق في الإمام زين العابدين عليه السلام:

يُغْضي حياءً وَيُغضىٰ مِنْ مَهابَتِهِ فَلاَ يُكَلَّمُ إلّا حينَ يَبْتَسِمُ[٣]

١٢. الهجاء: كقول جرير يهجو الأخطل التغلبي:

إنّ الذي حَرَمَ المكارمَ تَغْلِبا جَعَلَ النبوّةَ والخلافةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فهل لَكُم يا خُزْرَ تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا[٤]

فجرير لا يريد أن يخبر الأخطل بأمجاد قبيلته؛ لأنّه يعلم ذلك، وإنّما القصد من هذا الشعر الفخر وهجاء خصمه.

١٣. الاسترحام والاستعطاف: كقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام بعد أن سقى لبنات سيّدنا شعيب الغنم: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٥].

وكقول الشاعر:

فمالي حيلةٌ إلّا رجائي لعفوكَ إنْ عَفَوْتَ وحُسنُ ظَنّي[٦]

وقول الشاعر:

وإذا سُئِلْتَ عَن العُروبةِ قُلْ لَهُم هِيَ أُمّةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ

---

١. اساليب بلاغية ص١٠٤، من بلاغة النظم ج١: ص٧٩.
٢. علم المعاني (عبد العزيز عتيق) ص٧٠ – ٧١، علم المعاني (الدليمي، الالوسي) ص٦٧.
٣. ديوانه ج٢: ص١٧٩، امالي المرتضى ج١: ص٦٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٦٢٢، لسان العرب (حزن)، الاغاني ج١٥: ص٢٦٣.
٤. علم المعاني (الديلمي، الالوسي) ص٦٦؛ من بلاغة النظم ج١: ص٧٨.
٥. القصص: ٢٤.
٦. اساليب بلاغية ص١٠٣.

ومنه قول الرصافي:

فَشَرُّ النَّاس قَومٌ ذوو خُمُولٍ إذا فاخَرْتَهُم ذَكَرُوا الجدُودا

وقولنا للمعتدي: «مَنْ حَفر بئراً لأخيه المؤمن وقع فيها».

ومنه قول الخطيب لجمهوره: «العدوّ يمرح في أرضنا، ونحن بين عازف وخائف».

١٤. **الفخر**: كقول النبيّ ﷺ: «إنّ اللّهَ اصْطفاني من قُرَيْشٍ». فهو لا يريد الإخبار بأنّه من قريش، ولكنّه يفخر بأصله الطاهر المتزعّم للعرب.

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «فَقُمْتُ بالأَمْرِ حينَ فَشِلُوا، وتَطَلَّعْتُ حينَ تَقَبَّعُوا، ونَطَقْتُ حين تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللّهِ حينَ وَقَفُوا، وَكنتُ أخَفْضَهُم صَوتاً، وأعْلاهُم فَوْتاً، فَطِرْتُ بعنانِها، واسْتَبْدَدْتُ بِرِهانِها، كالجَبَلِ لا تُحَرِّكُهُ القَواصِفُ، ولا تُزِيلُهُ العواصِفُ...»[1].

وكقول عمرو بن كلثوم:

إذا بَلَغَ الفطامَ لنا صَبيٌّ تَخِرُّ لَهُ الجبابِرُ ساجِدينا[2]

وقول المعرّي:

وإنّي وإنْ كُنْتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائِلُ

١٥. **الشرطية**: كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا العَذابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عآئِدُونَ﴾[3].

ظاهره خبر، والمعنى: إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا.

ومنه قوله تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتانِ﴾[4].

والمعنى: من طلّقَ امرأة مرّتين فليمسكها بعدهما أو يسرحها بإحسان.

١٦. **التوبيخ**: كقوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلاً لَمّا * وَتُحِبُّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً﴾[5].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة: ٣٧.
٢. اساليب بلاغية، ص١٠٤.
٣. الدخان: ١٥.
٤. البقرة: ٢٢٩.
٥. الفجر: ١٩ ـ ٢٠.

وقول الشاعر:

فكم من زلّـةٍ لي فـي الخـطايا عضضتُ أناملي وقرعتُ سـنّي

وكقولنا لتارك الصلاة:«الصلاةُ ركنٌ من أركانِ الإسلام» أو قولك للعاثر: «الشمسُ طالعةٌ». وقول ربّ عمل لأحد العمّال: «أنهى جميع العمّال أعمالهم، وأنت ما زلت في البداية».

١٧. **الحث على السعي وتحريك الهِمّة**: هو الذي نستفيد منه الحثّ على القيام بأمر مشروع ليقوم به المخاطب، أو هو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليقوم به، ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[1]. ففي الخبر حثّ وتحريك للهمّة لنيل الدرجات في الجنّة.

وقول الرسول ﷺ: «إنّ اللّه تعالى يُنْزِلُ المَعُونَةَ على قَدْرِ المؤُونةِ، وَيُنْزِلُ الصَّبْرَ على قَدْرِ البلاء»[2].

وقول رئيس لمرؤوسيه: «من دلائل المواطنةالصالحةأن يتقن كلّ فرد عمله».

وكقول القائل: «من سعى رعى، ومن لِزم المنام رأى الأحلامَ».

١٨. **التعظيم**: كقوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾[3].

١٩. **التمنّي**: هو الذي يتضمّن أمراًبعد القيام بعمل ما، ومثالُهُقول القائل: «وَدِدْتُكَ عِنْدنا».

وقول صديق لآخر ذي المشاغل الكثيرة: «أُحبّ أنْ أراك في كلّ وقت».

٢٠. **النهي**: كقوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾[4].

٢١. **الرثاء**: كقول ابن الرومي في رثاء ولده:

طَــواهُ الرَدَى فــأضْحىٰ مَـزارُهُ بعيداً على قُرْبٍ، قريباً على بُعْدِ[5]

---

١. يونس: ٢٦.

٢. وهج الفصاحة: ٣٦٧.

٣. يوسف: ١٠٨.

٤. الواقعة: ٧٩.

٥. ديوانه، ج٢: ص٣٩١ (شرح فاروق اسليم).

هذه أهمّ معاني الخبر التي يكثر تداولها في الكلام؛ لأنّ المعاني التي يحتملها لفظ الخبر ويدلّ عليها لاحصر لها، وأكثر من أن تستقصى[١]، وهذه الأغراض التي يخرج إليها الأسلوب الخبري متعدّدة ومتنوّعة، وعلى المتلقي أن يتأمّل الكلام، وسيقف على خير كثير.

فالأصل في الخبر ـ كما ذكرنا ـ أن يلقى لغرضين هما: فائدةالخبر، ولازم الفائدة، غير أنّه كثيراً ما يخرج على خلاف مقتضى الظاهر مجازاً؛ لأغراض فهمت من السياق.

ففائدة الخبر ولازم الفائدةحقيقيّان وما عداهما في هذه الأمثلة من قبيل المجاز، فعدّوا ما استعمل في معنى الفخر أو التحسّرأو المدح مثلاً مجازاًمرسلاً من استعمال المركّب في غير ما وضع له؛ لعلاقةاللزوم.

والتحقيق في ذلك: أنّ الهيئة التركيبيّة الخبريّة موضوعة للإخبار والإعلام، فإذا استعملت في غيره فإن كانت العلاقة المشابهة فهو استعارة، وإلّا فمجاز مرسل، والأمثلة السابقة من قبيل الثاني؛ لأنّ الشخص إذا أخبر بوقوع ضدّ مايرجوه ويظنّه يلزمه إظهار التحزّن والتحسّر مثلاً وهذا من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم، فيكون من المجاز المرسل.

فعليه فإنّ هذه الأمثلة ليست من الجمل الخبريّة، بل إنشائيّة؛ لأنّ مثال التحسّر لم يُستعمل في نفس التحسّر، بل استعمل في معناه الأصليّ، ولكن بداع التحسّر لا الإعلام، فالتحسّر طور الاستعمال، لا أنّه مستعمل فيه، فالفرق في مثل هذه الجمل بين الخبر والإنشاء بالداعي، فعند كون الداعي غير الحكاية نلتزم أن يكون الكلام إنشائيّاً.

ويقع الخبر موقع الإنشاء لأغراض: منها:

١. ***التفاؤل:*** نحو: «أرشدكَ اللّه إلى الخير، ووفّقك اللّه إلى التقوى»، كأنّ الهداية

---

١. تنظر أغراض الخبر المجازيّة في الصاحبي لابن فارس، ص١٧٩؛ البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٣٢٠؛ أساليب بلاغية لأحمد مطلوب، ص١٠٧؛ جواهر البلاغة، ص٥٨.

والتوفيق قد حصل كلّ منهما بالفعل، فأُخبر عنه.

٢. *إظهار الرغبة في حدوث الشيء:* نحو: «وفّقني اللّه إلى الهُدى» وصيغ الدعاء بلفظ الماضي محتملة للتفاؤل وإظهار الرغبة.

٣. *الاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً:* نحو «رضي اللّه عن فلان»، ونحو «ينظر سيادة الرئيس في أمري» والمعنىٰ: ليرضَ، لينظُر.

٤. *حمل المخاطب على المطلوب والتنبيه إلى سرعة الامتثال:* نحو قوله تعالى: ﴿وإذْ أخَذْنا ميثاقَكُم لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾[1].

لم يقل تعالى: «لا تسفكوا» قصداً إلى المبالغة في النهي؛ لحمل المخاطبين على المطلوب، والتنبيه إلى سرعة امتثالهم لما طلب منهم، كأنّهم نُهوا فامتثلوا، ثمّ أخبر عنهم بالامتثال.

ومن ذلك أن يكون المخاطب ممّن لا يحبّ أن يكذّب الطالب، فيؤتى له بالطلب على صورة الخبر؛ حملاً له على تنفيذ المطلوب، كقولك لصاحبك الذي لا يحبّ تكذيبك: «تأتيني غداً» بدلاً من «ائتي»، وبذلك تحمله بألطف وَجْه على الإتيان؛ لأنّه إن لم يأتك غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر؛ لأنّ كلامك في صورة الخبر.

● المبحث الثالث: إخراج الكلام علىٰ غير مقتضى الظاهر

اعلم أنّ مقتضى الحال[2] قد يكون مقتضى الظاهر وقد يكون خلافه[3]، فالجمل التي جرت ابتدائيّة وطلبيّة وإنكاريّة استعمل كلّ واحد منها فيما يدلّ عليه تسميتها مقتضى الظاهر.

---

١. البقرة: ٨٤.

٢. الحال هو الأمر الداعي إلى أن يعتبر المتكلّم في كلامه خصوصيّة ما، و مقتضى الحال هو الكلام الكلّي المكيّف بكيفيّة مخصوصة.

٣. لأنّ مقتضى ظاهر الحال يشترط فيه أن يكون أمراً ثابتاً في الواقع، كالإنكار حقيقة مثلاً. امّا مقتضى الحال، فلا يشترط فيه ذلك، فقد يكون ثابتاً، و قد يكون تنزيلاً، كتنزيل غير المنكر منزلة المنكر، و لذلك كان مقتضى الظاهر أخصّ من مقتضى الحال.

وقد يلاحظ المتكلّم اعتبارات أُخرى خـفيّة، فـيخرج كـلامه عـلى اعـتبارها ويسمّى ذلك: إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو على انحاء:

١. أن ينزّل غير السائل ـ خالي الذهن ـ منزلة السائل المتردّد، فيؤكّد له الكلام، فتستشرف نفسه وتتطلّع إليه استشراف الطالب المتردّد، كقوله تعالى لنوحعليه السلام:

﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بأَعْيُنِنا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُم مُغْرَقُون﴾[١].

فجملة **﴿إنَّهُم مُغْرَقُون﴾** جملة خبريّة مؤكّدة، ومقتضى الظاهر أن تكون الجملة: «ولا تخاطبني في الذين ظلموا، فهم مغرقون»؛ لأنّها معلومة جـديدة تُـلقى إليـه، وذهنه خالٍ منها، ولكن الآية تصوّر نوحاًعليه السلام في موقفين نفسيّين، فحين أُلقيَ إليه أمر عدم المراجعة في شأن الظالمين من قومه تـطلّعت نـفسه ـ وهـو النـبيّ الشـفيق المتسامح ـ أن يعرف مصيرهم العفو؟ الإغراق؟ العذاب في الدنيا؟ أم ماذا؟ فتجيء الجملة الثانية، مدركةً حال نوحعليه السلام مُلقية إليه بـالحكم الذي لارجـعة فـيه **﴿إنّـهُم مُغْرَقُون﴾** وقُضي الأمرُ.

وقوله تعالىٰ: **﴿ما أُبرّئُ نَفْسي إنَّ النَّفْسَ لَأمّارةٌ بالسّوءِ﴾**[٢].

جاء الخبر مؤكّداً رغم أنّه موجّه إلى خالي الذهن الذي لا ينبغي أن يؤكّـد له الخبر، ومبعث هذا الإخراج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر أنّه تقدّم فيه ما يلوّح لخالي الذهن هذا بالخبر، ويومئ له إليه، وهو قوله **﴿وما أُبرّئُ نَفْسِي﴾** ومن ثمّ صار المتلقّي الخالي الذهن يتطلّع إلى هذا الخبر تطلّع الطالب له المتردّد بشأنه، المتسائل «لماذا لا يبرّئ نفسه، وهل لذلك من سبب؟».

وقوله تعالى: **﴿إذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إنَّ أَبَانا لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ * اَقْتُلُوا يُوسُفَ...﴾**[٣].

فإنّ أُخوة يوسف كانوا عالمين بهذا الخبر غير شاكّين، ولا منكرين له؛ لأنّـهم

---

١. هود: ٣٧.

٢. يوسف: ٥٣.

٣. يوسف: ٨ ـ ٩.

لمسوه بالتجربة، ولكن لعظم الجريمة التي بدأوا يخطّطوا لها، صوّروا للمخاطب الخالي الذهن على أنّه شاكّ متردّد؛ مبالغةً في عدم تحمّل تلك الإثرة، وإنْ صحّت من أبيهم فإنّه لفي ضلال مبين.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[1].

فالمخاطبون في هذه الآية لاينكرون غفران اللّه للذنوب، ولايشكّون في ذلك، فكان حقّ الكلام أن يكون خالياً من التأكيد، ولكنّه قال مؤكّداً: ﴿إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً﴾ لأنّه نزّل خالي الذهن منزلة المتردّد؛ نظراً لأنّهم أسرفوا على أنفسهم، فشملهم اليأس من المغفرة، فصاروا كالمتردّدين في أنّ اللّه يغفر ذنوبهم على كثرتها وبشاعتها، فأكّد القرآن الخطاب لهم.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيمٌ﴾[2].

فإنّ خطاب الناس بأمرهم بتقوى ربّهم يشعر بأنّ ذلك الأمر مخوف، فكأنّ المقام مقام تردّد، وهل أمامهم شيء عظيم يحيق بهم؟ فأكّد الكلام جرياً على خلاف مقتضى الظاهر.

وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِم إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[3].

فإنّ مقتضى الظاهر أن يلقى الخبر غير مؤكّد؛ لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم، ولكن لمّا تقدم في الكلام قبل الآية ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلّعاً إليه، فنزِّل من أجل ذلك منزلةالسائل المتردّد، واستحسن إلقاءالكلام إليه مؤكّداً جرياً على خلاف مقتضى الظاهر، فقيل: ﴿إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ ولكن أُسلوب التأكيد هنا جاء مطابقاً لمقتضى الحال.

والمراد ممّا يشعر بنوع الحكم هنا خطابه تعالى للنبيّ ﷺ مبيّناً حكم أولئك الذين

---

١. الزمر: ٥٣.

٢. الحج: ١.

٣. التوبة: ١٠٣.

اعترفوا بذنوبهم، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِيهم بها وصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وهذا الحديث من شأنه أن يثير في النفس تساؤلات: ماذا يستفيدون من هـذه الصلاة؟ هل تزيل عنهم أرَقاً؟ وهل تخفّف عنهم اضطراباً وقلقاً؟ فجاء ذلك الجواب منه تعالى مزيلاً هذه التساؤلات، مؤكّداً ببعض المؤكّدات.

وكقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبراهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ البُشْرَى يُجَادِلُنا فِي قَومِ لُوطٍ * إنَّ إبراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَآ إبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذآ إنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِم عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[2].

فحينما يكون المقامُ مقامَ تساؤل وحيرة من المخاطب ـ بعد معرفته لجزء مـن الخبر ـ، يَحْسُن أن يُقدّم إليه بقية الخبر مؤكّداً؛ لأنّه سيكون إقراراً من المتكلّم بالتغيّر النفسيّ الذي طرأ على المخاطب، فاقتضت أنْ تقدّم الجملة مؤكدّة؛ لتزيل أيّ لبس يحوم حولها.

ومن هذا القبيل قول النبيّ صلى الله عليه وسلم وقـد سـمع بـعض الصـحابة يـجهدون أنـفسهم، ويرفعون أصواتهم بالدعاء، فقال: «يا أيّـها النـاس؛ أرْبِـعوا عـلى أنـفسكم، إنّكـم لا تدعون أصمّاً»[3].

وقول المتنبّي:

تَرَفَّق أَيُّـها المـولى عَـلَيْهِم فإنَّ الرِفْقَ بالجاني عِـتابُ[4]

فإنّ الظاهر لا يقتضي التوكيد؛ لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكـم، ولكـن لمّا تقدّم في الشطر الأوّل ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلّعاً إليه، فنزّل من أجل ذلك منزلة المتردّد.

٢. أن ينزّل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمـارات الإنكـار.

---

١. التوبة: ١٠٣.

٢. هود: ٧٤ ـ ٧٦.

٣. صحيح البخاري، ح ٢٨٣٠.

٤. ديوانه، ج ١: ص ٩٢، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ١: ص ١٤٥.

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[١].

فإنّ المخاطبين وإنْ لم ينكروا الموت إلّا أنّهم ولتماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل، نزّلوا منزلة المنكرين، فأكّدت الإماتة بتأكيدين.

وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ ما فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

فإنّ المؤمنين لا ينكرون غفران اللّه ورحمته، ولكنّهم لمّا فتنوا في دينهم تخوّفوا من عقاب اللّه، وصاروا كأنّهم ينكرون غفران اللّه لذنوبهم، فنزّلوا منزلة المنكرين، فأكدّ لهم الكلام بـ ﴿إنَّ﴾ واللام.

وقوله تعالى: ﴿وأنَّ الساعَةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها﴾[٣].

وقوله تعالى في خطاب المصطفىٰ ﷺ: ﴿إنّكَ لا تُسْمِعُ الموتىٰ ولا تُسْمعُ الصُّمَّ الدعاءَ﴾[٤].

لمّا كان ﷺ شديد الحرص على هدايتهم، مجهداً نفسه في إبلاغهم ما أُنزل إليه، متطلّعاً إلى استجابتهم وقبولهم الحقّ وإقلاعهم عن الضلال والكفر، لمّا كان كذلك نزّل منزلة من يعتقد أنّه يستطيع إسماع الصمّ وهداية العمى وينكر عدم قدرته على إسماعهم وهدايتهم فألقى إليه الخبر مؤكداً: «إنّك لاتسمع الموتىٰ».

وقول الإمام عليّ في خطبته الشقشقيّة: «أما واللّه لقد تَقمَّصَها فلانٌ، وإنّهُ ليعلمُ أنَّ محلّي منها محل القُطْبِ من الرَّحَا ...»[٥].

فإنّ المخاطب عالم بالحال، لكنّ الإمام نزّله منزلة الجاهل المنكر، لذا صدّرت الجملة بـ «إنّ» واللام المؤكّدين للتحقيق، لتقابل الأُسلوب الإنكاري في الجملة الأُولى: «أما واللّه لقد تقمّصها ...» وقد أتى بالفعل ليدلّ على الاستمرار

١. المؤمنون: ١٥ ـ ١٦.
٢. النحل: ١١٠.
٣. الحج: ٧.
٤. النمل: ٨٠.
٥. نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

والتجدّد، وهذه الخواصّ كلّها مؤكّدةللتقمّص مقرّرة؛ لما أنّ المتقمّص قد عاند علمه وعقله، وكابر ربّه ورسوله.

وكذلك قول حَجَل بن نَضْلَةَ القيسي:

جـاءَ شَـقِيقٌ عـارِضاً رُمْـحَهُ   إِنَّ بني عَـمِّكَ فـيهِمْ رِمـاحُ[١]

فمجيء شقيق هكذا ـ مدّلاً بنفسه، معجباً بشجاعته، واضعاً رمحه عرضاً ـ دليل على صلفه وزهوّه ببسالته، واعتقاده أنّه لن يجد مقاوماً من بني عمّه، حتّى كـأنّهم عُزّل ليس معهم ما يدافعون به، فذلك نزّل في الشطر الثاني منزلة المنكرين، فأكّد له الخبر، وخوطب خطاب المنكر، فقيل له: «إنّ بني عمّك فيهم رماح» تهكّماً به.

٣. أن ينزّل المنكر منزلة خالي الذهن إذا كان معه ما إنْ تأمّله ارتدع عن الإنكار، وهنا لا نؤكّد الخبر ـ كما يقتضي مقتضى الظاهر ـ بأكثر من مؤكّد واحد، بل نسوقه خالياً من التوكيد، وكأنّه قضيّة مسلّم بها، كقوله تعالى:

﴿إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٢].

فإنّ الخطاب للمنكرين الذين يجحدون وحدانيّته سبحانه، والأصـل أن يكـون مؤكّداً، ولكنّه تعالى ألقى إليهم الخبر خالياً من التوكيد، كما يُلْقى لغير المنكرين؛ لأنّ بين أيدي هؤلاء ـ من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ـ ما لو تأمّلوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع، ولذلك لم يُقِم اللّه لهذا الإنكار وزناً، ولم يَعْتَدّ به في توجيه الخطاب إليهم[٣].

---

١. شرح عقود الجمان، ج ١: ص٣٩؛ وبلا نسبة في الطراز، ج ٢: ص٢٠٣؛ المصباح، ص١١؛ الايضاح، ص٢٥؛ التلخيص، ص١١؛ معاهد التنصيص، ج ١: ص٧٢؛ دلائل الاعجاز، ص٣٠٩.

٢. النحل: ٢٣.

٣. و يجب التنبيه هنا إلى أنّ الخبر يختلف باختلاف المخاطبين، فقد يخرج الخبر عن مقتضى الظاهر في حال من الأحوال، و لفئة من الفئات، كما في الآية و التي نزلت في كفّار مكّة، ولكن هذا الخبر نفسه قـد يكـون مـطابقاً لمقتضى الظاهر في حال آخر، و لقوم آخرين، فإنّ الحديث عن الوحدانيّة في الآيات المكّيّة كان منسجماً مـع مقتضى الحال، خارجاً عن مقتضى الظاهر، كما رأينا ولكنّنا حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿وَ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحمنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٦٣، و هي مدنيّة، ندرك أنّ الخطاب لم يخرج عن مقتضى الظاهر في هذه الآيـة؛ لانّ الصحابة و المجتمع المسلّم في المدينة لا ينكر التوحيد، فجاءت الآية الكريمة هنا مطابقة لمقتضى الظاهر، كما هي مطابقة لمقتضى الحال كذلك. (البلاغة و فنونها، ج ١: ص١٣٦).

وكقوله تعالى في خطابه للكافرين الملحدين بالقرآن: ﴿ذَٰلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فيهِ﴾[١].

فقد جاءت الآية خالية من التأكيد مع أنّ الكافرين منكرون للكتاب وصحّته، ولكنّه نزّلهم منزلة خالي الذهن؛ لأنّهم لو تأمّلوا القرآن، وحكّموا عقولهم، وبرئوا عن التحيّر، لاعتقدوا صدق الكتاب وآمنوا به.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ القيامَةِ تُبْعَثُون﴾[٢].

فالكافرون ينكرون البعث إنكاراً شديداً، فكان مقتضى الظاهر أن يؤكّد لهم الكلام بكلّ أنواع التوكيد إلّا أنّ البعث لمّا كانت أدلّته ظاهرة كان جديراً بأن لا ينكر، فنزّل المخاطبون منزلة خالي الذهن؛ حثّاً لهم على النظر في أدلّته الواضحة.

وكقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾[٣].

فهذا خبر عظيم ينكره الكافرون الجاحدون، ولكن القرآن الكريم لم يعبأ بإنكارهم، وساق تلك الحقيقة الكبرى مساق الواقع المسلّم بها على الإطلاق والتي لاتحتاج إلىٰ تأكيد.

٤. أنّ ينزّل العالِم بفائدة الخبر أو لازِمها، أو خالي الذهن منهما معاً منزلةَ الجاهل بذلك؛ لعدم جريه على مُوجب علمه، فُيلقَى إليه الخبرُ كما يُلقى إلى الجاهل به، كقولك لِمن يعلم قطعاً وجوبَ الصَّلاة، وهو لايُصلّي: «الصلاةُ واجبةٌ»[٤] توبيخاً على عدم عمله بمقتضى علمه.

---

١. البقرة: ٢. و قيل: فيه نظر، لانّ ﴿لا رَيْبَ فيهِ﴾ حال مؤكّد، و هي إنّما تكون لزيادة التوكيد، و لا خفاء في أنّها تكون في مقابلة الإنكار.
و يمكن أن يجاب عنه بأنّ الكلام هنا هو في نفس قوله: ﴿لا رَيْبَ فيهِ﴾ لا فيما أُكّد به، و لا يمكن أن يكون الشيء مؤكّداً لنفسه.

٢. المؤمنون: ١٦.

٣. الجمعة: ١.

٤. أي لمّا ترك الصلاة مع علمه بوجوبها نزّل منزلة الجاهل الخالي الذهن، فألقي له الخطاب من غير تأكيد، فالإخبار حينئذ خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ إذ مقتضى الظاهر الكفّ عن إخباره؛ لعلمه بالحكم، لكن نزّل علمه به منزلة الجهل به؛ لعدم جريه على موجب علمه، إذ لو كان عالماً بوجوب الصلاة ما تركها.

وكقولك لمن يُؤذي أباه:«هذا أبوك».

وكان هشام بن عبد الملك ـ الخليفةالأموي ـ يحجّ، فجاءالإمام زين العابدينﷺ ليطوف بالبيت العتيق، فانشقّت له الصفوف مهابةً وإجلالاً له، فأنكره هشام وسأل: «من هذا»؟ فردّ عليه الفرزدق قائلاً:

هذا الذي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ والبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَـرَمُ
هذا ابنُ خَيْرِ عـبادِ اللّـهِ كُـلِّهِمُ هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطـاهِرُ العَـلَمُ
هذا ابنُ فاطِمَةَ إنْ كُنْتَ جاهِلَهُ بِجَدِّهِ أَنْـبياءُ اللّـه قَـدْ خُـتِمُوا[١]

فهشام يعلم مَنْ هذا الرجل ولكنّه لمّا لم يؤدّ له واجب التبجيل والاحترام، نزّله الشاعر منزلةالجاهل به.

٥. ومنها تنزيل المُتردِّد منزلة الخالي، كقولك للمُتردِّد في قـدوم مسـافر مـع شهرته «قدم الأمير».

٦. ومنها تنزيل المُتردِّد منزلة المُنكر، كقولك للسائل المستبعد لحصول الفرج «إنّالفرجَ لقرِيبٌ». ألقيت إليه صورة الخبر التي تلقى إلى المنكر، رغم أنّه غير منكر، بل متردّد فحسب؛ لأنّه في حالة نفسيّة يستبعد فيها حصول الفرج، فصار بـمنزلة المنكر.

٧. ومنها تنزيل المُـنكر مـنزلة المُـتردّد، كـقولك لمـن يُـنكر شـرف الأدب إنكاراًضعيفاً: «إنّ الجاه بالمال إنّما يصحبك ما صحبك المال، وأمّا الجاه بالأدب فإنّه غير زائل عنك» ألقيت إليه صورة الخبر المناسبة للمتردّد رغم أنّه منكر؛ لأنّ إنكاره ضعيف يزول بأدنى تأكيد.

ولاشكّ أنّ إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ولهذه الاعتبارات المناسبة التي ذكرناها يعتبر شعبةمن شعب البلاغة، وسبيلاً إلى توفية الكلام حقّه، باستيطان دخيلةالمخاطب، والتغلغل إلى أعماق نفسه، وكشف السترعنها، وتعريتها وإبرازهـا واضحة أمام العيون[٢].

---

١. بلاغة النظم، ج ١: ص ٨٣؛ علم المعاني (الآلوسي)، ص ٧١؛ ديوان الفرزدق (تحقيق الطباع)، ص ٦٦١.
٢. فن البلاغة، د. عبدالقادر حسين، ص ٨٨.

الفصل الثاني:

الإنشاء

الإنشاء في اللغة: مصدر لفعل «أنشأ»، وله معانٍ: منها: الإيجاد والاختراع، والخلق، والشروع، والابتلاء.

وفي الاصطلاح: هو الكلام الذي يحصل مضمونه بمجرّد التلفّظ به، وهو لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولم يكن لنسبته خارج قصد حكايته.

وتوضيحه أنّه سبق وأن ذكرنا أنّ لصيغة الخبر نسبةً تعرف من الخارج يقصد المتكلّم بالكلام حكايتها والإخبار عنها، ويكون الخبر صادقاً بمطابقتها، وكاذباً بمخالفتها، وأمّا الإنشاء، فلا يقصد به الحكاية عن نسبة متحقّقة في الخارج، بل المقصود به إحداث مدلوله، كقول الإمام عليّ عليه السلام وهو يحثّ جنده: «فاسمعوا قولي، وَعُوا منطقي»[1].

إذ المقصود إيجاد طلب السماع، ووعي المنطق بتلك الألفاظ، ولولا قوله عليه السلام هذا لما حصل المعنى بخلاف ما لو قلت: «محمدٌ قائم» فإنّ قيام محمّد أو عدمه ثابت ولو لم تتلفّظ بهذه القضيّة، ولأجل عدم وجود النسبة الخارجيّة في الإنشاء لم يتّصف بصدق أو كذب لذاته.

نعم، قد يتّصف بهما باعتبار مدلوله الالتزامي، كما تقدّم[2].

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٩ ـ ١.

٢. انظر: ص١٣.

أقسام الإنشاء

ينقسم الإنشاء إلى نوعين: طلبيّ، وغير طلبيّ.

١. **الإنشاء الطلبيّ**: وهو الكلام الذي يلقى لإيجاد مطلوب غير متحقّق في الخارج باعتقاد المتكلم، ولو كان الشيء متحقّقاً في الخارج لقبح طلبه عقلاً، ووجب إرادة معنى آخر غير الطلب، كقوله تعالى: ﴿يآ أَيُّها الَّذِينَ آمَنَوا﴾ فإنّ المراد دوام الإيمان أو توثيقه، وهو خمسة أصناف: الأمر، النهي، الاستفهام، التمنّي، النداء.

٢. **الإنشاء غير الطلبي**: وهو مالا يلقى لإحداث مطلوب غير متحقّق في الخارج، وله أصناف مختلفة: منها.

١. صيغ المدح والذمّ، مثل نعم، وبئس، وحبّذا، أو لاحبّذا، وغيرها.

٢. التعجّب وله صيغتان قياسيّتان: هما: «ما أَفْعَلَهُ» و «أَفْعِلْ بـه» وله صيغ سماعيّة، نحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ...﴾[١].

٣. القسم: ويكون بالواو، والتاء، والباء، وبغيرها.

٤. الرجاء: وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع، ويكون بعسى، وحرىٰ، واخلولق.

٥. صيغ العقود والإيقاعات[٢]: مثل: «بعتُ، واشتريت، ونكحت» لإنشاء التزوّج «وطلّقت ووهبت وقبلت...».

وأكثر هذه الإنشاءات أساليب خبريّة في الأصل، ولذا لايبحثون عنها في علم المعاني، بل ما يعنون به هو الطلبيّ؛ لما فيه من المزايا واللطائف البلاغيّة.

---

١. البقرة: ٢٨.

٢. الفرق بين العقد و الإيقاع هو أنّ العقد لا يتحقّق إلّا فيما إذا صدر من شخصين، كما في عقد البيع، بخلاف الإيقاع فإنّه يتحقق من شخص واحد، كالطلاق، فإنّه يقع و إن لم ترضَ به الزوجة.

الإنشاء الطلبي

أساليب الإنشاء الطلبيّ خمسة هي:

الأوّل: الأمر.

الثاني: الاستفهام.

الثالث: النهي والتمنّى.

الرابع: النداء.

● القسم الأوّل: أسلوب الأمر

«الأمر» في اللغة مصدر لفعل «أمر» وله معانٍ عدّة:

أ) أمَرَ بمعنى طلب فعل الشيء وإحداثه، وهو نقيض النهي، ويجمع على «أوامر».

ب) والأمر بمعنى الحال والشأن، كقوله تعالى: ﴿وليس لَكَ من الأمرِ شيءٌ﴾[١]. ويجمع على أمور. وأمر اللّه: أوامره وأحكامه، وأولو الأمر: هم العلماء والرؤساء.

في الاصطلاح هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء[٢] والإلزام، وله أربعُ صيَغ:

١. **فعل الأمر**: كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٣].

وكقوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[٤].

وكقول أبي نواس:

دَعْ عنكَ لومي فإنّ اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هِيَ الداءُ[٥]

---

١. آل‌عمران: ١٢٨.

٢. حقيقيّاً كان ذلك الاستعلاء، أو ادّعائياً. فالأول: كقول الرئيس لمرؤوسه: «افعل كذا»، و الثاني: كقول المرؤوس لرئيسه: «افعل كذا» متعاظماً، لا متواضعاً.

٣. النور: ٥٦.

٤. مريم: ١٢.

٥. البلاغة والتطبيق، ص١٢٤.

٢. المضارع المقترن بلام الأمر: كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾[١].

وكقول أبي تمّام:

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ فليس لعين لم يَفِضْ ماؤها عُذرُ

٣. المصدر النائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿وبالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً﴾[٢] أي أحسنُوا إلى الوالدين إحساناً.

وكقوله تعالى: ﴿وإذا لَقِيتُمُ الّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ﴾[٣] أي اضربوا الرقاب ضرباً.

وكقول قطري بن الفجاءة

فَصَبْراً في مجال الموت صَبْراً فما نَيْلُ الخُلُودِ بمُسْتَطاعِ[٤]

٤. اسم فعل الأمر: وهو اسم ينوب عن الفعل معنىً وعملاً، دون أن يتأثّر بعوامل الفعل، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُم أنفُسَكُم لايَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُم﴾[٥] أي: الزموا أنفسكم.

ومنه «صه» بمعنى اسكت، «مه» بمعنى اكفف، و«آمين» بمعنى استجب، و«رويده» بمعنى امهله، و«نزال» بمعنى انزل.

وقد يرد الأمر في صيغة الجملة الخبريّة المجازية التي يقصد منها الطلب لا الخبر، كقوله تعالى: ﴿والوالِداتُ يُرضعنَ أولادَهُنَّ حولَين كامِلَيْن لِمَنْ أرادَ أنْ يُتمَّ الرّضاعَةَ﴾[٦].

فالمراد من هذا الخبر هو أمر الوالدات بإرضاع أولادهنّ لا الإخبار عن إرضاعهنّ؛ لأنّ ذلك معلوم بداهة. والمعنى: ليُرضعنَّ أولادهنّ.

وتخرج صيغ الأمر عن معناها الحقيقي ـ وهو الإلزام ـ إلى معانٍ أُخر مجازية

---

١. الطلاق: ٧.
٢. البقرة: ٨٣.
٣. محمد: ٤.
٤. البلاغة والتطبيق، ص١٢٥.
٥. المائدة: ١٠٥.
٦. البقرة: ٢٣٣.

تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

□ المعاني البلاغيّة لصيغة الأمر

١. الدعاء: وهو الطلب على سبيل التضرّع؛ أي التذلّل والخضوع، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنَادِياً يُنادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنّا رَبَّنا فَاغْفِر لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الأَبْرَارِ﴾[١].

فاللّه تعالى لايأمره أحد من خلقه؛ إذ الأمر في الآية مجازي خرج عن معناه الأصليّ إلى غرض الدعاء.

والعلاقة بين الأمر والدعاء هي الإطلاق وَالتقييد؛ لأنّ الأمر طلب على وجه الاستعلاء، فأُطلق عن قيده ثمّ أُريد منه الطلب على وجه التضرّع، وهو معنى الدعاء.

وسرّ بلاغة التعبير بالأمر في مقام الدعاء إظهار كمال الخضوع للمولى عزّوجلّ، وبيان شدّة رغبة العبد في الغفران والتوبة، كأنّهما أمران مطلوبان من اللّه جلّ وعلا.

ومنه في الشعر قول المتنبّي يخاطب سيف الدولة:

أخا الجودِ أعْطِ النـاسَ مـا أنتَ مـالِكٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا تُـعْطِيَنَّ النـاسَ مـا أنـا قـائِلُ[٢]

فالمتنبّي يمدح سيف الدولة بالكرم، ويجعله ملازماً له، ثمّ يخاطبه بصيغة الأمر «اعط» ومعلوم أنّ الملك لايأمره أحد من رعاياه، ولكن إيراد صيغة الأمر في مقام «الدعاء» في هذا البيت توحي بأنّ سيف الدولة رجل معطاء وكريم، وتوحي أيضاً بأنّ الشاعر نسيَ كلّ شيء ماعدا شدّة حرصه ورغبته في أنْ يحقّق سيف الدولة أمله ورجاءه، ويكثر عطاء الناس من أمواله حتى يفوز بالثناء الجميل، والعزّ الأصيل[٣].

٢. التهديد: ويكون حينما يريد المتكلّم إظهار عدم رضاه عن أمرما، فيوجّه تحذيراً للمخاطب لكي يقلع عنه، نظراً لما يترتّب على الإتيان به من عقاب شديد،

---

١. آل‌عمران: ١٩٣.

٢. ديوانه (شرح البرقوقي)، ج٣: ص٢٣٦.

٣. من بلاغة النظم العربي ٢: ٨٣.

كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

فليس المراد هنا أمرهم بكلّ عمل شاؤوا، بل الأمر هنا يفيد التهديد بدليل قوله تعالى: ﴿إنّه بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فاستعمال صيغة الأمر في التهديد مجاز، علاقته مابينهما من شبه التضادّ. وذلك لأنّ المأمور به إمّا أن يكون واجباً، أو مندوباً، والمهدّد عليه إمّا أن يكون حراماً، أو مكروهاً.

وسرّ بلاغة التعبير بالأمر في مقام التهديد أنّ اللّه تعالى لشدّة غضبه عليهم كأنّه يأمرهم بما يوجب عقابهم لينكّل بهم أشدّ التنكيل[٢].

وكقول الشاعر:

إذا لَمْ تَخْشَ عاقِبَةَ اللَّيالي ... وَلَمْ تَسْتَحِ فافْعَلْ ما تَشاءُ

وهو مقتبس من قول الرسولﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

فالأمر في قوله: «فاصنع» المراد به التهديد بدليل قوله: «إذا لم تستحِ» فليس المراد أمرهم بكلّ صنع شاؤوا، بل الأمر يفيد التهديد.

وقد يخرج هذا المعنىٰ من التهديد والوعيد إلىٰ التبشير، فهناك فرق واضح بين قوله هذا وقولهﷺ في أهل بدر: «لعلّ اللّه اطّلع علىٰ أهل بدر فقال: اصنعوا ما شئتم؛ فإنّي قد غفرت لكم».

فقوله: «فإنّي قد غفرت لكم» يحدّد المعنىٰ المراد من صيغة الأمر: «اصنعوا ماشئتم» فليس المراد أمرهم بكلّ صنع شاؤوا، بل الأمر يفيد التبشير والإشارة إلى ما أعدّه اللّه لأهل بدر من الجزاء العظيم[٣].

٣. التسوية: في صورة توهّم المخاطب رجحان أحد الأمرين على الآخر، مع أنّهما متساويان عند القائل، كقوله تعالى: ﴿قُل أَنْفِقُوا طَوْعاً أو كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إنّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ﴾[٤].

---

١. فصّلت: ٤٠.
٢. من بلاغة النظم العربي ٢: ٧٥.
٣. ن.م ٢: ٧٦.
٤. التوبة: ٥٣.

أي إن تنفقوا أو لا تنفقوا لن يتقبّل منكم إن أنفقتم طوعاً أو أنفقتم كرَهاً، وذلك أنّ اللّه علم من حالهم عدم الاهتداء، فقد توهّموا أنّ الإنفاق طوعاً مقبول، دون الإنفاق كرهاً فسوَّى بينهما في عدم القبول، فليس المراد ـ إذن ـ من الأمر في الآية الإنفاق، ولكنّ المراد به ـ كما دلّت عليه خاتمة الآية ـ هو التسوية بين الأمرين، واستعمال صيغة الأمر في التسوية بين الشيئين مجاز علاقته التضادّ.

وسرّ بلاغة التعبير تعكس مدى الاحتقار والازدراء لمن أنفق ماله لغير وجه اللّه، وتقليل شأن من أنفق رياء وسمعة.

وممّا جاء من الأمر للتسوية قوله تعالى: ﴿وأسرُّوا قولَكُم أو اجْهَرُوا بِهِ إنّهُ عليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴾[1].

أي ليستوِ عندكم إسراركم وإجهاركم في اللّه.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ آمِنوا به أو لاتُؤمنوا﴾[2].

تشعر في الآية فضلاً عن التسوية بين الإيمان وعدمه بمعنىٰ الاحتقار والازدراء وقلّة المبالاة. أي إن تؤمنوا أو لا تؤمنوا فقد آمن به من هم أفضل منكم وأعظم، ولذا استوىٰ إيمانكم وعدم إيمانكم.

وقوله تعالى: ﴿فاصْبِرُوا أو لاتَصْبِروا﴾[3].

أي: صبركم أو عدمه في عدم النفع سواء، وذلك أنّه ربّما يتوهّم أنّ الصبر نافع للكفّار في عذاب يوم القيامة، فدفع ذلك بالتسوية بين الصبر وعدمه.

فليس المراد بصيغة الأمر «اصبروا» الأمر بالصبر، بل المراد كما دلّت عليه خاتمة الآية: ﴿إنّما تجزون ماكنتم تعلمون﴾، التسوية بين الأمرين[4].

وقول المتنبّي:

عِشْ عـزيزاً أو مُتْ وَأَنْتَ كَـرِيمُ   بَـيْنَ طَـعْنِ القَـنا وخَـفْقِ البُـنُودِ[5]

---

١. الملك: ١٣.

٢. الاسراء: ١٠٧.

٣. الطور: ١٦.

٤. من بلاغة النظم العربي ٢: ٨٠.

٥. ديوانه، ج٢: ص٤٥.

٤ـ الإباحة: هو ترديد الآمر بين شيئين يجوز الجمع بينهما، واستعمال صيغة الأمر في الإباحة إنّما يكون في مقام يتوهّم السامع فيه حظر شيء عليه[١]، وذلك لاشتراكها هي والأمر في مطلق الجواز، فهو مجاز مرسل من إطلاق الأخصّ على الأعمّ.

والفرق بين الإباحة والتخيير أنّ الإباحة هي إذن في الفعل، وإذن في الترك، فهي إذنان معاً. أمّا التخيير، فهو إذن في أحدهما من غير تعيين؛ اي أنّ الإباحة يجوز فيها الجمع بين الشيئين، وأنّ التخيير لا يجوز فيه الجمع بينهما.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...﴾[٢].

فاللّه (جلّ وعلا) يبيح للناس الأكل والشرب في ليالي الصوم إلى الفجر، والتعبير بصيغة الأمر في مكان الإباحة؛ للحثّ على تناول السحور، كأنّه أمر مطلوب[٣].

وقول كُثَيّر:

أَسِيئي بنا أو أَحْسِنِي لا مَلُومَةً لَدَيْنا وَلا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ[٤]

يُظهِرُ الرضا بإساءَةِ المحبوبةِ وإحسانها، أي لاتتفاوت محبّتي بإحسانِكِ وإساءَتِكِ. فأنا راضٍ به غاية الرضا، فعامليني بهما وانظري، هل تتفاوت حالي معك في الحالين؟

وبهذا الأُسلوب يكشف لنا الشاعر عمّا أصابه من الحبّ؛ وأنّه وصل به إلى

---

١. و من هذا المفهوم تفارق التسوية الإباحة بأنّ المخاطب فيها كأنّه توهّم أنّ أحد الطرفين (من الفعل و تركه) أنفع بالنسبة إليه، فرفع ذلك التوهّم، و سوّى بينهما.
و الحلال أعمّ من المباح؛ لأنّ كلّ مباح حلال بلا عكس، كالبيع عند الأذان فإنّه حلال غير مباح؛ لانّه مكروه، فالإباحة شرعاً حكم لا يكون طلباً، و يكون تخييراً بين الفعل و تركه، و الفعل الذي خيّر بين إتيانه و تركه يسمّى «مباحاً» و «جائزاً» هو ضدّ الحرمة، و في النهاية ضدّ الكراهة.

٢. البقرة: ١٨٧.

٣. إذا دخل النهي على الإباحة امتنع فعل الجميع، كقوله تعالى: ﴿وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ الإنسان: ٢٤. أي لا تطع أحداً من هؤلاء. انظر: كتاب سيبويه، ج٣، ص١٧٤.

٤. ديوان كثير عزة ص١٠١؛ الايضاح، ص١٤٧؛ الاشارات والتنبيهات، ص٩٨؛ أمالي القالي، ج٢: ص١٠٩؛ تاج العروس (روأ) و(قلي).

نهايته، فهو يرىٰ كلّ فعل يصدر عن حبيبته جميلاً، فاستعمال الشاعر لصيغة الأمر في مكان الإباحة، كشف عن مكنون نفسه بأخصر طريق وأجمله[١].

٥. **التعجيز**: وهو تحدّي المخاطب بعمل لا يستطيع عمله، وذلك إظهار؛ لضعفه وعجزه عن الإتيان به، كقوله تعالى: ﴿وإِنْ كُنْتُم فى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا على عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾[٢].

فليس المراد بالأمر في هذه الآيةأمرهم حقيقة على وجه التكليف بالإتيان بسورة من مثله، وإنّما المراد إظهار عجزهم عن الإتيان؛ لأنّهم إذا حاولوا ذلك الإتيان بعد سماع صيغة الأمر ولم يمكنهم ظهر عجزهم.

وسرّ بلاغة التعبير بالأمر في مقام التعجيز إبراز قوّة التحدّي والتسجيل عليهم؛ ليتّعظوا ويقلعوا عمّا هم فيه من عناد ومكابرة.[٣]

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إذْ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أيْدِيهِمْ أخْرِجُوا أنْفُسَكُمْ﴾[٤].

﴿أخْرِجُوا إنْفُسَكُمْ﴾ خلّصوها من ايدينا، أي لا تقدرون على الخلاص، فاستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجاز، علاقته لشبه التضادّ بينهما في متعلّقهما؛ لأنّ إيجاب شيء لا قدرة عليه يلزم التعجيز عنه.

وكقول الشاعر:

خلِّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي المنارَ بهِ وَابْرزْ بِبَرْزَةَ حَيْثُ اضْطَرَّكَ القَدَرُ
أرُوني بَخيلاً طالَ عُمْراً بِبُخْلِهِ وَهاتُوا كَرِيماً ماتَ من كَثْرةِ البَذْلِ

فالشاعر يتحدّى المخاطبين أن يقفوه على بخيل قد امتدّ عمره وطال أجله بسبب بخله، وأن يبرزوا له كريماً قد مات من كثرة البذل والعطاء، وتشعر بما وراء ذلك من التنفير من البخل، والحثّ على الكرم والعطاء، فأسلوب الأمر في البيت

---

١. من بلاغة النظم العربي، ج٢: ص٧٥.
٢. البقرة: ٢٣.
٣. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٧٧.
٤. الانعام: ٩٣.

أسلوب موح ومقنع، يكشف أمر البخيل حتى يقلع البخلاء عن بخلهم، ويبرز فضل الكريم فيزداد كرماً، وتطيب نفسه ويقتنع بسلامة منهجه وصحّة مسلكه[١].

فاستعمال صيغة الأمر في التعجيز مجاز، علاقته لشبه التضادّ بينهما، وذلك لأن الأمر في الممكنات، والتعجيز في المستحيلات.

٦. التسخير: وهو الذلّة والامتهان والانتقال من حال حسنة إلى حال ممتهنة، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٢].

فاستعمال صيغة الأمر في التسخير مجاز، علاقته المشابهة بينه وبين الأمر في مطلق الإلزام، أو السببيّة؛ لأنّ إيجاب شيء لاقدرة عليه يتسبّب عنه تسخيره لذلك.

وسرّ بلاغته ما فيه من الإيماء إلى أنّ هذا الأمر ينزل بهم في أسرع لحظة، وأنّهم طائعون لما يطلب منهم، صاغرون أمام ما يفعل بهم[٣].

فاستعمال صيغة الأمر في التسخير مجاز، علاقته المشابهة بينه وبين الأمر في مطلق الإلزام.

٧. الإهانة: وذلك في مقام عدم الاعتداد بالمخاطب، وقلّة المبالاة به علىٰ أيّ وجه كان، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا حِجارَةً أَو حَدِيداً﴾[٤].

الأمر في الآية الكريمة: ﴿كونوا﴾ لايراد به حقيقته، وإنّما المراد منه «الإهانة»؛ لأنّ الفعل ليس في طاقة المخاطبين، وطلب أن يكونوا حجارة أو حديداً فيه إهانة لهم.

وسرّ بلاغة التعبير إظهار التهكّم بهم حتى يلتفتوا إلى ما هم فيه من المهانة والذلّة فيقعلوا عن عنادهم وتكبّرهم.

وقوله تعالى: ﴿فاخْرُج إنّكَ من الصَّاغِرينَ﴾[٥].

---

١. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٧٨.
٢. البقرة: ٦٥.
٣. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٧٧.
٤. الإسراء: ٥٠.
٥. الأعراف: ١٣.

واستعمال صيغة الأمر في الإهانة مجاز علاقته اللزوم؛ لأنّ طلب الشيء من غير قصد حصوله ـ لعدم القدرة عليه[١] خاصّة إذا كان هذا الفعل من الأفعال الخسيسة ـ لا شكّ أنّه يفيد الإهانة.

أو العلاقة المشابهة في مطلق الإلزام؛ لأنّ الوجوب إلزام المأمور، والإهانة إلزام الذلّ والهوان[٢].

وسرّ بلاغة التعبير إظهار التهكّم بهم حتّى يلتفتوا إلى ماهم فيه من المهانة والذلّة، فيقلعوا عن عنادهم وتكبّرهم.

والفرق ما بين التسخير والإهانة أنّه في التسخير يحصل الفعل، وفي الإهانة لا يحصل، فليس الغرض من الأمر في كلا الحالتين الطلب؛ لأنّ الكفّار ليس في استطاعتهم أن يكونوا قردةً، كما أنّه ليس في استطاعتهم أن يكونوا حجارةً أو حديداً، ولهذا كان الغرض من الأمر في الآية الأُولى التسخير؛ لأنّ المأمور به حاصل وقت إيجاد الصيغة؛ وهو صيرورتهم قردة، وكان الغرض من الأمر في الآية الثانية الإهانة، وقلّة المبالاة بهم؛ لأنّ المأمور به غير حاصل، وهو صيرورتهم حجارة أو حديداً.

ومنه قول اللّه تعالى: ﴿ذُقْ إنّكَ أنْتَ العَزيز الكريمُ﴾[٣].

إذ ليس المراد من الأمر هنا ذَوْق العذاب؛ لأنّ الكافر حال الخطاب يذوق العذاب فعلاً.

٨. **الإرشاد والنصح**: وهو الطلب طلباً غير جازم، بل للإرشاد والنصيحة الخالصة لمصلحة دنيويّة، كقوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَينٍ إلَى أَجَلٍ مُسَمَّىً فَاكْتُبُوهُ﴾[٤].

فإنّه يريد إرشادنا إلى ما ينبغي من تدوين ما يجري بيننا من معاملات؛ تفادياً

---

١. و الصيغة فيهما تحتمل أن تكون إنشاءً، أي إظهاراً لمعناهما، أو إخباراً بالحقارة و المذلّة.

٢. لأنّ الفعل ليس في طاقة المخاطبين. انظر: حاشية الدسوقي (شرح التلخيص، ج٢، ص٣١٧).

٣. الدخان: ٤٩.

٤. البقرة: ٢٨٢.

لاحتمال وقوع النزاع.

وكقول الرسول الأكرم ﷺ: لعليّ ﵇ «إن أرَدْتَ أنْ تَسبِقَ الصّديقينَ فَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حرَمَكَ، وَاعْفُ عَمّن ظَلَمَكَ»، فإنّه ينصحه ﷺ بتلك الفضائل الثلاث. والتعبير بالأمر يدلّ على حرص النبيّ ﷺ على أن يكون إمامنا عليّ ﵇ متحلّياً بتلك الفضائل.

وقول ابن الوردي:

واهجُرِ الخمرةَ لا تحفلْ بها كيف يسعىٰ في جنُونٍ مَنْ عَقَلَ

والفرق بين الندب والإرشاد أنّ مصلحة الندب أخرويّة، والإرشاد المصلحة فيه دنيويّة.

٩. **الخبر**: ويكون اللفظ أمراً والمعنى خبراً، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمنُوا اتّبعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطَاياكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِنْ شيءٍ إنّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١].

أي إنّهم سيحملون خطاياهم.

وممّا يستدلّ به على صحّة مجيء الأمر بمعنى الخبر و قوع التكذيب بعده، والتكذيب إنّما يتطرّق إلى الإخبار.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أمَرَ ربِّى بالقِسْطِ وأقيمُوا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢]. ولم يقل: «وإقامة وجوهكم» إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة؛ لعظيم شأنها.

وقوله تعالى: ﴿إنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣]. فإنّ لفظة ﴿كُنْ﴾ تدلّ على الأمر، ولكنّ المراد بها الخبر والتقرير، والتقدير فيها «يكون فيكون» أو على أنّه خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون[٤].

١٠. **التسليم والتفويض**: كقوله تعالى: ﴿فاقْضِ مَا أنْتَ قاضٍ﴾[٥].

---

١. العنكبوت: ١٢.
٢. الأعراف: ٢٩.
٣. آل‌عمران: ٥٩.
٤. البرهان للزركشي، ج٢، ص ٢٩٠.
٥. طه: ٧٢.

أي أيّ شيء صنعت فإنّا لا نرجع عن الإيمان.

١١. **التأديب**: كقوله تعالى: ﴿اهْجُرُوهُنَّ فى المضاجع واضْرِبُوهُنَّ﴾[١].

١٢. **الإكرام**: حيث تُستعمل الصيغة في سياق بيان الأهليّة والاستحقاق، كقوله تعالى: ﴿ادخلُوهَا بِسَلامٍ آمنين﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿فادْخُلِى فى عِبَادى وادْخُلِى جَنَّتى﴾[٣].

فليس المراد الأمر بالدخول؛ لحصوله وقتئذٍ، وإنّما الغرض إظهار إكرامهم، وأنّهم يستحقّون هذا النعيم بما قدّموا من خير.

١٣. **الاعتبار**: أي أخذ العظة، كقوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[٤]؛ إذ ليس المراد مجرّد الأمر بالنظر إلىٰ ثمره، وإنّما الغرض لفت النظر إلى ما في قدرة اللّه تعالى من إبداع ليعتبروا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فى الأرْضِ فانظُرُوا كيْفَ كَانَ عاقِبَةُ المجرمين﴾[٥].

١٤. **التعجّب**: حين تستعمل الصيغة في سياق الاستغراب، كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[٦].

ولا يقال للّه عزّ وجلّ: «تَعَجَّبَ» ولكنّه خرج على كلام العباد؛ أي هؤلاء ممّن يجب أن يقال لهم: «ما أسمعهم وأبصرهم في ذلك الوقت».

وكقول كعب بن زهير:

ويل أُمّها خُلّةً لَوْ انّها صَدَقت ... موعودَها أو لو انَّ النُّصحَ مَقْبُولُ[٧]

١٥. **التلهّف والتحسير**: حين تستعمل الصيغة في سياق الكناية والتشفّي

---

١. النساء: ٣٤.

٢. الحجر: ٤٦.

٣. الفجر: ٣٠.

٤. الأنعام: ٩٩.

٥. النمل: ٦٩.

٦. مريم: ٣٨.

٧. دلائل الاعجاز؛ خزانة الأدب، ج ١١، ص٣٠٨؛ لسان العرب (خلل)؛ جواهر الأدب، ج٢، ص١٣٥. و في روايا ابن هشام «أكرم بها» و «الخلّة» هنا الصديقة. ورواية الديوان (ص ٦١):

يا ويحها خلّة لو أنها صدقت ... ما وعدت أو لو أنّ النُّصحَ مقبولُ

بالخصم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُم﴾[١].

١٦. المشورة: كقوله تعالى: ﴿فانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾[٢].

١٧. الدوام: حين تستعمل الصيغة في مطلوب حاصل عند الطلب، كقوله تعالى: ﴿يَا أيُّها الذينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾[٣].

فليس المراد الأمر بالإيمان؛ لأنّه حاصل، وإنمّا الغرض الدوام عليه.

١٨. الندب: بأن تكون صيغة الفعل أمراً ومعناه الندب، بمعنى أنّ المخاطب في حلّ من فعله أو عدم فعله، كقوله تعالى: ﴿فَإذا قُضِيَتِ الصَّلٰوةُ فَانتَشِرُوا فـى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللّهِ﴾[٤].

١٩. التمنّي: هو طلب الأمر المتعذّر أو المتعسّر، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنا أَخْرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنّا ظالمون﴾[٥]. فقد طلبوا الخروج من النار ولكنّه محال ولا طمع لهم في حصوله ولكنّه التّمنّي. وكقول امرئ القيس:

ألا أيُّها الليلُ الطوِيلُ ألاَ انجَلِي بِصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَمْثَلِ[٦]

فليس المقصود هو طلب الانجلاء من الليل؛ لأنّه ليس ممّا يـخاطب ويـؤمر، فحصول الانجلاء ـ كما طلب ـ متعذّر، وإنّما المقصود هو تمنّي ذلك؛ تخلُّصاً ممّا يعانيه من لواعج الشوق.

٢٠. التكوين: كقوله تعالى: ﴿وإذا قَضىٰ أمراً فإنّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٧].

٢١. الإنذار: كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإنَّ مَصيرَكُمْ إلى النّارِ﴾[٨].

---

١. آل‌عمران: ١١٩.
٢. الصافات: ١٠٢.
٣. النساء: ١٣٦.
٤. الجمعة: ١٠.
٥. المؤمنون: ١٠٧.
٦. انظره في ديوانه ص١٨؛ الاشارات والتنبيهات، ص٩٨؛ الايضاح، ص١٤٨؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٢٦٤؛ خزانة الادب، ج٢، ص٣٢٦؛ تحرير التحبير، ص٣٠٦؛ نقد الشعر، ص٥٢؛ لسان العرب (شلل)؛ الازهية، ص٢٧١؛ المقاصد النحوية، ج٤، ص٣١٧.
٧. البقرة: ١١٧.
٨. إبراهيم: ٣٠.

وقيل: يدخل الإنذار في التهديد، والفرق بين الأمرين أن التهديد هو الكلام المخيف، والإنذار هو إبلاغ ذلك الكلام المخيف.

٢٢. الامتنان: كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وآتُو حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾[١].

والفرق بين الإباحة والامتنان مع أنّ كلّاً منهما فيه تخييربين الفعل والترك أنّ الامتنان إذن بالفعل مصحوباً بما يدلّ على الاحتياج إليه أو بعدم القدرة عليه، بخلاف الإباحة فإنّها إذن مجرّد عن ذلك.

٢٣. الاحتقار: ويكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استصغاره والإقلال من شأنه، كقوله تعالى حكايةً عن موسىﷺ للسحرة: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[٢].

والفرق بين الاحتقار أنّ الإهانة فيها إنكار بالقول أو بالفعل أو بترك كلّ منهما، والاحتقار ليس فيه شيء من ذلك.

٢٤. الإنعام: بمعنى تذكير النعمة، كقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٣].

٢٥. التكذيب: كقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾[٤].

٢٦. التمييز: وهو تخيير المخاطب بين أمرين أو أكثر، كقول بشّار:

فَعِشْ واحِداً أو صِلْ أخاك فإنّه مقارفُ ذَنْبٍ مرّةً ومُجانبُه[٥]

٢٧. الالتماس: وهوالطلب الصادر عن المتساويين قدراً ومنزلة على سبيل التلطّف، كقول ابن زيدون:

دُومي على العَهْدِ مادُمْنا محافظةً فالحُرُّ مَنْ دان إنصافاً كما دينا[٦]

٢٨. الامتثال: كقولك لآخر: «اسقني ماءً».

---

١. الأنعام: ١٤١.

٢. يونس: ٨٠.

٣. البقرة: ٥٧.

٤. آل عمران: ٩٣.

٥. اساليب بلاغية، ص١١٢.

٦. اساليب بلاغية، ص١١٢؛ البلاغة والتطبيق، ص١٢٥.

٢٩. **الإذن:** كقولك لمن طرق الباب: «ادخل».

٣٠. **الحثّ والترغيب في الاتصاف بصفة خاصّة:** كأن تقول لمن تحثّه على الكرم: «مُتّ وأنت كريم» ولا تريد بذلك أمره بالموت، وإنّما تريد حثّه على الاتّصاف بصفة الكرم، ومثل «الأمر» في هذا المعنى «النهي» في قوله تعالى: ﴿ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

□ تطبيقات لخروج صيغة الأمر عن معناه الأصلي:

ذهب علماء البلاغة يلتمسون للأغراض المجازية في صيغة الأمر مناسبات تخرج الأمر عن معناه الأصلي، ويوضحون العلاقات بين معاني الأمر المجازية وبين المعنى الأصلي؛ فالعلاقة بين الدعاء والتمنّي والالتماس، وبين المعنى الأصلي للأمر هو الإطلاق والتقييد.

والعلاقة بين الطلب وبين الأمر السببيّة.

وبين التهديد والتعجيز وبين الأمر المضادّة

والعلاقة بين الإهانة وبين الأمر اللزوم؛ فإنّ طلب شيء من غير قصد حصوله ـ مع كونه من الأحوال الحسّية ـ يستلزم الإهانة.

هذا كلّه إذا قامت قرينة على ذلك، وإذا لم تقم قرينة على منع إرادة المعنى الحقيقي تعتبر معانٍ كنائيّة، أو تعدّ من مستتبعات الكلام.

كما أنّ بعض المفسّرين والأصوليّين والفقهاء يختلفون في المعاني المجازيّة لصيغة الأمر، فمثلاً في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قُرِءَ القُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾[٢].

أكثر العلماء على أنّ الأمر هنا للاستحباب، وفي روح المعاني للإرشاد، وفي الإتقان للندب. ونقل عن بعض الإماميّة الوجوب، وما نقل عن الصادق عليه السلام هو

---

١. آل عمران: ١٠٢.

٢. الاعراف: ٢٠٤.

استحباب الاستماع في الصلاةوغيرها، وهو المختار عند بعض الشيعة؛ لإطلاق اللفظ.

كما أنّ جماعةذهبوا إلى أنّ الأمر مشترك بين معانٍ: أحدها: التحريم، كما نقله الأصوليّون، فإذا كنّا نذكر الاستعمالات لغير الأمر مجازاً، فذِكْر هذا أولى؛ لأنّه استعمال حقيقي عند القائل به، ولا بدع في استعماله عند غيره في التحريم مجازاًبعلاقة المضادّة.

ويمكن أن يمثّل له بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[1]، ولكنّه يبعده ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ فإنّه لا يناسب التحريم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[2]، لذلك عدّ بعضهم هاتين الآيتين من الإنذار الذي يصاحب الوعيد.

وكذلك نجد في قوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[3] أنّ المختار من الأقوال وأنّ صلاة الليل كانت فرضاً على النبيّ ﷺ ونافلة لأصحابه، وحينئذٍ كيف يكون ظاهرها الندبيّة مطلقاً؟!

وقوله تعالى: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[4] ذكره السُبكي في معنى الاحتقار وإن استبعد ذلك، ورجّح أن يكون إباحة لولا أنّ الإلقاء سحر.

وذكره في الاتقان و مجمع البيان على وجه التحدّي والإلزام.

وقيل: إنّه أمر على الحقيقة بالإلقاء؛ ليظهر بطلانه، وبعضهم يجمع الإهانة والاحتقار في عرض واحد.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[5].

---

١. ابراهيم: ٣٠.
٢. الزمر: ٨.
٣. المزمل: ١ ـ ٤.
٤. الشعراء: ٤٣.
٥. البقرة: ٢٨٢.

قيل: الأمر للندب، أو للوجوب، ورجّح القرطبي الأوّل.

❊ ❊ ❊

● القسم الثاني: أسلوب الاستفهام

الاستفهام لغة: طلب الفهم.

واصطلاحاً: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصّة.

وللاستفهام أدوات كثيرة[١]، وهي نوعان:

١. حرفا الاستفهام: وهما: «الهمزة» و«هل». فالهمزة بـالاصالة، وهـل بـالنيابة عنها، فإنها في أصل الوضع بمعنىٰ قد، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلإِنْسَانِ﴾[٢].

٢. أسماءالاستفهام: وهي: مَنْ، ما، مَن ذا، ماذا، متى، أيّان، أين، كيف، أنّى، كم، أيّ.

وهذه الأدوات على ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: ما يطلب به التصوّر تارة، والتصديق أُخرى وهو الهمزة.

القسم الثاني: ما يطلب به التصديق فحسب وهو «هل».

القسم الثالث: ما يطلب به التصوّر فقط وهو بقيّة أدوات الاستفهام.

١. الهمزة: هي أمُّ باب الاستفهام، ويطلب بالهمزة أحد أمرين:

الأمر الأوّل: التصور وهو إدراك المفرد ومعرفته، كطلب معرفة المسـند إليـه أو المسند أو أحد متعلّقيهما، تقول في طلب إدراك المسند إليـه: «أمـحمّد مسـافر أم علي؟». إذا كنت تعرف أنّ أحدهما مسافر، ولكنّك لا تـعرفه بـعينه، فـأنت تـريد بالسؤال تعيينه وتصوّره، فتجاب حينئذ: بـ«أنّه محمد» مثلاً.

وتقول في طلب تصوّر المسند: «أعليّ شاعر أم كاتب؟» إذا كنت تعرف أنّ أحد

١. فيخرج بذلك مثل قولنا: «استفهم عن كذا»، أو «فهمني كذا» برغم دلالتها على طلب العلم؛ لانّ الاولى خبريّه لا طلبيّه، و الثانية «أمر» لا «استفهام».

٢. الانسان: ١؛ أي: قد أتىٰ (انظر: الاشارات والتنبيهات ، ص٨٩).

الوصفين ثابت لعليّ، ولكنّك لا تعرفه على التعيين، فأنت تطلب بالسؤال تعيينه، فتجاب بـ«أنّه كاتب» مثلاً.

وهذه الهمزة لا يليها إلّا المسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادلٌ بَعْدَ «أم». سواء كان:

أ) مسنداً إليه: نحو «أأنت فعلت هذا أم يوسف؟» فالسائل يعلم أنّ الفعل هو إمّا لي، أو ليوسف أي نسبة الفعل ثابتة لأحدنا، فهو لا يسأل عن هذه النسبة؛ لأنّه عالم بها، وإنّما طالب بالسؤال تعيين الفعل؛ أهو لي أم ليوسف؟ فإذا أُجيب، «أنا» أو «يوسف» حصل التصوّر أي يكون الجواب هنا بتعيين المسؤول عنه.

ب) أم مسنداً: نحو: «أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغب فيه؟»

أو شيئاً من المتعلّقات:

ج) المفعول به، نحو «أإيّاي تريد؟».

د) الحال، نحو «أمستبشراً جاء عليّ؟».

ه) الظرف، نحو «أيوم الجمعة قدمت أم يوم الخميس؟» «أعندكم أقام عليّ؟».

و) المجرور، نحو «أفي المسجد صلّيت؟».

وفي الغالب يذكر المسؤول عنه معادلاً بعد «أم» المتّصلة، كما في الأمثلة السابقة. وقد يستغنى عن ذكر المعادل إذا كان هناك ما يدلّ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[1].

فإنّ المقام يدلّ على أنّ المعادل هو «أم غيرك».

الأمر الثاني: التصديق: أي التثبّت من حكم[2]، كقولك لمن شرحت له مسألة «أفهمت» فيجيبك «نعم» أو «لا». وأنت تتوخّى من سؤالك التصديق أي التثبّت من فهمه.

---

١. الأنبياء: ٦٢.

٢. أي إدراك وقوع نسبة تامّة بين المسند و المسندإليه، أو عدم وقوعها؛ بحيث يكون المتكلّم خالي الذهن عمّا استفهم عنه في جملته، مصدّقاً للجواب إثباتاً بـ«نعم» أو نفياً بـ«لا».

والملاحظ أنّ همزة التصديق لا يذكر معها معادل، ولا تأتي بعدها «أم» كما هي الحال في التصوّر، وإذا حدّث أن ذكرت «أم» بعدها فلا يكون معناها كمعناها هناك، وإنّما تفسّر «أم» هنا بمعنى «بل» وتدلّ على استئناف الكلام بعدها، كقول الشاعر:

وَلستُ أُبالي بعد فَقْدي مالِكاً أَمَوْتي ناءٍ أم هو الآن واقِعُ؟[1]

فإنّ المعنى «بل هو الآن واقع».

والفرق بين الاستفهام بالهمزة عن التصوّر والاستفهام بها عن التصديق من وجهين:

لفظيّ: وهو أنّ الاستفهام عن التصوّر يصلح أن يقع بعده «أم» المتّصلة وأمّا الاستفهام عن التصديق فلا يصلح إلّا «أم» المنقطعة.

ومعنويّ: هو أنّ الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردّد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها، والاستفهام عن التصوّر يكون عند التردّد في تعيين أحد الشيئين.

ويكثر في هذا القسم أن يكون جملة فعليّة، نحو: «أقدم صديقك؟» فأنت لا تريد السؤال عن ذات القدوم، ولا عن ذات الصديق، وإنما تسأل عن نسبة القدوم إليه، هل هي محقّقة في الخارج، أو لا؟

ويقلّ دخولها على الجملة الاسميّة، نحو: «أقادم صديقك؟».

فالسائل تصوّر القدوم، وتصوّر الصديق، وتصوّر النسبة بينهما؛ أي نسبة القدوم للصديق، والسؤال إنّما هو عن وقوع هذه النسبة، هل القدوم المنسوب للصديق متحقّق خارجاً، أو غير متحقّق؟ فإذا قيل في الجواب: «نعم قدم» أو قيل: «لا لم يقدم» حصل التصديق، ولعلّك لاحظت الجواب في طلب التصديق بـ «نعم» أو «لا».

ويجوز دخولها على المثبت والمنفي، كقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾[2] و ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾[3].

---

١. جواهر البلاغة، ص٥٦.
٢. المائدة: ١١٦.
٣. يس: ٦٠.

وكذلك يجوز حذفها بشرط أن يكون في الكلام ما يدلُّ عليها، ولا سيّما وجود «أم» المعادلة لها، سواء تقدّمت همزة الاستفهام على «أم»، كقول عمر بن أبي ربيعة:

لَعَمْرُكَ ما أدري وإنْ كنت دارياً   بسبعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أمْ بثمانٍ؟[1]

فدلّت «أم» على همزة الاستفهام، تقديره: أبسبعٍ رمين أم بثمان؟

أو لم يتقدّمها، كقول الكميت:

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ   ولا لِعباً منّي وذو الشيب يَلْعَبُ[2]

ومعناه: أو ذوالشيب يلعب؟! تناكراً لذلك وتعجّباً.

٢. هل: وهي أداة مختصّة بطلب التصديق الإيجابي دون التصوّر، ودون التصديق السلبيّ، ولا يستفهم بها إلّا عن مضمون الجملة؛ أي عن الإسناد الذي فيها[3].

وتنقسم «هل» الى نوعين: بسيطة، ومركّبة.

إنْ استفهم بهل عن وجود الشيء أو عدمه، نحو «هل الصديق الوفيّ موجود؟» فهي «بسيطة».

إنْ استفهم بها عن وجود شيء لشيء، أو عدم وجوده له، نحو «هل المرّيخ مسكون؟» فهي «مركّبة».

فالسؤال الأوّل المعتبر فيه وجود الصديق الوفيّ فقط، أمّا الثاني ـ المعتبر فيه اثبات السكن في المريخ ـ، فهو سؤال عن ثبوت شيء زائد على وجوده، أو إثبات

---

١. اساليب الطلب، ص ٤٣٤.

٢. ن.م ص ٤٣٤؛ عن الخصائص، ج ٢، ص ٢٨١؛ المحتسب، ج ١، ص ٥٠؛ مغني اللبيب، ج ١، ص ١٤؛ همع الهوامع، ج ١، ص ١٩٥؛ معجم شواهد العربية، ج ١، ص ٣٥.

٣. و لانّ «هل» تمارس فاعليّتها في «التصديق»، لا تدخل علىٰ تركيب يشير الىٰ حصول النسبة بين طرفي الإسناد، و ذلك في مثل قولنا: «هل خالداً ضربت؟» بتقديم المفعول به «خالداً»؛ لأن تقديمه يعني استحواذهُ علىٰ فاعليّة «هل» و يكون «وقوع الضرب» خارج نطاق الاستفهام، علىٰ معنىٰ أنّه حاصلٌ لا سبيل إلىٰ الشكّ فيه، و إنما يكون في المضروب، هل هو خالد أم غيره؟ فالانتاج الدلالي ينحصر بين معلوم و مجهول، و المطلوب بالسؤال هو المجهول دائماً، و المجهول هو: «المضروب» و المعلوم هو: «وقوع الضرب». (انظر البلاغة العربية. د.محمّد عبدالمطلب، ص٢٨٨. و من هنا يرفض السكاكس مثل قولنا: «هل رجل عرف؟» و يراه قبيحاً؛ لانّ التركيب لا يقدّم مجهولاً و معلوماً، و إنما يقدّم معلوماً فحسب؛ لأن تقدّم الاسم علىٰ الفعل في هذا التركيب يفيد التخصيص، و معنىٰ التخصيص أنّ الناتج معلوم، فكيف يأتي السؤال عنه؟.

صفة له بعد الفراغ من وجوده[١].

ومن الواضح انّ البساطة والتركيب هما في المسؤول عنه، وليسا في «هل».

و«هل» يستفهم بها على السواء عن مضمون الجملة الاسمية، وعن مضمون الجملة الفعلية.

فالبلاغيون ذهبوا إلى أنّ «هل» أكثر اختصاصاً بالفعل من الهمزة؛ لكونها لطلب التصديق فقط، وتَخصيصها المضارع بالاستقبال، فيكون لها تأثير يوجب اختصاصها، فلا يُقال: «هَلْ تَصْدُق؟» جواباً لمن قال: «أُحِبُّك الآن» بَلْ تقول له: «أَتصدُقُ؟».

ولأجل اختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال، قَوِيَ اتّصالُها بالفعل لفظاً أو تقديراً، نحو «هل يَجِيءُ عليٌّ» أو «هل عليٌّ يجيءُ؟».

وقالوا بأنّ استعمال «هل» مع الجملة الاسميّة أدلّ على الطلب من استعمال الهمزة مع الجملة الاسمية،فقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[٢] أدلّ على الطلب وعلى كمال العناية بحصوله من استعمالها مع الجملة الفعليّة، نحو «فهل تشكرون» وذلك لأنّ الجملة الاسميّة تدلّ على الثبوت بعكس الجملةالفعليّة التي تفيد الحدوث والتجدّد، فيكون القصد من استعمال «هل» مع الجملة الاسميّة في الدلالة على الطلب؛ هو إبراز ما سيوجد في صورة الموجود الثابت[٣].

إلّا أنّ «هل» أدّعى للفعل من الهمزة، فترك الفعل مع «هل» أدلّ على كمال العناية بحصوله، وذلك لاختصاصها بالتصديق، وتخصيصها المضارع بالاستقبال، فيكون لها مزيد اختصاص بما كونه زمانياً أظهر كالفعل، ولهذا لا يحسنُ «هل زيد منطلق؟» إلّا من البليغ.

و«هل» لا تدخل على الشرط، ولا على «إنّ» ولا على اسم بعده فعل في

١. أي أنّ مطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء فحسب، و مطلوب المركّبة هو التصديق بوجود الشيء و وجود شيء له.
٢. الأنبياء: ٨٠.
٣. لأنّ إبراز ما سيحصل في معرض الحاصل أقوى دلالة على كمال العناية بحصوله.

الاختيار، ولا على حرف العطف، ولا على المنفيّ، ولا على المضارع الذي هو للحال فلا يقال: هل إذا زرتُك تكرمني؟ هل أنّ الأمير مسافر؟ هل بشراً مِنّا واحداً نتّبعهُ؟ هل فيتقدّم؟ أو هل ثُمّ يتقدّم؟ هل لم يفهم عليٌّ؟ هل تحتقر عليّاً وهو الشجاع؟ بخلاف الهمزة فإنّها تدخل على جميع ما ذكر، بدليل أنّه جاءفي القرآن ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾[١]، ﴿أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾[٢]، ﴿أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾[٣].

وتقع «هل» بعد العاطف وبعد «أم»، كقوله تعالى ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[٥].

٣. «ما» و«ماذا»: يسأل بهما عن حقيقة الشيء أو صفته، سواء أكان هذا الشيء عاقلاً، أم غير عاقل، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ﴾[٦].

ويحتمل أن يكون سؤال فرعون عن حقيقة اللّه، فأجابه موسى بالوصف، للتنبيه على النظر الموديّ الى معرفته، ﴿قالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينِ﴾[٧]، لكن لمّا لم يطابق جوابه السؤال عند فرعون الجاهل عجب الجهلة الذين حوله من قول موسى بقوله لهم: ﴿أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾[٨].

ثمّ لمّا وجده مصرّاً على الجواب بالوصف؛ إذ قال في المرّة الثانية: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[٩] استهزأ به وجنّنه بقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[١٠].

وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطّنوا لذلك في المرّتين غلّظ عليهم في الثالثة بقوله:

---

١. الأنبياء: ٣٤.

٢. يوسف: ٩٠.

٣. القمر: ٢٤.

٤. الاحقاف: ٣٥.

٥. الرعد: ١٦.

٦. الشعراء: ٢٣.

٧. الشعراء: ٢٤.

٨. الشعراء: ٢٥.

٩. الشعراء: ٢٦.

١٠. الشعراء: ٢٧.

﴿رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

ويحتمل أن يكون سؤالاً عن الوصف، طمعاً في أن يسلك موسى في الجواب معه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسؤولين مكانه وفرعون مشهور بين قومه بـرَبِّ العَالَمِينَ إلى درجة أنّ السحرة حين تبيّن لهم الحـقّ أعـقبوا بـقولهم: ﴿آمَـنَّا بِـرَبِّ العَالَمِينَ﴾[٢].

ولمّا سأل فرعون عن الوصف ووجد جواب موسى قد تعدّاه عجب من موسى، واستهزأ به، ونسبه إلى الجنون، وهدّده بقوله: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِـنَ المَسْجُونِينَ﴾[٣].

وتكون «ما» للسؤال عن حال ما لا يعقل وصفته، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ سؤال عن حال البقرة وصفتها.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾[٤]؛ أي أيّ شيءٍ تعبدون؟ و«ماذا» تكون استفهاماً على التركيب، فيكون قولك: «ماذا رأيت؟» بـمنزلة «مـا رأيت؟» ومـن ذلك قـوله تعالى: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَاً﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَـاذَا يُـنْفِقُونَ قُـلِ العَفْوَ﴾[٦].

٤. «مَن»: يسأل بها عن كلّ ما يعقل، فيجاب بما يشخّصه ويعيّنه[٧]، كقوله تعالىٰ: ﴿فلمّا نبّأها بِهِ قالَتْ مَنْ أنبأكَ هذا قال نبّأني العليمُ الخبير﴾، وكقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[٨].

---

١. الشعراء: ٢٨.
٢. الشعراء: ٤٧.
٣. الشعراء: ٢٩.
٤. البقرة: ١٣٣.
٥. النحل: ٣٠.
٦. البقرة: ٢١٩.
٧. سواء أكان ذلك وصفاً كقولنا في جواب: من في الدار؟ الرجل الطول، أو عَلَماً كقولنا في جواب السؤال السابق: زيدُ.
قال السكّاكي: يسأل بمن عن الجنس من ذوي العلم تقول: من جبرئيل؟ أي أهو بشر أم ملك أم جنيٌّ؟ و من فلان؟ و منه في القرآن الكريم حكاية عن فرعون: ﴿فَمَنْ رَبُّكما يا مُوسى﴾ أي: أَمَلَكٌ هُوَ أم بشرٌ.
٨. يس: ٥٢.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[١].

وتفيد «من» معنى النفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاّ اللَّهُ﴾[٢] معناه: ليس يغفر الذنوب إلّا اللّه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾[٣] ظاهره استخبار، والمعنى: لا هادیَ لمن أضلَّ اللّه، والدليل على ذلك قوله في العطف عليه: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[٤] استفهام، ومعناه النفي، أي ولا أحد أحسنُ من اللّه صبغة.

٥. «أيٌّ»: للسؤال بها عمّا يميّزُ أحدَ المتشاركين في أمرٍ يعمُّهما، وهو مضمون ما أُضيف إليه «أي».

كقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً﴾[٦]. أي أنحن أم أصحاب محمد؟.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾[٨].

ويجاب في كلّ هذا بتعيين واحد من المضاف إليه.

وهي بحسب ما تضاف إليه؛ فتكون للزمان أو المكان إذا أضيفت إليهما، وتكون للحال، أو العدد، أو إلى أيّ شيءٍ أضفتها كانت منه، نحو «أيّ الأيّام قدمت؟» و«أي الأماكن نزلت؟».

وتكتسب معناها ممّا تضاف إليه، فإذا أُضيفت للزمان اكتسبت الظرفيّة الزمانيّة،

---

١. الصف: ١٤.
٢. آل‌عمران: ١٣٥.
٣. الروم: ٢٩.
٤. البقرة: ١٣٨.
٥. آل عمران: ٤٤.
٦. مريم: ٧٣.
٧. التوبة: ١٢٤.
٨. النمل: ٣٨.

ومثلها المكان، وإن أُضيفت إلى ما تفيده «ما» أخذت حكمها، وهكذا إذا أُضيفت إلى بقيّة الأدوات الخاصّة بالتصوّر فقط.

وقال النحاة بأنّها تستعمل لمن يعقل ولمن لا يعقل، فيقال: «أيّ الرجال بنى هذه الآثار؟» و«في أيّ الكتب قرأت؟».

٦. «كم»: وتكون للاستفهام عن العدد المبهم، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[١].

أمّا قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[٢] فالاستفهام في هذه الآية علىٰ غير ظاهره؛ لأنّه ليس القصد إلى استعلام مقدار عدد الآيات من جـهة بنيإسرائيل، وإنّما الغرض من هذا الاستفهام هو التقريع والتوبيخ على عدم اتّـباع مقتضى الآيات مع كثرتها وبيانها[٣].

٧. «كيف»: وهي بمعنى «على أيّحال؟» وتستعمل للسؤال عن حـالٍ يـنتظم جميع الأحوال، فيقال: «كيف وجدت زيداً؟» أي على أيّ حال وجدته؟ فيقال في الجواب: «صحيحاً» أو«سيقماً».

وقد يراد بها معنى النفي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى اللّهُ قوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾[٤].

ولتضمّنها معنى النفي في مثل هذا الموضع شاع أن يقع بعدها «إلّا» و من ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْد عِنْدَ اللّهِ وَعِنْدَ رَسَولِهِ إِلاّ الَّذينَ عَاهَدْتُمْ﴾[٥].

٨. «متى»: وهي بمعنى «أيّ حين؟» أو «في أيّ زمان؟» وهي اسم مبنيّ للسؤال عن الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً، فيقال في الماضي مثلاً: «متى جئت؟» والجواب: «سَحَراً» أو نحوه، وفي المستقبل: «متى تأتى؟» فيقال: «بعد شهر» مثلاً.

---

١. الكهف: ١٩.
٢. البقرة: ٢١١.
٣. شروح التلخيص، ج٢، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦.
٤. آل عمران: ٨٦.
٥. التوبة: ٧.

قال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ متىٰ هذا الوَعْدُ إنْ كُنْتُم صادِقِينَ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتّىٰ يَقُولَ الرسُولُ والذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتىٰ نَصْرُ اللّهِ﴾[٢].

٩. «أين»: للسؤال عن المكان الذي حلّ فيه الشيء، نحو: «أين أخوك؟» «أين كنت؟» «أين تتعلّم؟».

وإذا سبقتها «من» كانت سؤلاً عن مكان بروز الشيء، نحو: «من أين قدمت؟» قال اللّه تعالىٰ: ﴿أينَ شُركاؤكُم الَّذينَ كُنْتُمْ تَزْعمونَ﴾[٣].

١٠. «أيّان»: وهي ظرف زمان بمعنى «متى» وفرّق النحاة بينها وبين «متى» فذكر ابن يعيش أنّ «متى» أكثر استعمالاً من «أيّان» وهي لكثرة استعمالها صارت أظهر من «أيّان» في الزمان، وأنّ «متى» تستعمل في كلّ زمان، و«أيّان» لاتستعمل إلّا فيما يراد به تفخيم أمره وتعظيمه[٤]، نحو قوله تعالى﴿أيّانَ مَرْسَاهَا﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ اَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ﴾[٦]. ويطلب بها تعيين الزمن المستقبل خاصّة.

وذكر الاسترابادي من الفروق بينهما أنّ «أيّان» تختصّ بالمستقبل بخلاف «متى»؛ فإنّها تستعمل في الماضي والمستقبل.

١١. «أنّى»: تستعمل تارة بمعنى «كيف» كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٧]، ويجب أن يليها الفعل، وتارة تكون بمعنى «من أين» كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾[٨].

وقوله تعالى ﴿أَنَّى لَكِ هذا﴾[٩].

---

١. النمل: ٧١.
٢. البقرة: ٢١٤.
٣. الأنعام: ٢٢.
٤. شرح المفصل، ج٤، ص١٠٦.
٥. الأعراف: ١٨٧.
٦. القيامة: ٦.
٧. البقرة: ٢٥٩.
٨. آل عمران: ٤٧.
٩. آل عمران: ٣٧.

وواضح أنّ المعنيين متقاربان فيها. ويرى التفتازاني أنّه يحتمل أن تكون «أنّى» مستعملة في هذين المعنيين حقيقة، فيكون من قبيل المشترك، وأن تكون مستعملة في أحدهما حقيقة، وفي الآخر مجازاً[١].

وقد تأتي بمعنى «متى» كما في قولك: «أنّى يفيض هذا النهر؟»، اي متى يفيض؟

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصليّة لمعانٍ أُخرى تستفاد من سياق الكلام ودلالته.

فالاستفهام الحقيقيّ في القرآن قليل لم تتجاوز التي ذكـرناها كـأمثلة لأدوات الاستفهام، وكلّ ما يوجد من أساليب بلغ «١٩» أسـلوباً مـن مـجموع الاسـتفهام القرآني كلّه، والبالغ (١٢٦٠) والتي تفيد معنى بلاغياً، والتي تتأثّر باختلاف القائل، والمخاطب، والأحوال المحطية بهما، وتستفاد مـن الأدوات الاسـتفهامية بـمعونة السياق والقرائن على سبيل المجاز، أو الاستعارة، أو غيرهما.

الاستفهام الحقيقيّ يجاب عنه في التصديق بـ «نعم» أو «لا» وفي التصوّر بتعيين المسؤول عنه فقط.

أمّا الاستفهام البلاغي أو المجازي، فهو ذلك الاستفهام الذي لايراد به إجابة ما، وإنّما يراد به التعبير عن نفس القائل تعبيراً مؤثّراً فصيحاً عن أغراض مـعيّنة، مـثل الإنكار، أو النفي،أو التقرير، أو التعظيم، أوغيرها.

□ المعاني البلاغية للاستفهام:

المعنىٰ الاول: الإنكار: وهو بيان أنّ الفعل لا ينبغي أن يكون؛ لأنّه موضع إنكار شرعاً، أو عرفاً[٢].

ويشترط فيه أن يلي المنكر الهمزة وهـي أكـثر أدوات الاسـتفهام دلالة عـلى الإنكار، ويكون على قسمين:

---

١. شروح التلخيص، ج٢، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

٢. شرعاً نحو: «أتفطر في شهر رمضان المبارك؟!» و عرفاً «أتهرب من وجه ضيفك؟!» (الموجز الكافي، ص ٥٠).

القسم الأول: إنكار للتوبيخ: بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَونَ أَنْفُسَكُمْ﴾[1].

فالمنكر نسيانهم أنفسهم، وهو مع علمهم وتصدّيهم لتذكير غيرهم أقبح، فالتوبيخ ليس على أمر الناس بالبرّ نفسه، بل لمقارنته بالنسيان المذكور.

والمراد بالنسيان هنا الترك؛ لأنّ أحداً لا ينسى نفسه، بل يحرّمها ويتركها، كما يترك الشيء المنسي؛ مبالغة في عدم المبالاة والغفلة فيما ينبغي أن يفعله.

وكقوله تعالى حكاية عن موسىعليه السلام:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾[2].

فموسىعليه السلام يستنكر خرق السفينة، ويوبّخ الخضر على خرق السفينة الذي يؤدّي إلى الهلاك، فاستعمل أُسلوب الاستفهام بدل الإنكار المبطن بالتوبيخ؛ ليستفزّه ويدعوه للإجابة عن سرّ ذلك العمل في شغف وميل شديد.

وقول الإمام عليّعليه السلام يوبّخ أصحابه المتقاعسين عن نصرة الحقّ: «اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهادِ فَلَم تَنْفِرُوا وَأَسْمَعْتُكُم فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُم سِرّاً وَجَهْراً فَلَم تَسْتَجِيبُوا وَنَصَحْتُ لَكُم فَلَمْ تَقْبَلُوا أَشُهُودٌ كَغيَّابٍ...»[3].

الإمامعليه السلام استعمل أُسلوب الاستفهام مكان الإنكار التوبيخي؛ لإثارة انتباههم، وتحريك نفوسهم للالتفات إلى ما هم عليه من التهاون والتثاقل، وطلب الجواب منهم لعلّهم يفكّرون بجدّية في حالهم، ولتتحرّك هممهم لما يصلح دينهم ومستقبلهم.

وقد يجتمع مع التوبيخ معنى الذمّ والتجهيل بمكان المنفعة، يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾[4]:

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِم﴾ وأيّ تبعةٍ ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل اللّه؟!

١. البقرة: ٤٤.
٢. الكهف: ٧١.
٣. نهج البلاغة، الخطبة: ٩٧.
٤. النساء: ٣٩.

والمراد الذمّ والتوبيخ... والتجهيل بمكان المنفعة.

وقد يجتمع إلى التوبيخ معنى العتاب والتنبيه على الخطأ، يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[١]:

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ عتاب من اللّه تعالى، وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذّرا ما حذّرهما اللّه من عداوة إبليس.

وقد يجتمع مع التوبيخ معنى التأنيب، يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً﴾[٢]:

توبيخ مستعتِب عبادَهُ، وتأنيب مسترجع خلقه من المعاصي إلى الطاعة، ومن الضلالةإلى الإنابة.

وقد يجتمع مع التوبيخ معنى الزراية عليهم على القياس الفاسد؛ لفقد الجهة الجامعةلهما، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلإسلام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ أُولئِكَ فى ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[٣].

تقدير الآية: أفمن شرح اللّه صدره للإسلام كمن أقسى قلبه، ويدلّ على المحذوف قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتَ وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَآءَ...﴾[٤].

وتقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضرّ ولا تنفع، وقد دلّ عليه قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَآءَ﴾.

والاستفهام إنكاري حذف خبره تصريحاً على شريطة التفسير، وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به في آخره، فيكون الآخر دليلاً على الأوّل.

---

١. الأعراف: ٢٢.

٢. البقرة: ٢٨.

٣. الزمر: ٢٢.

٤. الرعد: ٣٣.

القسم الثاني: إنكار التكذيب: وهو الإبطال الذي يفيد النفي، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾[١].

فالكفّار ينكرون الرسالات، ويجحدون بعث اللّه للبشر رسلاً في كلّ زمان، ولكنّهم خصّوا الماضي بالذكر؛ لإفادة أنّ ما لم يحدث في الماضي جدير بأن لا يحدث في الحاضر والمستقبل، ولو قالوا: «أاللّه بعث بشراً رسولاً؟!» فالإنكار ـ حسب ظاهر هذه العبارة ـ على البعث من أصله، وهذا غير مراد من الآية. فالكفّار لم ينكروا البعث، وإنّما أنكروا بعث الرسل في ذلك الوقت، فجاءالإنكار في الآية تكذيباً، فأتى بالفعل عقب الهمزة؛ أي لم يبعثك اللّه.

تأمّل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[٢].

المقصود نفي الإذن من أصله، فإنّه لا آذن في التحليل والتحريم إلا اللّه، فإذا نفي أن يكون اللّه آذناً فقد انتفى الإذن.

وكقوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفاكُم رَبُّكُم بالبَنِينَ﴾[٣].

أي: لم يفعل ذلك؛ أو في أمر يأتي، فيكون المعنى: (لا يكون)

وقوله سبحانه: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوها وَأَنْتُم لَها كارِهُونَ﴾[٤].

اي انُكرِهكُم على قبول الحجّة وأنتم كارهون لها؟ والمعنى في هذه الحال: لا يكون منّا هذا الإلزام.

ومن هذا قول الشاعر:

أأترُكُ إن قَلّتْ دراهِمُ خالدٍ زيارتَهُ، إنّي إذاً لَلَئيمُ[٥]

أي: لن يكون منّي هذا الترك.

---

١. الإسراء: ٩٤.
٢. يونس: ٥٩.
٣. الإسراء: ٤٠.
٤. هود: ٢٨.
٥. انظر: شروح التلخيص (عروس الافراح)، ج٢، ص٢٦٤ – ٢٦٥.

كلّ ما تقدّم فيما كانت أداة الاستفهام حرفاً وفيها يتجه الانكار إلىٰ النسبة.

أمّا إذا كانت أداة الاستفهام اسماً، فإنّ الإنكار لايتّجه إلى النسبة، بل إلى مدلول تلك الأسماء، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الوَعْدُ﴾[١] إنكار لوقت البعث على إرادة إنكار البعث نفسه[٢].

وكثيراً ما يصحب الإنكار التعجّب، كقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أولياءَ مِن دُونى وَهُم لَكُم عَدُوٌّ﴾[٣].

وكذلك يصحب الإنكار التعجّب والتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللّهِ شَيْئاً﴾[٤].

وما في ﴿أمْ﴾ من الهمزة للإنكار التوبيخي المتضمّن للتعجّب؛ أي بل أيقولون افترى القرآن؟!

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمآءِ مَآءً﴾[٥].

فالهمزة للإنكار التوبيخي المتضمّن للتعجّب؛ لحملهم على الإقرار بالحقّ الذي لامحيص لمن له أدنى تمييز عن الإقرار به.

وقد يَسْتَقِلُّ الإنكار بالتجهيل والتعجّب، كما في قوله تعالى: ﴿وَقالوُا لَوْلا نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾[٦].

وهذه الهمزة للإنكار المستقلّ بالتجهيل والتعجّب من اعتراضهم وتحكّمهم، وأن

---

١. يونس: ٤٨.

٢. إنّ طبيعة الإنكار في باب الاستفهام تختلف باختلاف الاداة الدالّة عليه، فمع الهمزة (أ) و «هل» يتّجه الانكار إلى النسبة، و مع أسماء الاستفهام يتّجه الإنكار إلىٰ مدلولها من زمان، و مكان، و حال، و ذات عاقلة، و غير عاقلة. و الهمزة أكثر أدوات الاستفهام دلالةً على الإنكار كما ذكرنا، فتكون جملتها «٥١٥» من مجموع كلّ أساليب الإنكار في القرآن البالغ «٨٠٧».

والحقيقة الجليّة أنّ الإنكار من الاغراض البلاغيّة للاستفهام في القرآن، و أوسعها تصرّفاً فجملة أساليب «٨٠٧» من «١٢٠٦» أسلوب استفهامي لجميع القرآن. (انظر أساليب الاستفهام في القرآن، عبدالعليم فوده، ص٢٠٣، ٢٠٧ و ٢٣٥).

٣. الكهف: ٥٠.

٤. الاحقاف: ٨.

٥. النمل: ٦٠.

٦. الزخرف: ٣١ ـ ٣٢.

يكونوا هم المدبّرين لأمر النبوّة، والمتخيّرين لها من يصلح لها ويقوم بها، والمتولّين لقسمةِ رحمة اللّه التي لا يتولّاها إلّا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته[١].

وقد يبدو في بعض أساليب الاستفهام أنّ المتكلّم ينكر الأمر على نفسه في الظاهر وإن كان مراده إنكاره على الآخرين، يريد بذلك التلطّف في النصح، وعدم مواجهة المخاطبين بالإنكار حتّىٰ لا ينسب القبح إليهم، فيثير غضبهم، وهذا أُسلوب لطيف في الإنكار تتآلف به القلوب، وبه يُتقبّل النصح ويُبتعد عن الخطأ.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهَوَ الَّذى أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾[٢].

يريد أفغير اللّه تبتغون؟! بدليل قوله: ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَالِيَ لآ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣].

فإنّه يريد ومالكم لا تعبدون الذي فطركم؟! لتستقيم العبارة مع قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

والعلاقة بين الاستفهام والإنكار أنّ المستفهم عنه مجهول والمجهول منكر. وقيل: لأنّ إنكار الشيء بمعنىٰ كراهيته يستلزم عدم توجّه الذهن إليه المستلزم للجهل به المقتضي للاستفهام.

المعنىٰ الثاني من المعاني البلاغية للاستفهام: النفي، وذلك عندما تأتي أداة الاستفهام للنفي، لا لطلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل،كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإحْسَانُ﴾[٤].

أي ليس جزاء من أحسن في الدنيا إلّا أن يحسن إليه في الآخرة، النفي عُرِضَ بأُسلوب الاستفهام ليحرّك الفكر، ويحثّ على النظر، ليصل المرء إلى الإيمان بطريق

---

١. الكشاف، ج٣، ص٤٨٦.

٢. الانعام: ١١٤.

٣. يس: ٢٢.

٤. الرحمن: ٦٠.

البحث والتفكير، فكلمة ﴿هَلْ﴾ هنا بمعنىٰ «ما» النافية.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾[١] أي لا نؤمن، استعملوا صيغة الاستفهام ليجلبوا انتباه السامعين، ويدعوهم للمشاركة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾[٢]؛ أي لا هادي لمن أضلّ اللّه، والدليل على ذلك قوله في العطف عليه ﴿وَمَالَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ﴾[٤]؛ أي لست منقذهم.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[٥]؛ أي أنّه لا يأسى عليهم؛ لأنّهم ليسوا أحقّاء بالأسى.

وقول المتنبّي:

ومَنْ لم يعشق الدنيا قديماً؟ ولكن لا سبيلَ إلى الوِصالِ

أي لا أحد لم يعشق الدنيا قديماً.

وقول البحتري:

هل الدهر إلا غمرة و انجلاؤها وشيكاً، وإلّا ضيقة وانفراجها[٦]

فالبحتري لايسأل عن شيء، وإنّما يريد أن يقول: ما الدهر إلّا شدّة سرعان ما تزول، و ما هو إلّا ضيق يعقبه فرج، فالاستفهام في البيت و هو «هل» معناه النفي[٧].

إنّ سرّ التعبير في جمال أسلوب الاستفهام والعدول إليه عن أسلوب النفي تنبيه السامع في صورة السؤال، ليدعوه إلى البحث عن الجواب حتّىٰ يصل بنفسه، ويتحرّك بحركة الوجدان.

---

١. البقرة: ١٣.
٢و٣. الروم: ٢٩.
٤. الزمر: ١٩.
٥. الأعراف: ٩٣.
٦. البلاغة والتطبيق، ص١٣٢.
٧. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٢٥. الغمرة: الشدّة. و انجلاؤها: زوالها. وشيكاً: سريعاً.

إنّ من أساليب الاستفهام الذي قويت دلالته على النفي أساليب «ما أدراك» و«مايدريك» وأساليب «من أظلم» و«من أضلّ» و«من أوفى» و«من أشدّ» وأساليب «من» وبعدها «إلا» كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[1]؛ أي لا يغفر الذنوب إلّا اللّه.

ومن الأساليب التي صاحبت النفي:

١. الوعيد: في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ و ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾.

٢. الشماتة: في قوله تعالى: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلونَ﴾[2].

٣. الإشفاق: في قوله تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾[3].

٤. التحقير: في قوله تعالى: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[4].

٥. التعظيم: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً﴾[5].

٦. الإنكار والتقبيح: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾[6].

٧. الافتخار: في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[7].

المعنىٰ الثالث من المعاني البلاغية للاستفهام: الأمر، ويكون حينما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة علىٰ الأمر،

ويدلّ على الأمر من أساليب الاستفهام ما يأتي:

١. الهمزة يعقبها الفعل: كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[8].

والمعنى: اصبروا، فإنّي ابتليت بعضكم ببعض، كأنّه أراد أن يفتح مكنونات قلوبهم

---

١. آل عمران: ١٣٥.
٢. النمل: ٩٠.
٣. يوسف: ٦٤.
٤. الانبياء: ٣.
٥. النساء: ٨٧.
٦. الانعام: ٢١.
٧. فصّلت: ١٥.
٨. الفرقان: ٢٠.

ـوهو يأمرهم بصيغة الاستفهام ـ، ليعرف مدى صبرهم على إمهال الكفّار ليكونوا فتنة للمؤمنين، ليكون لهم وعداً بالأجر الجزيل لصبرهم الجميل، فأسلوب الاستفهام أضفى ترغيباً وتحريضاً لامتثال ذلك الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾[1].

٢. «هل» يعقبها الجملة الاسمية، كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾[2] أي اطلعوا، وفي هذا الاستفهام ـ مع الأمر ـ التشويق.

وقد يكون الأمر معها متضمّناً للتوبيخ، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[3].

أو التعجيز، كقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا للّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِنْ شَيءٍ﴾[4].

أي اغنوا عنّا شيئاً من العذاب!! على سبيل التعجيز والتهكّم.

٣. أساليب «أرأيت» وبعدها الشرط: فإنّها بمعنى أخبرني، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤكُمْ غَوْرَاً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمآءٍ مَعِينٍ﴾[5]؛ إذ المعنى أخبروني بذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدَاً إِذَا صَلّىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلّىٰ﴾[6].

علىٰ معنى أخبرني أيّها السامع عن حال هذا الرجل.

٤. وممّا يدلّ على الأمر ما صحبه الترغيب والحثّ في أساليبه: كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ﴾[7] والمعنى على الأمر بالإقراض والترغيب فيه.

٥. أساليب ﴿ألا يتّقون﴾ و ﴿ألا تأكلون﴾ و ﴿أفلا تعقلون﴾ وما شابهها: إذ المعنى الذي أفاده الاستفهام إنكار عدم التقوى، والأمر بها، وكذا الباقي.

---

١. آل عمران: ٢٠.
٢. الصافات: ٥٤.
٣. المائدة: ٩١.
٤. إبراهيم: ٢١.
٥. الملك: ٣٠.
٦. العلق: ٩ ـ ١٣.
٧. البقرة: ٢٤٥.

ومن الجدير بالذكر أنّ أكثر أدوات الاستفهام دلالةً على الأمر: الهمزة «أ» و«هل»، فإيراد الأمر بصورة الاستفهام يترك للمخاطب الخيار بين أن يفعل و أن لا يفعل، ففيه إغراء بالعمل و حثّ عليه.

المعنىٰ الرابع من المعاني البلاغية للاستفهام: التعجّب، كقوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[1] أي بل قل: عجبت؛ إذ يتلقّون آيات اللّه بالسخريّة، وحقّ لرسول اللّه ﷺ أن يعجب من أمرهم ويدهش، كيف يمكن أن تعمى القلوب عن تلك الآيات؟ وكيف يمكن أن تقف منها هذا الموقف العجيب؟! فاستعمال هذا الأُسلوب يبرز ضلالتهم وسوء نحلتهم للناظرين.

وقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[2].

تعجّب من تقديره وإصابته فيه المحزّ، ورميه الغرض الذي كانت تنتحيه قريش، أو ثناء عليه على طريق الاستهزاء، أو هو حكاية لما كرّروه من قولهم: ﴿قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تهكّماً بهم، وبإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله.

والتعجّب قويّ الصلة بالإنكار، ولذا صحب أساليب الإنكار غالباً، كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ و ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾.

وقد يجيءُ التعجّب مع التنبيه، وذلك في أساليب «أرأيت» «ألم تر».

وكثرت دلالة ﴿أَنَّىٰ﴾ و ﴿كَيْفَ﴾ على التعجّب في الاستفهام القرآني، وقد تتوالى أساليبه للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[3] أي لا يكون ذلك، وتتعجّب مريم ممّن بشّرها بولد.

وقوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4].

وقد يأتي الاستفهام مقام التعجّب مع التوبيخ و الإنكار، وذلك في قوله تعالى:

---

١. الصافات: ١٢.
٢. المدثر: ١٩.
٣. آل عمران: ٤٧.
٤. الصافات: ١٥٣ و ١٥٤.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

فالتعجّب في هذه الآية دلالة قصّة خلق السموات والأرض والإنسان على وجود اللّه (جلّ وعلا) والإيمان به، وهذا يؤدّي إلى التعجّب من الكافر الذي يرى الآيات الواضحات أمامه، ثمّ يتعامى عنها.

وأمّا التوبيخ، فلأنّ الكفر مع هذا الحال ينبئ عن الانهماك في الغفلة أو الجهل. و الإنكار فيه مسلط على الواقع؛ لأن المخاطبين كافرون فعلاً.

وفي التعبير بأُسلوب الاستفهام مقام التعجب إثارة التحريك، وجذب انتباههم بأجمل طريق وأوجزه.

ومن الشعر العربي قول المتنبي في وصف الحمىٰ:

أبنتَ الدهر عندي كلُّ بنتٍ فكيف وصلتِ أنت من الزحامِ؟[٢]

فهو يتعجّب من الحمّىٰ، كيف وصلت إليه علىٰ الرغم من تزاحم الشدائد حوله وتكالبها عليه.

ودلالة الإستفهام على التعجب من اطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل.

وقيل وجه توليد الاستفهام معنىٰ التعجب؛ أن التعجب هو انفعال النفس عمّا خفي سببه، والاستفهام لابد له من خفاء يسأل عنه، وحين كان سبب الرؤية خفياً أفاد السؤال عن التعجب[٣].

المعنىٰ الخامس من المعاني البلاغية للاستفهام: التقرير، هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده ثبوته، أو نفيه[٤]، وأنواعه له معنيان: التحقيق، وطلب الاعتراف.

---

١. البقرة: ٢٨.

٢. البلاغة والتطبيق، ص١٣٢.

٣. شرح التلخيص (للبابرتي)، ص٣٥٦.

٤. انظر: شرح الكافية، ج٢، ص٣٨٨؛ مغني اللبيب، ج١، ص١٨.

أولاً: تقرير التحقيق حيث يراد إثبات مضمون الجملة وإفادة أنّه واقع، وغلب في الاستفهام المنفيّ، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالحَقِّ﴾[١].

أي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم: أليس هذا الذي جوزيتم به حقّاً لا ظلم فيه؟! وإيقاع الاستفهام فيه تهكّم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد اللّه ووعيده.

أمّا في المثبت، فقليل، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾[٢] بجعل ﴿أَمْ﴾ منقطعة، فلا معنى للاستفهام إلّا الإثبات؛ أي ثبت عندكم واستقرّلديكم أنّي أنا خير منه.

ثانياً: التقرير بمعنى طلب الاعتراف من المخاطب؛ وله أنواع كثيرةمعظمها في الاستفهام المثبت، وبلغت في القرآن ثمانين أُسلوباً، منها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[٣].

ومن الأساليب التي صاحبت التقرير هي:

١. توبيخ وتحقير: كما في الآيتين السابقتين.

٢. تعظيم: كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ﴾[٤].

٣. وعيد: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٥].

٤. تعجّب: كقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[٧].

---

١. الأحقاف، ٣٤.
٢. الزخرف: ٥٢.
٣. الإنسان: ١.
٤. الفجر: ٥.
٥. هود: ٨١.
٦. الصافات: ٥٨ ـ ٥٩.
٧. البقرة: ٢٤٣.

٥. الإنكار: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

أو يصحبه معنى الإنكار والاستبعاد، كما في قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾[٢].

أو يصحبه معنى الإنكار والتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾[٣].

٦. وجاء مع التقرير: بمعنى طلب الاعتراف ـ تجاهل العارف: لتمكين المدح، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

فلم يقل: «فأينا أحقُّ نحن أم أنتم» إلزاماً لخصمه بما يدعيه عليه، واحترازاً من تزكية نفسه، فعدل عنه إلىٰ قوله «فأي الفريقين أحق بالأمن» يعني: فريق المشركين أم الموحدين؟

٧. قد يصحبه معنى التوبيخ والتعجّب: كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلونَ﴾[٥].

الهمزة في ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ للتقرير مع التوبيخ والتعجّب من حالهم.

﴿أفلا تعقلون﴾ توبيخ عظيم، بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتّى يصدّكم استقباحه عن ارتكابه؟! وكأنّهم في ذلك مسلوبو العقل؛ لأنّ العقول تأباه وتدفعه.

٨. وقد يصحب التقرير معنى التقريع: كما في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا﴾[٦].

وتحدّث ابن جنّي عن تأثير همزة التقرير، وما تدخله من تغيير في المعنىٰ، فهي

---

١. البراءة: ١٠٤.
٢. الأنعام: ١٩.
٣. الأعراف: ٨١.
٤. الأنعام: ٨١.
٥. البقرة: ٤٤.
٦. آل عمران: ١٦٥.

تنقل النفي إلى الإثبات، والإثبات إلى النفي، وذلك كقوله:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وَأَنْدى العالمينَ بطونَ راحِ[١]

أي أنتم كذلك[٢].

واستشهد بآيات من الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾[٤]، أي لم يأذن لكم، ولم تقل للناس:اتخذوني وأُمّي إلهين، ولو كانت استفهاماً محضاً لاقرّت الإثبات على إثباته، والنفي على نفيه، فإذا دخلت على الموجب نفته، وإذا دخلت على النفي نفته، ونفي النفي عائد به إلى الإثبات.

واستدلّ بعض الدارسين على ملاحظة ابن جنّي الدقيقة في أُسلوب التقرير بأنّها تساعد على تحديد المعنى لكثير من الأمثلة الواردة، فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالحَقِّ﴾[٥] يكون في الاستفهام هنا تقرير، ويكون الجواب: «نعم، هو الحقّ» فيتحوّل النفي إلى إثبات.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]. يكون المعنى: اعلم، أنّ اللّه علىٰ كلّ شيء قدير، فيتحوّل النفي إلى الإثبات.

وكقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[٧]، أراد أن يقرّ بأنّه لم يفعل، فكان الجواب بالنفي، فقال: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[٨].

---

١. البيت في ديوان جرير، ص٨٥؛ الاشارات والتنبيهات، ص٩٤؛ الجنىٰ الداني، ص٣٢؛ لسان العرب (نقص)؛ رصف المباني، ص٤٦؛ المقتضب، ج٣، ص٢٩٢؛ شرح المفصل، ج٨، ص١٢٣؛ مغني اللبيب، ج١، ص١٧؛ معجم شواهد العربية، ج١، ص٨٨.

٢. الخصائص، ج٢، ص٢٦٤.

٣. يونس: ٥٩.

٤. المائدة ١١٦ و في الآية تبكيت، و ذلك إنّما يسأل عيسى تبكيتاً للنصارى فيما ادّعوه. (الكامل للمبرد، ج٢، ص٨٥).

٥. الأحقاف: ٣٤.

٦. البقرة: ١٠٦.

٧. الأنبياء: ٦٢.

٨. الأنبياء: ٦٣.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلآئِكَةِ أَهَـؤُلآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[١]، أراد أن يقرّر الملائكة بأنّهم لم يكونوا يعبدون من دون الله، فكان الجواب بالنفي أيضاً[٢].

وقد يكون لفظ التقرير لفظ الاستفهام ومعناه الخبر، يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ﴾[٣]: هذا تقرير وليس باستفهام.

ويقول أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[٤]: جاءت علىٰ لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربّها، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفة﴾ ولكن معناها معنى الإيجاب، أي إنّك ستفعل[٥].

كذلك قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[٦]: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: علىٰ معنى: أَوَلَمْ نُعمِّركم؟! لأنّ لفظه لفظ استخبار، ومعناه إخبار، كأنّه قيل: «قد عمّرناكم وجاءكم النذير».

هذا وقيل: إنّ خروج أدوات الاستفهام الىٰ التقرير من باب المجاز المرسل الذي علاقته الإطلاق أو التقييد، وقيل: اللزوم؛ لأن الاستفهام عن أمر معلوم للمتكلّم يستلزم حمل المخاطب علىٰ الإقرار به. وقيل: إنّه علىٰ طريق الكناية أو من مستنبعات التركيب.

المعنىٰ السادس من المعاني البلاغية للاستفهام: التمنّي، ويكون ذلك عندما يكون السؤال موجّهاً إلى مالا يرجىٰ حصوله إمّا لاستحالته،أو لكونه لا يطمع في

---

١. سبأ: ٤٠.

٢. انظر: فنّ البلاغة، د.عبدالقادر حسين، ص ١٤٤.

٣. العنكبوت: ٦٨.

٤. البقرة: ٣٠.

٥. يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلَ فِيهَا﴾: تعجّب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية، و هو الحكيم الذي لا يفعل إلّا الخير، و لا يريد إلّا الخير... و الواو في ﴿وَ نَحْنُ﴾ للحال، كما تقول: «أَتُحْسِنُ إلىٰ فلان و أنا أحقُّ منْهُ بالإحسان؟!» الكشاف، ج ١، ص ٢٧١.

٦. فاطر: ٣٧.

نيله،كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَآءَ﴾[١] فليس الغرض الاستفهام عن وجود شفعاء لهم؛ إذ هم يعتقدون أن لا شفعاء لهم، فهم يتمنّون لو يكون لهم شفعاء يشفعون لهم.

ولا يخفى أنّ استعمال الاستفهام هنا مكان التمنّي يصوّر حال الكافر يوم القيامة؛ وأنّه من شدّة هول ما رأى سأل عن طريق الخلاص، فوضع الممكن مكان المستحيل، وذلك ما يجعل الأُسلوب حيّاً نابضاً له إيحاءات تشبع القارئ، وتثير فيه روح المتابعة والمشاركة.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمآءِ﴾[٢]كيف سألوا بهذه الصيغة بعد إيمانهم باللّه وإشهاد عيسىعليه السلام علىٰ إسلامهم له؟ أي لو يجيبك ربّك علىٰ سبيل التمنّي للاطمئنان والتثبّت، لا لإزاحة الشكّ، والغرض إبراز المتمنّىٰ ـ والذي يشكل حدوثه إعجازاً خارقاً ـ في صورة المستفهم عنه الممكن الحصول؛ إظهاراً لكمال العناية به والرغبة فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اَللّهِ﴾[٣].

جعل علماء البلاغة الاستفهام في هذه الآية استبطاء[٤]، وعلاء الأربلي جعله استدعاء[٥].

وعدّ الطبرسي معناه الدعاء للّه بالنصر، ولا يجوز ـ عنده ـ أن يكون على جهة الاستبطاء لنصر اللّه؛ لأنّ الرسولصلى الله عليه وآله يعلم أنّ اللّه لا يؤخّره عن الوقت الذي توجبه الحكمة[٦].

والزمخشري قال فيها بطلب النصر وتمنّيه[٧]، وهو رأي دقيق؛ إذْ التمنّي ظاهر فيها.

---

١. الأعراف: ٥٣.
٢. المائدة: ١١٢.
٣. البقرة: ٢١٤.
٤. الإتقان، ج٣، ص٢٧٢؛ شروح التلخيص، ج٢، ص٢٩٠.
٥. جواهر البلاغة: ١٤.
٦. مجمع البيان، ج١، ص٣٠٩.
٧. الكشاف، ج١، ص٢٥٦.

ومن استفهام التمنّي قول المتنبّي:

أَيَــدْري الرَّبْــعُ أيَّ دَمٍ أراقـا وأيَّ قُلُوبِ هذا الرَّكْبُ شاقا[١]

فقول المتنبّي: «أيدري» علىٰ سبيل التمنّي الاستفهاميّ.

المعنىٰ السابع من المعاني البلاغية للاستفهام: التشويق. وقيل: الترغيب:

ويكون ذلك حينما يُشوِّق السائل المخاطب إلى أمر من الأُمور، كقوله تـعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِـنْعَذَابٍ أَلِـيمٍ * تُـؤْمِنُونَ بِـاللّهِ وَرَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِـأَمْوَالِكُـمْ وَأَنْـفُسِكُمْ ذَلِكُـمْ خَـيْرٌ لَكُـمْ إِنْ كُـنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

يريد أن يشوّقهم إلى تجارة رابـحة هـي العـمل بكـتاب اللّـه وسـنّة نـبيه ﷺ، وقدعرض هذه الحقيقة في صورة الاستفهام؛ وذلك ليثير انتباه المؤمنين، ويدعوهم إلى التفكير وانتظار الجواب والتشوّق إليه، وفي ذلك تقرير لهم، وتثبيت للفكرة في نفوسهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[٣].

وفي إفادة الاستفهام بالهمزة(أ) و ﴿هَلْ﴾ في الآية السابقة، إثارة النفس لما يتلوها من حديث تضمّن وعداً، فأفاد بذلك تشويقاً.

وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْقَبْلُ فَقَالَتْ هَـلْ أَدُلُّكُـمْ عَـلى أَهْـلِ بَـيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[٤].

وقد أفاد الاستفهام التشويق والإثارة، وتضمّن مع ذلك الترغيب في أهل البيت الكافلين.

---

١. البلاغة والتطبيق، ص١٣٣.
٢. الصف: ١٠ ـ ١١.
٣. آل عمران: ١٥.
٤. القصص: ١٢.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَىٰ﴾[١].

أراد إبليس أن يشوّق آدمﷺ ويرغّبه في الإقدام علىٰ أكل ما في تلك الشجرة التي حذّره اللّه من الدنوّ منها، فقدّم ذلك العرض بصيغة الاستفهام؛ ليغور في أعماق آدم، ويثبّت الفكرة في نفسه، فيستميله ويقنعه؛ لتأتي الاستجابة بتشوّق وتلهّف دون إعطائه فرصة للتفكير في نتائج ذلك العمل.

وقد يأتي مع التشويق التفخيم، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ المُكْرَمِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾[٤].

والمعنىٰ الثامن من المعاني البلاغية للاستفهام: التكثير، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[٥] بمعنى كم من قريةٍ أهلها كفروا أهلكناها بكفرهم، فهي خاوية، ساقطة علىٰ سبيل التكثير.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ المَصِيرُ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[٧].

فليس المراد السؤال عن عدد الآيات، وهو الذي لايخفى عليه خافية، إنّما الغرض بيان أنّ ما أوتي إليهم من الآيات البيّنات كثيرة العدد أي وهم مع ذلك يكابرون عناداً.

والتكثير كالتقرير تصحبه معانٍ بلاغية أُخرى من توبيخ، أو تعظيم، أو امتنان، أو

١. طه: ١٢٠.
٢. الذاريات: ٢٤.
٣. البروج: ١٧.
٤. الغاشية: ١.
٥. الاعراف: ٤.
٦. الحجّ: ٤٨.
٧. البقرة: ٢١١.

وعيد، أو غير ذلك.

والتكثير يصحبه الوعيد والتوبيخ والامتنان في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾[١] وفيه بيان أنّ إسراف الأُمم السالفة لم يمنع اللّه من إرسال الأنبياء إليهم، وتسلية لرسول اللّهﷺ عن استهزاء قومه به.

أو يصحبه التثبيت، كقوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٢] مبالغة في تشجيعهم وتسكين قلوبهم.

أو يصحبه الشماتة، كما في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٣] وفيه تصوير كثرة النعيم الذي كانوا فيه يرفلون، ثمّ انتزاعه كلّه منهم،وتوحي تلكالصورة بشدّة الذلّ والهوان الذي وقعوا فيه.

ومنه في الشعر قول المعرّي:

صاح هـذي قـبورُنا تـملأ الرَّحْـ ـبَ فأينَ القبورُ مِنْ عهدِ عادِ؟![٤]

وقول الشاعر يخاطب العرب:

كم تُظلَمُون ولستُم تشتكونَ وكـم تُستغصبونَ فـلا يـبدُو لَكُـم غـضبُ

المعنىٰ التاسع من المعاني البلاغية للاستفهام: التعظيم والتهويل، يراد من الاستفهام التعظيم والتهويل إذا كان المتكلّم يقصد المبالغة والتفخيم في شأن من الشؤون، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِه﴾[٥] يراد تعظيمه سبحانه، وأنّ الأمر في الشفاعة مرجعه إليه، ومنوط بإذنهوإرادته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٦].

---

١. الزخرف: ٦.
٢. البقرة: ٢٤٩.
٣. الدخان: ٢٥.
٤. جواهر البلاغة، ص٦١.
٥. البقرة: ٢٥٥؛ انظر: البرهان، ج٢، ص٣٣٧ ـ ٣٤٣.
٦. الدخان: ٣٠ ـ ٣١.

﴿مَنْ﴾ بلفظ الاستفهام وهي قراءة ابن عبّاس أي أنّه لمّا وصف اللّه تعالى العذاب بأنّه مهين لشدّته وفظاعته، أراد أن يصوّر كنهه، فقال: ﴿مَنْ فِرْعَوْن﴾ أي أتعرفون مَنْ هو في فرط عتوّه وتجبّره، ما ظنّكم بعذاب يكون هو المعذّب به؟!

وقوله تعالى: ﴿لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾[١] استفهام على التعظيم لليوم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ كانَ عالياً من المُسْرِفين﴾ زيادةلتعريف حاله وتهويل عذابه.

وجاء التعظيم مع التقرير ـ بمعنى التحقيق ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بَأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾[٢].

ومع التقرير ـ بمعنى طلب الاعتراف ـ في قوله تعالى: ﴿آللّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٣].

وجاء الوعيد مع التهويل في أُسلوب «ما» كثيراً، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾[٤].

﴿قُلْ أَرأَيْتُمْ إنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتَاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ المُجْرِمُونَ﴾[٥].

﴿فَلاَ اقْتَحَم العَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ﴾[٦].

﴿الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ﴾[٧].

﴿القَارِعَةُ * مَا القَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ﴾[٨].

ومن الشعر العربي قول المتنبّي:

من للمحافل والجحافل والسرىٰ فقدت بفقدك نيّراً لا يطلع[٩]

فالمتنبّي لايستفهم؛ لأنّه يعلم علم اليقين أنّ المرثيّ قد اتّصف بصفات السيادة والشجاعة والكرم أيّام حياته، وإنّما يريد بالاستفهام معنىً آخر هو التعظيم

١. المرسلات: ١٢.
٢. التين: ٨.
٣. النمل: ٥٩.
٤. الواقعة: ٨.
٥. يونس: ٥٠.
٦. البلد: ١١ ـ ١٢.
٧. الحاقة: ١ ـ ٢.
٨. القارعة: ١ ـ ٣.
٩. البلاغة والتطبيق، ص١٣٣.

والإجلال مع ما في ذلك من إظهار التحسّر والتفجّع بطريقة الاستفهام.

ودلالة الاستفهام علىٰ هذا المعنى من إطلاق اسم المسبّب وإرادة السبب.

كلّ تلك الأساليب تعمل علىٰ تحريك النفس وإثارة المشاعر.

المعنىٰ العاشر من المعاني البلاغية للاستفهام: الوعيد، كقوله تعالى: ﴿وما ظَنُّ الذينَ يَفْتَرون على اللّه الكَذِبَ يَوم القيامة﴾.

أي أيُّ شيءٍ ظنّ المفترين في ذلك اليوم ما يُصنع بهم فيه، وهـو يـوم الجـزاء بالإحسان أو الإساءة؟ وهو وعيد عظيم أبْهِمَ أمْرُهُ[١].

وقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمآءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فإذَا هِيَ تَمُورُ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللّهُ بِعَزِيزٍ ذِى انْتِقَامٍ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٦].

وتأتي مصاحبة للنفي في أساليب ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾[٧].

وجاء كذلك مصاحباً للتقرير، بمعنى طلب الاعتراف في أسـاليب ﴿كَـيْفَ كَـانَ عَاقِبَةُ﴾[٨] مسبوقةً بفعل النظر، وأساليب ﴿كَيفَ كَانَ عِقَاب﴾[٩]، و ﴿كَيْفَ كَانَ نَكِير﴾[١٠]، و ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر﴾[١١].

١. الكشاف، ج٢، ص٢٤٢.
٢. الملك: ١٦.
٣. القيامة: ٣.
٤. الزمر: ٣٧.
٥. الفيل: ١.
٦. هود: ٨١.
٧. البقرة: ٢١٠؛ الأنعام: ١٥٨.
٨. الأنعام: ١١، يوسف: ١٠٩.
٩. ارعد: ٣٢.
١٠. الحج: ٤٤.
١١. القمر: ١٦.

فالوعيد الذي جاء بصورة الاستفهام يلفت الكفّار إلى النظر والتفكير في حالهم؛ لعلّهم يرشدون وينتبهون إلىٰ ما هم عليه من الغفلة والنسيان، ويدعوهم إلى التطلّع الدائم، والحذر من غضب اللّه بأُسلوب حكيم، فبهذا الأُسلوب يفوّت الفرصة في مجابهة الوعيد المباشر بتصدّي أشدّ من قبلهم؛ لجهلهم وحمقهم، ولما تأخذهم العزّة بالإثم أمام الاتهام المباشر.

ودلالة الاستفهام علىٰ الوعيد من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم علىٰ سبيل المجاز المرسل.

المعنىٰ الحادي عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: التهكّم، وهو استخدام الكلام للتعبير عن معنى مغائر للمعنى الحرفي للكلمات بقصد السخريّة والاستهزاء، كالخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعذر في موضع اللوم، والمدح في موضع السخريّة، ونحو ذلك.

كقوله تعالى حكايةً عن قوم شعيبﷺ: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنَا مَا نَشَآءُ﴾[١].

تحسّ في قول قوم شعيبﷺ التهكّم والاستهزاء والسخرية، وعبّروا عن هذا بطريق الاستفهام؛ ليدلّوا على ثباتهم في كفرهم، ووقوفهم المتعنّت على غوايتهم وغبائهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[٢].

أم عندهم خزائن رزقه ورحمته حتّى يرزقوا النبوّة من شاؤوا، ويمسكوها عمّن شاؤوا أو عندهم خزائن علمه وحكمته حتّى يختاروا لهامن اقتضت الحكمة اختياره، أم هم الغالبون على الأُمور يدبّرونها كيفماشاؤوا حتّى يدبّروا أمر الربوبيّة، ويبنوا الأُمور على إرادتهم ومشيئتهم[٣]؟! فهو يتهكّم بهم، ويسخر من موقفهم الذي

---

١. هود: ٨٧.

٢. الطور: ٣٧.

٣. انظر: تفسير أبي السعود، ج٨، ص١٥١؛ مجمع البيان، ج٥، ص٢٥٤.

ينافي الحكمة والعقل،ويتحدّاهمببرهان الواقع الذي لا يقبل المراء.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[١].

أي بل أهم قوم طاغون؟! أخرجه مـخرج الاستفهام وإن كـانوا عـنده تـعالى قوماًطاغين؛ تهكّماً بهم.

وهذا كقول الرجل لصاحبه الذي لا يشكّ في جهله: «أجاهل أنت؟!» توبيخاً له، وتقبيحاً عليه، ومعناه: أني قد نبّهتك على حالك، فانتبه لها، واحتط لنفسك منها.

قال صخر الغيّ:

أرائحٌ أنتَ يـومَ إثـنين أم غـادي ولم تُسَلّمْ عـلى ريـحانةِ الوادي

لايستفهم نفسه عمّا هو أعلم به، ولكنّه يقبّح هذا الرأي لها، وينعاه عليها، هكذا معتاد كلام العرب.

وجاء التهكّم في أساليب التحدّي بـ﴿أيْنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٢].

حيث صوّر هنا مشهد الحشر والمواجهة حيّاً شاخصاً مـوحياً؛ حـين يـعرض المشركون على رؤوس الأشهاد، ويخصّهم بالتوبيخ والتقريع، فيتحدّاهم بتهكّم ليروا مكان خزيهم، وليزيد حسرتهم وهم متهاونون متخاذلون في مـواجـهة مـصيرهم المرعب الرهيب.

وجاء مع التكذيب واستعجال غير المصدّق في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَـانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَة * فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ * وَخَسَـفَ القَـمَرُ * وَجُـمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ * يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ﴾[٣].

السؤال بـ﴿أيّانَ﴾ ـ هذا اللفظ المديد الجرس ـ يوحي باستبعاد هذا اليوم، وذلك تمّشياً مع رغبته في أن يفجر ويمضي في فجوره لا يصدّه شبح البعث وشبح الآخرة،

---

١. الطور: ٣٢.

٢. الانعام: ٢٢.

٣. القيامة: ٥ ـ ١٠.

فهو يحاول إزالة هذا المصدّ لينطلق في الشرّ والفجور بلا حساب، ومن ثمّ كان الجواب ـ على التهكّم بيوم القيامة، واستبعاد موعدها ـ سريعاً خاطفاً حاسماً، ليس فيه تريّث ولا إبطاء حتّى في إيقاع النظم وجرس الألفاظ[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾[٢].

أي أيّ شيء يؤخّر هذا العذاب عنّا إن كان حقّاً، فكأنّه يريده فيمنعه مانع؟! وإنّما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال تهكّماًواستهزاءاً، ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأساً، لا الاعتراف به، والاستفسار عن حابسه مما يدلّ على استهتارهم وتماديهم في غيّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لاَ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ﴾[٣].

الهزء والعبث دليل على عدم علم من تصدر منه، وتعبّر عن نفسيّة متذبذة غير متّزنة ينقاد صاحبها إلى الإلحاح والاستعجال مصحوباً بالعناد والإصرار، فيتخبّط في ضلال وطغيان، لذا كان تقييد النفي بالمفاجأة من المبالغة في التهديد لذلك التهكّم المشوب بالهزء والسخريّة: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وإجابتهم بأُسلوب حكيم بأن ينصرفوا عن السؤال عن يوم وقت حدوث القيامة التي لابدّ منها، ويسألوا أنفسهم حيث يكونون مبهوتين متحيّرين في تلك الساعةمن هول ما يشاهدون، فهذا أليق بحالهم من أن يسألوا عنها.

نجد في الآيات الثلاث أنّ ﴿مَتَى﴾ و ﴿أَيَّانَ﴾ و ﴿مَا﴾ يحدّ معناها نبرة النطق وإيقاع جرسه، وما يستغرقه الألف في كلّ منهما من زمن في مدّة.

---

١. انظر: في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٧٦٩.
٢. هود: ٨.
٣. سبأ: ٢٨ ـ ٣٠.

المعنىٰ الثاني عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: التحقير، ويكون حينما يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على صغر شأن المسؤول عنه، مع معرفة المستفهم بواقِع حاله، كقوله تعالى على لسان الكفّار: ﴿أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾[١].

وكقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾[٢].

وجاء التحقير مع الإنكار في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدونَ﴾[٣].

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾[٤].

وجاء مع التقرير بمعنى التحقيق في ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾[٥].

ومع التقرير بمعنى طلب الاعتراف في ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾[٦].

ومع النفي في ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[٧].

ومع التجاهل في ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[٨].

وقول الشاعر:

فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحة الذباب يَضيرُ؟![٩]

ودلالة الاستفهام على التحقير من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به، والجهل به يستلزم تحقيره.

والفرق بين التحقير والتهكّم هو أنّ التهكّم قد يكون بمن هو عظيم في نفسه بخلاف التحقير.

---

١. الفرقان: ٤١.
٢. الأنبياء: ٣٦.
٣. الصافات: ٨٥.
٤. المدّثّر: ٣١.
٥. القيامة: ٣٧.
٦. الإنسان: ١.
٧. الأنبياء: ٣.
٨. الأنبياء: ٥٢.
٩. البلاغة والتطبيق، ص١٣٣.

المعنىٰ الثالث عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: الاختبار، وذلك حيث يكون السائل عالماً، ويريد امتحان المخاطبين واختبار معارفهم، كقوله تعالى: ﴿قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾[1].

والمراد اختبار بلقيس أتهتدي إلى عرشها، أم لا؟

وأُسلوب الاختبار يعقبه الجواب الذي يتّبع بالجواب الصحيح، كقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[2].

المعنىٰ الرابع عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: العتاب، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ﴾[3].

ففي هذهالآية الكريمة استفهام العتاب في شأن الصحابة لمّا أكثروا المزاح.

ومن ألطف ما عاتب اللّه به خير خلقه قوله تعالى: ﴿عَفَا اللّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[4].

ففي هذه الآية الكريمة عتاب الخالق لرسوله محمّدﷺ وكان أذن لجماعة في التخلّف عن الجهاد، فنزل عتاباً له، وقدّم العفو تطميناً لقلبه.

ويقال: إنّ في الآية إنكار الفعل الواقع مع العتاب.

المعنىٰ الخامس عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: الافتخار، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى﴾[5].

وفيه امتنان.

ويصاحب الافتخار التلطّف في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ

---

١. النمل: ٤٢.
٢. البقرة: ٢٥٩.
٣. الحديد: ١٦.
٤. التوبة: ٤٣.
٥. الضحى: ٦ـ٧.

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ المَلآئِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾[١].

المعنىٰ السادس عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: العرض والتحضيض، مثال العرض قوله تعالى: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ﴾[٢].
ومثال التحضيض قوله تعالى: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾[٣].

المعنىٰ السابع عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: التأكيد، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِى النَّارِ﴾[٤].
الهمزة الثانية هي الأُولى، كرّرت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، أي من حقّ عليه كلمة العذاب فإنّك لا تنقذه، فقوله: ﴿مَنْ﴾ للشرط، والفاء جواب الشرط، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار التي حقّت عليه في جهنّم.

المعنىٰ الثامن عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: التسهيل والتخفيف، كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَو آمَنُوا بِاللّهِ﴾[٥].
بمعنىٰ أيّ ضرر عليهم في ذلك؟! بل الضرر فيما هم عليه من الكفر. وهذا الاستفهام للتسهيل ممزوج بالإنكار؛ لعدم إيمانهم باللّه واليوم الآخر، مع ظهور المعجزات على أيدي رسله المخلصين.

المعنىٰ التاسع عشر من المعاني البلاغية للاستفهام: الحثّ والاستعجال، كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾[٦].

---

١. آل عمران: ١٢٤.
٢. النور: ٢٢.
٣. التوبة: ١٣.
٤. الزمر: ١٩.
٥. النساء: ٣٩.
٦. الشعراء: ٣٩.

المعنىٰ العشرون من المعاني البلاغية للاستفهام: التفخيم، كقوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً﴾[١].

استفهام الذين كفروا عند تسلّمهم كتابهم بشمالهم، ورؤيتهم أعمالهم مسجّلة بكاملها دون زيادة أو نقصان، فأخذتهم القدرة الإلهية بعظمتها وتفخّمها، فقالوا: ﴿مَالِ هذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾ علىٰ سبيل الاستفهام التفخيمي.

وقد يأتي لعدّة أغراض، كما في قوله تعالى لموسىﷺ: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٢].

أ) لتعريف المسؤول بما يجهله من أُمور، وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنةقومه، فقد قيل: إنّهم كانوا نحو ستمائةألف نفس ما نجا منهم من عبادةالعجل إلّا اثنا عشر ألفاً.

ب) تبكيت المسؤول وتفهيمه وتنبيهه إلى خطأ ما جاءبه من ترك القوم، وإفساحِ المجال للسامري كي يضلّهم؛ لأنّه مغرق في الضلالة، وماهر في الإضلال.

ج) تعليم المسؤول آداب السفر وهي أنّه ينبغي على رئيس القوم أن يتأخّر عنهم في المسير؛ ليكون نظره محيطاً بهم، ونافذاً فيهم، ومهيمناً عليهم، وقاطعاً على كلّ فتنة قد تتسرّب إلى صفوفهم.

على أنّ موسىﷺ أغفل هذه الأمور، ولعلّه ملمّ بها، ومطّلع عليها، ولكن الشوق إلى لقاء اللّه والمسارعة إلى ميعاده ألهب قلبه، فلم يملك عنان صبره الجامع، وذلك شأن الموعود بما طال حنينه إليه، يودّ لو امتطى أجنحة الطير واستبق الساعات، وهل ثمّة ما يلهب الشوق مثل مواعدة اللّه؟!

وهناك أغراض بلاغية أُخرى أطلقها بعض العلماء، ولم يكتب لها الذيوع؛ لأنّها لم تكن دقيقة ولا ناضجة، فظلّت نادرة الاستعمال، منها:

١. التذكير: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[٣].

---

١. الكهف: ٤٩.

٢. طه: ٨٣ ـ ٨٤.

٣. يس: ٦٠.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[١].

فهو يرجع إلى الإنكار التوبيخي، وفيه تقريع للكفرة في الآيـة الأُولى، وإلزامـاً للحجّة في الآية الثانية.

٢. الاسترشاد: كقوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[٢].

وفي الكشّاف و البحر المحيط أنّه للتعجّب، وفي مجمع البيان أنّـه للاستخبار والاستعلام.

٣. النهي: كقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾[٣].

بمعنى لا تخشوهم، فاللّه هو الجدير بالخشية منه.

وذكر في المجمع أنّ المراد به تشجيع المؤمنين، وفي ذلك غاية الفصاحة؛ لأنّه جمع بين التقريع والتشجيع.

٤. الدعاء: وهو كالنهي، إلّا أنّه من الأدنى إلى الأعلى، نحو قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ﴾[٤].

وذكر في المجمع أنّ معناه النفي وإن كان بصورة الإنكار، والمعنى لا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا.

٥. الإخبار والتحقيق: كقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[٥].

يراه أبو السعود إنكاراً وتحقيراً، والطبرسي استفهاماً يراد به التقرير؛ لأنّه أشدّ في الذّم والتوبيخ؛ أي هذا أمر قد ظهر حتّى لا يحتاج فيه إلى البيّنة.

٦. التنبيه: نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[٦].

وهو أقرب إلى التقرير.

---

١. يوسف: ٨٩.
٢. البقرة: ٣٠.
٣. التوبة: ١٣.
٤. الأعراف: ١٥٥.
٥. النور: ٥٠.
٦. الحجّ: ٦٣.

٧. الاستبطاء: نحو قوله تعالىٰ: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾[١].

وقيل: هو على سبيل الدعاء باستعجال النصر.

وقد سبق وأن ذكرنا أنّه تمنّ.

وقول المتنبّي:

حتامَ نحن نساري النجمَ في الظلمِ ... وما سراهُ علىٰ خفٍّ ولا قدم

أي الىٰ متىٰ نسري (وهو السير ليلاً) مع النجم وهو لايسري علىٰ خف كالإبل ولا علىٰ قدم كالناس فهو لايتعب مثلنا ومثل مطايانا، فالمتنبي لايسأل عن الزمان، ولكنّه يستبطئ مجيء هذا اليوم الذي يصل فيه الىٰ هدفه ويحقّق بغيته.

وخروج الاستفهام إلى هذا المعنىٰ من باب المجاز المرسل علاقته المسببيّة.

٨. الاستبعاد: نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾[٢].

أي يستبعد منهم بعد أن جاءهم الرسول ثمّ تولّوا عنه.

وكقول أبي تمام:

مَنْ لي بإنسانٍ إذا أغضبته ... وجهلتُ كان الحلمُ ردَّ جوابهِ[٣]

فهو يستبعد أن يوجد إنسان علىٰ هذا القدر من الحلم والصفح وقوّة الاحتمال.

٩. التسوية: وقد ذكر السيوطي أنّها من المعاني البلاغية للاستفهام، وليست كذلك، لأنّ الهمزة بعد «سواء» لا تدلّ على استفهام، لا حقيقيّ، ولا بلاغيّ، وإنّما الكلام معها خبر محض، كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾[٤،٥].

١٠. التفجّع: نحو قوله تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[٦].

١١. الإخبار والتحقيق: نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾[٧].

---

١. البقرة: ٢١٤.

٢. الدخان: ١٣.

٣. البلاغة والتطبيق، ص ١٣٤.

٤. البقرة: ٦.

٥. انظر: مجاز القرآن، ج ٢، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

٦. الكهف: ٤٩.

٧. الإنسان: ١.

أي قد أتىٰ.

١٢. الأياس: نحو قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[١].

وقيل يفيد معنى التنبيه علىٰ الضلال، وخروج الاستفهام هنا الىٰ هذا المعنى من باب المجاز المرسل علاقته اللزوميّة؛ اطلاق اسم الملزوم علىٰ اللازم. فالاستفهام عن الشيء يستلزم تنبيه المخاطب عليه وتوجيه ذهنه إليه وذلك يستلزم تنبيهه علىٰ ضلاله، ويجوز أن يجعل اللفظ مستعجلاً في الاستفهام ليتوصّل به الىٰ ذلك علىٰ سبيل الكناية، أو يجعل من مستتبعات التراكيب، فلايكون مجازاً ولا كناية.

١٣. الإفهام: ذكره ابن فارس، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[٢].

والزمخشري أرجعه إلى التقرير.

١٤. الإرشاد: ذكره أبو حيّان في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾[٣].

وسبق أن ذكر السيوطي هذه الآية تحت الاسترشاد.

١٥. الاستدعاء: ذكره علاء الدين الأربلي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[٤].

وذكرناه في العتاب.

١٦. التوقيف: قال عنه أبو حيّان: ويستعمل في الأُمور الظاهرة ممّا يوبّخ به ويذمّ، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[٥].

وقول الشاعر:

ألستَ من القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

١٧. التحسّر: ويرد الاستفهام مراداً به معنىٰ التحسّر والتألّم وذلك في مقام يظهر فيه المستفهِم حزنه وتألّمه وتحسّره علىٰ ما فات، كقوله تعالىٰ: ﴿فإذا بَرِقَ البصر *

---

١. التكوير: ٢٦.

٢. طه: ١٧.

٣. البقرة: ٣٠.

٤. الحديد: ١٦.

٥. الشعراء: ٧٢.

وخَسَفَ القَمَرُ * وجمع الشَمْسُ والقَمَرَ * يقولُ الإنسانُ يومئذٍ أين المَفَر﴾[١].

فالاستفهام ـ في الآية ـ يفيد تحسّر الإنسان وندمه علىٰ ما فاته في الدنيا، واستبعاده الفرار في ذلك اليوم.

وهناك مجموعة ثانية أُفردت لها أبواب، وهي بالحقيقة تلحق بأغراض أُخرى:

١. مثّل السيوطي للافتخار بقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[٢] فهو يرجع إلى التقرير بمعنى التحقيق يصاحبه افتخار.

٢. ومثّل السيوطي للإيناس بقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسَى﴾[٣].

وهو تقرير بمعنى طلب الاعتراف، ليسجّل حقيقة العصا.

٣. وكذلك مثّل السيوطي للتجاهل بنحو قوله تعالى: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾[٤].

وفي مجمع البيان أنّه إنكار، أي كيف أُنزل على محمّد ﷺ القرآن من بيننا، وليس بأكبر سنّاً منّا، ولا بأعظم شرفاً؟!

٤. وذكر السيوطي للاكتفاء قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٥].

وفي مجمع البيان أنّه استفهام تقرير، أي: فيها مثواهم ومقامهم.

* * *

● القسم الثالث: أسلوب النهي والتمنّي

□ الاول: اسلوب النهي:

والنهي في اللغة معناه: المنع، يقال نهاه عن كذا، أي منعه عنه، ومنه سمّي العقل نُهْية؛ لأنّه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه عنه.

---

١. القيامة: ٧ ـ ١٠.
٢. الزخرف: ٥١.
٣. طه: ١٧.
٤. ص: ٨.
٥. الزمر: ٦٠.

والنهي في الاصطلاح: طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام[١].

وللنهي صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ«لا» الناهية الجازمة، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[٣].

ولمّا كان لهذه الصيغة دلالة على طلب الكفّ عن الفعل، فلا يتعيّن فيها التحريم أو الكراهة إلّا مع وجود قرينة تدلّ على ذلك.

وتختصّ «لا» الناهية بالدخول على الفعل المضارع، فتقتضي استقباله.

والواضح أنّ البلاغيّين والنحويّين لا يبحثون في الزمن الذي يمكن أن تدلّ عليه صيغة النهي ذاتُها، وإنّما هم يبحثون في زمن الامتثال للنهي.

والصحيح في النهي أنّه لايدلّ على زمن يتلبّس فيه الفاعل بالفعل، وإنّـما هـو مجرّد صيغة يطلب بها الكفّ عن الفعل، من المخاطب كما كان الأمر مجرّد صيغة يطلب بها القيام بالفعل من المخاطب.

ويتّفق النهي مع الأمر في موارد منها:

١. أنّ كلّ واحد منهما لابدّ فيه من اعتبار الاستعلاء.

٢. أنّهما يتعلّقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمراً لنفسه، أو ناهياً لها.

٣. أنّهما لابدّ من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما[٤].

ويختلفان في موارد منها:

١. أنّ كلّ واحد منهما مختصّ بصيغة تخالف الآخر.

٢. أنّ الأمر دالّ على الطلب، والنهي دالّ على المنع.

٣. أنّ الأمر لابدّ فيه من إرادة مأمورة، وأنّ النهي لابدّ فيه كراهية منهيّة.

---

١. الكفّ قيد لإخراج الأمر، و معنى الكفّ المنع، فيكون التقدير: هو لفظ طلب به الكفّ؛ و هو الامـتناع مـع بـقاء اختيار العبد في مباشرة المنهيّ عنه، و خرج بقيد «على وجه الاستعلاء» المنهيّ بجهة الدعاء و الالتماس.

٢. الحجرات: ١٢.

٣. الاعراف: ٥٦.

٤. الطراز، ج٣، ص ٢٨٥.

و أداة النهي «لا» تستعمل مع المخاطب والغائب على السواء، كقوله تعالى: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿لاَيَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

وجاءت «لا» لنهي المتكلّم في قراءةشاذّةفي قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً وَلَوْكَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَاللّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الآثِمِينَ﴾[٣].

فقد قرأ الحسن والشعبي ﴿وَلانَكْتُمْ﴾ بجزم الميم، نهياً أنفسهما عن كتمان الشهادة.

وقد يُنهى الغائب ويكون المراد نهي المخاطب، يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَآءَ﴾[٤] وقرئ «فَلا يَشْمَتْ بى الأعداءُ» على نهي الأعداءعن الشماتة، والمراد أن لا يُحِلّ به ما يشمتون به لأجله.

ويقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا المَسْجِدَالحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾[٥] نهيُ المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه.

وقد يُنهى المخاطب ويكون المراد نهي القوم جميعاً، أو يراد به تثبيت المخاطب على التزامه، والاستمرار في الانتهاءعمّا انتهى عنه، كما في قوله تعالى: ﴿لاَيَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلاَدِ﴾[٦].

لأنّ الرسول غير مغرور بحالهم، فكأنّه قيل: «لا يغرّنكم».

وقد يقام المسبّب مقام السبب في النهي، كقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾[٧].

يعني ولا يفعلنّ ما يؤدّي من غير قصد منه إلى الشعور بنا، فسُمّي ذلك إشعاراً منه بهم؛ لأنّه سبب فيه.

---

١. الممتحنة: ١.
٢. آل عمران: ٢٨.
٣. المائدة: ١٠٦.
٤. الأعراف: ١٥٠.
٥. التوبة: ٢٨.
٦. آل عمران: ١٩٦.
٧. الكهف: ١٩.

كما جاء في القرآن الكريم النهي عن السبب ليمتنع المسبّب، كقوله تعالى أيضاً: ﴿لاَيَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى البِلاَدِ﴾[١].

وقد جعل النهي في الظاهر للتقلّب. وهو في المعنى للمخاطب، وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبّب؛ لأنّ التقلّب لو غرّهُ لاغترّ به، فمنع السبب ليمتنع المسبّب.

وكثر في القرآن الكريم النهي عن الكون على صفة من الصفات، نحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[٣].

والنهي عن الكون على صفة، أبلغ من النهي عن تلك الصفة، فقولك: «لا تكن ظالماً» أبلغ من قولك: «لا تظلم» لأنّ «لا تظلم» نهي عن التلبّس بالظلم، وقولك: «لا تكن ظالماً» نهي عن الكون بهذه الصفة، والنهي عن الكون على صفة أبلغ من النهي عن تلك الصفة.

وكثر في القرآن الكريم أيضاً النهي عن مقاربة فعل الشيء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا﴾[٤].

و ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾[٥].

و ﴿لا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ﴾[٦].

فالنهي عن المقاربة للحدود أبلغ من النهي عن التلبّس بها.

وقد يستعمل الخبر في معنى النهي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثاقَ بَنِى إِسْرَآئِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللّهَ﴾[٧].

أي لا تعبدوا.

---

١. آل عمران: ١٩٦.
٢. القصص: ٨٦.
٣. الأنعام: ٣٥.
٤. البقرة: ١٨٧.
٥. النساء: ٤٣.
٦. الأنعام: ١٥١.
٧. البقرة: ٨٣.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾[١].

أي لا تسفكوا، ولا تخرجوا، وحمل المخاطب على المذكور أبلغ حمل، وبألطف وجه.

المعاني المجازية لصيغة النهي

وتخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ مجازية تفهم من سياق الكلام منها:

١. الدعاء: ويكون صادراً من الأدنى إلى الأعلى منزلةً وشأناً، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرَاً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤].

اي ندعوك ربّنا أن لا تؤاخذِنا و... فالنهي صادر من العبد إلى الذات العليّة على جهة التضرّع والدعاء.

وسرّ التعبير بصيغة النهي في مقام الدعاء في الآيات الكريمة بيان رغبة العبد في الغفران، وإظهار كمال تضرّعه إلى اللّه جلّ وعلا[٥].

واستعمال صيغة النهي في مقام الدعاء تصوير حيّ، وتعبير صادق عن رغبة هؤلاء المؤمنين في الثبات على الهداية، وحبّهم القوي للإيمان وبما جاء على ألسنة الرسل عليهم السلام».

---

١. البقرة: ٨٤.

٢. البقرة: ٢٨٦.

٣. آل عمران: ٨.

٤. الممتحنة: ٥.

٥. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٨٩.

٢. النصح: وذلك عندما يكون النهي يحمل بين ثناياه معنىً من معاني النـصح، كقوله تعالى: ﴿وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ﴾[١].

وكقول أبي العلاء المعرّي:

ولا تـجلس إلى أهـل الدنـايا فـإنَّ خـلائِقَ السـفهاء تُـعدي

فهو ينصح مخاطبه ويرشده إلى الابتعاد عن السفهاء وأهل الدنايا.

٣. التوبيخ: عندما يكون المنهيّ عنه أمراً لايشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

التوبيخ لهم على خلطهم الحقّ بالباطل.

وكقول الشاعر:

إذا ما خَلَوْتَ الدهرَ يـوماً فـلا تَـقلْ خـلوتُ ولكـنْ قُـلْ عـليَّ رقـيبُ

ولا تـحسبنَّ اللـهُ يـغفلُ سـاعةً ولا أنّ مـا تـخُفيهِ عَـنْهُ يَـغيبُ

وقول آخر:

لا تَنْهَ عَنْ خُـلُقٍ وتـأتي مِـثْلَهُ عـارٌ عـليكَ إذا فـعلتَ عـظِيمُ

نجد أنّ الشاعر يقصد توبيخ من ينهى الناس عن السوء، ولا ينتهي عنه.

٤. الإرشاد: نحو قوله تعالى: ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٣].

يريد بالنهي إرشادهم إلى أنّه لا ينبغي التدخّل في أُمور يسوء وقعها، ولا يأمر بالعلم بها.

ونحو:

إذا نـطق فـلا تـجبـه فـخير مـن اجـابته السكـوت

٥. التسوية: نحو قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لاتَصْبِرُوا﴾[٤]، كذا قيل.

ويرد عليه أنّ التسوية ليست مستفادة من صيغة النهي وحدها، بل من المجموع

---

١. البقرة: ٢٨٢.

٢. البقرة: ٤٢.

٣. المائدة: ١٠١.

٤. الطور: ١٦.

منها ومن كلمة «أوْ».

٦. **بيان العاقبة**: كقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[١].

أي عاقبة الجهاد في سبيل اللّه الحياة لا الموت.

ثمّ يرد على هذا المعنى أيضاً أنّه مستفاد من مجموع صيغة النهي وكلمة «بَلْ» لا من النهي فقط.

ومثّلوا لبيان العاقبة قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً﴾[٢] أي عاقبة الظلم العذاب لا الغفلة.

ويرد عليه أنّه خطاب للنبيّ ﷺ وفيه تعريض؛ لأنّ غيره منهيّ عنه بطريق أولى.

٧. **التيئيس**: ومنه قوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٣].

أي: أن اعتذاركم شيء ميؤوس منه فلماذا تعتذرون.

وقوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلونَ﴾[٤].

وكقول المتنبّي يمدح سيف الدولة:

لا تَطْلُبَنَّ كريماً بَعْدَ رُؤْيتِهِ إنّ الكِرامَ بأَسْخاهُمْ يَداً خُتِمُوا

٨. **الإهانة**: نحو قوله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[٥].

٩. **الالتماس**: ويكون صادراً من أخ إلىٰ أخيه، أو صديق إلى صديقه، كقوله تعالى علىٰ لسان حال هارون يخاطب أخاه موسى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾[٦].

فالنهي في قوله ﴿لا تَأْخُذْ﴾ ليس على حقيقته، وإنّما هو للالتماس؛ لأنّه ليس فيه

---

١. آل عمران: ١٦٩.
٢. إبراهيم: ٤٢.
٣. التوبة: ٦٦.
٤. التحريم: ٧.
٥. المؤمنون: ١٠٨.
٦. طه: ٩٤.

استعلاء ولا إلزام. وقد نسبه إلى الأُم ـ مع كونه أخاه لأبـيه وأمّـه ـ استـعطافاً له، وترقيقاً لقلبه، والتمس منه عدم إنـزال العـقوبة؛ لأنّـه خشـي إن خـرج عـليه أن يتفرّقوا.

وسرّ بلاغة التعبير بصيغة النهي مقام الالتماس في الآيةالكريمة إظهار الحرص على ترقيق الأخ على أخيه، والأصل القويّ في العفو والتسامح، فقد كان لهـارون عذر[١].

وكقول الشاعر:

خَليليّ من بـين الأخـلاء لاتكـن   حِـبالُكما أُنشُـوطةٌ مـن حـباليا

فالشاعر يلتمس من أخويه المفضلين أو المكرّمين عنده أن لا تكون مـودّتهما وصحبتهما أُنشوطة، أي واهية وغير وثيقة العقد.

١٠. التمنّي: ويكون النهي موجّهاًإلى مالا يعقل، كقول الخنساء:

أعـيـنيَّ جُـوداً ولا تَـجْـمُـدا   ألا تـبكيانِ لصـخرِ النـدى[٢]

فالخنساء تتمنّى أن تجود عيناها بالبكاء على أخيها، فهو جدير بالبكاء،وعلى ذلك يكون قولها: «ولا تجمدا» نهياً أُريد به التمنّى..

وسرّ التعبير بصيغةالنهي في مقام التمنّي؛ إظهار شدّة حزنها وولهها، وأنّها من أجل ذلك تضع الممكن ـ النهي ـ موضع المستحيل؛ التمنّى.

والعلاقة بين النهي والتمني التضادّ علىٰ جهة المجاز المرسل.

١١. التحقير: كقوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾[٣].

فهو احتقار للدنيا، وكقول الحطيئة:

دَعِ المكـارِمَ لا تَـرْحَلْ لبُـغْيتها   واقعُدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطاعمُ الكاسِي[٤]

---

١. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٩٠.
٢. البلاغة والتطبيق، ص١٣٠.
٣. الحجر: ٨٨.
٤. ديوانه، ص٢٨٤؛ دلائل الاعجاز، ص٤١٤؛ الاشارات والتنبيهات، ص١٨٣؛ خزانة الادب، ج٦، ص٢٩٩؛ لسان العرب (طعم) و(كسا)؛ الشعر والشعراء، ص٣٣٤.

فهو يحقّر المخاطب فيقول: لا ترحل إلى طلب المعالي؛ فأنت لست أهلاً للكفاح، واقعد وسيأتيك الطعام والشراب والكساء.

فالغرض من النهي التحقير؛ لأنّ المخاطب لا يمتثل لهذا النهي، ولا ينتظر المتكلّم منه أن يمتثل، وإنّما يريد أن يظهر احتقاره فحسب.

وسرّ بلاغة التعبير بصيغة النهي مقام التحقير؛ ما فيها من التحقير وعدم الاعتداد بالمخاطب؛ بما لا يحيط به الوصف.

١٢. التهديد: كقوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[١].

كقولنا لمن لا يمتثل للأمر: «لا تمتثل لأمري» والتهديد خبر في المعنى، فكأنّنا قلنا: «سترى ما يسوؤك لعدم امتثالك».

أي يكون التحوّل على النحو التالي:

أ) اترك أمري وسترىٰ ما يسؤوك علىٰ ترك الأمر.

ب) اترك أمري.

ج) لا تمتثل لأمري.

واستعمال صيغة «النهي» في مقام «التهديد» من باب المجاز المرسل، والعلاقة بين النهي والتهديد السببيّة؛ لأنّ النهي عن الشيء يتسبّب عنه التخويف والتهديد لمخالفته.

وقيل: العلاقة بين النهي والتهديد هي استلزام النهي للتهديد.

١٣. التسلية والتصبّر: نحو «لا تجزع؛ فإنّ اللّه رحيم بعباده».

وقوله تعالى: ﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ﴾[٢].

أي فلا تشكّ بعدما أُنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم، وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم؛ تسليةً لرسول اللّهﷺ، وعدة بالانتقام منهم، ووعيداً لهم.

---

١. ابراهيم: ٤٢.

٢. هود: ١٠٩.

□ **الثاني: اسلوب التمنّي:**

والتمني: لغةً: محبّة حصول الشيء.

واصطلاحاً: هو توقّع أمر محبوب في المستقبل.

والفرق بينه وبين الترجّي أنّه يدخل على المستحيلات، والترجّي لايكون إلّا في الممكنات[١]، ولكنّ البلاغيّين يمّيزون بين نوعين من التمنّي:

النوع الأوّل: توقّع الأمر المحبوب الذي لايرجىٰ حصوله؛ لكونه مستحيلاً، كقوله تعالىٰ: ﴿ياليْتَنى كُنْتُ مَعَهُم فَأَفُوزَ فَوزاً عَظِيماً﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿ياليْتَنى مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ياليْتنا نُرَدّ ولانُكَذِّبَ بآياتِ رَبّنا﴾[٤].

وقول الشاعر:

ألا ليتَ الشبابَ يَعُودُ يَوْماً فأُخْبِرُهُ بِما فَعَلَ المَشيبُ[٥]

فالشاعر يتمنّىٰ عودة الشباب يوماً واحداً، وهي أُمنيّة محبوبة إلى نفسه، وكلاهما غير ممكنَي الحصول؛ لأنّه يستحيل عودة الشباب مرّة أُخرىٰ.

النوع الثاني: توقّع الأمر المحبوب الذي لايرجىٰ حصوله؛ لكونه ممكناً من غير توقّع أو طمع في وقوعه[٦]، كقوله تعالىٰ: ﴿قالَ الَّذينَ يُريدُونَ الْحياةَ الدُّنيا ياليْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتىَ قَارُونُ﴾[٧].

فالآية تخبرنا أنّ قوم قارون حينما رأوا كنوزه تنوء عن حملها العصبة القويّة

---

١. البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٣٢٣؛ شرح الكافية للرضي، ج٢، ص٣٤٦؛ البحر المحيط، ج٤، ص١٠٣ (ط مصر ١٣٢٨هـ).

٢. النساء: ٧٣.

٣. مريم: ٢٣.

٤. الانعام: ٢٧.

٥. جواهر البلاغة، ص٦٣؛ البلاغة والتطبيق، ص١٣٩.

٦. ككون غير الواقع فيما مضىٰ واقعاً فيه مع حكم العقل بامتناعه، مثل قولنا: ليت محمّداً جاءني أمس، فالعقل هنا يحكم بامتناع وقوع هذا المجيء؛ لأنّ زمنه قد انتهىٰ.

٧. القصص: ٧٩.

تمنّوا أن يكون لهم مثل تلك الكنوز، وهي أُمنيّة محبوبة لأنفسهم، وهي ممكنة الوقوع وليست بمستحيلة، ولكنّ هذه الأموال العظيمة لايطمعون في نيلها؛ لبعد منالها[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿قالَ يالَيْتَ بَيْنى وَبَيْنَكَ بُعْدَ المشْرِقَين﴾[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿قالَ يالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لى رَبّى﴾[3].

وقول الشاعر:

فليت الشامتين به فَدوهُ   وليتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالا

صيغة التمنّي: الأداة الموضوعة للتمنّي «ليت»[4]. وقد تستعمل ثلاثة أحرف للدلالة عليه:

أحدها: «هل» ويتمنّىٰ بها وينصب المضارع بعدها بـ «أن» مضمرة[5] على غرار «ليت»؛ فإنّها تستعمل حيث يعلم أنّ المستفهم عنه غير حاصل، وأنّه غير مطموع في حصوله، وذلك لإبراز المتمنّىٰ في صورة الممكن؛ إظهاراً لشدّة الرغبة فيه.

وعلى هذا، فاستعمالها في التمنّي مجاز بالاستعارة التبعيّة؛ وذلك بأن يشبه مطلق تَمَنّ بمطلق استفهام بجامع مطلق الطلب في كُلّ، فسرىٰ التشبيه من الكليّين إلى الجزئيّات ثمّ استعيرت «هل» الموضوعة للاستفهام الجزئي للتمنّي.

ولتضمن «هل» التمنّي المستلزم لنفي المتمنّىٰ تزاد «من» التي لاتزاد في الاستفهام إلّا مع «هل» خاصّة، وذلك إذا أُريد بالاستفهام بها معنى النفي، فيكون وجودها في هذا الموضع قرينةً تمنع حمل الكلام على الاستفهام الحقيقي المقتضي لعدم العلم بالمستفهم عنه ثبوتاً أو نفياً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ

---

١. من بلاغة النظم العربي، ج ٢، ص ١٣١.

٢. الزخرف: ٣٨.

٣. يس: ٢٦ ـ ٢٧.

٤. فهي حرف تصير به نسبة الكلام انشاء وهي باعتبار ما وضعت له مستلزمة لخبر وهو أن المتكلم يتمنىٰ تلك النسبة، فالانشاء يستلزم الخبر.

٥. يعدّ نصب المضارع في جوابها قرينة علىٰ أنّها مستعملة في معنى التمنّي.

فَيَشْفَعُوا لَنا﴾[1].

أي ليت لنا شفعاء، اذ يعلمون أن لاشفعاء لهم، ولمّا كان عدم الشفعاء معلوماً لهم امتنع حقيقة الاستفهام، وتولّد منه التمنّي المناسب للمقام.

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالوا رَبَّنا أَمَتَّنا اثنَتَينِ وَأحيَيْتَنا اثنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنوبِنا فَهَلْ إلىٰ خُروجٍ مِنْ سَبيلٍ﴾[2].

فالآية الكريمة تخبرنا بأنّ الكافرين حين نزل بهم العذاب يوم القيامة تمنّوا أن يجدوا من النار مخرجاً وخلاصاً، هذا أمر مستحيل، ولكنّهم من فرط حيرتهم ودهشتهم وشدّة ماهم فيه طارت عقولهم، وظنّوا أنّ غير الممكن ـ الذي هو الخروج من النار ـ ممكن، فاستعملوا لفظ «هل» الموضوع للاستفهام الذي هو ممكن في التمنّي، بدلاً من اللفظ الموضوع له في الأصل وهو «ليت» التي تستعمل في الأمر المستحيل.

وتحسّ بأنّ استعمال لفظ «هل» قام بتصوير حال الكافرين، وإبراز مكنون نفوسهم على أتمّ وجه[3].

ثانيها: «لو» ويتمنىٰ بها، ويُنصب المضارع في جوابها، أو يرفع بـ «أن» مضمرة على غرار «ليت»[4] أو يرفع سواء كانت مع «ودّ» كقوله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[5،6].

أولم تكن، كقول تعالىٰ: ﴿قالَ لَوْ أنَّ لِي بِكُمْ قُوّةً﴾[7].

---

١. الاعراف: ٥٣.
٢. غافر: ١١.
٣. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٣٢.
٤. فاستعمالها في التمنّي مجاز بالاستعارة التبعيّة، كما تقدّم في «هل».
٥. القلم: ٩.
٦. و جاء الفعل المضارع بعد جواب «لو» منصوباً في بعض المصاحف: «فيدهنوا». انظر: كتاب سيبويه، ج٣، ص٣٦؛ المفصّل، ص٣٢٣، الكشاف، ج٤، ص١٤٢؛ شرح المفصّل، ج٩، ص١١؛ البحر المحيط، ج٨، ص٣٠٩؛ أساليب الطلب عند النحويين و البلاغيين، ص٥٣٢.
٧. هود: ٨٠.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَو أنّ لَنا كَرّةً فَنَتَبَرّأَ مِنْهُم﴾[١].

أي ليت لنا كرّة بدليل نصب المضارع بعدها، وإنّما حملت على معنىٰ التمنّي دون غيره من أنواع الطلب؛ لشيوع استعمالها فيه، والحمل على المعنىٰ الشامل أولىٰ، ونكتة العدول من التمنّي بـ «ليت» إلى التمنّي بـ ﴿لَوْ﴾: إبراز المتمنّىٰ في صورة الممتنع، إشعاراً بعزّته؛ لأنّ «لو» ـ على ماقرّره علماء النحو ـ حرف امتناع لامتناع.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنّهُم فَعَلُوا مايُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[٢].

والغرض البلاغي من التمنّي بـ ﴿لَوْ﴾ والعدول عن «ليت» الإشعار بعزّة المتمنّىٰ وندرة حاله، حيث يبرز في صورة الممتنع؛ لأنّ «لو» حرف يدلّ على امتناع جواب الشرط لامتناع الشرط[٣].

ومنه قول بهاء الدين زهير:

ياعاذلي أنا مَنْ سمعت حديثه فعساك تحنو أو لعلّك ترفُقُ
لو كنت منّا حيث تسمعُ أو ترىٰ لرأيت ثوبَ الصّبْر كيف يُمَزّق
ورأيتَ ألْطَفَ عاشقَيْنِ تشاكيا وعجبت ممّن لايحبّ ويعشق

لقد أفعم الشاعر أبياته بالأمانيّ، واستخدم في سبيل ذلك الأدوات الملائمة لهذه الأماني: «فَعساك تحنو» «لعلّك ترفق» «لو كنت منّا ...» ولكن متىٰ كان العذول يحنو أو يرفق بالمحبّ؟ وهل يمكن أن يكون من العاشقين؟! إنّه لو كان كذلك لخرج من زمرة العاذلين[٤].

ومنه قول المهلهل بن ربيعة:

فَلَوْ نُشِرَ المَقابِرُ عَنْ كُلَيْبٍ فَيُخْبرَ بالذّنائِبِ أيَّ زِيرِ

ثالثها: «لعل»، فقد يُتمنّىٰ بها فتُعطىٰ حكم «ليت»[٥]. وينصب في جوابها المضارع علىٰ إضمار «أنّ» كما في قوله تعالىٰ حكايةً عن فرعون: ﴿لَعَلّى أبلُغُ الأسْبَابَ *

---

١. البقرة: ١٦٧.
٢. النساء: ٦٦.
٣. وعلىٰ هذا: فاستعمالها في التمني مجاز بالاستعارة التبعية.
٤. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، ص٨٣.
٥. فاستعمالها في التمنّي مجاز بالاستعارة التبعيّة، كما سبق.

أَسْبَابَ السماواتِ فَأَطَّلِعَ إلىٰ إلٰه مُوسَىٰ﴾[١].

ففرعون يعلم أنّ مايأمله بعيد الحصول، ولكن إمعانه في عُتُوّه وضلاله ورغبته الشديدة في الوصول إلى مايريد خَيّلا له أنّه قريب الحصول، ولهذا أمر هامان ببناء الصرح.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُم يُنْصَرُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَذْناهُم بالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

فنصرة الأصنام لهم ورجوعهم عن الكفر أمر مستحيل، وكان هذا يقتضي استعمال الأداة التي وضعت للتمنّي وهي: «ليت» ولكنّه استعمل بدلاً منها «لعلّ» التي تفيد الرجاء وهو إمكان الوقوع، وسبب هذا العدول هو أنّه أراد إبرازالأمر المستحيل في صورة الممكن؛ إظهاراً لكمال العناية به واللهفة إليه[٤].

وكقول الشاعر:

أسِرْبَ القطا هل من يُعيرُ جناحَهُ لعلّي إلى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أطيرُ[٥]

يتمنّىٰ الشاعر ـ وقد هاجه الشوق إلىٰ من يحبّ ـ لو يستعير من طائر القطا جناحيه ليطير بهما إلى محبوبه، وهو أمر ـ لاشكّ ـ بعيد الحصول، بل مستحيل، ونكتة العدول عن «ليت» إلى «لعلّ» إبراز مايتمنّاه في صورة مايمكن وقوعه؛ إظهاراً لشدّة الشوق إليه والرغبة فيه.

ويتمنّىٰ بأحرف التنديم والتحضيض الأربعة وهي: «هَلا» وَ«ألّا» بقلب الهاء همزة «ولولا» و«لوما» وهذه الأحرف الأربعة مأخوذة من «هل» و«لو» حال التركيب مع «لا» و«ما» لابعد التركيب، فلم يتّحد المأخوذ والمأخوذ منه[٦].

---

١. غافر: ٣٦ ـ ٣٧.

٢. يس: ٧٤.

٣. الزخرف: ٤٨.

٤. فنّ البلاغة، د.عبدالقادر حسين، ص ١٥٠.

٥. البلاغة والتطبيق، ص ١٤٠.

٦. إنّما ركّبت «هل» و «لو» هذا التركيب ليزول احتمال معنى الاستفهام في «هل» و معنى الشرط في «لو» و يتعيّن التمنّي. انظر: شروح التلخيص، ج ٢، ص ٢٤٢. الايضاح ص ١٣٥، مفتاح العلوم ص٤١٨.

و«هل» و«لو» قبل التركيب يجوز أن يستعملا مكان التمنّي، وأمّا بعد التركيب، فإنّ «هلّا» و«ألّا» و«لولا» و«لوما» تدلّ علىٰ معنىٰ التمنّي نصّاً، والتركيب ـ حينئذ ـ يكون قرينة على هذا المراد.

والتمنّي هذا ليس مقصوداً بالذات، بل ليتولّد منه معنىٰ التنديم والتحضيض في أوّل الأمر من غير توسّط التمنّي؛ لأنّ التنديم متعلّق بالماضي، والتحضيض متعلّق بالمستقبل، وهما مختلفان، فكان التمنّي واسطة؛ لأنّه طلب في الماضي وفي المستقبل، فهو شامل لمعنييهما.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمِنَةٌ فَنَفَعَها إيمانُها﴾[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَوْمَا تَأْتِينا بِالْملائِكَةِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾[2].

ولم تستعمل «هلّا» و«ألّا» في معنىٰ التحضيض، ولكن قوله تعالىٰ: ﴿ألّا يَسْجُدُوا لِلّهِ﴾[3] قد جاء في حرف عبداللّه ـ وهي قراءة الأعمش «هَلّا» وعن عبداللّه: «هَلّا تسجدون» بمعنىٰ ألا تسجدون على الخطاب.

كما قرأ أُبيّ وعبداللّه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمانُهَا﴾[4]: «فهلا كانت» وكذا هو في مصحفيهما[5].

ووجه التولّد أنّ التمنّي إنّما يكون في الأُمور المحبوبة، فإذا فات الأمر المحبوب له ندم المخاطب عليه، وإن كان مستقبلاً حضّه عليه، فقولك: «هلّا أكرمت زيداً» معناه ليتكَ أكرمتَ زيداً. متولّداً منه معنىٰ التنديم.

هذا إذا استعملته مع الماضي، أمّا إذا استعملته مع المضارع، فقولك: «هلّا تكرم زيداً» معناه ليتك تكرمُه. مولّداً منه معنىٰ التحضيض[6].

---

١. يونس: ٩٨.
٢. الحجر: ٧.
٣. النمل: ٢٥.
٤. يونس: ٩٨.
٥. البحر المحيط، ج ٥، ص ١٩٣؛ البرهان، ج ٤، ص ٣٧٩.
٦. انظر: شروح التلخيص، ج ٢، ص ٢٤٣ و ما بعدها.

□ **استخدام «ليت» في الترجّي لغرض بلاغي**

تقدّم أنّ أداة الترجّي لعلّ قد تستخدم في التمنّي مكان «ليت» لغرض بلاغي هو إبراز المتمنّىٰ البعيد الحصول في صورة القريب المترقّب الحصول؛ للدلالة على كمال العناية به.

ونضيف هنا أنّ عكس هذه الحال قد يحدث أحياناً، فستعمل أداة التمنّي «ليت» في سياق الترجّي لغرض بلاغيّ؛ هو إبراز الممكن في صورة المستحيل أو البعيد المنال؛ مبالغة في صعوبة نيله، ومن ذلك قول المتنبّي:

فياليت مابيني وبين أحبّتي   مِنَ البُعدِ مابيني وبين المصائبِ

وقد تستعمل أيضاً للتندّم، نحو: ﴿يَالَيتَنى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً﴾[1].

* * *

● **القسم الرابع: أسلوب النداء**

النداء في اللغة: رفع الصوت وظهوره. وأصله من النَّدَىٰ أي الرطوبة يقال: صَوتٌ نَدِيٌّ: أي رَفيع[2].

و في اصطلاح النحاة: تنبيه المدعوّ ليقبل عليك[3]، وكذلك هو في اصطلاح البلاغيّين حيث يعرّفونه بأنّه طلب إقبال المدعوّ على الداعي بأحد حروف مخصوصة[4]، أو هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب «أدعو» لفظاً أو تقديراً[5].

والنداء في الاستعمال: مدّ الصوت لنداء البعيد؛ ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾[6].

١. الفرقان: ٢٧.
٢. المفردات، مادّة: «ن، د، ي».
٣. الأصول في النحو، ص٤٠١، و ينظر: شرح المفصّل، ج٨، ص١٢٠.
٤. عروس الأفراح (شروح التلخيص)، ج٢، ص٣٣٣.
٥. شروح التلخيص، ج٢، ص٣٣٤.
٦. مريم: ٥٢.

فقد بيّن تعالى أنّهُ كما ناداه ناجاه أيضاً، فالنداء مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب، وقد بيّن تعالى أنّه كما ناداه ناجاه أيضاً.

وروي أنّ أعرابياً قال لرسول اللهﷺ: «أقريب ربّنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟».

فنزلت الآيةالكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١،٢]، فالنداء مخاطبة الأبعد، والمناجاة مخاطبة الأقرب[٣].

ومع كثرة النداء في الكلام فهو ليس مقصوداً بالذات، بل لتنبيه المخاطب ليُصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له، فأنت تلجأ إلى النداء لتنبيه المخاطب وعطفه عليك حتىٰ تختصّه من بين الناس بأمرِك أو نهيك، أو استفهامك، أو خبرك، وهذا ما نجده متحقّقاً في القرآن الكريم، حيث كثيراً ما يصحب النداء فيه الأمر والنهي، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم﴾[٤].

و ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذروا الْيَوْمَ﴾[٥].

وقد يصحب الجملة الخبريّة فتعقبها جملة الأمر، نحو: ﴿يَا أَيُّها النّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[٦].

وقد لا تعقبها، نحو: ﴿يَا أَيُّها النّاسُ أَنتُمُ الفُقَراءُ إِلَى اللّهِ﴾[٧].

وقد يصحب الجملة الاستفهاميّة، نحو: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[٨].

وأدوات النداء ثمانية وهي:

«الهمزة، يَا، أي، أَيَا، هَيَا، وَا، آ، آيْ».

---

١. البقرة: ١٨٦.

٢. انظر الكشاف، ج١، ص٢٢٩.

٣. انظر: البرهان، ج٢، ص٣٢٤؛ أساس البلاغة (ندي)؛ أساليب الطلب، د.قيس إسماعيل الأوسي، ص٢١٨.

٤. البقرة: ٢١.

٥. التحريم: ٧.

٦. الحج: ٧٣.

٧. فاطر: ١٥.

٨. الصف: ٢.

١. الهمزة: موضوعة لنداء القريب وهي أقلّ استعمالاً من «يا»؛ لأنّها لا تستعمل إلّا في القريب المُصْغي إليك، و«يا» تستعمل في القريب والبعيد؛ لأنّها أكثر منها حروفاً، وأكثر مَدّاً، نحو قول امرؤ القيس:

أفاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَدلّلِ وإنْ كُنْتِ قدْ أزْمَعْتِ صَرْمِي فأجْملي[١]

٢. أي: وهي أيضاً موضوعة لنداء القريب؛ وذلك لأنّ سكون الياء فيها لايُعين على مدّ الصوت ورفعه بها، وهي على العكس من ذلك لو كانت الياء فيها مفتوحة، كما هو الحال في ألاداة «أيا»؛ فإنّها تعين على مدّ الصوت ورفعه بها، مع أنّهُ لاشكّ في أنّ المدّ فيها أكثر منه في الهمزة، ولذلك فليس القول بأنّ «أيْ» لتنبيه القريب، والهمزة لتنبيه مَنْ هو أقرب[٢].

ومن استعمال «أي» في النداء قول كُثير عَزّة:

ألمْ تَسْمَعِي أي عَبْدَ في رَوْنَقِ الضُّحى

بُكاءَ حماماتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ[٣]

٣. «أيا» و«هيا» للمنادى البعيد، ولاشكّ في أنّ المدّ في هاتين الأداتين أكثر منه في «يا» ولذلك فهما لا تستخدمان إلّا في نداء البعيد.

ويرى ابن الخشّاب أنّ «أيا» لما بَعُدَ، و«هيا» لما هو أبعد من المنادىٰ بـ «أيا»[٤].

ومن استعمالهما أداتين للنداء قول مجنون ليلىٰ:

أيا جَبَلَى نَعْمانَ باللّهِ خَلّيا نَسِيمَ الصَّبا يَخلُص إليَّ نسيمُها[٥]

وقول ميّة بنت عتيبة:

فأصاخ يَرْجُو أنْ يكون حَيّاً ويقولُ من فَرَحٍ: هَيا رَبّا[٦]

٤. «آ» و«آيْ»، وتستعملان في نداء البعيد، وهما في الأصل ممّا حكاه

١. ديوانه ص١١٣، المطول (تحقيق هنداوي) ص٦٩٩.
٢. أساليب الطلب، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.
٣. ديوانه، ج١، ص٢٣١؛ الجمل للزجاجي، ص١٦٨؛ مغني اللبيب، ج١، ص٧٦؛ همع الهوامع، ج١، ص١٧٢.
٤. المرتجل، ص١٩١.
٥. انظر: ديوانه، ص٢٥١؛ مغني اللبيب، ج١، ص٢٠؛ معجم شواهد العربية، ج١، ص٣٤٥.
٦. انظر: الخصائص، ج١، ص٢٩ و٢١٩؛ ومغني اللبيب، ج١، ص٢٠.

الكوفيّون عن العرب الذين وثقوا بعربيّتهم، وتوسّعوا في الأخذ عنهم، ولم يذكرهما سيبويه، وذكرهما غيره.

٥. «وا» أداة تستعمل في الندبة، والندبة نداء خاصّ؛ لأنّها نداء الهالك، لذلك فهي موضع يقتضي رفع الصوت ومدّه؛ لأنّها تفجّع على من مات وبعد عنهم، ولمّا كانوا يرفعون أصواتهم عندها ويمدّونها لإسماع جميع الحاضرين، فهم يستعملون فيها أدواتي المدّ و هما «وا» و«يا».

وقد لا يكتفون بما فيهما من المدّ، فيلحقون بآخر الاسم المندوب مدّاً آخر وهو الألف التي تلحقها الهاء في الوقف؛ مبالغةً في مدّ الصوت والترنّم به؛ لأنّ الهالك في غاية البعد[1].

وألاداة «وا» أكثر اختصاصاً بالندبة من «يا»؛ لأنّ المدّ الكائن في الواو والألف أي «وا» أكثر من المدّ الكائن في الياء والألف أي «يا».

٦. «يا» تستعمل في نداء البعيد؛ لإمكان امتداد الصوت ورفعه بها، وهي تستعمل في نداء البعيد حقيقةً أو حكماً؛ لأنّهم قد يستعملونها في نداء الإنسان الساهي أو الغافل أو النائم وإن كان قريباً منهم؛ تنزيلاً له منزلة من بعد؛ لأنّهم يرون أنّه لا يقبل عليهم إلّا بالاجتهاد في رفع الصوت ومدّه.

ويرى البعض الآخر أنّ استعمالها في نداء القريب، إنّما هو من المجاز الذي يراد به التأكيد.

وذكر الزمخشري أنّ استعمال «يا» في نداء القريب قد يفيد كذلك معنى الاستبعاد، و يقول:

فإن قلت: فما بال الداعي يقول في جؤاره أي تضرّعه إلى اللّه بالدعاء: «ياربّ» و «يا اللّه» وهو أقرب إليه من حبل الوريد، واسمَعُ بِهِ وأبصَرُ؟

قلتُ: هو استقصاء منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفى وما يُقرّبُهُ إلى رضوان اللّه ومنازل المقرّبين؛ هضماً لنفسه، وإقراراً عليها بالتفريط في جنب اللّه،

---

١. انظر: أساليب الطلب، ص٢٢٨ و ٢٢٩.

مع فرط التهالك على استجابةدعوته، والإذن لندائه وابتهاله.

والقرآن المجيد مع كثرة النداءفيه لم يأتِ فيه نداءبغير «يا» وهي أكثر حروف النداء استعمالاً، ولهذا لا يقدّر عند الحذف سواها، ولا ينادى اسم اللّه تعالى إلّا بها، وفي الاستغاثة لا يستغاث بغيرها.

وتتعيّن هي و «وا» في الندبة، فلا يندب بغيرها، إلّا أنّ «وا» في الندبة أكثر استعمالاً منها؛ لأنّ «يا» تستعمل للندبة إذا أمِنَ الالتباس بالنداء الحقيقي، كقول الشاعر:

حُمّلْتَ أمْراً عَظِيماً فاصْطَبَرْتَ لَهُ   وَقُمْتَ فيهِ بـأمْرِ اللّـهِ يـا عُـمَرا[1]

وقد يحذف هذا الحرف «يا» ويبقى معناه ماثلاً، كقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[2].

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾[3].

وأحياناًتكون «يا» للتنبيه وليست للنداء فيما إذا وليها: «ليت» أو «ربّ» أو «حبّذا».

وكذلك تكون للتنبيه إذا وليت «ألا» الاستفتاحية، كقول نصيب:

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجْت مـن نـجدٍ   فقد زادني مَسْراكِ وَجْـداً عـلى وَجْـدِ

«ألا» هنا للافتتاح، و«يا» للتنبيه، وقصد بها المبالغة في تأكيد التنبيه الذي يفهم من افتتاح الكلام.

وقد يُنَزّلُ البعيد منزلة القريب، فينادى بالهمزة و «أي» تنبيهاً على أنّه في القلب الحاضر، ولا يغيب عن الخاطر، كقول الشاعر:

أسُكّانَ نَعمانَ الأراك تـيقّنوا   بأنّكُمُ في رَبْعِ قلبىَ سُكّانُ[4]

---

١. الكامل في اللغة والادب (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم والسيد شحاته)، ج ٢، ص ٢٧٣.
٢. يوسف: ٢٩.
٣. الشعراء: ١٦٩.
٤. المطول (تحقيق عنايه) ص ٤٣٠، و(تحقيق هنداوي) ص ٤٣٠؛ جواهر البلاغة، ص ٦٥. «نعمان الأراك» اسم ←

وكقول أبي فراس وهو في الأسر ينادي سيف الدولة:

أسيفَالهـدى وقـريعَ العَـرَب إلامَ الجَــفاءُ وَفِـيمَ الغَـضَب

وقد ينزّل القريب منزلة البعيد، فينادى بغير الهـمزة و«أي» وذلك فـي المـوارد الآتية:

١. الإشعار بأنّ المنادى رفيع القدر، عظيم الشأن، فينزّل بعد المنزلةبعد المكان، نحو قوله تعالى: ﴿يآ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿يأَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ﴾[٢].

وكقول أحمد شوقي في قصيدته الهمزيّة مخاطباً الرسولﷺ:

يا أيّها الأُمّـي حسـبك رتـبة في العلم أن دانت لك العلماء

فهو مع قربه من نفسه وروحه ناداه بأداة البعيد، كما ترىٰ؛ إشارةً إلى بعد منزلته وسموّ قدره.

٢. الإشارة إلى أنّ المنادى وضيع المنزلة، منحطّ المكانة، فكأنّه بعيد عن ساحة الحضور، فينزّل هذا البعد النفسي منزلة البعد المكاني، كقوله تـعالى حكـاية عـن فرعون: ﴿إِنِّى لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾[٣].

وكقول جرير:

فَخلّ الفَخْرَ يا ابـن أبـي خُـلَيْدٍ وأدِّ خَـرَاجَ رَأْسِكَ كـلَّ عـامِ

فقد استعمل جرير في الهجاء أداة النداء الموضوعة للبعيد؛ مبالغة في تـحقيره، والنيل منه، فكأنّ بعده عن القلب كبعده عن المكان.

٣. إظهار الحرص في وقوعه على قلب المنادي؛ لأنّ النـفس اذا اشـتاقت إلى شيء تحسب الزمان والمكان قبل الوصول إليه، طويلاً وبعيداً، نحو قـوله تـعالى:

← مكان، و «الرابع» المنزل، يخاطب الشاعر سكّان هذا المكان بأنّه هائم شغوف بحبّهم، و أنّ مسكنهم في ضلوعه، و حنايا قلبه، و خلال جوانحه.

١. المائدة: ٦٧.

٢. مريم: ٤٤.

٣. الإسراء: ١٠١.

﴿يَامُوسَى أَقْبِلْ﴾[١].

٤. الدلالة على بلادة المخاطب وغفلته؛ وأنّه لا ينتبه إلّا باجتهاد وامتداد صوت، فكأنّه بعيد وغير حاضر، كأن تقول للغافل الذي تكاد تدهمه سيّارة: «احترس يـا رجل».

وكقول البارودي:

يا أيُّها السّادرُ المُـزْوَرُّ مـن صَـلَفٍ ... مَـهْلاً فـإنّك بـالايّام مُـنْخَدِعُ[٢]

وقول أبي العتاهية يعني نفسه:

أيـا مَـن يُـؤَمِّلُ طُـولَ الحـياةِ ... وطـولُ الحـياةِ عـليهِ خَـطَر

إذا مـاكـبِرْتَ وبـانَ الشـبابُ ... فَلا خَيْرَ في العَيْش بَعْدَ الكِبَر[٣]

□ المعاني البلاغية لصيغة النداء

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي ـ وهو طـلب الإقـبال ـ إلىمـعانٍ أُخرى مجازية، تفهم من السياق، وبمعونة القرائن، أشهرها:

١. الإغراء والتحذير: وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[٤].

وفي الإغراء كقولك للجندي المتردّد في الدفاع: «يا شجاع، تقدّم».

ولمن أقبل يتظلّم «يا مظلوم» وذلك إذا أردت ترغيب المخاطب فـي شكـوى الظلم، وحثّه على زيادة التظلّم وبثّ الشكوى.

ولمن تريد بها إغراء المخاطب على الفعل الطيّب، والبعد عـن العـمل السـيء: «يانزيه، تعفّف عن الصغائر».

ومن الإغراء في الشعر قول المتنبّي يخاطب سيف الدولة:

---

١. القصص: ٣١.

٢. «السادر» الذاهب عن الشيء ترفّعاً عنه، و الذي لا يبالي و لا يهتمّ بما صنع «المزوّر» المـنحرف، و «الصـلف» الكبر.

٣. جواهر البلاغة: ص٦٧.

٤. الشمس: ١٣.

يـا أعـدلَ النـاس إلّا فـي مـعاملتي فيك الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحَكَـمُ
أعــيذُها نـظـراتٍ مِــنْكَ صــادقةً أن تحسب الشَحْمَ فيمن شَحمُهُ وَرَمُ[١]

٢. الندبة: وهي نداء الهالك، أو هو منادى على وجه التفجّع، كقول الشاعر:

فوا كَبَدي مِمّا أُلاقـي مِـنَ الهَـوى إذا حَــنَّ إلْــفٌ أو تَــألَّقَ بــارِقُ

فهو يندب نفسه ويتوجّع على كبده لما يلاقيه من العشق والهيام.

ومن المندوب المتوجّع منه قول المتنبّي:

واحَــرَّ قَـلْباهُ مِـمَّنْ قَـلْبُهُ شَـبِمُ ومَنْ بجسمي وحالي عِنْدَهُ سَقَمُ[٢]

ولمّا كان المندوب منادى على سبيل التفجّع، كانت الندبة من مواضع مدّ الصوت إعلاماً للسامعين بالفجيعة أو المصيبة، ولذلك عاملوا المندوب معاملة البعيد.

٣. الاستغاثة: وهي في أصل اللغة بمعنى طلب الإغاثة، وفي اصطلاح النحاة هو منادى دخله معنى الاستغاثة[٣]، أو هو كلّ اسم نوديَ ليخُلّصَ من شدّة، أو يعين على دفع مشقّة[٤]، نحو قول الإمام عليّ عليه السلام: «فياَللّه ولِلشورى»[٥].

أي أنت الناصر المعين والمغيث أستغيث بك لما أصابني منها، أو لنوائب الدهر عامّة، والشورى خاصّة، فهناك في الاستغاثة مستغاث به، ومستغاث من أجله، فإنّه نادى اللّه على جهة الاستغاثة، ودعاه لنصرته.

وتدخل الاستغاثة لام تسمّى «لام الاستغاثة» تدخل مع المستغاث به، وتكون مفتوحة، وتدخل مع المستغاث من أجله، وتكون مكسورة، فـفي قـوله «فـياَللّه» ـ بفتح اللام ـ عُلِمَ أنّه مستغاث به، و«لِلشورى» ـ بكسر اللام ـ علم أنّه مسـتغاث من أجله.

وقول الشاعر:

---

١. جواهر البلاغة، ص٦٧؛ البلاغة والتطبيق، ص٦٧.
٢. البلاغة والتطبيق، ص١٤١.
٣. شرح الكافية، ج٢، ص١٣١.
٤. شرح قطر الندى، ص٢١٨.
٥. نهج البلاغة، الخطبة: ٣ ـ ٨.

يااللرجالِ ذوي الألبــابِ مِــنْ نَـفَرٍ لا يَبْرَحُ السَفَهُ المُرْدِي لَـهُم دِيـنا[١]
ونحو: «ياللّه للمسلمين» «وياللعرب لفلسطين».

٤. التعجّب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين، وقد يستعمل النـداء فـي مـعنى التعجّب، فتدخل المنادى المتعجّب مـنه لام مـفتوحة أيـضاً، كـقولهم: «يـالَلْماء» و«يالَلْدَواهي» إذا تعجّبوا من كثرتها.

وأجازوا في هذه «اللام» أن تكون مكسورة عندما تريد أن تنبّه الآخرين للأمر الذي تعجّبت منه، كقولك: «يا لِلْعجب» والأصحّ أنّها مستعملة لمجرّد التـنبيه، ولا منادى هناك؛ لأنّه لم يقصد فيها نداء، وإنّما أرادوا التنبيه إلى معنى التعجّب.

ومن استعمال النداء في معنى التعجّب قولهم في المدح: «يالَكَ فارساً» و«يالَكَ من فارسٍ» وقولهم في الذمّ: «يالَكَ جاهلاً» و«يالَكَ من جاهلٍ».

ومن استعمال النداء في معنى التعجّب قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾[٢].

لأنّ الحسرة لا تنادىٰ، وإنّما تنادى الأشخاص؛ لأنّ فائدته التنبيه، ولكن المعنى على التعجّب، والسرّ في عدم الحمل على الحقيقة هو اقتضاء المقام له.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[٣].

يقول القرطبي في تفسير الآية: لم تُرِد الدعاء على نفسها بالويل، ولكنّها كلمة تخفُّ على أفواه النساء إذا طرأ عليهنّ ما يعجبن منه، وعجبت من ولادتها وكـون بعلها شيخاً؛ لخروجه عن العادة، وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر[٤].

٥. التحسّر والتوجع: كقوله تعالى: ﴿ويقولُ الكافِرُ يَالَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابَـا﴾[٥]. وقـوله تعالىٰ: ﴿ياحَسْرةً على العبادِ﴾[٦،٧].

---

١. جواهر البلاغة ص٦٦، البلاغة والتطبيق ص١٢٥.

٢. يس: ٣٠.

٣. هود: ٧٢.

٤. الجامع لأحكام القرآن، ص٤؛ انظر: الإتقان للسيوطي.

٥. النبأ: ٤٠.

٦. يس: ٣٠.

٧. و ذهب ابن فارس إلى أنّ النداء في هذه الآية يفيد معنى التهلّف و التأسّف (الصاحبي، ص١٧٨)، و قيل المعنى على التعجب كقوله: «يا عجبا لِمَ فعلت؟» (البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٣٥٣).

وقول ابن الرومي:

يـا شـبابي وأيـن مِـنّي شَـبابي ... آذَنَـتْني حِـبَالُهُ بـانْقِضَابِ
لَهْفَ نَفْسِي عـلى نـعيمي وَلَـهْوِي ... تـحتَ أفـنانه اللّدانِ الرطـابِ[١]

فليس المراد حقيقة النداء كما هو الظاهر؛ إذ ليست هذه الأشياء ممّا تنادى ويطلب إقبالها، وإنّما الغرض التحسّر والتفجّع؛ لفقدان الأعمال الصالحة، كما في الآية الكريمة، وفقدان الشباب، وذهاب أيّامه، وما كان فيه من نعيم وحول وطول، كما في أبيات الشاعر.

٦. الزجر والملامة: كقول الشاعر:

أفـؤادي مـتى المـتابُ ألمّـا ... تَصْحُ والشّيبُ فوقَ رأسي ألمّا[٢]

يزجر الشاعر نفسه، ويلومها على تماديها في غيّها وضلالها، وقد وخطه الشيب، وهو نذير الفناء، أي فكان ينبغي أن يرعوي عن غيّه، ولا يتمادى في ضلاله.

ومثله قول الشاعر:

يا قَلْبُ وَيْحَكَ مـا سـمِعْتَ لنـاصِحٍ ... لَـمَّا ارعـويت ولا اتّـقيتَ مَـلاما

فهو لا يريد أن ينادي قلبه؛ لأنّه معه، وإنّما الغرض من النداء الزجر بدليل «ويحك ما سمعت لناصح».

وقول شاعر معاصر:

قل لهذا الغـرب: يـاغربُ ألامـا ... تعشق الجورَ وتهوي الانـقساما؟
كم بزيف القـول أشـقيت الورىٰ ... وبمحض الكـيد آذيت السـلاما!
قـد هـبطت الشـرق داء مُـعضلا ... لم يفت شيخاً ولم يرحم غـلاما!
كـلّما طـفت بـوادٍ آمِـنٍ ... طار عنه الأمـنُ والخـوفُ أقـاما

٧. الاختصاص: هو في الأصل: قصر الشيء على الشيء. وفي الاصطلاح: تخصيص حكم علّق بضمير باسم ظاهر، صورته صورة المنادى، أو المعرّف بـ«أل»

---

١. الانقضاب: الانقطاع، و أفنانه اللدان الرطاب: أغصانه اللينة المخضلّة. البلاغة والتطبيق، ص١٤٢.

٢. جواهر البلاغة، ص٦٥.

أو بالإضافة، أو بالعلمية.

فكونه على صورة المنادى الدالّ على التخصيص، كقولك في معرض التفاخر: «أناأكرِمُالضيفَ أيهّا الرجل» أي أنا أختصّ من بين الرجال بإكرام الضيف.

أو التصاغر، كقولك: «أنا المسكين أيّها الرجل».

ومثال المعرّف بـ «أل» قولك: «نحن العربَ أسخى من بذل».

ومثال المعرّف بالإضافة: «نحن المسلمين ننشد الحرّيّة، ونابى الضيم».

ومثال المعرّف بالعلمية ـ وهو نادر الوقوع ـ قول الراجز العربي:

بنا تَميم يكشف الضباب.

فليس الغرض من النداء في هذه الامثلة طلب حقيقة الإقبال؛ إذ ليس المراد بالاسم الظاهرفيها المخاطب،وإنّما المراد المتكلّم نفسه،والمتكلّم لايطلب إقبال نفسه، ومن أجل هذا حمل على معنى الاختصاص بمعونة القرائن.

والغرض من الاختصاص إمّا الافتخار، نحو: «نحن العربَ أقرى الناسللضيف».

أو التواضع، نحو: «أنا ـ أيّها المسكين ـ أطلب المعروف».

أومجرّد تأكيد مدلول الضمير، نحو:«أنا ـ أيّها الزجل ـ أتكلّم فيما يتعلّق بمصالحي».

٨. التنبيه: كقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[١].

و ﴿ألا﴾ استفتاحيّة للتنبيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَالَيْتَني مِتُّ قَبْلَ هَذاَ﴾[٣].

وكقول الشاعر:

يا شاعراً لا شاعر اليوم مثله   جرير ولكن في كليب تواضع

---

١. النمل: ٢٥.

٢. انظر: الكشاف، ج٣، ص٣٦١.

٣. مريم: ٢٣.

٩. الاستهزاء: كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[١].

هذا النداء كان منهم على وجه الاستهزاء، وذلك لأنّهم أقرّوا بنزول الذكر عليه، و نسبوه إلى الجنون، و التعكيس في كلامهم للاستهزاء، و التهكّم مذهب واسع[٢].

١٠. التشهير بالشيء: كقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّها النَّاسُ عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىءٍ إِنَّ هَذَا لَهُو الْفَضَلُ الْمُبِينُ﴾[٣].

وقوله ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ تشهير لنعمة اللّه، وتنويه بها، واعتراف بمكانها، ودعاءٌ للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير، وغير ذلك ممّا أُوتيه من عظام الأمور[٤].

١١. التكريم والتنويه بمنزل ما يراد ابلاغه: نحو قوله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا النَّبِىُّ اتَّقِ اللّهِ﴾[٥].

جعل نداءه بـ﴿النَّبىّ﴾ و ﴿الرَّسُول﴾ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وترك نداءه باسمه، كما قال: ﴿يَا آدمُ﴾ ﴿يَا مُوسَى﴾ ﴿يَا عِيسَى﴾ ﴿يَـا دَاوُدُ﴾ كرامةً له، وتشريفاً ورباً بمحلّه، وتنويهاً بفضله.

وكذلك أوقع اسمه في الإخبار، ولم يوقع اسمه في النداء في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه﴾ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ وذلك لتعليم الناس بأنّه رسولُ اللّه، وتلقينهم أن يسمّوه بذلك، ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار. ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار، كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسَكُمْ﴾ و ﴿إِنَّ اللّهَ وَمَلآئِكَتَهُ يُصَلُّوَن عَلَى النَّبِىِّ﴾[٦]!!

---

١. الحجر: ٦.
٢. انظر: الكشاف، ج ٢، ص ٣٨٧.
٣. النمل: ١٦.
٤. ن.م ٣: ٣٥٣.
٥. الأحزاب: ١.
٦. انظر: شروح التلخيص، ج ٤، ص ٣٣٤ و ٣٣٥.

١٢. التحيّر والتذّكر: وقد كثر ذلك في نداء الأطلال والمنازل والمطايا، كـقول الشاعر:

أيا منازِلَ سلمى أينَ سَـلْماكِ　　　من أجلِ هذا بكيناها بكيناكِ[١]

يريد أنّه بكى على سلمى، وبكى على المنازل؛ لعدم وجود سلمى بها.

ونحو قول الشاعر:

ياليلُ قد طُلْتَ فهل بـات السـحر　　　أم اسـتحالت شـمسُهُ إلى القـمر؟!

١٣. التهديد: إذا استعمل النداء في مـعنى التـهديد تـدخل لام مـفتوحة عـلى المنادى المهدّد، كقول المهلهل بن ربيعة:

يـالَبَكْرٍ أَنْشِـروا لي كُـلَيْبا　　　يالَبَكْرٍ أينَ أينَ الفِـرارُ؟!؟[٢]

فاستغاث بهم لينصروا له كليباً، وهذا منه وعيد وتهدّد، وأمّا قوله: «يالبكر أين أين الفرار؟!» فإنّما استغاث بهم لهم؛ أي لم تفرّون؟! استطالةً عليهم ووعيداً.

١٤. المدح: مثل:

أيا قمراً تـبسّم عـن اقـاح　　　ويا غصناً يميل مع الرياح

١٥. الندم والجزع: نحو قوله تعالى: ﴿ياليْتَنى لم أُشْرِكْ بِرَبّي أحداً﴾[٣]. حكاية لما يقوله الكافر يوم القيامة ندماً وجزعاً ممّا دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها.

والملاحظ في الأمثلة الواردةأنّ الأداة لم تتغيّر، وإنّما تغيّر الوجه البلاغي بحسب الجملة التي دخلت عليها، وبحسب تركيب هذه الجملة، ولا يمكن أن نأخذ برأي البلاغيين القائلين بأنّ هذه الأدوات تختلف في معانيها.

ويمكن أن يقال: إنّ ظلال معنىٰ الجملة وإيحاءها تـضفي عـلى الأداة شـفّافية مستمدّة من هذا المعنىٰ، فتتلوّن الأداة، وتظهر الوجه البلاغي من دعـاء، وإغـراء، وزجر، واستغاثة، وما سوى ذلك[٤].

---

١. جواهر البلاغة، ص٦٦ وص٦٨.
٢. خزانة الأدب، ج٢، ص١٦٢؛ شرح أبيات سيبويه، ج١، ص٤٦٦.
٣. الكهف: ٤٢.
٤. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، (علم المعاني)، ص٢١٧.

□ أساليب النداء

يصحب النداء في الأكثر الأمر والنهي، والغالب تقدّمه، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُم﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ﴾[٣].

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَتُقَدِّمُوا﴾[٥].

وقد يتأخّر، نحو قوله تعالى: ﴿وَتُوبُواْ إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٦].

وقد يصحب الجملة الخبريّة فتعقبها جملة الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ﴾[٧].

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَروهَا﴾[٨].

وقد لا تعقبها، نحو قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾[٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللَّهِ﴾[١٠].

﴿يَا أَبَتِ هَذا تَأْوِيلُ رُءْيٰى﴾[١١].

وقد تصحبه الاستفهاميّة، نحو قوله تعالى: ﴿يَآ أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ

---

١. البقرة: ٢١.

٢. الزمر: ١٦.

٣. المزمل: ٢ ـ ١.

٤. هود: ٥٢.

٥. الحجرات: ١.

٦. النور: ٣١.

٧. الحج: ٧٣.

٨. هود: ٦٤.

٩. الزخرف: ٦٨.

١٠. فاطر: ١٥.

١١. يوسف: ١٠٠.

وَلاَ يُبْصِرُ﴾[١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[٢].

﴿وَيَا قَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ﴾[٣،٤].

وكذلك كثر النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا﴾ في القرآن دون غيره؛ لأنّ فيه أوجهاً من التأكيد، وأسباباً من المبالغة، ويرى الزمخشري أنّ التأكيد في ﴿يَا أَيُّهَا﴾ مستفاد من معاضدة «ها» التنبيه أداة النداء بتأكيد معناها، ومن التدرّج من الإبهام في «أيّ» إلى التوضيح في صفته[٥]، لأنّ كلّ ما نادى اللّه له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجـره، وأمور عظام، وخطوب جسام، ومـعانٍ عـليهم أن يـتيقّظوا لهـا، ويـميلوا بـقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

---

١. مريم: ٤٢.

٢. التحريم: ١.

٣. غافر: ٤١.

٤. انظر: الإتقان، ج٣، ص ٢٨٠ و ٢٨١.

٥. انظر: الكشاف، ج١، ص٨٨ و ٨٩.

الباب الثاني

أُسلوب القصر

أسلوب القصر

القصر لغة و اصطلاحاً

القَصْرُ في اللّغة: الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1].

أي مخدّرات محبوسات في بيوتها، ولا يطفن في الطرقات.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾[2].

أي يقصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ، ولا ينظرن إلى رجالٍ غيرهم.

أراد القرآن بذلك أنْ يصف نساء الجنّة بصفة، وينفي عنهنّ صفة أُخرى، ولهذا قال بعضهم: القصر في اللّغة: هو عدم المجاوزة إلى الغير، فهو من قصر الشيء على كذا، إذا لم يتجاوز إلى غيره، لا من «قصرت الشيء: حبسته» بدليل التعبير بـ «على»[3].

وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والشيء الأوّل هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه.

فإن أُريد الشيء الأوّل به الموصوف، كان المراد بالشيء الثاني الصفة، وبالعكس؛ وذلك لأنّ التخصيص يتضمّن مطلق النسبة المستلزمة لمنسوب ومنسوب إليه، فإن كان المخصّص منسوباً فهو الصفة، وإنْ كان منسوباً إليه فهو الموصوف.

والمراد من النسبة أعمّ من النسبة الإسناديّة أعني ثبوت شيء لشيء، والتعلقية أعني تعلّق شيء بشيء على نحو من أنحاء التعلّق، ففي «ما ضرب زيد إلّا عمراً»

---

١. الرحمن: ٧٢.

٢. الرحمن: ٥٦.

٣. حاشية الدسوقي على التلخيص، ص١٦٦.

قصر لوقوع ضرب زيد ـ أعني المضروبيّة ـ على عمر، وما قيل: إنّه من قصر الفاعل على المفعول، فمن التجوّز.

والمراد قصر نسبة ضاربيّة زيد من حيث الوقوع على عمرو، فيكون من قـصر الصفة على الموصوف، والمراد المنسوب والمنسوب إليه في المعنى، لا في اللفظ.

والقصر فنّ دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائـد، غـزير الأسرار، يستعمله الأديب ليأتي أُسلوبه مصوّراً قويّاً يوحي إلى القارئ بمعانٍ شتّى، فقول الأديب لمخاطب: «إنّما هو أخوك» و«إنّما هو صاحبك القديم» قول لا يقال لمن يجهل ذلك، ويدفع صحّته، ولكن لمن يعلمه ويعترف به، والأديب يريد أن ينبّه مخاطبه بالذي يجب عليه من حقّ.

وتارة تجد الأديب يرغب في تأكيد كلامه تأكيداً حاسماً؛ ليقطع شكّ المخاطب، فيستعمل أُسلوب القصر، فيقول: «ما هو إلّا مصيب» و«ما هو إلّا مخطئ» مؤكّـداً و مقرّراً الإصابة أو الخطأ[١].

وتظهر البراعة في بعض الأساليب حين يقدّم المسند على المسند إليه، فـيقصر المسند على المسند إليه، فيقال مثلاً: «الظالم أنت» بدلَ «أنت ظالم» فتعريف المسند بـ «ال» ـ التي أفادت الحصر ـ وتقديمُه زيادة في التأكيد.

والتخصيص والحصر والتأكيد بتقديم الفضلة على العمدة، نحو قوله تعالى: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾[٢].

لكن ليس كلّ تقديم يفيد الحصر والتوكيد، فتقديم الكلمة التي لها حقّ التقديم أصلاً لا يتضمّن معنى الحصر والتأكيد. فالتأكيد يكون بتقديم ما حـقّه أن يـتأخّر، كتقديم الخبر على المبتدأ، أو الفاعل على الفعل، والفضلة على العمدة، نحو قـوله تعالى: ﴿بَلِ اللّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٣].

---

١. انظر: من بلاغة النظم العربي (د.عبدالعزيز عرفة)، ج٢، ص٨ و٩.
٢. أساليب التاكيد، (الياس ديب)، ص٦٧.
٣. الزمر: ٦٦.

ونحو قولنا: «ظافراً عاد الجيش»[١].

فتقديم المفعول به الذي هو لفظ الجلالة في الآية الكريمة أفاد التأكيد، وحصر العبادة باللّه وحده، وتقديم الحال على الفعل والفاعل في الجملة الأُولى أفاد الحصر والتأكيد أيضاً.

وفي أُسلوب القصر لون من الإيجاز، والإيجاز هو أحد دعائم البلاغة، ووسيلة لتكثيف الدلالة، وذلك أنّ جملة القصر تقوم مقام جملتين.

بيان ذلك أنّ المعهود في الجملة أن تفيد حكماً واحداً يراد به الإيجاب أو السلب، فإذا قلنا:«انتصر الجيش الإسلامي في حرب العاشر من رمضان» أفادت هذه الجملة حكماً إيجابيّاً وهو ثبوت النصر للجيش الإسلامي.

أمّا إذا قلنا: «لم ينتصر الجيش الصهيوني في حرب العاشر من رمضان» أفادت هذه الجملة حكماً وهو نفي النصر عن الجيش الصهيوني.

وترى الأديب يؤدّي الحكمين المختلفين إيجاباً وسلباً في جملة واحدة، فيقول: «ما انتصر في حرب العاشر من رمضان إلّا الجيش الإسلامي» فقد أفادت هذه الجملة معنى الجملتين السابقتين وهو إثبات النصر للجيش الإسلامي، ونفيه عن الجيش الصهيوني، وواضح أنّ جملة واحدة أوجز من جملتين... إلى غير ذلك من الأغراض التي يرمي إليها الأديب من إيراد أُسلوب القصر في قوله الفنّي الجميل[٢].

ويشبّه الشيخ رضيّ الدين الاسترأبادي «أل» التعريف الداخلة على الخبر بأداة الحصر «إلّا» قال:

كان حقّ الخبر الذي بعد الفصل أن يكون مُعَرّفاً باللام؛ لأنّه إذا كان كذا أفاد الحصر المفيد للتأكيد، فناسب ذلك تأكيد المبتدأ بالفصل، فالمبتدأ المخبر عنه بذي اللام إن كان مُعرّفاً بلام الجنس فهو مقصور على الخبر، كقوله ﷺ: «الكرم التقوى» و«المال الحسب» و«الدينُ النصيحة».

---

١. أساليب التأكيد، (الياس ديب)، ص٦٩.

٢. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٩ و١٠.

أي لا كرم إلّا التقوى، ولا حسَبَ إلّا المال، ولا دينَ إلّا النصيحة»؛ لأنّ المعنى كلّ الكلام التقوى.

وإن لم يكن في المبتدأ لام الجنس، فالخبر المعرّف باللام مقصور على المبتدأ، سواءٌ كان اللام في الخبر للجنس، نحو: ﴿أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١].

أي لا عزيز إلّا أنت، فهو للمبالغة، كقولك: «أنت الرجل كلّ الرجل»[٢].

وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى وتصوير الحدّ الأقصى، كقول الشاعر:

وما المرءُ إلّا الأصغرانِ لسانُهُ ومعقولُهُ والجسمُ خَلْقٌ مصوّرُ

وقد ينحو فيه الأديب مناحي شتّى، كأنْ يتّجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة، كقول الشاعر:

ما الدنيا سوى حلمٍ لذيذٍ تنبهُهُ تباشيرَ الصباحِ

وقد يكون من مرامي القصر «التعريض»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾؛ إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنّه تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل لهم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْه تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

فقد قدّم المفعول في قوله: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا﴾ وأخرّه في قوله: ﴿آمَنّا بِهِ﴾ لوقوع ﴿آمَنَّا﴾ للتعريض بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم، كأنّه قيل: «آمنّا ولم نكفر كما كفرتم».

ثمّ قال: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ خصوصاً لم نتوكّل على ما أنتم متوكّلون عليه من رجالكم وأموالكم.

ويفيد الحصر مزيداً من «الذمّ والتوبيخ»، كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ

---

١. البقرة: ١٢٩.
٢. شرح الكافية في النحو، ج٢، ص٤٥٨.
٣. الملك: ٢٩.

﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[١] تقديم المفعول الثاني ـ والأصل: «اتّخذ الهوى إلهاً» ـ ليجسّد مدى اهتمامه وعنايته بهواه؛ لأنّه هو المحور الذي يدور عليه التعجّب والذي استهلّ الآية بالاستفهام التعجّبي، إضافة إلى معنى الحصر؛ أي أرايت من لم يتّخذ معبوده إلّا هواه، فإنّ الكلام قبل دخول ﴿أَرَأَيْتَ﴾ مبتدأ وخبر، المبتدأ ﴿هَوَاهُ﴾ والخبر ﴿إِلَهَهُ﴾ وتقديم الخبر أفاد الحصر، فهو أبلغ في ذمّه وتوبيخه، وإضفاء حالة اليأس منه بدليل إردافه بالاستفهام الإنكاري للتيئيس من إيمانه، ويكون الغاية من القصر تمكين الكلام وتقريره في الذهن، كقول الشاعر:

وما المرء إلّا كالهلالِ وضَوْئِهِ يوافي تمامَ الشَهْرِ ثـم يَـغِيبُ

ونحو قول الشاعر:

وما لا مرئ طـول الخـلود وإنّـما يـخلّده طـول الثـناء فـيخلد[٢]

وكذلك يفيد الحصر «التهوين وإصغار الشاذّ»، كقول الرسولﷺ عندما جرحت إصبعه: «إن أنت إلّا إصبع دميت، وفي سبيل اللّه ما لقيت».

وثمّة أغراض بلاغيّة أُخرى للقصر، «كالمدح»، كما في قول الشاعر:

ما لَنا في مـديحهِ غـير نـظمٍ للَمساعي التي سَعَاها وَوصْفِ

و«الاستعطاف»، كما في قول أبي الطيّب المتنبّي:

إنّـما أنْتَ والِـدُ والأبُ القـا طِعُ أَحْنىٰ مِنْ واصِلِ الأولادِ[٣]

«والحكمة»، كقول الشاعر:

ليس عارٌ بـأن يُـقالَ: فـقيرٌ إنّما العار أن يـقال: بـخيلُ[٤]

كما يستعان بهذا الأسلوب في تحديد المعاني تحديداً كاملاً وخاصّة في المسائل العلميّة وما هو قريب منها.

---

١. الفرقان: ٤٣.
٢. الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص٢٤١.
٣. ديوانه، ج٢، ص٢٢٦؛ الايضاح، ص١٢٩؛ الاشارات والتنبيهات، ص٨٢؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٥٩.
٤. علوم البلاغة (المراغي)، ص١٤٧؛ الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص٢٣٤.

مواضع القصر في الجملة

● **موقع القصر في الجملة ما يلي:**

١. بين كلّ مسند ومسند إليه، سواء أكان مبتدأ وخبراً، أم فعلاً وفاعلاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[١].

الضمير هنا لجهنّم وهو مبتدأ، و ﴿ذِكْرَىٰ﴾ خبره؛ أي ليست إلّا ذكرى وموعظة يعتبر بها البشر حتّىٰ يسلكوا الطريق الأمثل في الدين والدنيا وهو من قصر المبتدأ على الخبر.

كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[٢] أي ما الحياة الدنيا إلّا زائلة فانية لاقرار لها، كاللعب واللهو.

ونحو قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٣] أي مقصور عليكم، وديني مقصور عليّ.

ومن قصر الخبر على المبتدأ قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[٤].

أي ليس على الرسول إلّا أداء الرسالة وتبليغ الشريعة، لاغيره من الحساب والثواب والعقاب والهداية، وقد بلّغ ما وجب عليه، فلا عذر لأحد في التفريط، وقدجرى هذا الكلام مجرى المثل، فالصفة المقصورة هنا هي الكائنة: ﴿عَلَىٰ الرَّسُولِ﴾ وعلى ﴿الْبَلاَغ﴾ موصوف.

ومن قصر الفعل على الفاعل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[٥] حيث قصّر علم عدد الجنود وحالهم باللّه دون غيره.

---

١. المدثر: ٣١.
٢. محمّد: ٣٦.
٣. الكافرون: ٦.
٤. المائدة: ٩٨ـ٩٩.
٥. المدّثّر: ٣١.

٢. بين جميع متعلّقات الفعل ما عدا المصدر المؤكّد والمفعول معه، فيجري القصر مع هذه المتعلّقات:

أ) بين الفاعل والمفعول: كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾[١].

فقد كان المشركون ينكرون أنّ الرسول من البشر، فأكّد لهم القرآن أنّ الرسل جميعاً بما فيهم محمّد ﷺ لايكون إلّا من الرجال، فقصر الرسالة على الرجال بحيث لايتعدّاها إلى غيرها من الملائكة؛ لأنّهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لأَنْزَلَ مَلآئِكَةً﴾[٢]، أو يتجاوزها إلى غيرها من النساء.

وعن ابن عبّاس أنّ المراد بالآية أن ليست فيهم امرأة، وقد قصر في هذه الآية الفاعل على المفعول فهو من قصر الصفة على الموصوف.

ومن قصر المفعول على الفاعل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمآءُ﴾[٣].

فالمراد منه أنّ الخشية مقصورة على العلماء، ولو قدّم العلماء لصار المعنى على الضدّ ممّا هو عليه، فتكون الخشية من العلماء وغير العلماء، ويكون الغرض بيان المخشيّ وهو اللّه، وهذا المعنى لم تهدف إليه الآية الكريمة، وإنّما سببه اختلاف النظم بالتقديم والتأخير الذي نتج عنه اختلاف المعنى، فالذي أوجب التقديم والتأخير والمحافظة على كنه البلاغة، ما في هذا النظم من الترتيب على الصورة التي بدت فيها الآية الكريمة.

ب) بين المفعولين: كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلآئِكَةً﴾[٤].

أي ما جعلناهم رجالاً من جنسكم لا يطيقون، وهو قصر المفعول الأوّل على المفعول الثاني.

أمّا قصر المفعول الثاني على الأوّل، فمثل: «ما أعطيت كتاباً إلّا محمّداً».

---

١. يوسف: ١٠٩.
٢. فصلت: ١٤.
٣. فاطر: ٢٨.
٤. المدّثر: ٣١.

ج) *بين سائر المتعلّقات*: كالحال، والتمييز، والظرف، والجارّ والمجرور، والصفة، والبدل، والمفعول له.

ففي الحال وصاحبها مثل: «ما جاء راكضاً إلّا محمّد» في قـصر الحـال عـلى صاحبها.

أمّا قصر صاحب الحال عليها، فمثل: «ما جاء محمّد إلّا راكضاً».

وقصر الفاعل على التمييز نحو: «ما طاب محمّد إلّا نفساً».

وقصر الفاعل على الظرف نحو: «ما سافر عليّ إلّا يوم الخميس».

وقصر الفاعل على الجارّ والمجرور، مثل: «ما عنيت إلّا بأمرك».

وقصر الفاعل على المفعول لأجله، نحو: «زرتك محبّةً، لا لشيء آخر».

وقصر الفاعل على المفعول المطلق المبيّن للنوع، مثل: «ما قاتل العرب إلّا قتال الأبطال».

وفي قصر الفاعل على المفعول المطلق المبيّن للعدد، نحو: «ما زرت المسـجد الحرام إلّا مرّتين».

ومثل ذلك كلّ متعلّقات الفعل، فإنّ القصر يجري فيهاما عدا إثنين:

الأوّل: المصدر المؤكّد، فلا يقع القصر بينه وبين الفعل، ولذلك لا يجوز أن نقول: «ما ضربت إلّا ضرباً». وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾[١]، فتقديره: ظنّاً ضعيفاً، فهو مصدر نوعي.

الثاني: المفعول معه، فإنّه لا يجيء بعد «إلّا»، ولذلك لا يـقال: «مـا سـرت إلّا والحائط».

أقسام أُسلوب القصر

ينقسم القصر باعتبارات مختلفة إلى أقسام:

---

١. الجاثية: ٣٢.

● **القسم الأوّل: تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلّم كما يأتي:**

□ **أما الأول: القصر الحقيقي:**

وهو ما اختصّ فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ولا يتعدّاه إلى غيره أصلاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١].

ففي الآية ثلاث جمل للقصر:

الجملة الأُولى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

الجملة الثانية: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

الجملة الثالثة: ﴿وَإِلَيْه أُنِيبُ﴾.

القصر هنا جميعه ـ قصر صفة على موصوف ـ حقيقي؛ لأنّ الغرض تخصيص قصرالتوفيق على لفظ الجلالة، وقصر التوكّل والإنابة على اللّه وإليه، ويسمّى «قصراً حقيقيّاً»؛ لأنّ كلّ قصر من الجمل الثلاث اختصّ فيه المقصور بالمقصور عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقة والواقع بأن لا يتعدّاه إلى غيره أصلاً.

وطرق القصر في هذه الآية هي النفي والاستثناء في الأُسلوب الأوّل، وتقديم ما حقّه التأخير (الجارّ والمجرور) في الأُسلوبين الآخرين.

والمعنى أنّه استوفق ربّه في إمضاء الأمر على سننه، وطلب منه التأييد والإظهار على عدّوه، وفي ضمنه تهديد للكفّار، وحسم لأطماعهم فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٢].

شبّه الغيب بالخزائن المستوثق بالاقفال، وأثبت للخزائن المفاتح التي يتوصّل إلى ما في الخزائن من المغيبات على سبيل الاستعارة المكنّية ولمّا كانت تلك المفاتح لا يتملكا إلّا هو كان التوصّل إلى ما في الخزائن من المغيبات هو وحده لا يتوصل إليها غيره. ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُهَا إلّا هُوَ﴾ أنّه لا علم لأحد من خلقه بشيء من

---

١. هود: ٨٨.

٢. الأنعام: ٥٩.

الأُمور الغيبيّة التي استأثر اللّه بعلمها، فقد قصر علم مفاتح الغيب على اللّه سبحانه وتعالى قصراً حقيقياً بمعنى أنّ الصفة (علم مفاتح الغيب) لا يتّصف بها أحد على الإطلاق إلّا هو سبحانه. فمن شاء طلاعه عليها اطلعه، كما اطلع رسله و أولياؤه، و من شاء حَجْبَها عنه حَجَبَها.

وقال ابن الرومي:

وما قلتُ إلّا الحقَّ فيكَ ولم تَزلْ على منْهَجٍ من سُنّةِ المجدِ لاحِبِ

القصر في هذا المثال ـ وهو «ما قلت إلّا الحقّ» ـ هو قصر صفة على موصوف، وإذا تدبّرنا الصفة فيه وجدنا أنّها لا تتعدّى موصوفها إلى غيره أصلاً، فالقول صفة لا تتجاوز موصوفها (الحقّ) إلى غيره من سائر الموصوفات.

نلاحظ أنّ القصر الحقيقي ـ كما في الأمثلة ـ كان قصر صفة على موصوف.

□ **وأما الثاني: القصر الإضافي:**

وهو ما اختصّ فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة إلى شيء معيّن بحيث لا يتعدّاه إلى ذلك الشيء، ويصحّ أن يتعدّاه إلى شيء آخر.

أو هو ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معيّن، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[1].

أي وما أنت إلّا رسول منذر ليس عليك إلّا الإنذار والتبليغ، والهدى والضلالة بيد اللّه، فالآية قصّرت الرسولﷺ على صفة الإنذار دون أن يملك تحويل القلوب المشركة عمّا عليه من العناد والمكابرة.

وفي قول اللّه تعالىٰ على لسان المشركين: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[2]، قصر إضافي؛ لأنّ الضلال يكون من المجرمين، وهم الرؤساء والكبراء الذين زيّن لهم الكفر والمعاصي كما يكون من غيرهم، فالضلال ليس في حقيقته خاصّاً

---

١. فاطر: ٢٢ ـ ٢٣.
٢. الشعراء: ٩٩.

بالمجرمين، وإنّما أثبت الضلال للمجرمين بـالإضافة إلى غـيرهم مـن الشـياطين، وليس بالإضافة مثلاً إلى هوىً في النفس، أو انحراف في الفكر، أو زيغ في العقيدة، أو ميل عن الحقّ ونزوع إلى الباطل.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[1].

فـ ﴿عَلَيْكَ﴾ مقصور على البلاغ، و ﴿وَعَلَيْنَا﴾ مقصور على الحساب، ولهذا قدّم الخبر، وهذا الحصر مستفاد من ﴿إنّما﴾ لا من التقديم، وإلّا لانعكس المعنى.

وقال النبيﷺ: «إنّما العِلْمُ بالتّعَلُّم، وإنّما الحِلْمُ بالتَّحلُّم، وَمَنْ يتحرّ الخيرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»[2].

و العلم مقصور بالتعلّم، والحلم مقصور بالتحلّم، وهما قـصر المـوصوف عـلى الصفة.

وقال الشاعر:

برجـاءِ جـودِكَ يُـطْرَدُ الفـقرُ وبـأَن تـعادى يُـنْفَدُ العُـمْرُ

وفيه قصران: الأوّل: «برجاء جودك يطرد الفقر»، والثاني: «وبأن تـعادى يـنفد العمر» وكلاهما من باب قصر الصفة على الموصوف، وإذا تأمّلنا المقصور في كلّ منهما وجدناه مختصّاً بالمقصور عليه بالإضافة، أي بالنسبة إلى شيء معيّن، لا إلى جميع ماعداه.

ففي أُسلوب القصر الأوّل هنا قصد قصر صفة طـرد الفـقر عـلى رجـاء جـود الممدوح بالإضافة أو بالنسبة إلىٰ شيء معيّن، كرجاء عطفه مثلاً.

وفي أُسلوب القصر الثاني قصد قصر صفة نفاد العـمر عـلى مـعاداة المـمدوح بالإضافة، أو بالنسبة إلى معاداة شخص آخر غيره.

والفرق بين قصر الموصوف عـلى الصـفة وقـصر الصـفة عـلى المـوصوف أنّ الموصوف لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة وفي الثاني يمتنع، وكذلك فإنّ قصر

---

١. الرعد: ٤٠.

٢. الجامع الصغير ١: ٣٩٤.

الموصوف على الصفة ينفي أن يكون للموصوف صفات أُخرى غير الصفة للموصوف، وقصر الصفة لا ينفي ذلك.

ولتوضيح ذلك الفرق نورد قول الشاعر:

إنّما يشتري المحامدَ حُرٌّ طابَ نفساً لهنَّ بالأَثمانِ

فالشاعر يؤكّد لمخاطبه استقلال الأحرار وحدهم، فهم الذين تطيب نفوسهم ببذل المال في سبيل الحمد، لا يشترك معهم غيرهم في ذلك، وذلك لا يمنع أن يكون للأحرار صفات أُخرى غير هذه الصفة، كالإقدام، والتضحية، والصدق، وغيرها، ولو قال: «إنّما حرّ يشتري المحامد...» فيكون من قصر الموصوف على الصفة، فالمقصور عليه شراء المحامد بعد أن كان في بيت الشعر المقصور عليه هو الحرّ، فالأحرار في المثال الثاني (إنّما حرّ يشتري المحامد) لا يقومون بسواها من الأعمال، على أنّه من الجائز أن يشترك معهم في بذل المال في سبيل الحمد سواهم.

فالجملة الأُولى في الشعر أبلغ في المدح من وجهين:

١. إنّها تفيد استقلال الأحرار بشراء المحامد، وعدم اشتراك أحد معهم فيها.

٢. إنّها لا تنفي أن يكون للأحرار صفات أُخرى غير هذه الصفة، فقصر الصفة على الموصوف في هذا البيت الشعري أبلغ من قصر الموصوف على الصفة.

● **القسم الثاني: ينقسم القصر ـ تبعاً لحال المقصور ـ إلى قسمين:**

١. قصر الموصوف علىٰ الصفة، كقوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[١].

فقد قصّرت العبادة على التقريب قصر الموصوف على الصفة في حين أنّ العبادة في ذاتها صفة قائمة بالغير.

٢. قصر الصفة على الموصوف، مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى السَّماواتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾، فقد قصر الموجود ما بين السماوات والأرض على ذات اللّه سبحانه.

---

١. الزمر: ٣.

أمّا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾[١]، ففي هذه الآية قصران:

القصر الأوّل: قصر الصفة على الموصوف، وذلك قصر الوحي على الوحدانيّة، والمعنى لا يوحى إليّ إلّا اختصاص الإله بالوحدانيّة، لا لأنّه لم يوح إليه بشيء غيرها، ولكنّها الأصل الرئيسي في كلّ عبادة وعمل، وهي المطلوبة أوّلاً وقبل كلّ شيء حتّىٰ كأنّ ماعداها غير منظور إليه، أو غير جدير بالذكر.

القصر الثاني: قصر الموصوف على الصفة، وذلك في قصر اللّه على الوحدانيّة، وهو ظاهر.

والمراد بالصفة في أُسلوب القصر الصفة المعنوية لا النعت الذي يذكره النحاة؛ لأنّ أداة الاستثناء لا تقع بين الصفة والموصوف.

ويرى الدكتور درويش الجندي أنّ المراد بها ما يقابل الذات؛ أي: الجوهر، وهو المعنى الذي يقوم بغيره أي: العرض، سواء دلّ عليه بالوصف، كـ «كاتب» في قولك: «ما زيد إلّا كاتب» أو دلّ عليه بغير الوصف، كالفعل في قولك: «ما زيد إلّا يكتب».

● **القسم الثالث: ينقسم القصر بحسب الحقيقة والادعاء إلى أربعة أقسام:**

أ) **القصر الحقيقي على سبيل الحقيقة**، وهو ما كان التخصيص فيه بالنسبة الحقيقة بحيث لا يتجاوز المقصور المقصورَ عليه أصلاً. نحو «إنّما اللّه كامل»؛ إذ لا صفة للّه جامعة إلّا الكمال في الواقع، أي قصرنا صفة الكمال علىٰ اللّه سبحانه وتعالى، ولا يتّصف بها أحد على الإطلاق إلّا هو جلّ وعلا.

وأمّا الموصوف ـ وهو اللّه ـ، فيتصف بصفات أُخرى، كالسمع، والبصر، والقدرة، وكلّ صفات الكمال التي تليق بجلالته.

والمعنى الحقيقي أنّ المقصور (أي الصفة هنا) لا تتجاوز المقصور عليه إلىٰ غيره أبداً.

---

١. الأنبياء: ١٠٨.

ومعنى «على سبيل الحقيقة» ـ أي تحقيقي ـ هو أنّ هذا النفي مبنيّ على حسب الواقع ونفس الأمر، وهذا واضح في المثال حيث إنّ صفة الكمال لا يتّصف بها أحد إلّا اللّه.

ب) **القصر الإضافي علىٰ سبيل الحقيقة**، وهو أن يختصّ المـقصور بـالمقصور عليه بالنسبة إلى معيّن، لا لجميع ما عداه، نحو: «مـا مـحمد إلّا كـاتب»، فـليس المقصود أنّ محمّداً مقصور على الكتابة وحدها بحيث لا يتعدّا منها إلىٰ شيء آخر؛ لأنّ الحقيقة والواقع خلاف ذلك، وإنّما المقصود أنّه مقصور على الكتابة بالإضافة إلى شيء آخر معيّن، كالشعر، أو الرسم، أو غيرهما، وهذان النـوعان هـما اللـذان يقصدان عند إطلاق القصر الحقيقي والقصر الإضافي، كما سبق.

ج) **القصر الحقيقي على سبيل الادّعاء والمبالغة** فرضاً بأنّ ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم، نحو:

لا سيفَ إلّا ذو الفَـقّار ولا فـتىً إلّا عـليّ[١]

بافتراض أنّ غير ذي الفقار من السيوف وغير عليٍّ من الفتيان في حكم المعدوم.

ونحو «الدين المعاملة» فالمقصور «الدين» والمقصور عليه «المعاملة»، فروعيَ نفي الحكم عمّا عدا المقصور عليه باعتبار أنّ ما عداه في حكم المعدوم مبالغة.

والفرق إذن بين القصر الحقيقي حقيقةً والحقيقي ادّعاءً: أنّ الأوّل منظور فيه على الحقيقة والواقع، وأنّ الثاني منظور فيه على الادّعاء والافـتراض بـجعل مـا عـدا المقصور عليه في حكم المعدوم، وسمّي هذا القـصر «حـقيقياً»؛ لأنّ القـصر فـيه بالنسبة إلى جميع ماعداه ولو فرضاً.

ومن التنزيل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢] برفع لفظ ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ على أنّه فاعل، أي أنّ الذين يخشون اللّه من بين عباده هم العـلماء دون غـيرهم، ولم يقدّم الفاعل؛ لأنّ المعنى ينقلب إلى أنّـهم لا يـخشون إلّا اللّـه وهـما مـعنيان

١. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٥؛ البلاغة الصافية، ج٢، ص١٠٣.
٢. فاطر: ٢٨.

مختلفان، كما يبدو للمتأمّل.

فقد قصّرت الآية الكريمة صفة الخشية من اللّه على العلماء قصْرَ الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً ادّعائياً؛ لأنّ غيرهم قد يخشاه، ولكن لا اعتداد بخشيته، فهي بمنزلة العدم.

ويفيد القصر أنّ العلماء هم الذين يراقبون اللّه ويعظّمون شأنه من بين سائر الخلق؛ لظهور دلائل قدرته لهم، ووقوفهم على أسرار حكمته وتدبيره، قال رسولنا محمّدﷺ: «لا حَسَدَ إلّا في اثنتين: رجلٍ آتاهُ اللّهُ مالاً فَسَلَّطَهُ على هَلْكَتِهِ في الحقِّ، وَرَجلٍ آتاهُ اللّهُ الحِكْمَةَ فَهْوَ يَقْضِي بِها وَيُعَلِّمُها».

وقوله: «لا حسد إلّا في اثنتين» من القصر الحقيقي الادّعائيّ قصْرَ الموصوف على الصفة؛ لأنّه قصّر فيه الحسد بمعنى الغبطة (الموصوف) على الكون في اثنتين (الصفة) وكان ادّعائياً؛ لأنّ الحسد بمعنى الغبطة يكون في غير الاثنتين، فنزّل غيرهما منزلة العدم على سبيل الادّعاء.

وكأنّ المراد بالحسد في الحديث الغبطة؛ لأنّ الحسد معناه إمّا تمنّي زوال نعمة الغير مطلقاً، وإمّا تمنّي زوالها لنفسه، وهو مذموم في كلا الحالتين، أمّا الغبطة، فهي تمنّي مثل ما للغير وهي ممدوحة،بخلاف الحسد فهو مذموم فيما استثناه الحديث.

وأثّر لفظ «الحسد» ـ مع أنّه مذموم ـ على لفظ «الغبطة» مع أنّها ممدوحة؛ للإشارة إلى أنّ في الغبطة شائبة من الحسد، وهو التطلّع إلى ما عند الغير، وبهذا يكون الحامل عليها حبّ المنافسة، ومن غير شكّ فإنّ المنافسة في الخير ممدوحة، ولكن هناك درجة أرقى منها؛ وهي إرادة الخير لذات الخير، لا لمنافسة الغير فيه؛ لأنّ المنافسة قد تحمل على الحسد عند الإخفاق فيها، بخلاف إرادة الخير لذات الخير.

هذا، والتعبير عن الغبطة بلفظ «الحسد» من قبيل الاستعارة حيث شبّه الغبطة بالحسد بجامع ما فيهما من التطلّع إلى ما عند الغير، ثمّ استعير لفظ المشبّه به (الحسد) للمشبّه (الغبطة) على سبيل الاستعارة التصريحيّة الأصليّة.

والقصر الحقيقي الادّعائي كثيرفي كلام العرب، ينطقون بـه لإفـراغ عـاطفتهم، وإبراز ما يريدون التعبير عنه، فيقولون: «ما مؤدّب إلّا فلان» و«ما عالم إلّا فـلان» لا يقصدون أن ينفوا الأدب عن غيره في الواقع ونفس الأمـر، ولكـن يـريدون أن يظهروا إعجابهم بعلمه وأدبه؛ لدرجة أنّهم لا يعترفون بعلم غيره وأدبه إذا قورن بعلم «فلان» الذي يتحدّثون عنه، أي ينزّلون أدب وعلم غيره منزلة العدم[١].

ومن روائع كلمات الإمام عليّ‌ﷺ وذلك عند تأبينه للنبيّ‌ﷺ سـاعة دفـنه: «إنّ الصّبرَ لجميلٌ إلّا عنكَ، وإنّ الجَزَعَ لقبيحٌ إلّا عليك... وإنّ المصابَ بكَ لجليلٌ، وإنّهُ بعدَك لقليلٌ»[٢].

أراد إثبات الصبر والجزع عليه، ونفيهما عن كلّ إنسان غيره مبالغةً فـي تـأبين النبيّ‌ﷺ. فالصفتان مثبتتان للموصوف، ومنفيّتان عن كلّ ما سواه من قبيل المبالغة والادّعاء، كما راعى المحسّنات البديعيّة من طباق، وسجع، وحسن إيـقاع؛ ليـزيد عمقاً وتأثيراً.

وقال شوقي:

وإنّما الأُمَمُ الأُخْـلاقُ مـا بَـقِيتْ فإنْ هُمُ ذهَبَتْ أَخْـلاقُهُم ذَهَـبُوا[٣]

جعل بناء الأُمم وإصلاحها، وقوّتها واستحقاقها الحياة أساسه تقويم الأخـلاق، ونزّل غير هذه الصفة منزلة العدم من القوّة العسكريّة والاقتصاديّة مثلاً. ففيه قصر حقيقي ادّعائي مبنيّ على المبالغة في قيمة الأخلاق.

د) **القصر الإضافي على سبيل الادّعاء والمبالغة:** بمعنى أنّ المقصور وإن كـان يوجد في ما عدا المقصور عليه المعيّن، لكن ينفي وجوده فيه ادّعاءً؛ لعدم الاعتداد بذلك البعض المعيّن، كقولك: «شرف الفتى بعلمه لا بكرمه»، فالشرف كما يكون في العلم يكون في الكرم أيضاً، لكن يمكن أن يُدّعى في مقام الاهتمام بشأن العلم بقصر الشرف على العلم، ونفيه عن الكرم.

---

١. من بلاغة النظم العربي، ص١٥ و١٦.
٢. نهج البلاغة، قصارالحكم ٢٩٢.
٣. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٣٩؛ علوم البلاغة، ص١٤٧.

ويعلم ممّا تقدم أنّ القصر الحقيقي الادّعائي والقصر الإضافي يشتركان في أمر، ويفترقان في آخر. يشتركان في أنّ المقصور فيهما لايختصّ بالمقصور عليه في الواقع، بل يوجد فيه وفي غيره، ويفترقان في أنّ الحقيقي الادّعائي يراعى فيه نفي الحكم عمّا عدا المقصور عليه باعتبار أنّ ما عداه في حكم المعدوم مبالغة، وأنّ الإضافي يراعى فيه نفي الحكم عن شيء معيّن، لا عن كلّ ما عدا المقصور عليه.

والفرق بين الحقيقي الادّعائي والإضافي الادّعائي أنّ الحقيقي يجعل فيه ما عدا المقصور منزلة العدم، كقولنا: «ما في الدار إلّا زيد» إذا كان في الدار غير زيد، وجعله منزلة العدم. والإضافي يجعل فيه ما يكون القصر بالإضافة إليه منزلة العدم؛ إذا قصد أنّ الحصول في الدار مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى عمرو، وجعل عمرو منزلة العدم.

فالأوّل ينزّل فيه جميع من سوى المقصور منزلة العدم، والثاني ينزّل فيه بعض من سواه ـ وهو ما يكون القصر بالإضافة إليه ـ منزلة العدم.

وأمّا الفرق بين الإضافي على وجه الحقيقة والإضافي على وجه المبالغة، فهو كالفرق بين الحقيقي الادّعائي والإضافي على وجه الحقيقة.

● القسم الرابع: تقسيم القصر الإضافي تبعاً لحال الخاطب

يقسّم القصر الإضافي فقط[1] بحسب حال المخاطب ثلاثة أقسام:

١. **قصر إفراد**: وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُل﴾[2،3].

---

١. اختصّ هذا القصر بالقصر الإضافي لسببين؛ لأنّ القصر في القصر الحقيقي بكون بالنسبة إلى ما عدا المقصور عليه بصورة مطلقة، و هنا لا يمكن أن يتمّ الاعتقاد بالشركة، أو الاعتقاد بالعكس، أو التردّد، كما في الإضافي الذي يتمّ بالإضافة إلى شيء آخر معيّن.

٢. آل عمران: ١٤٤.

٣. القصر هنا قصر إضافي حقيقي؛ أي أنّ محمّداًﷺ مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر، و ليس المقصود أنّ الرسالة مختصّة به وحده، فإنّ الله يقصد أن يقصر صفة الرسالة على محمدﷺ بالنسبة إلى بقيّة المرسلين، ←

أي هو ﷺ مقصور على الرسالة لا يتجاوَزُها إلى عَدَم الهلاك. كـأنّهم أثـبَتُوا له الرسالة والخُلْدَ استعظاماً له. فَخُصَّ على وَصْف الرّسالة. هذا ما ذهب إليه صاحب المفتاح.

ويرى الطيّبي أنّ الذي يقتضِيه سَدادُ النَّظم أنْ يكون قلباً؛ لما أنّه تـعالى جـعل المخاطبين بسبب نكوصهم على أعقابهم عند الإرجاف بالنبيّ ﷺ كأنّهم اعتقدوا أنّ خُلوّهُ سبب للانقلاب، وليس حُكمُه حُكمَ سائر الرُّسُلِ في وجوب اتباع دينهم بعد خلوّهِم، فَرُدَّ عليهم ذلك[١]. أي كأنّه قيل: «قد خلت من قبله أمثاله، فسـيخلو كـما خلو» والقصر منصبّ على هذه الصفة، فلا يرد أنّه يلزم من قصر القلب أن يكـون المخاطبون منكرين للرسالة؛ لأنّ ذلك ناشئ من الذهول عن الوصف[٢].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٣].

وهذا ردّ لما أمروه به من عبادة بعض آلهتهم، كأنّه قـال: «لا تـعبد مـا أمـروك بعبادته، بل إن كنت عاقلاً فاعبد اللّه» وفي تقديم المفعول قصر إفراد؛ لإضرابه عن الشرك في قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٤].

قال الإمام عليّ عليه السلام: «فنظرتُ فإذا ليسَ لي مُعِينٌ إلّا أهلُ بيتي، فَضَنِنتُ بِهم عن الموتِ»[٥].

قوله: «ليس لي معين إلّا أهل بيتي» فالحصر فيه للإفراد على تنزيل المخاطبين منزلة من يرى أنّ له معيناً غيرهم، والفاء في «فضننت» للسببية الدالّة على أنّ القصر المذكور باعث على الضنّة بهم.

وقال عليه السلام: «ما أَنْتُم لي بِثِقَةٍ سَجيسَ اللّيالي، وما أَنتم برُكْن يُمالُ بِكُم، ولا زَوافِرُ عزٍّ

← كموسى عليه السلام مثلاً و ليس قصده أنّ هذه الصفة لا توجد في غير محمّد ﷺ من جميع المرسلين، و إنّما المقصود أنّه مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر معيّن، كالشعر مثلاً.

١. التبيان: ١٢٥.

٢. روح المعاني، ج ٤، ص٧٣.

٣. الزمر: ٦٦.

٤. الزمر: ٦٥.

٥. الخطبة: ٢٦.

يُفْتَقَرُ إليكُم، ما أَنتم إلّا كإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُها»[١].

ففي تقديم «لي بثقة» إفادة التخصيص، والقصر للإفراد يعني إنّهم ليسوا بثقة لي خاصّة، لجواز أن يكونوا ثقة لغيره‌عليه السلام.

وإنّما قطع «ما أنتم لي بثقة» عمّا قبله؛ لعدم الجامع بينه وبين السابق، وقطع «ما أنتم بركن» و«ما أنتم إلّا كإبل» ليدلّ على أنّ كلّاً من الجمل يدلّ على السابقة على كونها غير وافية بتمام مراده، والقيام يقضي الاعتناء بشأنه، ومعرفة مواقع الفصل من الوصل صعبة لا تتهيّأ إلّا لمن له يد طولى في البلاغة.

و القصر في «ما أنتم إلّا كإبل ضلّ رعاتها» للقلب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين؛ فإنّهم بفعلهم كأنّهم منكرون لكونه‌عليه السلام سائقهم وإن كانوا بالقول المجرّد قائلين به، كما برع الإمام‌عليه السلام في إبراز الصورة وتجسيمها في تشبيهه بـ«كإبل ضلّ رعاتها» واستعارته «بركن يمال بكم» وكنايته «ما أنتم لي بثقة» عن كذبهم، كلّ ذلك لوصفهم بقلّة العقل، وعدم درايتهم بما ينتظم به حالهم.

وقال‌عليه السلام: «وَأَنا جامِعٌ لَكُم أَمْرَهُ، اسْتَأْثَرَ فَأَساءَ الأَثَرَةَ، وجَزِعْتُم فَأَسَأْتُم الجَزَعَ، ولِلّهِ حُكْمٌ واقِعٌ في المُسْتَأْثِرِ والجازِعِ)[٢].

و «أنا جامع لكم أمره» يريد به عثمان ـ يفيد القصر للإفراد، أي لا يقدر على أن يجمع لكم أمره إلّا أنا دون غيرى.

و«استأثر» إنّما قطع ليؤذن بجواب عن سؤال مقدّر لمن يسأله‌عليه السلام عن كيفيّة الجمع[٣].

وقال‌عليه السلام: «ولكنّي أضْرِبُ بالمُقْبِلِ إلى الحَقِّ المُدْبِرَ عَنْهُ، وبالسَّامِعِ الْمُطِيعِ العاصِيَ المُرِيبَ أبدَاً حتّى يَأْتي عَلَيَّ يَوْمي»[٤].

ففي تقديم «بالمقبل» فائدة القصر للإفراد، يعني ما أضرب إلّا باستعانة من

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٤.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٣٠.
٣. و هو ما نسمّيه في الفصل القادم بـ«شبه كمال الاتّصال» و يسمّيه آخرون بـ«الاستئناف».
٤. نهج البلاغة، الخطبة ٦.

المقبل إلى الحقّ دون الانفراد، ودون الاستعانة بغيره، وكذا في «بالسامع»

وإنّما وحّد المقبل وما عطف عليه من الألفاظ المفردة المحلّاة باللام للاستغراق؛ ليكون أبلغ في إفادة الاستغراق مع اشتماله على الاختصار في اللفظ.

وقوله ﷺ: «وايمُ اللّهِ لأُفْرِطَنَّ لَهُم حَوْضاً أَنا ماتِحُهُ؛ لا يَصْدِرُونَ عَنْهُ، ولا يَعُودُون إليه»[1].

فتقديم «لهم» على «الحوض» يؤذن بالقصر للإفراد.

وقوله: «ولا يَحْمَدُ حامِدٌ إلّا رَبَّهُ، ولايَلُمْ لائِمٌ إلّا نَفْسَهُ)[2].

«ولا يحمد حامد إلّا ربّه» قصر للفعل من الفاعل في المفعول قصرَ إفراد يعني ينبغي أن لا يكون الحمد متوجّهاً من حامد إلّا على ربّه دون غيره.

«ولا يلم لائم إلّا نفسه» أيضاً لقصر الإفراد، ولكن يحتمل هنا أن يكون لقصر القلب؛ وذلك بتنزيل كلّ لائم منزلة من لا يرى أن يلوم نفسه أصلاً، وإنّما يرى أن يلوم غيرها؛ للمبالغة والتأكيد.

وقال ﷺ: «وَقَرِيبٌ ما يُطْرَحُ الحِجابُ، ولقد بُصِّرْتُم إنْ أَبْصَرْتُم، وأُسْمِعْتُم إنْ سَمِعْتُم»[3].

ففي «وقريب ما يطرح الحجاب» قدّم المسند للاهتمام بشأنه؛ لأنّه المقصود بالذكر، وليؤذن بالقصر للإفراد، والقلب على تقدير تنزيل المخاطبين منزلة المعتقدين بخلافه إن كان الخطاب مع المؤمنين الذين اعتقدوه ولكن لم يعملوا بمقتضاه، أو تصوّروا غيره مشاركاً له في القرب وإلّا فهو جارٍ على أصله.

مثاله في قصر الصفة على الموصوف قولك: «ما المعلّم الّا محمّد» أي قصژر تلك المهنةعلى محمّد؛ ردّاً على من اعتقد اشتراك عليّ معه في هذه الصفة.

ونحو: «ما الأديب إلّا عليّ»، أي قصّر صفة الأدب على عليّ، وقطع عن

---

١. نفس المصدر، الخطبة ١٠.

٢. نفس المصدر، ١٦.

٣. نفس المصدر، الخطبة ٢٠.

المخاطب فكرة الاشتراك مع عبّاس.

ومثاله في قصر الموصوف على الصفة قولك:«ما المتنبّي إلّا شاعر» أي قصر المتنبّي على صفة الشعر؛ ردّاً على من اعتقد اتّصافه بالشعر والكتابة.

ونحو «ما أنا إلّا طالب علم» وذلك عندما تريد أن تنفي من ذهن المخاطب فكرة اشتراك طلب العلم مع الاشتغال في التجارة.

وقال الشاعر:

بكَ اجْتَمَعَ المُـلْكُ المُـبَدَّدُ شَـمْلُهُ وَضُمَّتْ قَوَاصٍ مِنْهُ بـعدِ قَـوَاصِ

وقال أبو تمام:

مَحاسِنُ أوصـافِ المُـغنّين جَـمّةٌ وما قَـصَباتُ السَّـبْقِ إلا لِـمَعْبَدِ[1]

وفيه قصران:

القصر الأوّل: التقديم وهو قصر إضافيّ من قصر الموصوف على الصـفة قـصرَ إفراد.

القصر الثاني: «ما» و«إلّا» من قصر الصفة على الموصوف، وهو أيضاً قصر إفراد.

والخلاصة ما تقدّم:

١. قصر الإفراد قصر قصد به الردّ على من يعتقد ثبوت المقصود لكلّ من المقصور عليه وبعض ما عداه. أو قل: هو قصر قصد به الردّ على من يعتقد الشركة.

٢. قصر الإفراد إمّا قصر موصوف على صفة، أو قصر صفة على موصوف.

٣. قصر الإفراد في تخصيص بشيء دون شيء، تخصيص موصوف بصفة دون أُخرى، أو تخصيص صفته بموصوف دون موصوف آخر.

٤. وفيها سبق وفيما ذكرناه في القصر الادّعائي نقول: القصر الادعائي كما يوجد في الحقيقي يكون في الإضافي من القصر الإضافي إمّا قصر إضافي حقيقة، وإمّا قصر إضافي مبالغة وادّعاء.

٢. قصر قلب: إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم فتقلب عليه اعتقاده، مثاله

---

١. ديوانه، ج٢، ص٢٩؛ الايضاح (دار الكتب العلمية) ص٣٠٣؛ الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص٢٣٤.

في قصر الصفة على الموصوف قولك: «ما نابه إلّا أحمد» ردّاً على من اعـتقد أنّ النابه محمود، لا أحمد.

ومثاله في قصر الموصوف على الصفة قولك: «ما عليّ إلّا بطل» ردّاً على مـن اعتقد اتّصافه بالجبن دون البطولة.

وسمّي «قصر قلب» لقلب الحكم على المخاطب.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّما اللّهُ إِلهُ وَاحِدٌ﴾[١] في خطاب من يعتقد أنّ اللّه ثالث ثلاثة، فقلبت الآية عليه معتقده وهو قصر الموصوف على الصفة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾[٢] قدّم المـجرور، واللام للاسـتغراق مريداً به قصر قلب؛ ردّاً لزعم اليهود أنّ بعثته اختصّت بالعرب، لكون الكلّ في مقابلة البعض، فلا يُحمل على العهد لئلّا تختصّ بهم، ولا على الجنس كيلا يخرج الجنّ؛ لتقابلهما.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا الْمسيحُ بنُ مَرْيَمَ إِلّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[٣] قصر قلب؛ لأنّ فيه قصر المسيح عليه السلام على الرسالة.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنّما حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ﴾[٤]؛ لأنّه جاء ردّاً على الذين يحرّمون على أنفسهم الطيّبات من الرزق وما لم يحرّمه اللّه.

قال الإمام علي عليه السلام: «ما زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عواقِبَ الغَدْرِ وأَتَوَسَّمُكُم بَحَيلَةِ المُغْتَرِّينَ حتّىٰ سَتَرَني عَنْكُم جِلْبابُ الدينَ»[٥].

في تقديم «عنكم» القصر للقلب، يعني جلباب الدين ما سترني إلّا عنكم دون غيركم من الذين وجدوا سطوات صولتي، أي عصم الإسلام منّي دماءكم، واتّـباع مدبركم، وأن أُجهز على جريحكم، وغير ذلك ممّا يفعل من الأحكام في حقّ الكفّار.

---

١. النساء: ١٧١.
٢. النساء: ٧٩.
٣. المائدة: ٧٥.
٤. الأعراف: ٣٣.
٥. نهج البلاغة، الخطبة ٤.

وقال ﷺ: «فَمَا راعَنِي إلّا وَالنّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إليّ يَنْثالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جانِبٍ»[١].

فالقصر فيه للقلب، كأنّه قد نزّل المخاطبين منزلة الحاكمين بأنّ إعجابه ﷺ لأمر آخر، وقلب ما حكموا عليه، وقال: ليس إعجابي إلّا بواسطة إقبال النـاس، فـفيه القصر للقلب، وتنزيل غير الحاكم منزلة الحاكم للتأكيد.

وقال ﷺ: «أغزوهُم قبل أنْ يَغْزُوكُم، فواللّه! ما غُزِيَ قومٌ فـي عُـقْرِ دارهِـمْ إلّا ذَلُّوا»[٢].

التصدير بالقسم يوحي بأنّ الكلام مع المنكرين، فأورد أُسلوب القصر ليردّ الخطأ إلى الصواب، فأراد أنْ يقول: ليس الأمر ما تصوّرتم من أنّ القعود عن الجهاد والمقام في البيت أولى بالعزّة، بل هما موجبان للذلّة.

قال الشاعر:

إنّ الجديدينِ فـي طـولِ اختلافهما لا يـفسدانِ ولكـن يـفسدُ النـاس[٣]

وقال آخر:

ليس اليـتيمُ الذي مـات والدُهُ بل اليتيمُ يـتيمُ العـلمِ والأدبِ[٤]

٣. قصر التعيين: هو تخصيص أمر بأمر دون آخر، ويخاطب بـه المـتردّد بـين شيئين، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلّا تَكْذِبُونَ﴾[٥].

أي لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب، كـما يكـون ظـاهر حال المدّعي إذا أدّعى أمراً، بل أنتم عـندنا كـاذبون فـيها[٦] فـهو مـن قـبيل قـصر الموصوف على الصفة، فالقصر على الكـذب قـصر تـعيين، وهـذا يـصحّ بـتنزيل المشركين للرسالة منزلة المتردّدين بين الصـدق والكـذب مـبالغةً فـي إنكـارهم

١. نفس المصدر، الخطبة ٣.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.
٣. و فيه قصر الصفة على الموصوف و طريقة القصر العطف بـ«لكن». انظر البلاغة الصافية، ج ٢، ص ١٢٣.
٤. و فيه أيضاً قصر الصفة على الموصوف، و طريقة القصر العطف بـ«بل».
٥. يس: ١٥.
٦. الخطاب في الآية موجّه إلى أصحاب سيّدنا عيسى ﷺ حين ذهبوا إلى أهل انطاكيّة يدعونهم إلى عبادة الله.

لدعواهم، وإعراضهم عنها.

وقال الشاعر:

قد عَـلِمَتْ سَـلْمى وَجـاراتُـها   مـا قَـطَّرَ الفـارسَ إلّا أنـا[1]

فجملة «ما قطّر الفارس إلّا أنا» من قبيل قصر الصفة على الموصوف قصر تعيين.

وقول الشاعر:

فإنْ كانَ في لبس الفـتى شَـرَفٌ لَـهُ   فـما السـيفُ إلّا غِـمْدُهُ والحَـمَائِلُ

ولم نكثر الأمثلة في هذا القسم؛ لأنّ كلّ مثال يصلح للإفراد والقلب صالح له.

إنّ الحكم في هذا التقسيم إلىٰ إفراد، وقلب، وتعيين يعتمد على فهم المتكلّم حالة المخاطب الخارجيّة أو النفسيّة، ففي هذه الحالة يخاطب بأُسلوب القصر، وفي كلّ لون من هذه الألوان تكون بين أمرين، فتنفي أحدهما، أو تعكسه، أو تختاره، ولذلك، فقصر الإفراد والقلب والتعيين من النوع الإضافي.

ومثال قصر الخبر على المبتدأ من قصر الصفة عـلى المـوصوف قـوله تـعالى: ﴿ٱعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[2].

فالصفة المقصورة هنا هي الكائنة على الرسول، و ﴿ٱلْبَلاغُ﴾ موصوف، أي وظيفة الرسول هي البلاغ لا غيره من الحساب والثواب والعقاب والهداية عـلى الأكـثر والأظهر.

وقصر الفاعل على المفعول لأجله نحو «زرتك محبّة لا لشيء آخر».

وقصر الفاعل على المفعول المطلق المبيّن للنوع مثل: «ما قاتل العرب إلّا قتال الأبطال».

ومثال قصر الفاعل على المفعول المطلق المبيّن للعدد «ما زرت المسجد الحرام إلّا مرّتين».

---

١. «قطّر الفارس» ألقاه على قطريه؛ أي جانبيه، أي صرعه. انظر الايضاح، ص١٢٦.
٢. المائدة: ٩٨ و٩٩.

□ شروط القصر باعتبار حال المخاطب

وشرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافي الصفتين حتّى تكون المنفية في قولنا: «ما زيدٌ إلّا شاعرٌ» كونه كاتباً، لا كونه مُفْحَماً لا يقول الشعر ليتصوّر اعتقاد المخاطب اجتماعهما؛ إذ الإفحام ينافي الشاعريّة، فلا يتأتّى اعتقاد اجتماعهما في موصوف واحد.

وشرط قصره قلباً تحقّق تنافيهما حتّى تكون المنفيّة في قولنا «ما زيدٌ إلّا قائم» كونه قاعداً أو جالساً، لا كونه أسود، أو أبيض، ليكون إثباتها مشعراً بانتفاء غيرها.

وقصر التعيين أعمّ؛ لأنّ اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معيّنين على الإطلاق، لا يقتضي جواز اتّصافه بهما معاً، ولا امتناعه.

وبهذا علم أنّ كلّ ما يصلح أن يكون مثالاً لقصر الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالاً لقصر التعيين من غير عكس.

● القسم الخامس: طرق القصر

طرق القصر الاصطلاحية التي يركّز عليها البلاغيون أربع:

□ أوّلاً: العطف بـ «لا» أو «لكن» أو «بل»

فإن كان العطف بـ «لا» كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها.

وإن كان العطف بـ «لكن» أو «بل» كان المقصور عليه ما بعدهما. و«لا» تفيد القصر إذا عطفت مفرداً ولم يتقدّمها نفي أو نهي، وإلّا يكون ما بعدها داخلاً في عموم ما قبلها، وهي صالحةلكلّ أنواع القصر. فمثال العطف بـ «لا» في قصر الصفة قصراً حقيقياً قولك: «زهير شاعر لا غير زهير».

ومثاله في قصر الموصوف: «زهير شاعر لا غير شاعر»، المقصور عليه في الأوّل «زهير»، وفي الثاني «شاعر»؛ لأنّ كلاً منهما هو المقابل لما بعد «لا»، ومثاله في

قصر الصفة قصراً إضافياً قولك: «زهير شاعر لا محمّد»، ومثاله في قصر الموصوف قولك: «زهير شاعر لا خطيب».

المقصور عليه في الأوّل «زهير»، وفي الثاني «شاعر»؛ لأنّهما المقابلان لما بعد «لا»، ففي القصر الحقيقي كان المعطوف ـ أي المنفي ـ عامّاً، وأمّا في القصر الإضافي فقد كان المعطوف خاصّاً.

والمقصور عليه مع «لا» هو المعطوف عليه بها دائماً، ومثال قصر الموصوف على الصفة إفراداً: «محمّد شاعرٌ لا كاتبٌ».

ومثال قصر الموصوف على الصفة قلباً: «محمّد قائمٌ لا قاعدٌ».

ومثال قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام «محمّدٌ قائمٌ لا خالدٌ»، فنجد أنّ العطف يدلّ على إثبات ونفي وتأكيد، وهذا هو معنى الحصر بعينه، ولذا درج البلاغيون على تقديم العطف على بقيّة الطرق، وجعلوه من أقوى طرق القصر للتصريح فيه بالطرفين: المنفي، والمثبت، بخلاف غيره؛ فإنّ النفي فيه ـ كما سنرى ـ ضمني.

و«بل» تفيد القصر إذا وليها مفرد، وتقدّمها نفي أو نهي؛ لأنّها في هذا الحال تقرّر حكم ما قبلها، وتثبت ضدّه لما بعدها، فتتضمّن النفي والإثبات، وذلك عماد القصر.

وأمّا إذا كان لنقل حكم ما قبلها لما بعدها، وجعل ما قبلها مسكوتاً عنه حتّى بعد النفي ـ كما قيل ـ فلا يكون قصراً.

والمقصور عليه مع «بل» هو ما بعدها، وهي صالحة للقصر الإضافي فقط إفراداً وقلباً وتعييناً.

ومثال قصر الموصوف على الصفة إفراداً: «ما محمّدٌ كاتبٌ، بل شاعرٌ».

ومثال قصر الموصوف على الصفة قلباً: «ما محمّدٌ قاعد، بل قائمٌ».

ومثال قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام، «ما خالد قائم، بل زيد» وهذا يصلح مثالاً لقصر الإفراد حيث يعتقد المخاطب نفي القيام عنهما معاً، ولقصر القلب حيث يعتقد أنّ خالداً هو القائم دون زيد.

وكلّ مثال يصلح للإفراد والقلب صالح للتعيين، و«لكن» لا تكون عاطفة تتضمّن القصر إلّا إذا سبقها نفي أو نهي ووليها مفرد ولم تقترن بالواو، وهي حينئذٍ تفيد تقرير نفي ما قبلها، وإيجاب ما بعدها، وبالنفي والإثبات يتحقّق القصر، والمقصور عليه مع «لكن» هو المعطوف بها، أي ما بعدها.

مثال العطف بـ «لكن» في قصر الصفة قولك: «ما عبد الحميد شاعر، لكن بشّار».

ومثاله في قصر الموصوف قولك: «ما عبد الحميد شاعر، لكن كاتب».

ومن الأمثلة الشعريّة في هذا الباب:

١. قول أبي تمّام في فتح عمّوريه:

بيضُ الصفائِحِ لا سُـوُد الصَـحائِف فـي
مُـــــتُونِهِنَّ جِــــلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ[١]

يقول: إنّ السيوف البيضاء هي التي تزيل الشكّ وتظهر الحقيقة، أمّـا صـحائف المنجّمين السوداء، فإنّها تضيّع الحقائق، وتنشر الأباطيل، و«بيض الصفائح لاسود الصحائف» أُسلوب قصر، فجلاء الشكّ والريب مقصور على بيض الصـفائح قـصرَ الصفة على الموصوف، وتحسّ في هذا الأُسلوب الحسم والردّ القويّ على هؤلاء المنجّمين الذين شكّكوا في فتح «عمّورية» حصن الروم المنيع.

٢. وقال آخر:

عُمْرُ الفتى ذِكْـرُهُ لاطُـولُ مُـدَّتِهِ   وَمَـوْتُهُ خِـزْيُهُ لا يَـوْمُهُ الدانـي[٢]

قد جاء في كلّ شطر بقصر؛ إذ قصر العمر على الذكر فـي الشـطر الأوّل قـصرَ موصوف على صفة، وقصر الموت ـ موصوف ـ على الخزي ـ صفة ـ في الشـطر الثاني، والذي دلّ على القصر فيها هو العطف بـ «لا» في قـوله: «لاطـول مـدّته» «لا يومه الداني».

---

١. «بيض الصفائح» كناية عن السيوف «متونهنّ» جوانبهنّ. «جلاء» كشف. «الريب» الظـنون. مـن بـلاغة النـظم العربي، ج ٢، ص ٢٣.

٢. يقول: إنّ حياة المرء لا تقاس بطول المدّة، ولكن بالذكر الخالد. و إنّ الموت لا يكون بمفارقة الحـياة، بـل بـما يرضى به بعض الأحياء من خزي و هوان. من بلاغة النظم العربي، ج ٢، ص ٢٤؛ علوم البلاغة، ص ١٤٧.

ونقول: «المرء بفعله، لابكلامه» قصر موصوف «المرء» على صفة «بفعله» وهو قصر قلب؛ لأنه ردّ على مخاطب يعتقد العكس.

٣. وقال ابن الرومي

يَتَغابى لَـهُمْ ولَـيْس لِـمَوقٍ   بلْ لِلُبٍّ يَفُوقُ لُبَّ اللَّـبيبِ[١]

«يتغابى لهم» المقصور، والجار والمجرور «لِلبّ» مقصور عليه، فهو قصر صفة على موصوف قصراً إضافياً.

٤. وقال المتنبّي:

ليس التّعجُّبُ من مـواهِبِ مـاله   بـل مـن سـلامتها إلى أَوقـاتها[٢]

التعجّب مقصور على سلامة الأموال، قصرَ صفة على موصوف قصراً إضافياً.

٥. قال ابن الرُّومي:

وما عَـجَبْنا وإنْ أَصْـبحْتَ تُـعْجِبُنا   أنْ نَجْتَني ذهباً مِنْ مـوضِع الذّهبِ
لكــن عــجبنا لِـعُرْفٍ لا نكـافئُهُ   ونَسْــتزيدُك مِــنهُ أَكـثر العـجبِ

«عَجَبْنا» مقصور على «لعرف لانكافئه» قصر صفة على موصوف.

٦. وقال:

ومــا يُـريغُونَ بـالنُّعْمى مُكـافأَةً   لَكِنْ يَقَضُّونَ ما للمجدِ مـن أَرَب

أي لا يطلبون جزاء على نعمهم، ولكنّهم يقضّون واجب المجد.

«يريغون» مقصور على «يقضّون» قصر صفة على موصوف.

◻ ثانياً: النفي والاستثناء

ويكون المقصور عليه في هذه الطريق بعد أداة الاستثناء، والنفي يكون بأيّ أداة من أدواة النفي، مثل: «ليس» و«إنْ» و«ما» وغيرها، ومثل النفي إذا جاء بصيغ النهي والاستفهام لأغراض بلاغية.

---

١. «يتغابى» يظهر الغباوة، و «الموق» الحمق في غباوة، و «اللبّ» العقل.

٢. يقول: لا نتعجّب من كثرة هباته، و إنّما نتعجّب كيف بقيت أمواله و سلمت من التفريق إلى أوقات بذلها؟؛ إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً.

والاستثناء يكون بـ «إلّا» وأخواتها، مثل: «سوى» و «غير» و «حاشا» و «عدا» وغيرها.

ووجه إفادة النفي والاستثناء للقصر هو أنّ النفي في الاستثناء المفرّغ متوجّه إلى مقدّر وهو مستثنى؛ لأنّ «إلّا» ـ مثلاً ـ للإخراج، والإخراج يقتضي مخرجاً منه، وهذا المستثنى منه لابُدّ أن يكون عامّاً؛ ليتناول المستثنى وغيره، فيتحقّق الإخراج.

وهذا المستثنى منه العامّ يشترط فيه أن يكون مناسباً للمستثنى في جنسه وصفته، أمّا إذا كان المستثنى جزءاً من المستثنى منه، كما في قولك: «ما جاءني القوم إلّا زيد»، فلا يحسن القصر فيه، ويكون في الكلام تناقض.

وقال اللّه تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ الإحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[1].

قصّرت الآية الكريمة ﴿جَزَاءُ الإحسان﴾ (الموصوف) على ﴿الإحْسَانِ﴾ الصفة، فليس جزاء الإحسان شيئاً من الأشياء إلّا الإحسان، وجزاء الإحسان قد يكون إحساناً،وقد يكون إساءة، ولكنّ الآية تقصّر جزاء الإحسان على الإحسان، وتنفيه عن كلّ ما عدا الإحسان من ضروب الجزاء؛ وأنّ غير الإحسان لا ينبغي أن يسمّى «جزاء للإحسان».

وجاء القصر بالنفي والاستثناء ليؤكّد هذه الحقيقة، ويقرّرها في نفوس المنكرين. والقصر حقيقي ادّعائي مبنيّ على المبالغة.

ولعلّك لاحظت أنّ الاستفهام بـ «هل» بمعنى النفي، والتّعبيرَ بالاستفهام في مكان النفي يحرّك المشاعر، ويدعوك للبحث عن الجواب، وفي الآية لن تجد جزاء إلّا الإحسان[2].

ومثال قصر الصفة قصراً إضافياً قولك: «ما شاعر إلّا محمّد»، أي لا زيد، فإن كان المخاطب مع من اعتقد أنّ الشاعر زيد لا محمّد، كان قصرقلب، وإن كان من اعتقد أنّ الشاعر زيد ومحمّد كان قصر إفراد، وإنكان مع من تردّد بينهما كان قصر تعيين،

---

١. الرحمن: ٦٠.

٢. من بلاغة النظم العربي (د.عبدالعزيز عرفه)، ص٢٩ و٣٢.

وهكذا يقال في قصر الموصوف.

وأورد السكّاكي مع ما جرى على معنى الإفراد قولَه تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ...﴾[١] فمعناه: أنا مقصور على النذارة، ولا أتخطّاها إلى طرد المؤمنين.

وعلى معنى القلب قولَه تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِ﴾[٢]، على معنى أنّك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك؛ لأنّي أمرتك أن تدعو الناس إلى أن يعبدوني، ثمّ إنّك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني، ألاترى إلى ما قبله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾[٣].

وأمّا على معنى التعيين ـ وقد سبق ـ فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٤]، والقصر هنا من قبيل القلب؛ لأنّ المخاطبين ـ وهم الرؤساء ـ لم يكونوا متردّدين بين الصدق والكذب، بل إنهم يعتقدون صدقهم في دعواهم، ولهذا جاء القصر ردّاً على الذين كذّبوا الرسل، وهو بطريقة النفي بـ ﴿إِنْ﴾ و ﴿إلّا﴾ قصر الموصوف على الصفة.

ولا يصحُّ «ما زيدٌ إلا قائمٌ، لا قاعدٌ» ولا «مايقومُ إلّا زيدٌ، لا عمروٌ» لدلالة «ما» على نفي جميع الصفات، فتكون «لا» نافية لما هو منفيّ بها.

وشرط منفيّ «لا» أن يكون منفيّاً قبلها بغيرها من كلمات النفي، ولذا عيب على الحريري قوله:

«لِعمرك ما الإنسان إلّا ابى يومه على ما تحلّى يومه، لا ابن أمسه».

ويسلك هذا الطريق مع المخطئ المصرّ، كما قالوا للرُسُل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[٥]؛ لأنّ الرسالة عندهم منافية للبشرية؛ لأنّ الكفّار جعلوا الرسل كأنّهم بادّعائهم النبوّة،

١. هود: ٢٩.
٢. المائدة: ١١٧.
٣. المفتاح: ١٢٥ ـ ١٢٦.
٤. يس: ١٥.
٥. إبراهيم: ١٠.

قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشراً مثلهم، فهم ينكرون أن يكونوا أنبياء؛ لكونهم بشراً، فكأنّ الأنبياء أنكروا بشريتهم بادّعائهم النبوّة، لذا نزّلهم قومهم منزلة المنكر، فجاء القصر بـ ﴿مَا﴾ و ﴿إِلَّا﴾ لا بـ «إنّما».

وقد يُجعل غير المصّر مصرّاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[١]؛ لشدّة حرصِهِ على إيمان القوم وإسماعهم الحقّ[٢].

وأمّا قوله تعالى حكاية عن الرسل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُم ولكِنّ اللّهَ يَمُنَّ علىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾، فمن باب مجاراة الخصم، وتسليم بعض مقدّماته؛ لتنقطع حجّته، كما هي العادة في من ادّعى على خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه، كما إذا قال لك من يحاجّك في مسألة: «أنت من دأبك كيت وكيت» فتقول لهم: «نعم، أنا من دأبي كيت وكيت، لكن لا ضير عليّ، ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت»، فالرسل صلوات اللّه عليهم كأنّهم قالوا: «إنّ ما قلتم: من أنا بشر مثلكم، هو كما قلتم لا ننكره، لكن ذلك لا يمنع أن يكون اللّه تعالىٰ قد منّ علينا بالرسالة، وفضّل اللّه علينا[٣]».

ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هٰذِهِ الحَيَاةُ الدّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[٤].

ولكن نجد في موضع آخر القصر بصورة أُخرى: ﴿إِنّما الحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[٥]، فهنا أمر لا يجهله المخاطبون، ولا ينكرونه، فسورة محمّد سورة مدنيّة، والمخاطب بها المؤمنون،

وأمّا الآية الأُولى، فإنّ المخاطبين غير المؤمنين بدليل السياق، فالآية التي قبل هذه:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَن نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بعْدِ مَوْتِهَا لَيقولُنَّ اللّهُ قُلْ

---

١. فاطر: ٢٢ و ٢٣.
٢. التبيان (للطيبي)، ص١٢٦.
٣. الإيضاح، ص ٢٢٠؛ البرهان (للزركشي)، ج ٤، ص ٢٠٤.
٤. العنكبوت: ٦٤.
٥. محمّد: ٣٦.

الحَمْدُ للّه بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُون ✻ وَمَا هٰذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلّا لَهْوٌ و...﴾[١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ ✻ إنْ أنْتَ إلّا نَذِيرٌ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا أنْتَ نَذِيرٌ﴾[٣].

ففي الآية الأُولى جاء القصر بأداة النفي ﴿إلّا﴾ مع أنّ هذا لا يجهله النبيّ ﷺ ولكن لمّا كان (عليه وعلى آله الصلاة والسلام) حريصاً على هدايتهم، وتذهب نفسه حسرات عليهم، كأنّما يظنّ أنّ باستطاعته هدايتهم، فقيل له: ليس باستطاعتك أن تسمع من في القبور، فلا تظنّن أنّك ـ لكونك رسولاً ـ تستطيع هدايتهم، فما أنت إلّا نذير.

أمّا الآية الثانية، فالسياق يختلف عن سياق الآية الأُولى[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَالّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُم ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَنْ يَغْفِرُ الذّنوبَ إلّا اللّهُ﴾[٥].

حيث قصّر مغفرة الذنوب (صفة) على لفظ الجلالة (موصوف) قصراً حقيقياً تحقيقاً بطريقة النفي والاستثناء؛ لأنّ الاستفهام بـ ﴿مَنْ﴾ بمعنى النفي والإنكار مع ما يتضمّنه من الدلالة على أنّه المختصّ بذلك سبحانه دون غيره.

قال الشاعر:

وماالسيف إلّا آيَةُ المُلْكِ في الوَرَى ولا الأمر إلّا للّذي يَتَغَلَّبُ

وهو قصر إضافي من قصر الموصوف على الصفة.

□ ثالثاً: «إنّما»

ومن طرق القصر «إنّما» المركّبة من «إنّ» ـ بكسر الهمزة وتشديد النون ـ التي

---

١. العنكبوت: ٦٣ ـ ٦٤.
٢. فاطر: ٢٢ ـ ٢٣.
٣. هود: ١٢.
٤. أفنان البلاغة، ص٣٧٦.
٥. آل عمران: ١٣٥.

هي لتأكيد النسبة. و«ما» الكافّة، ويكون المقصور عليه مؤخّراً وجوباً.

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ الوقوف فيها عند قول النحاة أنّه ليس في انضمام «ما» إلى «إنّ» فائدة أكثر من أنّها تبطل عملها ـ خطأ بيّن.

وأصل «إنّما» أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا ينكر صحّته، أو لما ينزّل هذه المنزلة:

فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[١]، فكلّ عاقل يعلم أنّه لا تكون استجابة إلّا ممّن يسمعُ، يعقل ما يقال له ويدعى إليه، وأنّ من لم يسمع ولم يعقل لم يستَجِبْ

ومثال ما ينزّل هذه المنزلة قول عبيد بن قيس الرقيات:

إنّـما مُـصْعَبٌ شِـهابٌ مِـنَ اللـ ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ[٢]

وتفيد «إنّما» في الكلام الذي بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره، وتجعل الأمر ظاهراً، فإذا قلت: «إنّما جاءني زيد» عقل منه أنّك أردت أن يكون الذي جاء غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: «جاءني زيد لا عمرو» إلّا أنّ لها مزية؛ وهي أنّك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة، وتجعل الأمر ظاهراً في أنّ الآتي زيد.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٣].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَآءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[٤].

فيكون الحصر في الأبصار لا في التسكير، فكأنّهم قالوا: سكّرت أبصارنا لا عقولنا، ونحن وإن كنّا نتخيّل بأبصارنا هذه الأشياء، لكنّا نعلم بعقولنا أنّ الحال

---

١. الانعام: ٣٦.

٢. ديوانه، ص ٩١؛ دلائل الإعجاز، ص ٣١٤ و ٣١٥. الشاعر هنا قصر مصعباً على الشهاب قصر موصوف على صفة، فادّعى أنّ اتّصاف ممدوحه بهذه الصفة أمر معلوم، و ذلك لينبّه و يبالغ في إثبات هذه الصفة له.

٣. النحل: ٤٠.

٤. الحجر: ١٤ و ١٥.

بخلافه؛ أي لا حقيقة له.

ثمّ قالوا: ﴿بَلْ﴾ كأنّهم أضربوا عن الحصر في الأبصار، وقالوا: «بل جاوز ذلك إلىٰ عقولنا بسحر صنعه لنا» ففي كلمة الحصر والإضراب دلالة على البتّ بأنّ ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيّل إليهم بنوع من السحر حسب ادّعائهم.

والدليل على أنّها تفيد القصر أُمور:

الأمر الأوّل: كونها متضمّنة معنى «ما» و«إلّا» لقول المفسّرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾[1] ـ بالنصب ـ معناه: ما حرّم عليكم إلّا الميتة.

وكذلك فإنّ معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[2]: ما حرّم ربّي إلّا الفواحش.

الأمر الثاني: لقول النحاة: إنّ «إنّما» لإثبات ما يذكر بعدها، ونفي ما سواه؛ أي لإثبات الحكم المتضمّن لما بعدها، ونفي ما سوى ذلك الحكم، فيقتضي تضمّنها الإثبات أو النفي، كـ«ما» و«إلّا».

الأمر الثالث: لصحّة انفصال الضمير معها، كقول الفرزدق:

أنا الذّائِدُ الحامي الذِّمارَ وإنَّما ... يُدافِعُ عن أَحسابهم أنا أَو مِثْلي[3]

فأراد الشاعر أن يقصّر الدفاع عن الأحساب على نفسه بحيث لا يتعدّاه إلى غيره، لذلك فصّل الضمير وأخّره، فكأنّه قال: «ما يدافع عن أحسابهم إلّا أنا أو مثلي، فقصَّر صفة الدفاع على الموصوف (أنا) قصراً حقيقياً ادّعائياً، فهو أبلغ من قولنا ـ مثلاً ـ: «إنّما أُدافع عن أحسابهم»؛ لأنّ المعنى يصير أنّه يدافع عن أحسابهم، لا عن أحساب غيرهم، وهو قصر الموصوف على الصفة؛ أي أنّه من جملة المدافعين، وهو ليس بمقصود الشاعر؛ لأنّه قال هذا البيت في مقام الفخر، والفخر يقتضي أن يقصّر

١. البقرة: ١٧٣.

٢. الأعراف: ٣٣.

٣. «الذمار» ما يلزمك حفظه و حمايته، و «الاحساب» جمع «حَسَب» و هو ما يُعدّ من مفاخر الآباء، أو هو المال، أو الدين، أو الكرم، أو الشرف في الفعل. انظر: ديوان الفرزدق، ج٢، ص١٥٣؛ الاشارات والتنبيهات، ص ٨٠؛ خزانة الادب، ج٤، ص٤٦٥؛ الايضاح، ص١٢٥؛ معاهد التنصيص، ج١، ص ٢٦٠.

الشاعر صفة الدفاع على نفسه، وينزّل غيره من المدافعين منزلة العدم.

وهناك آيات كثيرة في القرآن لا يستقيم المعنى بها إلّا بالحصر[١]. منها:

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ... قُلْ إِنَّمَا العِلْمُ عِنْدَ اللّهِ...﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولَى... قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ... قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى﴾[٤].

فإنّما يحصل مطابقة الجواب إذا كانت «إنّما» للحصر، ليكون معناه: لا آتيكم به، إنّما يأتي به اللّه، ولا أعلمها، إنّما يعلمها اللّه، ولا أصرحها، إنّما يأتيكم به اللّه؛ لجواز أن يدّعي في غيرها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِئَايَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّى﴾[٥].

أي ما أفعل إلّا اتباع ما يوحى إليّ منه تعالى، دون الاختلاف والاقتراح.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاَغُ﴾[٦]؛ إذ لولم تكن للحصر كانت بمنزلة «إن تولّوا فعليك البلاغ» البلاغﷺ تولّوا أم لا، وإنّما ترتّب على تولّيهم نفي غير البلاغ ممّا قد يتوهّم نسبته لهﷺ.

وكذا قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾[٧].

---

١. اختلفت الأقوال في القصر بـ(إنما) فأثبته الجمهور، ونفاه الكثير، والمثبتون قالوا بالمنطوق وقالوا بالمفهوم، واستدل الذاهبون إلىٰ انها للحصر بأمور منها اطباق العلماء في قوله تعالىٰ: ﴿انما حرم عليكم الميتة﴾ [البقرة: ١٧٣] بالنصب علىٰ ان معناها: ما حرّم عليكم إلّا الميتة. وهو المطابق لقراءة الرفع. (انظر الايضاح، ص١٠١؛ تفسير القرطبي، ج٢، ص٤٥١؛ روح المعاني، ج٢، ص٤٣؛ توضيح المطول، السيد يوسف التبريزي، ج٢، ص١٩١).

٢. الملك: ٢٥ ـ ٢٦.

٣. طه: ٥١ ـ ٥٢.

٤. الأعراف: ١٨٧.

٥. الأعراف: ٢٠٣.

٦. آل عمران: ٢٠.

٧. التوبة: ٩١ ـ ٩٣.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾[١].

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلَ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

فالمقصور عليهم هم الفقراء والمساكين وغيرهم ممّن ذكروا في الآية الكريمة بحيث لا تتجاوزهم إلى غيرهم، كأنّه قيل: «إنّما هي لهم، لا لغيرهم» وهو ما جاء متأخّراًفي الجملة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا القُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرينَ﴾[٣]؛ مقالان للقصر:

المقال الأول: ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ﴾، أي إنّ الهداية تعود إلى المهتدي، ولا تعود إلى الرسول.

المقال لثاني: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ المُنْذِرِينَ﴾ فليس عليّ من وبال ضلالك شيء، وإنّما هو عليك فقط، أي مختصّ به، وحذف ذلك لدلالة جواب مقابله عليه، فقد أخبر الرسول عن نفسه بأنّه منذر فقط، ونفى عن نفسه كونه هادياً.

و«إنّما» تأتي للقصر بمعنى أنّ هذا الحكم لا يوجد في غير المذكور، فهي إذن بمنزلة «ليس إلّا».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ﴾[٤] أثبت الإنذار، وأنّه لا يفيد إلّا مع الذين يتصفون بالخشية من اللّه، ونفى فائدة الإنذار مع هؤلاء المتمرّدين وأهل العناد.

وقوله تعالى يحكي لنا ما قاله المنافقون: ﴿وإذَا خَلَوْا إلَىٰ شَياطِينِهِمْ قالوُا إنّا مَعَكُمْ

---

١. الشورى: ٤١ و ٤٢.

٢. التوبة: ٦٠.

٣. النمل: ٩٢.

٤. فاطر: ١٨.

إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئونَ﴾[١].

وقول كلّ من قوم صالح وقوم شعيب: ﴿قالوُا إنَّما أنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذينَ لا يؤمِنُونَ بآياتِ اللّهِ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾[٤].

إنّ هؤلاء المشركين لن يصدّقوك، ولن يستجيبوا لدعائك، فهم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، وهل يسمع الموتى؟! إذن هؤلاء لا سبيل إلى استجابتهم، فلا تحرص على تصديقهم لك، فالذين يستجيبون هم الذين خلصت قلوبهم من العداوة للدين الجديد، فيستمعون إليه ويتفهّمونه، أمّا غير هؤلاء من المشركين، فلن يستجيب منهم أحد.

وقوله تعالى: ﴿إنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبُ وَلَهْوٌ﴾[٥]، أي ليست الحياة إلّا لعب ولهو.

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا المُؤْمِنُون إخْوَةٌ﴾[٦]، أي ليس المؤمنون إلّا إخوة.

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٧]، ليس أموالكم وأولادكم إلّا فتنة.

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا النَسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾[٨]، ليس النسيء إلّا زيادة في الكفر.

وقوله تعالى: ﴿إنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[٩]، أي إنّ التوبة التي أوجب اللّه على نفسه قبولها ـ بوعده الذي هو أثر كرمه وفضله ـ ليست إلّا لمن يجترح السيّئة بجهالة تلابس نفسه من سورةغضب، أو تغلّب شهوة، ثمّ لا يلبث أن يندم على ما فرط منه، وينيب إلى ربّه، ويتوب ويقلع عن ذنبه.

١. البقرة: ١٤.
٢. الشعراء: ١٥٣.
٣. النحل: ١٠٥.
٤. الأنعام: ٣٦.
٥. الأنعام: ٣٢.
٦. الحجرات: ١٠.
٧. التغابن: ١٥.
٨. التوبة: ٣٧.
٩. النساء: ١٧.

وقوله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١]، أي ليس التناجي بالإثم والعدوان إلّا من وسوسة الشيطان وتزيينه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[٢]. أي ليس معبودكم المستحقّ للعبادة إلّا هو اللّه عزّ وجلّ.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ البَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كَلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٣].

فأمر الله رسوله أن يقول: أُمرت أن أخصّ اللّـه وحـده بـالعبادة، ولا أتّـخذ له شريكاً، كما فعلت قريش، وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملّة الإسلام.

وتستعمل «إنّما» لقصر الصفة على الموصوف في قوله تعالى في شأن الوصيّة: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

والمراد أنّ من بدّل الوصّية وحرّفها فغيّر حكمها وقع عليه الإثم، واللّـه مـطلع عليه، وكاشف أمره، والقصر في الآية من قصر الصفة على الموصوف، أي صفة الإثم أو العقاب على الذين بدّلوا حكم الوصيّة، والقصر حقيقي تحقيقي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْـمَنَ بِـالغَيْبِ﴾[٥]. قـصّر صـفة الإنذار المترتّب عليه النفع على المتّبعين للقرآن، والعاملين بـه لوجـه اللّـه، وهـو الموصوف.

وكقوله تعالى في قصر الموصوف على الصفة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[٦]، أي ما بعثت إلّا لإنذار من يخاف حسابها وعقاب اللّه على إجرامه.

---

١. المجادلة: ١٠.
٢. طه: ٩٨.
٣. النمل: ٩١.
٤. البقرة: ١٨١.
٥. يس: ١١.
٦. النازعات: ٤٥.

أمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَآءَ فِـي الخَـمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾[١]. فالقصر في الآية يجوز أن يكون من قصر الصفة على الموصوف، بمعنى إنّه قصّر مـراد الشـيطان عـلى إيـقاع العـداوة والبغضاءفي الخمر والميسر والصدّ عن ذكر اللّه وعن الصلاة.

ويجوز أن يكون من قصر الموصوف على الصفة، بمعنى إنّه قصّر الشيطان على إيقاع العداوة والبغضاء والصدّ عن ذكر اللّه وعن الصلاة في الخمر والميسر.

والقصر حقيقي مبنيّ على المبالغة، وجاء القصر بـ ﴿إنّما﴾ لتشير بأنّ هذا الأمر من الأُمور المعلومة التي لا ينكرها أحد، ولا يدفعها مدافع.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَآءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

القصر في الآية يحتمل أن يكون قصر موصوف عـلى صـفة؛ أي إنّ الشـيطان (موصوف) مقصور على الأمر بالسوء والفحشاء والقول على اللّه بلا عـلم صـفة، فيكون قصراً حقيقياً.

ويجوز أن تكون صفة الأمر بالسوء والفحشاء مقصورةً على الشيطان الذي هو الموصوف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[٣] متضمّن لكلا النوعين؛ أي الوحي عليه (صلوات اللّه عليه) مقصور على استئثار اللّه بالواحدانيّة، فيقال على قصر الصفة: «ما يوحي إليّ إلّا التوحيد»، أي الشرك ليس بالوحي، وعكسه: «مـا إلهكم إلّا إله واحد» أي ليس صفة التعدّد.

وأحسن مواقع «إنّما» استعمالاً ما إذا كان القصد منها التعريض، كما فـي قـوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُأُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٤] أي إنّما يـتعقّل الحـقّ أصـحاب العـقول، فـمن

---

١. المائدة: ٩١.
٢. البقرة: ١٦٩.
٣. الانبياء: ١٠٨.
٤. الرعد: ١٩؛ الزمر: ٩.

المجزوم به أن ليس الغرض من هذا الكلام ظاهره؛ وهو حصر تعقّل الحقّ في ذوي العقول؛ لأنّ هذا أمر معلوم بالبداهة، وإنّما هو تعريض لذمّ الكفّار، وأنّهم ـ لفـرط عنادهم، وغلبة الهوى عليهم ـ في حكم من لا عقل له، وأنّ من يطمع في أن ينظروا ويتذكّروا كمن يطمع في ذلك من غير أُولي الألباب.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١] ليس الغرض منه بيان خشية العلماء فحسب، وإنّما هو تعريض بأُولئك الذين لا يخشون اللّه تبارك وتعالى وإن حفظوا المسائل، وحذقوا قضايا العلم، وأنّهم ليسوا حرّيين بأن يكونوا من العـلماء ماداموا لا يخشون اللّه تعالىٰ.

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ﴾[٢]، والمعنى أنّه مـن لم تكن له هذه الخشية، فكأنّه ليس له أُذُنٌ تسمع، وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار.

وأمّا قوله تعالىٰ على لسان حال مريمعليها السلام حين تمثّل لها الملك بشراً سويّاً: ﴿إنّي أعُوذُ بالرّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنتَ تَقيًّا * قال إنّمَا أنَا رَسُولُ رَبّكِ﴾[٣]، فالتعبير بـ ﴿إنّمَا﴾ لمن ينزّل منزلة العالم بالشيء غير المنكر له، وهو أنّ مريمعليها السلام وإن كانت تـجهل هـذه الحقيقة وتنكرها إلّا أنّها نزّلت منزلة غير المنكر وغير الجاهل، وقد رأت كثيراً من الكرامات، وكيف جاءها الروح الأمين حيث لا يستطيع أن يـصلها أحـد، فـحريٌّ بمريم ـ إذن ـ أن لا تنكر هذا الأمر.

كذلك في قوله تعالى حكاية عن اليهود وقد قيل لهم: ﴿لا تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ﴾[٤] فحكىٰ القرآن عنهم قولهم: ﴿إنّمَا نَحْنُ مُصْلِحِونَ﴾[٥] يقولون: ما نحن إلّا مـصلحون، أرادوا أن يبيّنوا أنّ تلك قضيّة بديهيّة، وأنّ كونهم مصلحين أمر لا ينبغي أن يرتاب فيه أحد، وأن ينزّلوا المنكر لهذه القضية منزلة غير المنكر[٦].

١. فاطر: ٢٨.
٢. فاطر: ١٨.
٣. مريم: ١٨ و ١٩.
٤و٥. البقرة: ١١.
٦. أفنان البلاغة، ص ٣٧٤.

ومثال ذلك من الشعر قول العباس بن الأحنف:

أَنـا لَـمْ أُرْزَق مَـحَبَّتَها　　　إِنّما لِـلْعَبْدِ مـا رُزِقـا[١]

الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنّه قد صار ينصح نفسه، ويعلم أنّه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها، ويَيْأَسَ من أن يكون منها إسعاف. ويظهر سر جمال إنّما إذا حذفناها من الجملة، وقلنا: للعبد مارزقا، فإنّه يكون مجرّد إخبار ووصف بأن للعبد ما رزقه اللّه، فلايكون وراء كبير معنى.

ومنه قول الباخرزي:

يلومُ في الحُبِّ من لَمْ يَـدْرِ طَـعمَ الهـوى

وإنّـــما يَـــعْذرالعُشّـــاقَ مَـــنْ عَشِـــقا[٢]

ويقول: إنّه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يَلُومُهُ في عِشقه، وإنّه يـنبغي أن لا ينكر ذلك منه، فإنّه لا يعلم كنه البلوَى في العشق، ولو كان ابتلي به لعرف ما هو فيه فَعَذَرَه[٣].

وقول الباخرزي ـ أيضاً ـ (أو محمد بن أحمد بن سلمان):

ما أنْتَ بـالسبَبِ الضـعيفِ وإنّـما　　　نُـجْحُ الأُمُـورِ بِـقُوَّةِ الأَسـبابِ

فـــاليومَ حــاجَتُنا إليك وإنّـــما　　　يُدْعىٰ الطبيبُ لِسَاعَةِ الأَوْصـابِ

يقول في البيت الأوّل: إنّه ينبغي أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب إليه.

ويقول في الثاني: إنّا قد وضعنا الشيء في موضعه، وطلبنا الأمر من جهته حين استعنا بك فيما عَرَض من الحاجة، وعوّلنا على فضلك، كـما أنّ مـن عـوّل عـلى الطبيب فيما يعرض له من السُّقْم كان قد أصاب بالتعويل موضعه، وطلب الشيء من معدنه[٤].

من الأمثلة الشعريّة في هذا الباب لقصر الموصوف على الصفة قول ابن الرومي:

---

١. ديوانه، ص٢١٧؛ الايضاح، ص١٣٠؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ٦٢.

٢. دلائل الاعجاز، ص٢٧٢؛ الاشارات والتنبيهات، ص٨٣؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٦٢.

٣. انظر: دلائل الإعجاز (تحقيق شاكر)، ص٣٥٥.

٤. انظر: المصدر، ص٢٧٢ و٢٧٣؛ الإيضاح، ص١٣١.

ألا إنّما الدُّنيا بلاغٌ لِغايةٍ　　فإمّا إلى غَيٍّ وإمّا إلى رُشْدِ

فقَصْرُ الدنيا (موصوف) على البلاغ (صفة) قصر إضافى.

وقول المتنبّي:

وإنّما نحنُ في جيلٍ سواسِيه　　شَرٌّ على الحُرِّ مِنْ سُقمٍ على بَدَنِ

فقَصْرُ «نحن» وهو الموصوف على «كوننا في جيل سواسيه» و هو الصفة قصر إضافي.

وقال آخر:

وإنّما المَرْءُ حديثٌ بَعْدَهُ　　فَكُنْ حَدِيثاً حَسَناً لمن وَعَى[1]

قصر «المرء» (الموصوف) على «أنّه سيكون خبراً يروى» (الصفة) قصر حقيقى.

وقال آخر

إنّما الدنيا هِباتٌ　　وعوارٍ مُسْتَرَدَّة

شِدَّةٌ بعد رَخاءٍ　　وَرَخاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ[2]

قَصْرُ الدنيا و هو الموصوف على الهبات والعوار المستردة وهي الصفة قصر إضافي.

ومن قصر الصفة على الموصوف:

قول الشاعر:

إلىٰ الله أشكو لا إلىٰ الناس حبّها　　ولابدّ من شكوىٰ حبيبٍ يروَّعُ

قصر الصفة «أشكو» علىٰ الموصوف وهو لفظ الجلالة «الله» بحيث لا تتعداه إلىٰ شيء معين وهو «الناس»[3].

الأمثلة المتداولة للتوضيح في «إنّما» من حيث تقسيم مباحث القصر باعتبارات مختلفة:

---

١. من بلاغة النظم العربي، ص ٤٠.

٢. البلاغة الصافية، ج ٢، ص ١٢٣؛ جواهر البلاغة، ص ١٢١.

٣. نوع القصر: قصر قلب، أي: عكس واقع من يعتقد ان شكوىٰ الحبيب إلىٰ الناس فقلب عليه اعتقاده، وطريقة القصر هنا: التقديم والعطف بـ«لا».

منها: تقسيم القصر باعتبار حال المقصور: قصر صفة، وقصر موصوف.

وباعتبار غرض المتكلّم: حقيقي، وإضافي.

وباعتبار حال المخاطب: قصر إفراد، وقلب، وتعيين.

مثاله في قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً قولك: «إنّما شاعرٌ المتنبّي» أي لا غير المتنبّي.

وفي قصر الموصوف على الصفة قولك: «إنّما المتنبّي شاعرٌ» أي لا غير شاعر.

ومثاله في قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً قولك: «إنّما شاعر المتنّبي» أي لا المنفلوطي.

ومثال قصر الموصوف على الصفة قولك: «إنّما المتنبّي شاعر»، أي لا خطيب.

وكونه قصر قلب أو إفراد أو تعيين منوط بحال المخاطب، فمثال قصر الموصوف على الصفة إفراداً: «إنّما المنفلوطي كاتب»، أي لا شاعر لمن اعتقد أنّه كاتب وشاعر.

وقلباً نحو «إنّما عليّ قائم»، أي لا قاعد لمن اعتقد أنّه قاعد.

وتعييناً نحو: «إنّما الزهاوي شاعر» لمن يتردّد بين كونه شاعراً وكاتباً.

ومثال قصر الصفة على الموصوف إفراداً: «إنّما قائم عليّ» لمن يعتقد قيامه مع محمّد.

وقلباً لمن اعتقد قيام محمّد دون عليّ.

وإذا كان المخاطب متردّداً كان القصر قصر تعيين.

● القسم السادس: تقديم ما حقّه التأخير

كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمول ـ مثل المفعول، والمجرور، والحال ـ على العامل، والمقصور عليه في هذا النوع من القصر هو المقدّم.

مثال الأوّل قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾[١].

أي ظنّوا أنّ حصونهم مانعتهم، فـ ﴿حُصُونُهُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿مَانِعَتُهُمْ﴾ خبر مقدّم،

---

١. الحشر: ٢.

ومدار الدلالة التقديم؛ لما فيه من الاختصاص، فكأنّه لا حصن أمنع من حصونهم، ليدلّ بذلك على فرط اعتقادهم لحصانتها، ومبالغة في شدّة وثوقهم بمنعها إيّـاهم، وأنّهم لا يُبالون معها بأحد، ولا ينالهم فيهم نَيلٌ[١].

وقوله تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[٢].

اختار الزمخشري أنّ ﴿رَاغِبٌ﴾ خبر مقدّم، و ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ، وفيه توجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجّب[٣].

ولم يقل: «أنت راغب» ليدلّ بذلك على إفراط تعجّبه في الميل عنها، ومبالغة في الاهتمام بأمرها، وواضعاً في نفسه أنّ مثل آلِهته لا ينبغي الرغبة عـنها، ولا يـصحّ الإعراض عن عبادتها[٤].

ومن رائق ذلك وبديعه قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٥].

الضمير ﴿هِيَ﴾ للقصّة والشأن، وهو مبتدأ، و ﴿شَاخِصَةٌ﴾ خبر مقدّم، و ﴿أَبْصَارُ﴾ مبتدأ مؤخّر، والجملة خبر الضمير، وإنّما قدم الخبر ولم يقل: «أبصار الذين كـفروا شاخصة» لأمرين:

أمّا أوّلاً: فلأنّه إنّما قدّم الضمير في قوله ﴿هِيَ﴾ليَدلّ بـه عـلى أنّـهم مـختصّون بالشخوص دون غيرهم من سائر أهل المحشر.

وأمّا ثانياً: فلأنّه إذا قدّم الخبر أفاد أنّ الأبصار مختصّة بالشخوص من بين سائر صفاتها من كونها حائرة، أو مطموسةً، أو مُزْوَرَّة... إلى غير ذلك من صفات العذاب، ولو قال: «واقترب الوعد الحقّ فشخصت أبصارها» لم يُعْطِ من هذه الأسرار معنىً واحداً.

---

١. انظر: الطراز، ج٢، ص٦٨؛ روح المعاني، ج٢٨، ص٤٠.
٢. مريم: ٤٦.
٣. الكشاف، ج٣، ص٢٠.
٤. انظر: الطراز، ج٢، ٦٩.
٥. الأنبياء: ٩٧.

ومن دقيق التقديم وغريبه قولهﷺ وقد سئُل عن الوضوء بماء البحر، فقال مجيباً للسائل: «هو الطّهور ماؤُهُ، والحلُّ ميتَتهُ» وإنّما قدّم الخبر على المبتدأ في كلا الأمرين لغرضين:

أمّا أوّلاً: فلأن يدفع بذلك إنكار من يُنكر الحكمين جميعاً جواز الوضوء، وحلّ ميتته؛ لأنّه ربّما يَسنَحُ في النفوس ـ من أجل كونه زُعَاقاً مختصّاً بالمُلُوحة البالغة ـ أنّه لا يجوز الوضوء به وإن كان ميّتاً، فلا يحلّ أكله؛ لعدم الذكاة فيه، فقدّم الخبر من أجل دفع ذلك وإزالته.

وأمّا ثانياً: فلأجل التنبيه على الاختصاص بكونه أخصّ المياه بجواز التوضّوء به؛ لصفائه ورقّته، وأنّ ميتته حلالٌ لا يشوبها في طيب المكسب وحِلّ التناول شائب، ولو قال في الجواب: «هو الذي ماؤُه طاهرٌ، وميتتُه حلالٌ» نزل عن ذلك الرتبة، وفاتت عنه المزيّة[1].

وقال الإمام عليﷺ: «فإنّمَا مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ الحَيّةِ لَيّنٌ مَسُّها، قاتِلٌ سُمُّها»[2] وهو من قصر الموصوف.

وقولك: «عراقي أنا» أي لا غير عراقي إن كان القصر حقيقياً، أو لامصري مثلاً إن كان القصر إضافياً، فتقديم الخبر على المبتدأ أفاد قصر الموصوف ـ وهو ضمير المتكلّم ـ على الصفة وهي العراقية بحيث لا يتعدّاها إلىٰ غيرها أصلاً في القصر الحقيقي، أو إلى المصريّة في القصر الإضافي.

ومن قصر الموصوف على الصفة إفراداً: «شاعرٌ هو» لمن يعتقده شاعراً أو كاتباً.

ومن قصر الموصوف على الصفة قلباً: «قائم هو» لمن يعتقده قاعداً بناءً علىٰ أنّ «قائم» خبر مقدّم، وأمّا على أنّه مبتدأ و«هو» فاعل فلا يشمله.

ويشترط في تقديم الخبر على المبتدأ المفيد للقصر أن لا يكون المبتدأ نكرة قدّم عليها الخبر وجوباً؛ لأنّ التقديم حينئذٍ لا يفيد القصر.

---

١. انظر: الطراز، ج ٢، ص ٦٩ و ٧٠.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٦٨.

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

أي نَخصُّك بالعبادَةِ لا نَعْبُدُ غيرك، ونطلب منك الاستعانة لا مِن غيرك، فتقديم المفعول به على الفعل أفاد قصر الصفة ـ وهي العبادة والاستعانة ـ على الموصوف الذي هو ضمير الخطاب ﴿إيّاكَ﴾ قصراً حقيقياً تحقيقياً بحيث لا يتعدّاها إلىٰ غـيره سبحانه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلّهَ مُلْكُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢]؛ إذ قصر موصوف ﴿مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾ على الجار والمجرور ﴿للّه﴾ (صفة) قصراً حقيقياً تحقيقياً.

وكقوله تعالى: ﴿أَلا إِلَى اللّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾؛ لأنّ المعنى: أنّ اللّه تـعالى مـختّص بصيرورة الأُمور إليه دون غيره.

ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

فقد قدّم الخبر فيهما؛ للدلالة على اختصاص الأمرين به تعالى، فهذه الظروف لا وجه لتقديمها على عاملها إلّا ما ذكرناه من الاختصاص.

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «بنا اهْتَدَيْتُم في الظَّلماءِ، وَتَسَنَّمْتُم العلياءَ، وَبِنا أفْجَرْتُم عنِ السِّرارِ»[٥].

إنّما قدّم الضمير المجرور على الفعل الذي تعدّى به؛ ليفيد القصر على القـلب، يعني ليس الأمر ما تصوّرتم واعتقدتم من أنّ الاهـتداء والشـرف والدخـول فـي الإسلام حصل لكم بغيرنا، بل ما حصل إلّا بنا.

١. الفاتحة: ٥.
٢. آل عمران: ١٨٩.
٣. الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦.
٤. التغابن: ١.
٥. «تسنّم العلياء» ركبتم سنامها، و ارتقيتم إلى أعلاها. «أفجرتم» دخلتم الفجر. «السرار» آخـر ليـلة فـي الشـهر يختفي فيها القمر، و هو كناية عن الظلام، نهج البلاغة، الخطبة ٤.

وقالﷺ: «وَمنْهمْ مَنْ أبعدَهُ عَنْ طلبِ الملكِ ضَؤولةُ نفسِهِ، وانقطاعُ سببِهِ، فقصَرَتْهُ الحالُ علىٰ حالِهِ، فَتَحلّىٰ باسْمِ الْقناعَةِ، وتزيَّنَ بِلباسِ أهْلِ الزّهادَةِ، وَليْسَ مِنْ ذلِكَ فِي مَراحٍ وَلا مَغْدىً»[١].

في تقديم «عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ» على «ضَؤُولَةُ نَفْسِهِ» فائدة القصر للإفراد؛ أي ليس المانع عمّا يرومه من الملك إلّا أمرين:

أحدهما: ضعف نفسه، وتخيّلها العجز عن طلب الملك.

والثاني: هو سبب ذلك الضعف من قلّة المال والأعوان والأنصار.

وقال المتنبّي:

وَ مِنْ نَكَدِ الدُّنيا عـلى الحُـرِّ أَنْ يَـرىٰ
عَـدُوّاً لَـهُ مَـا مِـنْ صـداقَـتِهِ بُـدُّ

فالشاعر قدّم: «من نكد الدنيا» ليعبّر عـن شـدّة إحسـاسه، وقـوّة نـفوره مـن الاضطرار إلى (صداقة)بعض الأعداء، ولو قال: «رؤية الحرّ عدوّاً له ما من صداقته بدّ من نكد الدنيا» لم يحصل القصر أو التخصيص، أي الغاية التي قدّم مـن أجـلها ما حقّه أن يؤخّر.

قال الشاعر:

إلى اللّه أشكـو لا إلى النـاسِ أنـنّي أرى الأرضَ تبقى والأَخِلّاءَ تذهبُ[٢]

قصّر صفة الشكوى على الموصوف (لفظ الجلالة) قصراً إضافياً؛ للتركيز عـلى ما يراه الأفضل.

ولا يخفى اعتبار الإضافي منه قلباً، أو إفراداً، أو تعييناً.

وتقول: «راكباً حضرت إليكم» في تقديم الحال، فإنّه يفيد أنّه جئت على هـذه الصفة مختصّاً بها من غيرها من سائر الصفات.

وقد يأتي في تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المعمول على العامل عدم إفادته

١. «لَيْسَ في ذَلكَ منْ مَرَاحٍ وَ لاَ مَغْدَى» كناية أنّه ليس له من القناعة و لا من الزهادة خلاق.

٢. من بلاغة النظم العربي، ج ٢، ص ١٢؛ البلاغة الصافية، ج ٢، ص ١١٤.

القصر، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَآءَ الجِنّ﴾[١].

قيل في جعل هذا التقديم: إنّه للاهتمام دون التخصيص.

وكذلك في تأخير المنصوب عن المرفوع في قوله تـعالى: ﴿لَـقَدْ وُعِـدْنَا نَـحْنُ وَآبَاؤُنَا هٰذَا﴾[٢] لكونه مَصبَّة، وتقديمه عليه في قوله: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآباؤُنَا﴾ للاهتمام؛ إذ الإنكار هاهنا أبلغ، لأنَّ الذي قيل هذه: ﴿ءَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا﴾[٣].

وكذلك تقديم المفعول على التابع في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لآ إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ وَالمَلآئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ﴾[٤] للاهتمام بشأن التوحيد.

وربّما يكون التقديم للاحتياط، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[٥].

فلو أخّر ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ لأوْهَمَ أَنَّهُ من صلةِ ﴿يَكْتُمُ﴾ فلم يُفهم أنّ الرجل من الآل، ويكون لرعاية الفواصل؛قال تعالى: ﴿طّه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى...﴾[٦] إلىٰقوله: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[٧] أخّرَهُ معكونه متبوعاً، ولمراعاة النـظم قـدّم قوله ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[٨] ليكون على نسق الآيتين السابقتين.

وقد يكون تقديمه من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي في الإيقاع، كـقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٩] ليطابق قوله: ﴿بَاسِرَةٌ﴾ و ﴿فَاقِرَةٌ﴾.

---

١. الانعام: ١٠٠. الجنّ: مفعول قوله الاوّل لـ«جعلوا». و «شركاء» مفعوله الثاني؛ لأنّ الجنّ المقصود من السياق لا مطلق الشركاء، و«لله» متعلّق بـ«شركاء» و قدّم المفعول الثاني على الأوّل؛ لأنه محلّ تعجيب و إنكار، فصار لذلك أهمّ و ذكره أسبق.

و تقديم المجرور على المفعول في قوله: ﴿لله شركاء﴾ للاهتمام و التعجّب من خطل عقولهم؛ إذ يجعلون لله شركاء من مخلوقاته؛ لأنّ المشركين يعترفون بأنّ الله هو خالق الجنّ.

٢. المؤمنون: ٨٣.

٣. النمل: ٦٧.

٤. آل عمران: ١٨.

٥. غافر: ٢٨.

٦. طه: ١ و٢.

٧. طه: ٧٠.

٨. يس: ٣٩.

٩. القيامة: ٢٢ و٢٣.

ونحو قوله: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[٢] ليطابق قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[٣].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٤]، و ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٥]، فتقديم هذا وأمثاله ليس من جهةالاختصاص.

هكذا حال الآيات القرآنية، فإنّ فيها لمن تـأمّلها وأمـعن نـظره وحكّ قـريحته أسراراً علميّة، ولطائف إلهيّة يَدْرِيها مَن أدْمَنَ فكرته فيها، وأتعب قلبه وخاطره في إحراز معانيها.

وقد يقدّم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي، والحاصل على رأي الشيخ عبد القاهر الجرجاني أنّ له أحوالاً:

أحدها: أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتاً، فيأتي للتخصيص نحو: «أَنا سَعَيْتُ في حاجَتِكَ» في قَصْرِ الإفراد إذا توهّم الشَرْكة في السّعْيِ، والقلب إذا أسنده إلى الغير، ويؤكّدُ الأوّل بـ«وحِدي» والثاني بـ«لا غيري».

ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٦].

فإنّ ما قبله من قوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ ولفظ ﴿بَلْ﴾ المشعر بالإضراب يقضي بأنّ المراد بل أنتم لا غيركم؛ فإنّ المقصود نفي فرحِه هو بالهدّية، لا إثبات الفرح لهـم بهديّتهم.

وكذا قوله: ﴿لاَتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[٧]، أي لا نعلمهم إلّا نحن[٨].

وقد يأتي للتقوية والتأكيد دون التخصيص، قال الشيخ بهاء الدين: ولا يتميّز ذلك

---

١. القيامة: ٢٩ ـ ٣٠.
٢. القيامة: ١٢.
٣. القيامة: ١٣.
٤. الأنبياء: ٣٥.
٥. الشورى: ١٠.
٦. النمل: ٣٦.
٧. التوبة: ١٠١.
٨. انظر: عروس الأفراح (شروح التلخيص)، ج٢، ص١٩٦.

إلّا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام[١].

ثانيها: أن يلي المسند إليه حرف النفي، فيأتي للتخصيص أيضاً، نحو قول قوم شعيب عليه السلام رادّين زعَمهُ في أنّ العزيز رهطُهُ ونفسه: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[٢]، أي العزيز رهطك، لا أنت، فلذا طابقه: ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾[٣]، أي من نبيّ اللّه.

ثالثها: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتاً، مثل: «رجل جاءني» فيفيد قصر الجنس، و يكون المراد «رجل جاءني لا امرأة»، أو العدد، و يكون المعنى «رجل جاءني لا رجلان».

رابعها: أن يكون المسند منفياً، نحو «أنت لا تكذب» فإنّه أبلغ في نفي الكذب من «لا تكذب» ومن «لا تكذب أنت».

وقد يفيد التخصيص، ومنه: ﴿فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤].

وخلاصة ما يراه عبد القاهر الجرجاني أنّ إفادة القصر في تقديم المسند إليه على المسند إذا ولي حرف النفي، وفي غير هذه الصورة قد يفيد التقديم القصر، وقد يفيد تقوّي الحكم وتقريره؛ مضمراً كان المسند إليه، أو مظهراً، معرّفاً، أو نكرة، مثبتاً كان الفعل، أو منفيّاً[٥].

ووافقه السكّاكي وزاد شروطاً وهي أنّ المسند إليه إن كان نكرة فتقديمه للتخصيص إن لم يمنع منه مانع.

وإن كان معرفة فإن كان مظهراً فلا يكون للتخصيص قطعاً.

وإن كان مضمراً فإن اعتبر تقدير كونه في الأصل مؤخّراً على أنّه فاعل معنى فهو للتخصيص.

فالسكّاكي يجيز تقديم الفاعل المعنوي دون اللفظي، ولايخفى أنّهما سواء في

---

١. الإتقان، ج٣، ص١٧٢.

٢. هود: ٩١.

٣. هود: ٩٢.

٤. القصص: ٦٦.

٥. انظر: دلائل الإعجاز، ص٩٦ و مابعدها.

امتناع التقديم ما بقيا على حالهما.

● القسم السابع: ضمير الفصل

هو ضمير رفع منفصل يؤتى به بين المبتدأ والخبر، أو بين ما أصله مبتدأ وخبر، فيرفع الإبهام بسبب دلالته على أنّ الاسم بعده هو الخبر لما قبله من مبتدأ، أو أصله مبتدأ وليس صفة ولا بدلاً ولا غيرهما من التوابع والمكمّلات التي ليست أصلية في المعنى.

وفوق ذلك يفيد في الكلام معنى الحصر والتخصيص أو القصر، أي: إفادة اختصاص المسند إليه بالمسند، بمعنى جعل المسند مقصوراً على المسند إليه بحيث لايتعدّاه إلى مسند آخر[١].

انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وأنّه خَلَقَ الزوجينِ الذكَرَ والأنثى * من نُطفَةٍ إذا تُمنى * وأنَّ عليه النشأةَ الأُخرى * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأنّه هو ربُّ الشّعرٰى * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾[٣].

كيف أثبت ﴿هُوَ﴾ دلالة على ما ذكر، ولم يأت به في نسبة خلق الزوجين وإهلاك عاد؛ إذ لا يتوهّم إسناد ذلك لغير اللّه تعالى، ولا الشركة فيه، وأمّا الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء، فقد يدعىٰ ذلك، أو الشركة فيه.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾[٤]، فدخول ﴿هو﴾ للإعلام بأنّ اللّه هو ربّ هذا النجم وإن كان ربّ كلّ شيء؛ لأنّ هذا النجم عبد دون اللّه، واتّخذ إلهاً، فأتى بـ ﴿هُوَ﴾ لينبّه على أنّ اللّه مستند بكونه ربّاً لهذا المعبود ومن دونه؛ لا يشاركه

---

١. و قد يقع أحياناً بين مالا يحتمل شكّاً و لا لبساً، فيكون الغرض منه مجرّد تقوية الاسم السابق، و تأكيد معناه بالحصر، و الغالب أن يكون ذلك الاسم السابق ضميراً، كما سنشير إليه في الأمثلة.

٢. النجم: ٤٣ ـ ٤٨.

٣. النجم: ٤٩ و ٥٠.

٤. النجم: ٤٩.

في ذلك أحد.

تأمّل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[١].

لو كانت الآية بدون ضمير الفصل، فيرد عليها احتمالان:

الاحتمال الأول: تعريف اللّه بأنّه رزّاق، فيكون هذا التعريف ركناً أصيلاً في الكلام؛ لا يمكن الاستغناء عنه بحال، وما بعده متمّم له، وزيادة طارئة عليه يمكن الاستغناء عنها، فـ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمتينُ﴾ تكملة تعرب ﴿ذُو﴾ صفة.

الاحتمال الثاني: أنّ اللّه ذو القوّة المتين الرزّاق، فتكون هذه الجملة ﴿إِنَّ اللّهَ ذُو الْقُوَّةِ الْمتينُ﴾ فيها ﴿ذُو الْقوّةِ الْمتينُ﴾ عصب الكلام لا يقوم المعنى إلّا بها، لأنّها خبر، ولا يتحقّق المراد إلّا بوجودها مع كلمة ﴿اللّه﴾ اسم ﴿إِنّ﴾ وما عداها ـ﴿الرّزّاقُ﴾ـ فزيادة طارئة لا أصلية، فتعرب ﴿اَلرّزّاقُ﴾ صفة، والاحتمالان متساويان يصحّ الأخذ بأحدهما أو بالآخر بغير ترجيح.

ولمّا كانت الآية: ﴿إِنَّ اللّهَ هُوَ الرّزّاقُ﴾ امتنع الاحتمال الثاني، وتعيّن الأوّل بسبب وجود الضمير الدالّ على أنّ ما بعده هو الجزء الأساسي المتمّم للكلام، وأنّ الغرض الأهمّ هو الإخبار عن اللّه بأنّه الرزّاق، وما عدا ذلك فزيادة غير أصيلة في تأدية المراد، فتكون كلمة ﴿اَلرزّاقُ﴾ هي الخبر، وليست صفة.

ويجوز أن يكون طريق القصر في الآية الكريمة تعريف المسند ﴿الرزّاقُ﴾ بـ«أل» الجنسية، وعلى ذلك يكون ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ لتأكيد القصر.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

ضمير الفصل ﴿أنْتَ﴾ للقصر، قصّر صفة المراعاة والحفظ والعلم ـ وهي الرقابة على الموصوف وهو اللّه سبحانه وتعالى، ولو لم يكن ضمير الفصل ﴿أنْتَ﴾ للقصر لما حسن؛ لأنّ اللّه لم يزل رقيباً عليهم في جميع الأحوال، وإنّما الذي حصل بتوفيته

---

١. الذاريات: ٥٨.

٢. المائدة: ١١٧، و إذا جعلنا القصر حاصلاً من تعريف الخبر، يكون ضمير الفصل لتأكيد القصر. «التوفّي» أخذ الشيء وافياً، و الموت نوع منه، و هنا جاء بمعنى الرفع.

لعيسىﷺ وقد كان شهيداً عليهم يراقبهم ويأمرهم بعبادة اللّه، فلم يبقَ لهم رقيب غير اللّه تعالى، وينبغي لهذا أن يتعيّن إعرابه فصلاً[١].

و قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[٢]، أي هو المنفرد بـالبتر المـخصوص بـه، لا رسول اللّهﷺ فجميع المؤمنين أولاده، وذكره مرفوع على لسان كلّ عالم و ذاكِر إلى آخر الدهر؛ يبدأ بذكر اللّه، ويثنّي بذكرك[٣]، فقد قصّرت الآية صفة ﴿الأَبْتَرُ﴾ على الموصوف ﴿شَانِئَكَ﴾، أي إنّما الأبتر هو شانئك المنسيّ في الدنيا والآخرة.

وقـوله تـعالى: ﴿لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ﴾[٤].

تنفي الآية الكريمةالتساوي بين أهل النار وأهل الجنّة، وتقرّر أنّ أهل الجنّة هم الظافرون بكلّ مطلوب، الناجون من كلّ مكروه.

وما دامت الآيةالكريمة تقرّر عدم الاستواء بين أهل النار وأهل الجـنّة، فـذلك لا يحسن إلّا بأن يكون ضمير الفصل ﴿هُمْ﴾ للاختصاص، وهو من قصر الصفة على الموصوف، أي قصر الفوز على أصحاب الجـنّة، وتـعيّن إعـراب الضـمير فـصلاً، ولا يجوز أن يعرب تأكيداً، أو مبتدأ ثانياً، وإذا جعلنا القصر حصل من تعريف الخبر ﴿الفَائِزُونَ﴾ كان ضمير الفصل ـ ﴿هُمْ﴾ لتأكيد القصر[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦].

التركيب ﴿هٰذَا هُوَ الحَقَّ﴾ مفيد لتخصيص المسند إليه بالمسند على آكد وجه، كما أنّ فيه تهكّماً وإظهاراً للجزم واليقين بأنّه ليس من عند اللّه.

---

١. انظر: من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٤٣ (شروح التلخيص)؛ عروس الأفراح، ج١، ص٣٨٧.
٢. الكوثر: ٣.
٣. البحر المحيط، ج٨، ص٥٢٠؛ الكشاف، ج٤، ص٨٠٧.
٤. الحشر: ٢٠.
٥. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٤٤.
٦. الأنفال: ٣٢.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ﴾[1].

في الآية قصر صفة ﴿الْوَارِثينَ﴾ على الموصوف ﴿نا﴾ وهو اللّه سبحانه وتعالى، وتوسّط ضمير الفصل ﴿نَحْنُ﴾ بين كلمتي ﴿نا﴾ و ﴿الوَارِثينَ﴾.

مع أنّ كلمة ﴿الْوارِثينَ﴾ خبر «كان» منصوبة بالياء، ولا يصحّ أن تكون صفة؛ إذ لا يوجد موصوف غير ﴿نا﴾ التي هي ضمير، والضمير لا يوصف.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[2].

في الآية قصر صفة ﴿الْمفلِحُونَ﴾ على موصوف المشـار إليـه بـ ﴿أُولئِكَ﴾ أي ﴿المتَّقُونَ﴾ وطريق القصر توسّط ضمير الفصل ﴿هُمْ﴾ بين المبتدأ والخـبر؛ أي هـم المختصّون بالفلاح، دون غيرهم.

يقول الزمخشري: ﴿هُمْ﴾ فصل، وفائدته الدلالة على أنّ الوارد بعده خبر، لا صفة، والتوكيد وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه، دون غيره... ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين ﴿أولِئكَ﴾ ليبصّرك مراتبهم، ويرغّبك في طلب ما طلبوا، وينشّطك لتقديم ما قدّموا[3].

وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَاللّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

أي أنّ هؤلاء المشركين من قومك قد اتخذوا أولياء ينصرونهم من دون اللّه، فإن أرادوا وليّاً بحقّ يدفع عنهم الملمّات، ويجلب لهم الخيرات، فاللّه هو الوليّ بحقّ، ولا وليّ سواه.

ففي الآية الكريمة قصر وهو من قصر الصفة ﴿الْوَلِيُّ﴾ على الموصوف ﴿اللّـهُ﴾ وأداة القصر ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ بين المسند والمسند إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[5].

---

١. القصص: ٥٨.
٢. البقرة: ٥.
٣. الكشاف، ١، ص٤٦.
٤. الشورى: ٩.
٥. المزمل: ٢٠.

توسّط ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ بين لفظ الجلالة ﴿اللّه﴾ وبين كلمة ﴿خَيْرًا﴾ التي هي ثاني مفعولي «وجد» وجاز وإن لم يقع بين معرفتين؛ لأنّ «أفعل» أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة[1].

واحتمل أن يكون تأكيد الضمير النصب في ﴿تَجِدُوهُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[3].

والمعنى أنّ الذي قصّه اللّه على رسوله من نبأ عيسى لهو الحقّ، وضمير الفصل للقصر، ودخول اللام عليه لزيادة التأكيد، والأصل فيها أن تدخل على المبتدأ، إلّا أنّهم ينقلونها إلى الخبر لئلّا يتوالى حرفا تأكيد، وإذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز؛ لأنّه أقرب إلى المبتدأ.

والمقصور ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ والمقصور عليه المشار إليه بـ ﴿هَٰذَا﴾ وهو نبأ عيسى عليه السلام قصر صفة على موصوف.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ...﴾[4].

يفهم من هذا التخصيص أنّ قبول التوبة ليس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إنّما إلى اللّه الذي هو يقبل التوبة تارة، ويردّها أُخرى، فاقصدوا اللّه بها ووجّهوها إليه[5].

وقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم﴾[6].

﴿هُوَ﴾ ضمير فصل بين مفعولي «حسب» لا توكيد للمظهر كما توهّم، أي ولا يحسبنّ الذين يبخلون البخل خيراً لهم.

وتحقيق القول فيه أنّ للمبتدأ حقيقةً، وللخبر حقيقةً، وكون حقيقة المبتدأ موصوفاً بحقيقة الخبر، أمر زائد على حقيقة المبتدأ وحقيقة الخبر، فإذا كانت هذه الموصوفية

---

١. انظر: الكشاف، ج٣، ص٦٤٤.
٢. انظر: البحر المحيط، ج٨، ص٣٦٧ و ذكر أبو البقاء العكبري ـ إضافة إلى كونه فصلاً و توكيداً ـ كونه بدلاً، فقوله بدل و هم لو كان بدل لطابق في النصب، فكان يكون إيّاه. إملاء ما منّ به الرحمن (للعكبري)، ج٢، ص٢٧٣.
٣. آل عمران: ٦٢.
٤. التوبة: ١٠٤.
٥. الكشاف، ج٢، ص٣٠٨؛ التفسير الكبير، ج١٦، ص١٨٤.
٦. آل عمران: ١٨٠.

أمراً زائداً على الذاتين، فلابدّ من صيغة ثالثة دالّة على هذه الموصوفية؛ وهي كلمة ﴿هُوَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً﴾[٢].

توسّط ضمير الفصل ﴿أنا﴾ بين الياء وهي محذوفة، والأصل:إن تـرني وكـلمة: ﴿أقلّ﴾ التي هي المفعول الثاني للفعل: «ترى» ولا يصحّ أن تكون صفة للـياء؛ لأنّ الضمير لا يوصف، وهكذا وقع ضمير الفصل قبل ما لا يصلح صفة ولا تابعاً مـن التوابع أو المكمّلات.

وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[٣].

﴿هُوَ﴾ فصل، ومن قرأ ﴿الْحقّ﴾ بالرفع جعله مبتدأ، و ﴿الْحقَّ﴾ خبراً.

والجملة في موضع المفعول الثاني لـ ﴿يَرَى﴾ أي ليعلم أُولو العلم عـند مـجيء الساعة أنّه الحقّ، علماً لا يزاد عليه في الإيقان، ويحتجّوا به عـلى الذيـن كـذّبوا وتولّوا[٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِـنَّا كَـذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٥].

تمنّى المخدوعون في القيادات الضالّة لو يردّون إلى الدنيا وهـم عـلى صّـحة العقيدة، فيشفوا غيظهم من رؤسائهم وأندادهم، فهم لا يرجعون إلى الدنـيا، كـذلك لا يدخلون الجنّة بسبب ما طبعوا عليه من خرافات الشرك وحبّ الأنداد.

المتبادر في أمثال هذه الآية حصر النفي في المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾[٦].

---

١. انظر: التفسير الكبير، ج٩، ص١١٣.
٢. الكهف: ٣٩.
٣. سبأ: ٦.
٤. انظر: الكشاف، ج٣، ص٥٦٨ و٥٦٩.
٥. البقرة: ١٦٧.
٦. هود: ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[١].

ففيهإشارة إلى عدم خلود عصاة المؤمنين الداخلين في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للّهِ﴾[٢] في النار.

وإذا أُريد من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٣] الكفّار مطلقاً دون المشركين فقط كان الحصر حقيقياً، ويكون المقصود منه المبالغة في الوعيد بأنّه لا يشاركهم في الخلود غيرهم، فإنّ الشركة تهوّن العقوبات.

وقيل: إنّ المقصود نفي أصل الفعل؛ لأنّه اللائق بمقام الوعيد لا حصر النفي، إذ ليس المقام مقام تردّد ونزاع في أنّ الخارج هم أو غيرهم على الشركة أو الانفراد؛ وإن كان صحيحاً بالنظر إلى العصاة، إلّا أنّه غيّر إلى ما ترى، إفادةً للمبالغة في الخلود، والإقناط عن الخلاص، والرجوع إلى الدنيا، وزيادة الباء في قوله تعالىٰ: ﴿بِخَارِجِينَ﴾ لتأكيد النفي.

وأنت تعلم أنّه إذا لم يعتبر في الحصر حال المخاطب لم يبق فيه ما يقال سوى أنّ ظواهر بعض الآيات تقتضي عدم إرادة الحصر، ومن ذلك قوله تعالى في هذه الآية، فليس القول بعدم الحصر نصّاً في الاعتزال، كما توهّم[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ ءالِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾[٥].

استنكر اللّه على عبدة الأوثان قدرة آلهتهم علىٰ أن تبعثهم بعد الموت، فكيف جعلوها لله ندّاً؟! فهم لا يعترفون بأنّ اللّه قادر على إخراجهم من العدم إلى الوجود بعد الموت، ولكنّهم بادّعائهم للأوثان الألوهيّة يلزمهم مقدور الإنشار؛ لأنّه لا يستحقّ هذا الاسم إلّا القادر على كلّ مقدور، والإنشار من جملة المقدورات، فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها، وهو أبلغ في الإنكار، وفيه باب من التهكّم بهم والتوبيخ والتجهيل.

---

١. هود: ٩١.
٢و٣. البقرة: ١٦٥.
٤. انظر: روح المعاني، ج٢، ص٣٦ و ٣٧؛ الكشاف، ج١، ص٢١٢؛ تفسير القرطبي، ج٢، ص٢٠٧.
٥. الأنبياء: ٢١.

ولمّا كان المنكر على الآلهة في القدرة على الإنشار، فلا يـلزمهم مـن حـصر الأُلوهية فيهم.

ومن الأمثلة الأُخرى لغير كلام اللّه قول الإمام عليﷺ: «لأَنْسُبَنَّ الإسلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبْلي، الإِسلامُ هو التسليمُ، والتسليمُ هو اليقينُ، واليقينُ هو التصديقُ، والتصديقُ هو الإِقرارُ، والإِقرارُ هو الأداءُ، والأداءُ هو العملُ»[١].

● **القسم الثامن: تعريف المسند أو المسند إليه بـ«أل» الجنسية**

القصر بلام التعريف أو «أل» الجنسية يختصّ بالمبتدأ والخبر، ويجري فيهما فقط، فالمعرّف بلام الجنس يجوز أحياناً أن يكون مبتدأ إذا قدّم، ويجوز أن يكون خبراً إذا تأخّر، فإذا قدّم كان طريق القصر تعريف المسند إليه بـ«أل» الجنسيّة، وإن تأخّر كان طريق القصر تعريف المسند بـ«أل» الجنسيّة.

والقصر حينئذٍ يكون من قصر الجنس على المسند إليه تـحقيقاً، مـثل: «خـالد الأمير» إذا لم يكن ثمّة أمير سواه.

ومبالغةً مثل: «محمّد الشجاع»، أي الكامل في الشجاعة، فتخرج الكـلام فـي صورة توهم أنّ الشجاعة لم توجد إلّا فيه؛ لعدم الاعتداد بشجاعة غيره؛ لقصورها عن رتبة الكلام، فقد قصّر صفة الشجاعة على الموصوف «محمّد» فالمعرّف بـ«أل» الجنسيّة هو المقصور على أيّ حال؛ تقدّم أو تأخّر، والآخر هو المقصور عليه.

وعليه إن كان المعرّف بـ«أل» الجنسيّة مبتدأ صار مقصوراً على الخبر؛ سواء كان الخبر معرّفاً بها، أو غير معرّف أصلاً، وإن كان المعرّف بـ «أل» الجنسية خبراً فـهو مقصور على المبتدأ نحو: «محمد العادل».

وإذا عرّف الطرفان بـ«أل» الجنسيّة ـ مثل «العالم المجاهد» ـ فـالسياق يـعيّن المراد، فإذا كان مراد المتكلّم قصر صفة «العالم» على المجاهد، كان طريق القصر تعريف المسند إليه بـ«أل» الجنسيّة، وإذا كان غرضه قصر صفة الجهاد على «العالم»

---

١. الحكم ١٢٥.

كان طريق القصر تعريف المسند بـ «أل» الجنسيّة[١].

والسياق يقصد به مراعاة حال السامعين من ناحية قدرتهم على إدراك أنّ هذا محكوم عليه، وأنّ ذاك محكوم به على حسب المعنى بحيث يتميّز كلّ من الآخر، دون خلط أو اشتباه.

وذكر عبد الحكيم أنّ الصواب أن يقال: إنّه إذا كان أحدهما أعمّ فهو المقصور، وإن كان بينهما عموم من وجه يفوّض إلى القرائن، وإن لم توجد قرينة فالأظهر قصر المبتدأ على الخبر؛ لموافقته للأصل الغالب في المبتدأ[٢].

---

١. انظر: من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٧٦ و ما بعدها.
٢. حاشية عبدالحكيم السيالكوني على كتاب المطول، ص٢٩٢.

الباب الثالث

الفصل والوصل

الفصل و الوصل

● **تعريفهما:**

الوصل: هو عطف جملة فأكثر على جملة أُخرى[1] بالواو خاصّة؛ لصلة بينهما في المبنى والمعنى، أو دفعاً لِلَبسٍ يمكن أنْ يحصل.

والفصل: ترك هذا العطف إمّا لأنّ الجملتين متّحدتان مبناً ومعناً، أو بمنزلة المتّحدتين، وإمّا لأنّه لاصلة بينهما في المبنى أو في المعنى.

ويعدّ هذا الباب أدقّ أبواب علم المعاني؛ لأنّ فيه ما ليس في غيره من التفاصيل بين الجمل ومواقعها، وما يتّصل بها من حكم الإعراب، والخبر والإنشاء، والجهة الجامعة، وغير ذلك، فلا يحيط علماً بكنهه إلّا من أُوتي فهم كلام العرب طبعاً سليماً، ورُزِق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً، ولذا قَصَّر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل والوصل.

ولا غنى للبليغ عن المعرفة الدقيقة لمواقع الجمل وما ينبغي أن يحدث فيها من عطف بعضها، أو ترك هذا العطف وإرسالها مستأنفة دون ربط بما سبقها، وعن الاستعمال الصحيح لحروف العطف وإيقاعها ومواقعها.

ولا يتحقّق بلاغة الوصل إلّا بالواو العاطفة دون سائر حروف العطف الأُخر؛ ذلك لأنّ الواو هي التي يقع فيها الاشتباه دون سائر حروف العطف، لأنّها لمطلق الجمع، ولمجرّد تشريك ما بعدها لما قبلها في اعرابه، فيحتاج العطف معناً جامعاً بين

---

١. خُصّت الجملة؛ لأنّها أكثر أحكاماً و إن كان الوصل و الفصل يجريان ـ أيضاً ـ في المفردات، فإن وجد الجامع بينهما فالوصل، و إلّا فالفصل.

المتعاطفين يصحح العطف، وهذا المعنى هو ما يحتاج البليغ إلى إدراكه وتعرّفه[١].

أمّا بقيّة حروف العطف، فيفيد العطف بها مع الإشراك في الحكم الإعرابي معاني أُخر، كالترتيب المتّصل (أي: مع التعقيب) في الفاء، وكالترتيب المنفصل (أي: مع التراخي) في «ثمّ»[٢]، وكالتخيير مع الإباحة في «أو» ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها، ولذلك يحسن العطف بهذه الأحرف حين تَحقّق هذا المعنى وإن لم تتوافر الجهة الجامعة بين المتعاطفين[٣].

وشرط العطف بالواو أن يكون بين الجملتين جهة جامعة[٤]، أي علاقة يصّح بها ربطها بالعطف، كالتناسب في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ﴾[٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحْيايَ وَمَمَاتي للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ﴾[٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[٧]، ونحو: «يقرأ ويكتب»[٨].

أو قد تكون الجهة الجامعة التضاد، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَليضحكوا قَليلاً وَليبكوا كَثيراً﴾[٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾[١٠] ونحو: «أنت تَصِل وتقطع، وتعطي وتمنع، وتُذِلّ وترفع».

---

١. الايضاح، ص١٥١؛ المطول (تحقيق عناية)، ص٤٣٣ - ٤٣٤.

٢. و قد جمعت ذلك الآيات الكريمة التالية: ﴿وَالَّذى هُوَ يَطْعِمُنى وَ يَسْقينِ * وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفين * وَالَّذِى يُميتُنى ثُمَّ يُحْيين﴾ الشعراء: ٧٩ ـ ٨١.

٣. انظر: الكافي في علوم البلاغة، ص ٢٩٨ و٢٩٩؛ الإيضاح، ص١٥١؛ جواهر البلاغة، ص٢٠٦؛ دلائل الإعجاز، ص١٦٠.

٤. مفتاح العلوم، ص٣٥٩.

٥. الليل: ٥. فبين الإعطاء والاتقاء والتصديق (وهي مسند) تناسب ظاهر في المعنىٰ (كونها من أفعال الخبر)، والمبنىٰ (كونها أفعالاً ماضية مبنية علىٰ الفتح)، كما أن ثمة تناسباً في المسند إليه: (الفاعل في الجمل الثلاث، وهو واحد). (الكافي علوم البلاغة، ج١، ص٢٩٩)

٦. الانعام: ١٦٢. فالصلاة والنسك والمحيا والممات كلها أسماء متناسبة.

٧. البقرة: ٢٨٥. فالله والملائكة والكتب والرسل أسماء بينها تناسب (من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص ١٥٠).

٨. لما بين الكتابة والقراءة من التناسب، والجهة الجامعة.

٩. فالذهن يتصور البكاء عند ذكر الضحك، كما أن ثمة تناسباً بين الجملتين في الإنشائية (الكافي، ج١، ص٢٩٩).

١٠. الحديد: ٣.

وإنمّا كانت المضادّة هنا في حكم الموافقة؛ لأنّ الوهم ينزّلها منزلتها في ملازمة حضور أحد الضدّين في الذهن عند حضور الآخر منهما، فإنّ السواد يخطر بالبال عن ذكر البياض، كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة، وهكذا في بقيّة النظائر من الطرفين[١].

وأحياناً تكون الصفات غير متضادة، ويأتي العطف، وذلك إذا كان العطف يشير إلىٰ معنىً كما في قوله تعالىٰ: ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطولِ لا إلهَ إلّا هُوَ إلَيْهِ الْمَصِيرِ﴾[٢]؛ لأن الصفتين وهما: «غفران الذنوب» و«قبول التوبة» تواردا علىٰ معنىً واحد هو: التجاوز عن الذنب، فجاءت الواو بينهما مؤذنة بالتغاير ومشيرة إليه، فالله يغفر الذنب حيناً من تلقاء نفسه بفضله، وحيناً يعفو عنه بسبب ندم التائب واعتذاره، فدلت الواو علىٰ هذا المعنىٰ واشارت إليه[٣].

أحكام الفصل والوصل

إذا توالت الجملتان، فإما أن يكون للأولىٰ محل من الإعراب ـ بأن كانت واقعة في موقع الخبر، أو المفعول أو المضاف ـ وإما أن لا يكون لها محل من الإعراب كالجملة الاستئنافية وجملة الصلة.

١. **إن كان للجملة للأُولى محلٌّ من الإعراب** فإمّا أن يُقصد تشريك الثانية للأولىٰ في حكم الإعراب الذي لها، وإما أن لا يقصد تشريك الثانية للأولىٰ في هذا الحكم.

أ) فإن قُصد التشريك عُطِفت الثانية على الأُولى، نحو قوله تعالىٰ: ﴿واللّهُ يُحْيي وَيُميتُ﴾[٤].

---

١. أي وصف له خصوص بجمعها في العقل، أو الوهم، أو الخيال، و يقرّب أحدهما من الآخر.
٢. غافر: ١ و ٢ و ٣.
٣. من بلاغة النظم، ج٢، ص ١٥١.
٤. آل عمران: ١٥٦.

ففي الآية الكريمة جملتان هما: «يحيي» و«يميت»، الأولىٰ منهما لها موضع من الاعراب؛ لأنها خبر لمبتدأ قبلها، والآية تريد اشراك الجملة الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، وبين الجملتين تناسب اذ المسند إليه في كل منهما واحد وهو «الله» عزوجل، والمسند فيهما: «يحيي» و«يميت» متناسبان؛ لأنهما ضدان، فبين الجملتين جهة جامعة، وليس فيهما ما يمنع العطف. وكقول أبي العلاء المعرّي:

وحُبُّ العَيْشِ أعْبَدَ كُلَّ حُرٍّ وَعَلَّمَ ساغِباً أَكْلَ المُرارِ[١]

فجلمة «أعبدَ كُلَّ حُرٍّ» لها موضع من الإعراب؛ لأنّها خبر للمبتدأ قبلها، وأنّ الشاعر أراد إشراك الثانية «علّم ساغباً أكل المرار» لها في هذا الحكم الاعرابى.

ب) وإن لم يُقصد التشريك فصلت الثانية عنها،

نحو: ﴿قَالُوا إنّا مَعَكُمْ إنَّما نَحْنُ مُسْتهزِءُونَ... اللّهُ يَسْتَهْزئُ بِهِمْ﴾[٢].

لم يعطف قوله ﴿اللّهُ يَسْتهزئُ بِهِمْ﴾ علىٰ ما قبله؛ لئلّا يشاركه في حكم المفعوليّة المقول، أي في كونه ممّا قالوهُ وهو ليس ممّا قاله[٣].

٢. إن لم يكن للجملة الأُولى محلّ من الإعراب، فإمّا أن يكون لها حكم ما، وإمّا أن لا يكون لها حكم

الأوّل: فإن كان للأُولى حكم لم يقصد إعطاؤهُ للثانية وجب الفصل دفعاً للتشريك بينهما، نحو: ﴿إنّما أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللّهُ يَعْلمُ مَا تحمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ﴾[٤].

١. «الساغب» الجائع. «المرار» شجر مرّ. يقول: إنّ حبّ الحياة يجعل الحرّ عبداً، و يضطرّ الإنسان إلى احتمال الأذى. انظر: من بلاغة النظم العربي، ج ٢، ص ١٥٥.

٢. البقرة: ١٤ و ١٥؛ لأنّ قوله ﴿إنّما نحنُ مُسْتَهزِؤنَ﴾ عطف بيان لقوله ﴿إنّا مَعكُمْ﴾ فحكمه حكمه.

٣. ذكر «يستهزئُ» دليل على أنّ مضمون الجملة مجازاة على استهزائهم، و لأجل اعتبار الاستئناف قُدّم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي. و لم يقل: يستهزئ الله بهم؛ لأنّ ممّا يجول في خاطر السائل أن يقول: مَن الذي يتولّى مقابلة سوء صنيعهم فأعلم أنّ الذي يتولّى ذلك هو ربّ العزّة تعالى، و في ذلك تنويه بشأن المنتصر لهم، فتقديم المسنداليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوّي الحكم لا محالة، ثمّ يفيد مع ذلك قصر المسند على المسنداليه؛ فإنّه لمّا كان تقديم المسنداليه على المسند الفعلي في سياق الإيجاب يأتي لتقوّي الحكم و يأتي للقصر على رأي عبدالقاهر الجرجاني و صاحب الكشاف، كما صرّح به في قوله تعالى: ﴿و الله يُقدّر الليل و النهار﴾ في سورة المزّمّل، فالجمع بين قصد التقوّي و قصد التخصيص جائز في مقاصد الكلام البليغ و خاصّة بأبلغ الكلام، و لذلك يقال: النكت لا تتزاحم.

٤. الرعد: ٧ و ٨.

هنا لم يعطف قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾ على ما قبله؛ لئلّا يشاركه في حكم القصر، فيكون تعالى مقصوراً على هذا العلم.

الثاني: إن كان للأُولى حكم وقُصِد إعطاؤهُ للثانية وجب الوصل، نحو: «إنّما زيد كاتب، وعمرٌ شاعرٌ».

ج) إن لم يكن للأُولى ذلك الحكم، نحو: «زيد خطيب، وعمرو فقيه» وجب الوصل أيضاً.

٣. إن كانت الجملتان اللتان لهما محلٌّ من الإعراب، أو اللتان لا محلّ لهما من الإعراب، كمال الانقطاع، أو كمال الاتّصال، أو شبه أحدهما، فيجب الفصل مطلقاً، لتعذّر ارتباط المنقطعتين بالعطف، وعدم افتقار المتّصلتين إلى الربط.

ويراد بكمال الانقطاع أن تكون إحداهما منقطعة عن الأُخرى انقطاعاً كاملاً بحيث لا يصحّ ارتباطهما.

وبكمال الاتّصال أن تكون متّصلة بها اتّصالاً كاملاً بحيث لا تصحّ المغايرة بينهما.

وعلىٰ هذا الأساس بيّن البلاغيون مواضع الفصل والوصل:

أولاً: مواضع الفصل

يجب الفصل في خمسة مواضع:

- **الموضع الأوّل: كمال الاتّصال**

وذلك أن يكون بين الجملتين اتحاد تامّ، كأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأُولى، أو بدلاً منها، أو بياناً لها، فلا يصحّ عندئذٍ العطف (الوصل) وذلك لتنزيلها مع ما قبلها منزلة الشيء الواحد، والشيء لا يجوز عطفه علىٰ نفسه، وذلك كما يأتي:

□ ١. مؤكّدة للأُولى تأكيداً لفظيّاً أو معنوياً

أ) **التأكيد اللفظي**: ويتحقّق إذا اتّفقت الجملتان في المعنى، سواء اختلف اللفظ أم اتّحد، فتنزّل الجملة الثانية من الأُولى منزلةَ التأكيد اللفظي من متبوعه في اتّـحاد المعنى.

فمثال الجُمَل أو الجملتين اللتين اتّفقتا في المعنى واختلفتا في اللفظ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

فإنّ جملة ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِين﴾ توكيد لفظي لقوله سبحانه: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾، معناه أنّه في الهداية بالغ درجةً لا يُدرك كُنْهُها حتّىٰ كأنّه هداية محضة، وذلك مـأخوذ مـن تنكير ﴿هُدىً﴾ الذي يدلّ على التعظيم.

وجملة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ معناها أنّ القرآن بلغ الدرجة القصوى من الكـمال فـي الهداية، والمراد بكماله كماله في الهداية؛ لأنّ الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات الكمال[٢].

فجاءت الجملة الثانية بمثابة التأكيد اللفظي من الأُولى، فمضمون الجملة الثانية هو مضمون الجملةالأُولى، ومن ثمّ ترك العطف بالواو؛ لأنّه لا يجوز عطف الشيء على نفسه، ولأنّ العطف يقتضي المغايرة، ولا مغايرة هنا بين الجملتين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِم ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ

---

١. البقرة: ٢ في هذه الآية الكريمة ثلاث جمل هي: ١. ﴿ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ﴾، ٢. ﴿لا رَيْبَ فيه﴾، ٣. ﴿هُـدىً لـلـمُتَّقينَ﴾ و الجملتان الثانية و الثالثة توكيدان: الأُولى معنوي، و الثانية لَفظي.

و جاءت جملة ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ بدون حرف العطف؛ لأنّها موضحة للجملة التي قبلها، فكلّ ما كان من القرآن فهو صادق لا ريب فيه و لا شكّ. و جاءت جملة ﴿هُدىً للمُتَّقينَ﴾ بدون حرف العطف أيضاً؛ لأنّها موضحة التي قبلها، فكلّ ما لا يرتاب في حاله، و لا يتردّد في شأنه، يشتمل على الهداية و الصلاح لأهل التقوى، فكـانت ﴿هُـدىً للمُتَّقين﴾ موضحة للجملة قبلها.

٢. انظر: شروح التلخيص، ج٣، ص٣٧، فسّر صاحب الإيـضاح: ﴿ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ﴾ بـأنّه الكـامل مـن جـعل المـبتدأ ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى بعد المنزلة، و لمّا أُريد إثبات نهاية كماله عرّف الجزآن؛ ليفيد الحصر، و أنّ كمال غيره بالنسبة إليه كلا كمال؛ لأنّ ذلك وسيلة للهداية. (انظر: الايضاح، ص١٥٥).

* خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَـمْعِهِم وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[١].

فجملة ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ تأكيد لجـملة ﴿سَـوَآءٌ عَـلَيْهِم أَأَنـذَرتَهُمْ أَمْ لَـمْ تُـنذِرْهُمْ﴾ لأنّهمامتحدان في المعنى.

وجملة ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِم وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ تأكيد ثانٍ أبلغ من الأوّل؛ لأنّ عدم التفاوت بينالإنذار وعدمه لا يصحّ إلّا في حقّ من ليس له قلبٌ يخلص إليه حقٌّ، وسمعٌ تدرك به حُجّةٌ، وبصرٌ تثبت بـه عِـبْرَةٌ، ولذلك تـرك العاطف بين هذه الجمل الثلاث لما بينهما من كمال الاتّصال.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءآمَنَّا بِـاللّهِ وَبِـالْيَوْمِ الآخِـرِ وَمَـا هُـم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ والّذِينَ ءآمَنُواْ﴾[٢].

الجملة الثانية ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالّذينَ آمَنُوا﴾ لا تختلف من حيث المـعنى عـن جملة: ﴿مَن يَقُولُ ءآمَنَّا﴾ وذلك لأنّهم حينما قالوا: ﴿ءآمَنَّا﴾ قالوها وهم غير مؤمنين، والذي يقول خلاف ما يضمر فإنّه يخادع، فلا فرق من حيث المعنى بين الجملتين ﴿ءآمَنَّا﴾ و ﴿يُخَادِعُونَ﴾ ومن ثمّ ترك العطف بالواو؛ لأنّ اتّحاد الجملتين اتّحاد تامّ يمنع عطف الشيء على نفسه، ويوجب ترك «واو» العطف.

وقال الشاعر:

يَـهوي الثـناءَ مُـبْرِّزٌ ومُـقَصِّرٌ حُبُّ الثناءِ طـبيعة الإنسـانِ[٣]

البيت هنا يشتمل على جملتين، وإذا تأمّلنا وجدنا بينهما اتّحاداً تامّاً في المعنى، فالجملة الثانية وهي «حبّ الثناء طبيعة الإنسان» لم تجئ إلّا توكيداً للأُولى وهي جملة: «يهوي الثناء مبرّز ومقصّر»؛ فإنّ معنى الجملتين واحد.

وقد يتّحدان في المعنى واللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿فَـمَهِّلِ الْكـافِرِينَ أَمْـهِلْهُمْ رُوَيْدَاً﴾[٤].

---

١. البقرة: ٦ ـ ٧.

٢. البقرة: ٨ و ٩.

٣. اساليب بلاغية، ص١٨٩.

٤. الطارق: ١٧.

فيلاحظ أنّ جملة ﴿فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ﴾ وجملة ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ قد اتّحدتا في المعنى واللفظ، ففصّل بين الجملتين؛ لأنّ الثانية بمثابة التأكيد اللفظي من الأُولى وهو ظاهر، وقوّة الرابطة بينهما من ناحية اللفظ والمعنى هي التي أغنت عن «واو» العطف، وتجاوزاً نقول: «فصل بينهما» إذْ تركت «الواو»، لكنّ الجملتين في الحقيقة ربطا ربطاً وثيقاً محكماً من ناحية اتّحادهما في اللفظ والمعنى، ومن ثمّ تركت «الواو»؛ إذ لا حاجة لها الآن.

وقال المتنبّي:

وما الدَّهْـرُ إلّا مِـنْ رُواةِ قِـصائدي
إذا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدا[1]

فالشطر الثاني لم يعطف على الشطر الأوّل؛ لأنّهما قد اتّحدا في المعنى واللفظ، ففصّل بين الشطرين؛ لقوّة الرابطة بينهما.

ب) التأكيد المعنوي: كون الثانية مؤكّدة للأولى تأكيداً معنوياً بأن يختلف مفهومهما، ولكن يلزم من تقرّر معنى أحدهما تقرّر معنى الأُخرى، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

جملة ﴿ذلِكَ الْكِتابُ﴾ معناها ـ كما مرّ ـ الكتاب الذي بلغ الدرجة القصوى في الكمال لفظاً ومعنىً، وجملة ﴿لا رَيْبَ فيهِ﴾ معناها أنّه لا يتطرّق إليه شكّ، وأنّه في علوّ الشأن وسطوع البرهان بحيث لا يرتاب العاقل فيه، فالمعنيان مختلفان لكنّها متلازمان؛ فإنّه يلزم من بلوغ القرآن درجة الكمال أن لا يكون محلاً للريب.

فنزلت الجملة الثانية من الأُولى منزلةَ التأكيد المعنوي من متبوعه في اتّحاد المعنى، كما لو قلت: «جاء الرجل نفسه».

وواضح أنّ بلاغة هذا التعبير تكمن في تأكيد المعنى المراد في ذهن السامع،

---

١. يقول: إنّ الدهر من جملة شعري؛ لأنّ ألسنة الناس جميعاً تتناقله في كلّ وقت، فكأنّ الدهر إنسان ينشد قصائدي و يرويها. انظر: من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٨٤؛ علم المعاني (الدليمي والاوسي والآلوسي)، ص٢٦٦.

٢. البقرة: ٢.

وتقلع منه جذور الشكّ في مضمون الجملتين.

ويقال: الإعجاز مستلزم غاية الكمال، وغاية كمال الكلام البليغ يبعده من الريب والشبه؛ لظهور حقّيته، وذلك مقتضٍ لهدايته وإرشاده؛ فإن نظر إلى اتّحاد المعاني بحسب المآل كان الثاني مقرّراً للأوّل، فكان توكيداً معنوياً.

وإن نظر إلى أنّ الأوّل مقتضٍ لما بعده ـ للزومه بعد التأمّل الصادق ـ فالأوّل لاستلزامه ما يليه، وكونه في قوّته، يجعله منزّلاً منه منزلة بدل الاشتمال؛ لما بينهما من المناسبة والملازمة، وفي كلا المقتضيين ترك العطف؛ لما بين الجملتين من كمال الاتّصال.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَم يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيهِ وَقْراً﴾[1].

في الآيةالكريمة جملتان: ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ وفي ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرَاً﴾ ومعنى الجملة الأولى أنّه مصادفةٌ لم يسمعها، أو قصد عدم سماعها، ومعنى الجملة الثانية أنّه لم يسمعها؛ لفساد سمعه.

وفي الجملة الثانية ـ كما هو واضح ـ تقرير لما أفادته الجملة الأُولى، وإن اختلفتا في المعنى، فبين الجملتين كمال الاتّصال.

وقوله تعالى: ﴿مَا هَذا بَشَراً إِنْ هَذاَ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[2].

فيه فصل بين الجملتين؛ لأنّ الثانية من الأُولى بمنزلة التأكيد المعنوي، لاختلاف مفهومي الجملتين، ولأنّ مضمون الثانية منهما مقرّر لمضمون الأُولى؛ ذلك أنّه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، فإثبات ملكيّته تحقيق وتأكيد لنفي بشريّته.

وقوله تعالى: ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾[3].

فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من كمال الاتّصال؛ إذ الثانية بمثابة التوكيد

---

١. لقمان: ٧.

٢. يوسف: ٣١.

٣. النجم: ٣ و ٤.

المعنوي للأُولى؛ لأنّ تقرير كونه وحياً نفيٌ لأن يكون عن هوى.

وقوله تعالى: ﴿ومِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمنّا باللّهِ وباليَوْمِ الآخِرِ ومَا هُم بـمؤمنين ❊ يُخادِعُونَ اللّهَ﴾[١].

فصل جملة ﴿يُخَادِعُونَ﴾ عـمّا قـبلها؛ لأنّ بـينهما كـمال الاتّـصال، لأنّ هـذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم: ﴿آمَنّا﴾، دون أن يكونوا مـؤمنين، فـهي ـ إذن ـ توكيد معنوي للأُولىٰ.

وقوله تعالى: ﴿وألْقِ عَصَاكَ فلمّا رَءاها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَـانٌّ وَلَّـى مُـدْبِراً وَلَـمْ يُـعَقِّبْ ياموسىٰ لا تَخَف إنّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿مُدْبِراً﴾ حال مؤكّدة معنىً؛ لأنّ ﴿وَلّىٰ مُدْبِرَاً﴾ بـمعنى واحـد وإن اختلفا لفظاً.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّر لَكُمُ اللَّيلَ والنَّـهارَ والشَّـمْسَ وَالْـقَمَرَ والنُّجُومُ مُسَـخَّرَاتٌ بأَمْرِهِ﴾[٣].

﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ حال مؤكّدة لفظاً ومعنىً؛ لأنّها وعاملها ﴿سَخَّرَ﴾ واحد في اللـفظ والمعنى.

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللّهِ وَلا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٤].

﴿مُفْسِدينَ﴾ حال مؤكّدة معنىً؛ إذ «عاث» و«أفسد» بمعنىً واحد وإن اختلفت الألفاظ.

وكقول أبي نواس:

عليكَ بـالْيَأسِ مِـنَ النـاسِ   إنَّ غِنَى نَفْسِكَ في الْـيَأسِ[٥]

---

١. البقرة: ٨و٩.

٢. النمل: ١٠.

٣. النحل: ١٢.

٤. الأعراف: ٧٤.

٥. يتحدّث أبونواس عن أمر غريب يخالف المعهود في طبائع البشر؛ إذ أنّ المعروف أنّ غنى النفس في النفس، و ليس في اليأس، و هذا الأمر المخالف للظنّ لابدّ أن تستغربه النفس، لذا جاء بـ«إنّ» ليؤكّد هذا الأمر، و يقرّه في الإحساس.

فالشطر الثاني توكيد لمعنى الشطر الأوّل.

وقول الشاعر:

حكمُ المـنيّةِ فـي البـريّةِ جـارِ ما هـذهِ الدنـيا بـدارِ قـرارِ

فصل بين شطري البيت؛ لما بينهما من كمال الاتّصال؛ إذْ أنّ الثانية بمثابة التوكيد المعنوي للأوُلى حيث يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أنّ الدنيا ليست دار بقاء.

□ ٢. أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأُولى

بأن يكون في الأُولى قصور أو خفاء في وفائها بالمراد، وتكون الثانية أوفى به منها، والمقام يقتضي اعتناءً بشأنه.

والبدل ـ كما هو معلوم ـ أنواع ثلاثة: بدل بعض من كلّ، وبدل اشتمال[١]، وبدل كلّ من كلّ بناء على اعتباره في الجمل.

فمثال بدل البعض من الكلّ قوله تعالى حكاية عن قول نبيّ اللّه هودﷺ لقومه: ﴿وَاتَّقُوْا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٢].

فإنّه سيق للتنبيه على عظم نعم اللّه سبحانه وتعالى عند المخاطبين، وجملة: ﴿أَمَدَّكُم بما تَعْلَمُونَ﴾ مؤدّية لهذا الغرض بما فيه من عموم، وجملة ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من الأُولى؛ لأنّ فيها تفصيلاً لنعم اللّه التي لم تفصّل في جملة ﴿أَمَدَّكُمْ﴾ الأولى، وكونها أوفىٰ بتأديته ممّا قبلها؛ لدلالتها عليه بالتفصيل من غير إحالة على علمهم؛ فإنّهم معاندون لكفرهم، لأنّه لو أُحيل تفصيلها إلى علمهم فلربّما نسبوا تلك النعم إلى قدرتهم؛ جهلاً منهم.

والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون، ويحتمل الاستئناف.

---

١. بدل الاشتمال هو بدل الشيء ممّا يشتمل عليه على شرط أن لا يكون جزءاً منه، مثل «نفعني المعلّم علمه».

٢. الشعراء: ١٣٢ و ١٣٤.

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعلَّكُمْ بلقَاءِ رَبِّكُم تُوقِنُونَ﴾[١].

الجملة الثانية: ﴿يُفَصِّلُ الآياتِ﴾ جزء من الجملة الأُولى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ﴾ وتـدبير الأمر كلٌّ، ومن هذا الكلّ تفصيل الآيات، لذلك ترك الوصل بين الجـملتين؛ لتـمام الاتّحاد والاتّصال بينهما، فالجزء لا يعطف على كلّه، ولا يحتاج إلى واصلة بينهما، فالصلة قائمة ذاتية.

وقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[٢].

فالجملة الثانية هنا ـ وهي ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ﴾ ـ بدل بعض من كلّ من الأولى؛ لأنّ تذبيح الأبناء بعض ما يسومونهم ويحمّلونهم إيّاه من سوء العذاب.

وكقول علقمة بن عبدة[٣]:

ذهبتَ من الهجران فـي غـير مـذهب ولم يك حـقّاً كُـلُّ هـذا التـجنّب

عشـيّة لا تـبلى نـصيحة بـيننا عشـيّة حـلّوا بـالستار فـعزّب

فصل بين شطري البيت الثاني؛ لأنّ الشطر الأخير هو جزء من جملة تكاد تكون نفسها في الشطر الأوّل، فالتقدير ذهبت من الهجران... عشيّة لا تبلى نصيحة بيننا، وذهبت من الهجران... عشية حلّوا.

ومثال بدل الاشتمال قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْـمُرْسَلِينَ * اتَّـبِعُواْ مَـن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٤].

فصلت الثانية عن الأُولى؛ إذ أُبدلت منها بدل اشتمال، لانّها أبـين وأوفـىٰ مـن الأُولى في تأدية المعنى المقصود؛ فإنّ المراد في الجملة الأُولى: ﴿اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾ هو حمل المخاطبين على اتّباع الرسل، وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لا يسَأَلُكُم أَجْـراً﴾

---

١. الرعد: ٢.

٢. البقرة: ٤٩.

٣. علقمة بن عبدة شاعر جاهلي، نافس امرئ القيس في حبّ امرأة تسمّى «أُمّ جُنْدَب» و قد نظم كلّ منهما قصيدة فيها، فالبيتان المذكوران هما مطلع قصيدة علقمة، التي فضّلتها أمّ جندب على قصيدة امرئ القيس عندما احتكما إليها، فتزوّجها علقمة بعد ذلك، ودعي لتغلّبه على امرئ القيس بـ«علقمة الفحل». البلاغة و التحليل، ص ٩١.

٤. يس: ٢٠ ـ ٢١.

أوفى بتأدية ذلك؛ لأنّ معناه لا يخسرون مع اتّباع الرسل شيئاً من دنياكم، بل يربحون صحّة دينهم، فينتظم لهم خيرُ الدنيا و خير الآخرة.

وإنّما كانت الثانية بدل اشتمال؛ لأنّ اتّباع الرسل يتضمّن اتباعاً موسوماً بالهداية والسعادة، وهو مضمون الجملة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً﴾[١].

بين جملتي ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ و ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ كمال الاتّصال؛ لأنّ الثانية بدل اشتمال من الأُولى.

وقول الشاعر:

أقُولُ لَهُ: ارْحَـلْ لا تُـقِيمَنَّ عِـنْدَنا وإلّا فَكُنْ في السِّرِّ والجَهْرِ مُسْلِما[٢]

جملة «لاتقيمنّ» بدل اشتمال[٣] من جملة «ارحل» وفيها تفصيل للكراهية التي يحسّ بها الشاعر نحو من يعيش معه، ولا يوافقه في دينه، ففصّلت جملة «لا تقيمنّ» عن جملة «ارحل» لكون الثانية أوفىٰ بكمال الكراهية.

ومثال بدل كلّ قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤].

أُبدلت جملة ﴿قَالُوا﴾ الثانية من جملة ﴿قَالُوا﴾ الأُولى بدل كلّ؛ لأنّ الثانية أوفى من الأُولى من حيث إنّها مفصّلة للمقول[٥]. وإنّما كانت بدل كلّ لأنّ الجملتين بمعنى واحد، والاختلاف بينهما إنّما هو بالإجمال والتفصيل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أثاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾[٦].

---

١. النمل: ٨٨.

٢. انظر: الاشارات والتنبيهات، ص١٠٣؛ والايضاح، ص١٥٧؛ المفتاح، ص٣٧٦؛ المطول (تحقيق هنداوي)، ص٤٤٣؛ شرح المختصر، ج١، ص٢٣٦؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٢٧٨؛ خزانة الادب، ج٥، ص٢٠٧ و ج٨، ص٤٦٣؛ التبيان للطيبي، ص١٣٩.

٣. كونه بدل اشتمال؛ لأنّ وزان: «لا تقيمنّ» وزان «حسنها» في: «أعجبتني الدار حسنها»؛ لأنّ عدم الإقامة مغائر للارتحال، فلا يكون بدل الكلّ، و غير داخل فيه، فلا يكون بدل البعض.

٤. المؤمنون: ٨١و٨٢.

٥. لأنّ ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا...﴾ إلىٰ آخره عين ما قال الأوّلون مع تعيين و تفصيل، فيفيد البيان و التوكيد.

٦. الفرقان: ٦٨ و٦٩.

فإنّ مضاعفة العذاب هي لقاءُ الأثام، أي العقوبة.

□ ٣. أن تكون الثانية بياناً للأولى:

وذلك بأن تنزّل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح، والمقتضي للتبيّن أن يكون في الأُولى نوع خفاء، مع اقتضاء المقام إزالته، كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾[1].

فصّلت جملة ﴿قَالَ يَاآدَمَ﴾ عن جملة ﴿فَوَسْوَسَ﴾؛ لأنّها موضحة لها بمثابة عطف بيان منها؛ لخفيتها، اذ لم تبيّن تلك الوسوسة، فجاءت الجملة الثانية مفسّرة وموضحة لذلك الإجمال في الجملة الأُولى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَآءَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ علىٰ مَنْ يَشَآءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ﴾[2].

﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ بيان للأُولى، فهي منها غير أجنبيّة عنها، بيّن لرسول اللّه ﷺ ما يصنع بما أفاء اللّه عليه، وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوماً على الأقسام الخمسة.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الغَافِلُونَ﴾[3].

فصلت جملة ﴿أُولَئِكَ هَمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن ﴿أُولَئِكَ كالأنعامِ﴾؛ لأنّها كالبيان لها، ولذلك ترك عطفها بـ «الواو»؛ لأنّ الشيء لا يعطف على نفسه، لأنّ قوّة الاتّصال بينهما أغنت عن الربط بالعطف.

وقوله تعالى: ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَنَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاواتِ وَالأَرْضَ

---

١. طه: ١٢٠.

٢. الحشر: ٦.

٣. الأعراف: ١٧٩.

وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾[١].

ذكر الزمخشري أنّ ما منها جملة إلّا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتّبت عليه، والبيان متّحد بالمبيَّن، فلو توسّط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: «بين العصا ولحائها» فالأُولى بيان لقيامه بتدبير الخلق، وكونه مهيمناً عليه، غير ساهٍ عنه، والثانية لكونه مالكاً لما يدبّره، والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة، وغير المرتضى، والخامسة لسعة علمه وتعلّقه بالمعلومات كلّها، أو لجلاله وعظم قدره»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ يُوحىٰ﴾[٣].

فصل اللّه تعالى بين الجملتين في الآية الكريمة؛ لأنّ بينها كمال الاتصال، فإنّ الجملة الثانية بيان للأُولىٰ.

وكقول الرسولﷺ: «الأرواحُ جنودٌ مُجَنّدَةٌ، ما تعارفَ منها ائْتلف، وَما تَناكَرَ اخْتَلَفَ»[٤].

وكقول الإمام عليّعليه السلام: «الدهرُ يومانِ: يومٌ لَكَ، ويومٌ عليكَ»[٥].

ففي هذا القول ثلاث جمل، وقع الفصل فيها بين الأُولى والثانية، وعطفت الثالثة على الثانية، وكان الفصل واجباً؛ لكون الجملتين الأخيرتين تفسّران للأُولى ولو تمّ وصلٌ مكانه لتغيّر المعنى تمام التغيّر.

وقول المعرّي:

النّاسُ لِلنّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَمن حَضَرٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وإنْ لم يَشْعُرُوا خَدَمُ

فالجملة الثانية: «بعض لبعض...» إيضاح للأُولىٰ: «الناس للناس...» وهي بيان لها[٦].

---

١. البقرة: ٢٥٥.

٢. الكشاف، ج١، ص٣٠١ و٣٠٢.

٣. النجم: ٣ و٤.

٤. أخرجه مسلم، كتاب البرّ و الصلة، باب الأرواح و جنود مجنّده الرقم «١٦٠».

٥. نهج البلاغة، قصارالحكم ٣٩٦.

٦. اساليب بلاغية، ص١٩٠؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٨٦؛ علم المعاني (الاوسي)، ص٢٦٧.

وقول النابغة الذبياني يرثي أخاه من أُمّه:

حَسْبُ الخــلِيلَيْنِ نَــأْيُ الأَرْضِ بَــيْنَهُما
هــذا عــليها وهــذا تَــحْتَها بــالي[1]

فإنّ قوله: «هذا عليها»: بيان لقوله: «حسب الخليلين».

وقول الشاعر:

كفى زاجِراً للــمرءِ أيّــامُ دهــرِهِ
تروحُ لَهُ بالواعـظاتِ وَتَـغْتدِي

فالجملة الثانية وهي «تروح له بالواعظات وتـغتدي» لم تأتـي فـي الواقـع الّا لإيضاح إبهام جملة «كفى زاجراً للمرء أيّام دهره» فهي بيان لها.

● **الموضع الثاني: كمال الانقطاع:**

وهو أن تنقطع الصلة بين الجملتين انقطاعاً تاماً[2]، ويكون ذلك بأن تكون احدىٰ الجملتين خبراً والأخرىٰ انشاءاً، أو بالعكس، فتارة منقطعان (أي مـختلفان) لفـظاً ومعنىً، وأخرىٰ بحسب المعنىٰ دون اللفظ، أو بالعكس، فهذه ثلاثة صور:

الصورة الاولىٰ: أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنىً، أي أن تكـون الأُولى إنشائية لفظاً ومعنى، والأُخرى خبرية لفـظاً ومـعنىً، وعكسـه، أي أنّ كـلّ واحدةمنهما تخالف الأُخرى في اللفظ وفي المعنى معاً.

كقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِى الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3].

أي لا تتساوى الحسنة التي يرضى اللّه بها ويثيب عليها، والسيّئة التي يكرهها ويعاقب عليها، ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق التي هي أحسـن الطـرق، فـقابل إساءتهم بالإحسان إليهم، وادفع بحقّك باطلهم، وبحلمك جهلهم.

---

١. «حسب الخليلين» أي كفاهما، و النأي: البعد، و «البالي» الممزّق الاعضاء، يقول: كفاني و أخي حيلولة الأرض بيننا، فأنا حيّ فوقها، و هو بالي الجسم تحتها، و هذا نهاية البعد.

٢. ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية مباينة للاولىٰ تمام المباينة حيث يجب الفصل؛ لغياب الجهة الجامعة بين الجملتين.

٣. فصلت: ٣٤.

فالجملة الأُولى: ﴿لا تَسْتَوِى...﴾ خبريّة لفظاً ومعنىً.

والجملة الثانية ﴿ادْفَعْ بِالّتى هِىَ أحْسَنُ﴾ إنشائيّة لفظاً ومعنىً، فبينهما كمال الانقطاع، لذلك فصّل بينهما، ولأنّ الفصل لايوهم خلاف المقصود[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾[٢].

أي واعدلوا في كلّ ما تأتون وما تذرون، إنّ اللّه يحبّ العادلين في جميع أعمالهم، ويجازيهم أحسن الجزاء.

الجملة الأُولى ﴿أَقْسِطوا﴾ إنشائيّة لفظاً ومعنىً.

والجملة الثانية ﴿إنّ اللّهَ يُحِبُّ المقْسِطينَ﴾ خبريّة لفظاً ومعنىً، وقد فصّل بين الجملتين؛ لاختلافهما في الخبريّة والإنشائيّة.

وكقوله تعالى: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدى اللّهِ وَرَسُولِهِ وَاتّقُوا اللّهَ إنّ اللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

فصل بين قوله: ﴿إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وبين قوله: ﴿اتّقُوا اللّهَ﴾ لكمال الانقطاع بين الجملتين؛إذ الأولى إنشائيّة، والثانية خبريّة، فلا تناسب بينهما.

وذكر البلاغيون أنّه إذا عطفت الجمل الخبريّة على الجمل الإنشائيّة، أو إنشائيّة على خبريّة يتعيّن الفصل بينهما، فلا تعطف إحداهما على الأُخرى؛ نظراً لاختلافهما، وعدم التلاؤم بينهما.

وليس الأمر كما قالوا، بل نجد في القرآن الكريم ما يخالف ما ذهب إليه البلاغيون[٤]، فقوله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الّذينَ كَفَرُوا مُعجِزينَ فِى الأرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النّارُ﴾[٥].

عطف فيه جملة خبريّة ﴿وَمَأواهُمُ النّارُ﴾ على جملة إنشائيّة ﴿لا تَحْسَبَنَّ﴾.

---

١. و قيل: استئناف على تقدير قائل قال: فكيف أصنع؟ فقيل: ﴿ادفع بالّتى هىَ أحْسَنُ﴾.

٢. الحجرات: ٩.

٣. الحجرات: ١.

٤. انظر: فنّ البلاغة، ص٢٥٦.

٥. النور: ٥٧.

وقوله تعالى: ﴿لا تأكُلوا ممّا لَمْ يُذْكَرِ آسْمُ اللّهِ عليهِ وإنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[١].

عطف فيه جملة خبريّة ﴿وَإنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ على جملة انشائية طلبيّة ﴿لا تَـأكُـلُوا﴾ ولا يبالى بتخالفهما.

وقوله تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لكُمْ أَنْ تَرِثُوا النّسَاءَ كُرْهاً ولا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[٢].

فقد عطف جملة إنشائيّة طلبيّة: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ على جملة خبريّة: ﴿لا يـحل لكم﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَئنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ واهْجُرني مَليّاً﴾[٣].

عطف الجملة الإنشائيّة على الخبريّة.

وقوله تعالى: ﴿يَا موُسى إنّهُ أنا اللّهُ العزيزُ الحكيمُ * وألقِ عَصَاك﴾[٤].

عطف ﴿ألقِ عَصَاكَ﴾ و هي جملة إنشائيّة على ﴿إنّه أنَا اللهُ العَزيزُ آلحكِيمُ﴾ و هي جملة خبريّة.

فالمعاني القرآنيّة هي التي تتحكّم في القواعد البلاغيّة وهو المقتضىٰ الذي يجبْ أن يراعى فيه.

ومن أمثلة كمال الانقطاع قول الشاعر:

وَقـالَ رائِـدُهُم: أَرْسُـوا نُـزَاوِلُـها فَكُلُّ حَتْفِ امرئٍ يجري بمقدارٍ[٥]

فالجملة الأُولى «أرسوا» إنشاء لفظاً ومعنىً، و«نزاولها» خبر لفظاً ومـعنىً؛ لأنّ الغرض تعليل الأمر بالإرساء بالمزاولة للحرب، أي أرسوا السفينة نزاول الحرب.

وقول شاعر آخر:

---

١. الأنعام: ١٢١.

٢. النساء: ١٩.

٣. مريم: ٤٦.

٤. النمل: ٩ و ١٠.

٥. «الرائد» هو الذي يتقدّم القوم لطلب الماء و الكلأ للنزول عليه، و لا يكون غالباً إلّا عريفهم. «أرسوا» أقيموا بهذا المكان الملائم للحرب «فكلّ امرئ يجري بمقدار» أي لا يمنعكم من المحاولة في مـزاولة الحـرب، فـالموت يجري بقدر الله و قضائه، لا الجبن ينجيه، و لا الإقدام يرديه. انظر: خزانة الأدب، ج ٩، ص ٨٧؛ المفتاح، ص ٣٧٩؛ الايضاح، ص ١٥٤؛ التبيان، ج ١، ص ٢٢٤؛ معاهد التنصيص، ج ١، ص ٢٧١؛ المصباح، ص ٦٤؛ المطول (تحقيق هنداوي)، ص ٤٤٠.

لا تَسـأَلِ المَـرْءَ عَـنْ خَـلائِقِهِ   في وَجْـهِـهِ شاهِـدٌ مِنَ الخَبَرِ[١]

فصّلت الجملة الثانية عن الأُولى؛ لاختلافهما خبراًوإنشاءاً في اللفظ والمعنى.

وقال الشاعر:

مَنْ للـمحافلِ والجـحافلِ والسُّـرى   فــقدت بــفقدِكَ نــيِّراً لا يــطلُعُ

فصل بين الصدر والعجز؛ لما بينهما من كمال الانقطاع المتمثّل في اختلافهما خبراً وإنشاءً.

الصورة الثانية: أن تختلف الجملتان معنىً، وهما في اللفظ خبران، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بالحَقِّ تَعَالَى عَمّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

فإنّ الأُولى خبر في المعنى، والثانية إنشاء وإن كانت كلّ منهما خبراً في اللفظ.

وكقول الشاعر:

جَزَى اللّهُ الشدائِـدَ كُـلَّ خَـيْرٍ   عَرِفْتُ بها عَدوِّي من صَـدِيقي

فالجملة الأُولى وإن كانت خبراً في اللفظ، ولكنّها في المعنى إنشاء أُريد بها الدعاء.

وقولهم: «سافر محمّد، بلّغه اللّه مناه».

فالثانية وإن كانت خبراً في اللفظ، هي في المعنى إنشاء للدعاء على معنى: اللهمّ بلّغه مناه.

الصورة الثالثة: أن تختلف الجملتان معنىً وهما في اللفظ إنشاءان، كقولك عند ذكر من كذب على النبيّ ﷺ: «ليتبوّأ مقعده من النار، لا تصاحبه أيّها الصديق».

فالأُولى وإن كانت إنشاء في اللفظ هي في المعنى خبر على معنى: يتبوّأ مقعده.

ومثله أن تقول: «أليس اللّه بكافٍ عبده، اتّق اللّه أيّها العبد».

فالأُولى خبريّة معنىً على معنى: اللّه كافٍ عبده وإن كانت في اللفظ إنشاءً، والثانية إنشائيّة معنىً ولفظاً، فوجب الفصل بين الجملتين، فالمدار في الاختلاف

---

١. المنهاج الواضح، ج٢، ص١٤٩؛ علوم البلاغة (المراغي)، ص١٥٤.

٢. النحل: ٣.

على المعنى.

فإن اختلفا لفظاً فقط وجب الوصل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَآئِيلَ لاَ تَعْبُدونَ إِلَّا اللّهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانا...﴾ إلى قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَاً﴾[١].

فقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَاً﴾ عطف علىٰ قوله: ﴿لا تَعْبدونَ إلّا اللّهَ﴾ لأنّه بمعنى النهي، أي ﴿لا تَعْبُدوُاَ﴾.

وقد لا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كلّ منهما مستقلّ بنفسه، كقولك: «عليٌّ كاتبٌ، الغرابُ طائِرٌ».

وكما جاء في الحكم: «كَفَىٰ بالمشيبِ داءً، صلاحُ الإنسان في حِفْظِ اللسان».

وكقول الشاعر:

وإنّـما المـرْءُ بـأَصْغرَيْه كُلُّ امرِئٍ رَهْنٌ بما لَدَيْهِ[٢]

وإنّما وجب ترك العطف في كمال الانـقطاع؛ لأنّ العـطف يكـون للـجمع بـين الشيئين والربط بينهما، ولا يكون ذلك في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين.

ومن أمثلة التنزيل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ * عامِلَةٌ ناصِبَةٌ * تَصْلىٰ نَاراً حَامِيَةً * تُسْقىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلّا مِنْ ضَرِيع * لا يُسْمِنُ ولايُغْنى مِنْ جُوع * وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناعِمَةٌ * لِسَعْيِها راضِيةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٣].

فقد ذكر أوّلاً الكافرين وما اعتراهم من الخزي والهوان، وما يصلونه من النـار والعذاب، وذكر ثانياً المؤمنين، وما آنسوه من الرفعةوالتنعّم، وما غرقوا فيه من الجنّة والإمتاع، فبين المعنى الأوّل والمعنى الثاني تباين، ومن ثـمّ قـال: ﴿وُجُـوهٌ يَـوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ دون أن يعطف على ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ لبيان التباين الكامل والانفصال التامّ بين مضمون الجملتين[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنّ الّذينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُم أَمْ لَمْ تُنْذِرهم لا يُـؤْمِنُونَ﴾[٥].

---

١. البقرة: ٨٣.
٢. من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٨٦؛ علم المعاني، ص٢٧١.
٣. الغاشية: ٢ و١٠.
٤. فن البلاغة: ٢٥٦.
٥. البقرة: ٦.

بعد قوله تعالى: ﴿هُدىً للمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ﴾[١].

ولم يعطف قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ على قوله: ﴿هُدىً لِلمُتَّقِينَ...﴾ مع ما بينهما من مناسبة في المعنى بالتضادّ من حيث أنّ الأوّل مبيّن لحال المؤمنين، والثاني مبيّن لحال الكفّار؛ لأنّ بيان حال المؤمنين غير مقصود بالذات، وإنّما ذكر بطريق التبع لبيان حال الكتاب في قوله: ﴿ذلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وليس بين حال الكتاب وحال الكفّار مناسبة ظاهرة تقتضي الوصل[٢].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وإذا قيلَ لَهُم لاتُفْسِدُوا في الأرض قالوا إنّما نحن مُصْلحُون * ألا إنّهم هُمُ المُفْسدُون ولكن لايشْعُرُون﴾[٣].

فصّلت جملة: ﴿ألا إنّهم هم المفسدون﴾ عن جملة: ﴿إنّما نحن مصلحون﴾ مع الصلة القويّة التي تصحح العطف ـ لوجود المانع، وهو أنّه لم يقصد تشريك الجملة الثانية مع الأولى في الحكم ـ وهو أنّها مقول القول؛ لذلك فصّلت الجملة الثانية؛ لأنّها من كلام اللّه وليست من كلام المنافقين، ولو عطفت لكانت من كلام المنافقين ويفسد المعنى.

● الموضع الثالث: شبه كمال الاتّصال ويسمّى «الاستئناف»

وهو من المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجملتين وهو أن تكون الجملة الثانية جواباًعن سؤال يفهم من الأولى، ويقال حينئذ: إنّ بين الجملتين شبه كمال الاتّصال[٤] ويسمّى بـ «الاستئناف». وإنّه أقوى من الوصل الظاهر بحروف العطف؛ لما بينهما من الاتّصال والربط الذاتي المنافي للعطف. وإنّ التنبّه إلى هذا الوصل باب دقيق من أبواب علم المعاني تتكاثر محاسنه؛ لما فيه من إيجاز في الكلام بتقدير

---

١. البقرة: ٢ و٣.

٢. المنهاج الواضح، ص١٤٧.

٣. البقرة: ١١ و١٢.

٤. سمّى البلاغيون ذلك «شبه كمال الاتّصال» لوقوع هذا الاتّصال وقوّته من جهة، و لاختلاف الجملتين من جهة ثانية، فهو ليس اتّصالاً كاملاً، بل شبيه لذلك.

جملة السؤال، وإغناء القارئ أو السامع عن السؤال.

قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوالا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[١].

ففي هذه الآية الكريمة فصّلت جملة: ﴿قَالُوا لا تَخَفْ﴾ عن جملة ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لأنّ بينهما شبه كمال الاتّصال؛ إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأُولى، كأنّ سائلاً سأل: «فماذا قالوا له حين رأوه قد أحسّ منهم خوفاً؟» فأُجيب: «قالوا: لا تخف».

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[٢].

فالجملة الثانية لم تعطف على الأُولى؛ لأنّها جواب عن سؤال اقتضته الأُولى، فهي مرتبطة بالأُولى ارتباطاً وثيقاً، كما يرتبط الجواب بالسؤال، وكأنّما أثارت سؤالاً بما تضمّنته من حكم غريب: كيف لا يكون من أهلي وهو ابني من صلبى؟ فكان الجواب إنّ أهلك هم المؤمنون الذين صلح عملهم، وهذا ليس منهم.

ويسمّيه الزمخشري بـ «الاستئناف» أي استئناف الكلام على تقدير سؤال يفهم من التركيب السابق يجيب عنه الكلام المستأنف.

ويقول في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[٣].

و ﴿الرَّحْمنُ﴾ مبتدأ، وهذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد، كما تقول: «زيد أغناك بعد فقر، أعزّك بعد ذلّ، كثّرك بعد قلّة، فعل بك مالم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه؟!»[٤].

ويذكر الزمخشريّ أنّ الجمل التي يقرّر بعضها بعضاً، تتناسق من داخلها، ويأخذ بعضها بعنق بعض، وهذا التناسق الداخلي أقوى في ترابطها من ذكر حرف النسق، ولذلك كان اعتباره أدخل في البلاغة من غيره، وفي ترتيب هذا النوع من الجمل

---

١. الذاريات: ٢٨.

٢. هود: ٤٦.

٣. الرحمن: ١ ـ ٥.

٤. الكشاف، ج ٤، ص ٤٤٣.

وبناء بعضه على بعض ما يبيّن منه قوّة الكلام، وجودة بلاغته.

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

جملة ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ مستأنفةوقعت جواباً عن سؤال نشأ من الكلام، كأنّه قيل: «فماذا قال له ربّه حين أتمّ الكلمات؟» فقيل: «إنّي جاعلك للناس إماماً».

وكذلك جملة ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ استئناف مبنيّ على سؤال مقدّر، كأنه قيل: «فماذا قال إبراهيم‌ﷺ عنده؟» فقيل: «قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾».

وكذلك ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن، كما سبق.

ومن الأمثلة الأُخرى لهذا الباب قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ * يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

جملة ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام، كأنّه قيل عند بيان أحوالهم الهائلة: «فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدّة؟» فقيل: ﴿يجعلون...﴾.

وجملة ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ استئناف آخر وقع جواباً عن سؤال مقدّر، كأنّه قيل: «فكيف حالهم مع ذلك البرق؟» فقيل: «يكاد ذلك يخطف أبصارهم».

وجملة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ استئناف ثالث، كأنّه لمّا قيل: إنّهم مبتلون باستمرار وتجدّد خطف الأبصار، فهم مشغولون بفعل ما يحتاج إلى الإبصار ساعة فساعة، وإلّا لغطّوها كما سدّوا الآذان، فسئل وقيل: «ما يفعلون في حالتي وميض البرق

---

١. البقرة: ١٢٤.

٢. البقرة: ١٩ و ٢٠.

وعدمه؟» فأُجيب: «بأنّهم حرّاص على المشي؛ كلّما أضاء لهم اغتنموه ومشوا، وإذا أظلم عليهم توقّفوا مترصّدين».

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَـالَيْتَ قَـومِي يَعْلَمُونَ﴾[1].

جملة ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجنَّةَ﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن حكاية حاله ومقاله، كأنّه قيل: «كيف كان لقـاء ربّـه بـعد ذلك التـصلّب فـي ديـنه والتسـخّي بروحه لوجهه تعالى؟» فقيل: ﴿ادْخُلِ الجنّةَ﴾.

وكذلك ﴿قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ مرتّب على تقدير سؤال سائل عمّا وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَليمٍ﴾[2].

﴿إِنّا نُبشِّرُكَ﴾ استئناف لتعليل النهي عن الوجل؛ فإنّ المبشّر لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن، كيف لا!! وهو بشارة ببقائه وبقاء أهله في عـافيةسالمين زماناً طويلاً.

وقوله تعالى: ﴿قالَ فَمَا خَـطْبُكُمْ أَيُّـهَا الـمُـرْسَلُونَ * قـالُوا إِنّـا أُرْسِـلْنا إِلَـى قَـوْمٍ مُجْرِمينَ﴾[3].

فجاء على معنى الجواب، وأن ينزّل الســامعون قـول مـن قـال: «فـما قـال له الملائكة؟» فقيل: ﴿قالُوا إِنّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الّذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السّبِيلَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَـرَ إلى الّـذينَ أُوتُـوا نَـصِيباً مِـنَ الكِـتَابِ يُـؤمِنُونَ بـالْجِبْتِ وَالطّاغُوتِ﴾[5].

---

١. يس: ٢٥ و٢٦.
٢. الحجر: ٥٣.
٣. الذاريات: ٣١ و٣٢.
٤. النساء: ٤٤.
٥. النساء: ٥١.

وفي آية ثالثة: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ من قَبْلِكَ يُريدُونَ أنْ يَتحَاكَمُوا إلى الطّاغُوتِ﴾[١].

هذه الآيات الثلاث ابتدأت بالاستفهام التقريري الذي يقصد منه التعجّب من شأن أولئك، فكأنّه قيل: «ما شأن هؤلاء أوتوا نصيباً من الكتاب، وماذا يفعلون؟» فقال: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾ في الأُولى، و ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ في الآية الثانية.

أمّا الآية الثالثة فكأنّه قيل فيها: «ماذا يفعل هؤلاء، وما الحجّة على أنّهم يزعمون الإيمان وليسوا بمؤمنين في الحقيقة؟» فقيل: ﴿يُرِيدُونَ أنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٢].

وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنّهم قالوا: «فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا، وعملت أنت؟» فقال: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللّهِ العَظِيمِ﴾[٣].

جملة ﴿إنّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللّه الْعَظِيمِ﴾ تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ،كأنّه قيل: «ماله يعذّب هذا العذاب الشديد؟» فأُجيب بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٤].

فإن قلت: ﴿رَضُوا﴾ ما موقعه؟ قلت: هو استئاف، كأنّه قيل: «ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟» فقيل: «رضوا بالدناءة والضعة والانضمام إلى جملة الخوالف».

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا ياأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا...﴾[٥].

---

١. النساء: ٦٠.

٢. هود: ٩٣.

٣. الحاقة: ٣٠و٣٣.

٤. التوبة: ٩٣.

٥. يوسف: ٦٥.

فالجملة ﴿هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ مستأنفة موضحة لقوله: ﴿مَا نَبْغِي﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَونَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ المُقَرَّبِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ﴾[١].

فجملتا ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرَاً﴾ و ﴿قَالُوا يَا مُوسَى...﴾ استئنافيتان:

الأُولى: مسوقة لإيراد جوابهم على تقدير السؤال بـ «ما قالوا».

والثانية: تضمّنت مخاطبة السحرة لموسىٰ.

وقوله تعالى: ﴿وَأُلقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾[٢].

جملة ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾استئنافيّة.

وقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[٣].

جملة ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ استئناف بيان لكون الأرض الميّتة آية، و«الواو» تقع بين الجملتين لتفصّل بين معنييهما. فتكون كلّ واحدة ذات معنى مستقلّ عن الآخر متميّز عنه، فاذا تكرّرت الجملتان في مقام آخر، وسقطت هذه «الواو» كان الكلام واحداً يقرّر بعضه بعضاً.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ * وَمَآ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الكَاذِبِينَ﴾[٤]:

فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال «الواو» ها هنا، وتركها في قصّة ثمود؟[٥].

قلت: إذا أُدخلت «الواو» فقد قصد معنيان: التسحير، والبشريّة، وأنّ الرسول لا يجوز أن يكون مسحّراً، ولا يجوز أن يكون بشراً، وإذا تركت «الواو» فلم يقصد إلّا

---

١. الاعراف: ١١٣ و١١٤.

٢. الأعراف: ١٢٠ و١٢١.

٣. يس: ٣٣.

٤. الشعراء: ١٨٥ و١٨٦.

٥. في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ المسَحَّرِينَ * و ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا﴾ النور: ٥ و٤٦. أي في قصّة شعيب ذكرت «الواو» عطفاً على ما قبلها، و حذفت «الواو» من قصّة صالح؛ لأنّها بدل ممّا قبلها. و خصّت هذه بالبدل؛ لأنّ صالحاً قلّل في الخطاب. فقلّلوا في الجواب. و أكثر شعيب في الخطاب. فأكثروا في الجواب. فحسن ذكر «الواو» هنا، و حذفها من هناك، و يتّضح ذلك من سياق الآيات السابقة في هاتين القصّتين، ذكرت في قصّة شعيب إطناب، و ذكر في قصّة صالح بإيجاز. فن البلاغة. ص٢٦٣.

معنى واحد وهو كونه مسحّراً. ثمّ قرّر بكونه بشراً مثلهم.

والآية التي تركت فيها «الواو» وهي قوله تعالى: ﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا﴾[١].

ففي الآية الأُولى أدخل «الواو» بين الجملتين للدلالة على أنّ كلاً من التسحير والبشريّة منافٍ للرسالة، فكيف إذا اجتمعا؟! وأرادوا بذلك المبالغة في التكذيب.

و«الواو» في المقولات تشير أيضاً إلى التمييز بين المعنيين؛ ليوازن السامع بينهما، ويدرك ما في كلٍّ من الصواب والخطأ، فإذا سقطت «الواو» كان الكلام على الاستئناف، وهو كلام واحد يتولّد بعضه من بعض، يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىً وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ. وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَآءَ بِالهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢]:

وقرأ ابن كثير ﴿قَالَ مُوسَى﴾ بغير «واو» على ما في مصاحف أهل مكّة، وهي قراءة حسنة؛ لأنّ الموضع موضع سؤال وبحث عمّا أجابهم به موسى‌عليه‌السلام عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة: «سحراً مفترى».

ووجه الأُخرى: أنّهم قالوا ذلك وقال موسى‌عليه‌السلام هذا؛ ليوازن الناظر بين القول والمقول، ويتبصّر فساد أحدهما من صحّة الآخر.

ويتكرّر في سورة هود عند ذكر قصص الأنبياء‌عليهم‌السلام قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ ويلحظ أنّ هذه الآية تكرّرت في أربعة مواضع، وقد جاءت بـ «الواو» مرّتين، و بـ«الفاء» مرّتين.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٣].

---

١. هود: ٢٧. الآية الأُولى خطاب شعيب مع قومه و الآية الثانية خطاب صالح مع قومه.

٢. القصص: ٣٦.

٣. هود: ٥٨.

وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٣].

فإن قلت: ما بال ساقتي قصّة عاد وقصّة مدين جاءتا بـ «الواو» والساقتان الوسيطان بـ «الفاء»؟

قلت: إنّما ذكر «الواو» لما أنّه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول «الفاء» في معلوله، كما في قصّتي صالح ولوط، فإنّه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله: ﴿ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مَنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٤].

جملة ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ معطوف بـ «الواو» على ما قبلها، ويترتّب على ذلك أنّ الراسخين في العلم يعلمون التأويل، وهذا ما يقتضيه العطف وما يتطلّبه الوصل بين الجملتين.

وأمّا ما يقتضيه الفصل فقد صوّره بأن جعل جملة ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا﴾ جملة مستأنفة تدلّ على أنّهم برسوخهم في العلم يجمعون بين الاعتراف والإقرار وبين المعرفة؛

١. هود: ٦٥ و٦٦.
٢. هود: ٨١ و٨٢.
٣. هود: ٩٤.
٤. آل عمران: ٧.

لأنّه تعالى مدحهم بذلك، ولا يتكامل مدحهم إلّا بضمّ الإيمان والتصديق إلى المعرفة بتأويله.

ومن الشعر قول أبي تمام:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ   في حَدّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ[1]

فكأنّه استفهم وقال: «لم كان السيف أصدق؟» أجاب بقوله: «في حدّه...» فالمانع من العطف في هذا الموضع وجود الرابطة القوية بين الجملتين، فأشبهت حالة اتّحاد الجملتين، ولهذا وجب أيضاً الفصل.

ومن هذا قول اليزيدي:

مَلَّكْتُهُ حَبْلي وَلَكِنَّهُ   أَلْقاهُ مِنْ زُهْدٍ على غارِبي

وقالَ إِنّي في الهَوى كاذِبٌ   انْتَقَمَ اللّهُ مِنَ الكاذِبِ[2]

استأنف قوله: «انتقم اللّه من الكاذب»؛ لأنّه جعل نفسه كأنّه يجيب سائلاً قال له: «فما تقول فيما اتّهمك به من أنّك كاذب؟» فقال: «أقول: انتقم اللّه من الكاذب»[3].

ويرى البلاغيون أنّ الاستئناف ثلاثة أضرب؛ لأنّ السؤال الذي تضمّنته الجملة الأُولى، إما عن السبب العام للحكم أو الخاص أو لا هذا ولا ذاك.

فأما الأول وهو السؤال عن السبب العامّ للحكم، نحو قول الشاعر:

قالَ لي: كَيفَ أنْتَ؟ قُلْتُ عَليلُ   سَهَرٌ دائِمٌ وَحُزْنٌ طَويلُ[4]

كأنّه سئل عن مطلق سبب لعلّته: «ما بالك عليلاً؟» أو «ما سبب علّتك؟» فأجاب بقوله: «سهر دائم وحزن طويل» وإنّما كان السؤال هنا عن السبب العامّ دون

---

١. ديوانه، ج ١، ص ١٨٩ - ١٩٠؛ العمدة، ج ١، ص ٢٣٣؛ المثل السائر، ج ٢، ص ٢٤٢؛ الايضاح، ص ١٤٤؛ الطراز، ج ٢، ص ٢٧٤ - ٢٧٥؛ انوار الربيع، ج ١، ص ٥٦ - ٥٧.

٢. الايضاح، ص ١٥٤؛ مفتاح العلوم، ص ٣٧٩؛ التبيان للطيبي، ص ١٤١؛ معاهد التنصيص، ج ١، ص ٢٧١.

٣. هذا رأي عبدالقاهر الجرجاني (دلائل الإعجاز، ص ٢٣٦) أمّا السكاكي فيذهب إلى أنّ سبب فصلها عمّا قبلها اختلاف الجملتين خبراً و إنشاءاً؛ لأنّ هذه الجملة إنشائيّة معنى و إن كانت خبريّة لفظاً، فهي جملة دعائيّة، و الجملة التي قبلها: «و قال إنّي في الهوى كاذب» جملة خبريّة.

٤. الاشارات والتنبيهات، ص ١٠٤؛ دلائل الاعجاز، ص ٢٣٨؛ الايضاح، ص ١٥٩؛ شرح المختصر، ج ١، ص ٢٤؛ معاهد التنصيص، ج ١، ص ٢٨٠؛ عقود الجمان، ص ١٨٢.

الخاصّ؛ لأنّ العرف يقتضي أنّه إذا قيل: «فلان مريض» أن يكون السؤال عن السبب العامّ لمرضه؛ لا أن يقال: «هل سبب علّته كذا؟» حتّى يكون السؤال عـن السـبب الخاصّ.

وقول الآخر:

وَقد غَرِضْتُ مِنَ الدُّنيا فَهَلْ زَمَني ... مُعْطٍ حياتي لِغِرٍّ بَعْدما غَرِضا
جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَما تَرَكَتْ ... لِيَ التَجارِبُ في وُدِّ امْرِئٍ غَرَضا[1]

أي لم تقول هذا، وَيْحَكَ، وما الذي اقتضاك أن تطوِي عن الحياة إلى هذا الحدّ كَشْحَكَ؟! أي: تعرض عنها، فترى الشاعر قد فصّل جملة: «جرّبت دهري...» عن جملة: «وقد غرضت...» لأنّ الجملة الثانية وقعت جواباً عن سؤال اقتضته الأُولى، كما هو مبيّن أعلاه، وهذا السؤال عن سبب عامّ للحكم.

وأن الثاني وهو أن يكون السؤال عن السبب الخاصّ، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّالنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ﴾[2].

كأنّه قيل: «هل النفس أمّارة بالسوء؟» فقيل: ﴿إِنّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، فالسائل هنا قد نزّل منزلة المتردّد في هذا السبب الخاصّ؛ لأنّ الكلام قد تقدّم فيه ما يشير إلى الخبر؛ لأنّ قوله ـ على لسان يوسف‏‏ﷺ ـ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ يشير إلى أنّ النفس أمّارة بالسوء.

والدليل على تنزيل السائل منزلة المترّدد هو تأكيد الخبر له، والخبر هنا طلبي في معنى الإنكاري، ولهذا أكّد بأكثر من مؤكّد واحد، فقد أكّد بـ «إنَّ» و«اللام»، واسميّة الجملة.

ويحتمل أن يقّدر السبب مطلقاً؛ فيقال: «ما بالك ما تبرّئ النفس؟» أو «ما سبب عدم تبرئتك وأنت نبي؟» فقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

---

١. «غرض»: ضجر و ملّ. «لغرّ»: من لا تجربة له، و الأُولى فعل ماضٍ، و ألفها زائدة للرويّ، و «غرضا» الثانية بمعنى حاجة. انظر: الإيضاح، ص١٥٩؛ المفتاح، ص٣٧٤؛ سقط الزند، ص٢٠٨؛ الاشارات والتنبيهات، ص١٠٤؛ التبيان، ص١٣٤؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٢٨٠.

٢. يوسف: ٥٣.

فكلّ موضع يصلح لتقدير الخاصّ يصلح لتقدير العامّ ولا عكس.

وإما الثالث وهو أن يكون السؤال عن غير السبب العامّ والسبب الخاصّ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلاماً قَالَ: سَلامٌ﴾[١].

كأنّه قيل: «فماذا قال إبراهيمعليه السلام؟» فقيل: ﴿قَالَ سَلامٌ﴾، ويشير هذا من وجهة أُخرى إلى أنّ الخليلعليه السلام حيّاهم بأحسن من تحيّتهم؛ لأنّه حيّاهم بالجملة الاسميّة الدالّة على الدوام والثبات في حين كانت تحيّتهم بالجملة الفعليّة الدالّة على التجدّد والحدوث.

ونحو قول الشاعر:

زَعَمَ العَوَاذِلُ أنّني في غَمْرَةٍ ... صَدَقُوا وَلكِنْ غَمْرَتي لا تَنْجَلي[٢]

لمّا حكى عن العواذل أنّهم قالوا: «هو في غمرة» وكان ذلك ممّا يحرّك السامع لأن يسأله فيقول: «فما قولك في ذلك، وما جوابك عنه؟» أخرج الكلام مخرجَهُ إذا كان ذلك قد قيل له، وصار كأنّه قال: «أقول: صدقوا، ولكن لامطمع لهم في فلاحي» ولو قال: «زعم العواذل أنّني في غمرة، وصدقوا» لم يصحّ في نفسه أنّه مسؤول، وأنّ كلامه كلام مجيب[٣].

والجملة المستأنفة قد تأتي بإعادة اسم ما استؤنف الحديث عنه، كأن يقال لرجل أحْسَنَ إلى محمد: «أَحْسَنْتَ إلى محمّد؛ محمّدٌ خليق بالإحسان» فتفصّل الجملة الثانية عن الأُولى؛ لكون الثانية جواباً عن سؤال نشأ عن الأُولى استشعر سؤالاً تقديره: «لماذا أحسنت إليه؟» إذا كان السؤال عن السبب العامّ، أو «هل هو جدير بالإحسان؟» إذا كان السؤال عن السبب الخاصّ، وقد أُعيد المستأنف له الحديث باسمه، كما رأيت.

---

١. هود: ٦٩.

٢. «الغمرة»: الشدّة. «تنجلي»: تنكشف، و الشاهد في البيت فصل «صدقوا» عمّا قبلها؛ لأنّها جواب لسؤال اتضته الجملة قبلها، و هذا السؤال ليس عن سبب عامّ و خاصّ، بل عن غيرهما. انظر: الايضاح، ص ١٦٠؛ المصباح، ص ٥٩؛ شرح المختصر، ج ١، ص ٢٤١؛ معاهد التنصيص، ج ١، ص ٢٨١؛ الطراز، ج ٢، ص ٤٧؛ الاشارات والتنبيهات، ص ١٠٤؛ التبيان، ج ١، ص ٤٢؛ المفتاح، ص ٣٧٢.

٣. دلائل الإعجاز، ص ٢٤١.

وقد تأتي بوصفه الصالح لترتيب الحكم عليه، كأن يقال في المثال السابق: «أحسنت إلى محمّد؛ صديقُكَ القديم أَهْلُ للإحسان».

والسؤال المقدّر فيه كسابقه، وقد أُعيد هنا ما استؤنف عنه الحديث بوصف صداقته القديمة، وهو سبب صالح لأحقّية الإحسان.

وهذا القسم من الاستئناف ـ وهو ما أُعيد فيه المستأنف عنه الحديث بوصفه ـ أبلغ من القسم الأوّل، وذلك لانطوائه على بيان السبب الموجب للحكم، كالصداقة القديمة في المثال السابق، فهو من قبيل إثبات الحكم بدليل[١].

قال الإمام عليّ عليه السلام: «هَلَكَ مَنِ ادّعى، وخابَ من ٱفْتَرَى، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ للحَقِّ هَلَكَ، وكفى بالمَرْءِ جَهْلاً أَنْ لا يَعْرِفِ قَدْرَهُ»[٢].

أي هلك من ادّعى الإمامة لنفسه مع عدم استحقاقه لها، وخاب من افترى دعواه لها، فكلامه عليه السلام مسوق لأمر الإمامة، فالجملتان خبريتان بينهما مناسبة تامّة، فوصل بينهما، وترك العطف في «من أبدى صفحته...» للاستئناف؛ لسؤال مقدّر: «لِمْ لم يطالب بالخلافة من أوّل الأمر وهو المستحقّ لها؟» فأجاب معتذراً لنفسه ولأصحابه المتابعين له بأنّ من يشمّر ساعديه لإحقاق الحقّ في مقابل الباطل، فقد يورد نفسه إلى مواطن التهلكة؛ لعدم وجود الناصر إلّا أنّه نبّه على أنّ الحقّ لا يأباه إلا الجاهل به، الذي لا يعرف مبلغه وقدره.

وفيه تعريض كونهم لا يعرفون قدره من أوّل الأمر؛ إذ لو عرفوا لما تقاعسوا عن نصرته.

□ الحذف في الاستئناف

وللحذف في الاستئناف حالتان:

الحالة الأُولى: أن يحذف صدر الجملة المستأنفة؛ سواء أكان المحذوف فعلاً،

---

١. انظر: شرح المختصر، ج١، ص٢٤٢.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

نحو قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ * رِجالٌ لا تُلْهِيهِم تجارةٌ وَلا بَيْعٌ عن ذِكْرِ اللّهِ﴾[١] في قراءة: ﴿يُسَبَّح﴾ مبنية للمجهول؛ كأنّه قيل: «مَن يُسَبِّحُهُ؟» فقيل: ﴿رِجَالٌ﴾ أي يسبّحه رجال[٢].

أم كان المحذوف اسماً، نحو قولك: «نِعم الرجُلُ زيدٌ» على اعتبار جعل «زيد» خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي هو زيد، كأنّه قيل: «من الرجل المخصوص بالمدح؟» فقيل: «هو زيد».

الحالة الثانية: أن تحذف الجملة المستأنفة كلّها، والاستئناف في هذه الحال على نوعين، لانه إما يقوم مقامه شيء أو لا:

أما الأول: أن يقوم مقامه شيء يدلّ عليه، كقول المساور بن هند:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلافُ[٣]

أي لهم إيلاف في رحلتيهما للتجارة: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وليس لكم شيء من ذلك، كأنّه قيل: «أصدقنا في هذا الزعم، أم كذبنا؟» فقيل: «كذبتم» فحذفت الجملة المستأنفة كلّها، وأُقيم مقامها «لهم إلف وليس لكم إلاف» لدلالة هذا الكلام عليها.

وأما الثاني: أن لا يقوم شيء مقام الاستئناف؛ اكتفاءً بالقرينة الدالّة، كما في قوله تعالى: ﴿فنِعْمَ الماهِدُونَ﴾ على قول من يجعل المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي هم نحن، أو مبتدأ لخبر محذوف؛ أي نحن هم.

---

١. النور: ٣٦ و٣٧.

٢. المطول (تحقيق هنداوي)، ص٤٥١.

٣. دلائل الإعجاز، ص٢٣٥؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٢٨٣ و٢٨٤؛ خزانة الأدب، ج١١، ص٤٢٠؛ المفتاح، ص٣٧١؛ الايضاح، ص١٦٢؛ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ص١٤٤٩؛ المطول، ص٤٥١؛ شرح ديوان حماسة لابي تمام، ص٢٦٦.
يخاطب الشاعر بني أسد، و يكذّبهم في دعواهم الانتماء إلى قريش بالقربى و القرابة؛ لأنّ لقريش إيلافاً في الرحلتين المعروفتين لهم للتجارة: رحلة في الشتاء إلى اليمن؛ لأنّه أدفأ، و رحلة في الصيف إلى الشام، و ليس لهم ذلك، و قد آمنهم الله تعالى من الجوع و الخوف، و أنتم (بني أسد) جائعون خائفون.

و قوله تعالى: ﴿نِعْمَ العَبْدُ﴾ أي أيوب، أو هود؛ لدلالة ما قبل الآية و ما بـعدها عليه.

- **الموضع الرابع: شبه كمال الانقطاع:**

وهو أن تسبق جملة بجملتين يصحّ عطفها على الأُولى؛ لوجود المناسبة، ولكن في عطفها على الثانية فساد في المعنى، فيترك العطف بالمرّة؛ دفعاً لتوهّم أنّه معطوف علي الثانية، نحو قول الشاعر:

وَتَظُنُّ سلمىٰ أَنّني أَبْغي بـها بَدَلاً أَراها في الضَّلالِ تَهِيمُ[١]

فجملة «أراها في الضلال تهيم» يصحّ عطفها على جملة «وتـظنّ سـلمىٰ» لأنّ هاتين الجملتين بينهما مناسبة؛ لوجود الجهة الجامعة وهي الاتّحاد بين مسـنديها؛ وهو «تظنّ» و «أرى» لأنّ معنى «أرى» أظنّ، ولشبه التضايف بين المسند إليه فيهما؛ وهو ضمير «تظنّ» و «أراها» المستتر فيهما؛ فإنّ الأوّل عائد عـلى سـلمىٰ وهـي محبوبة، والثاني عائد على الشاعر وهو محبّ، وكلّ من المحبّ والمحبوب يشـبه أن يتوقّف تعقّله على الآخر، إلّا أنّه ترك العطف لمـانع، إذ لو عـطفت لتـوهّم أنّـها معطوفة على قوله: «أبغي بها...» فيكون المعنى أنّ سلمى تظنّني موصوفاً بوصفين: أحدهما: أنّي أبغي بها بدلاً. وثانيهما: أنّي أظنّها تهيم في أودية الضلال، وليس هذا مراد الشاعر؛ لأنّ مراده أنّني أحكم على سلمى بأنّها أخطأت في ظنّها أنّي أبغي بها بدلاً.

ويدلّ على أنّ مراده ما ذكر قوله قبل ذلك[٢]:

---

١. أراها: بصيغة المبني للمجهول بمعنى الظن. والبيت لأبي تمام ديوانه، ج٣، ص ٢٩٠؛ انـظر: المـفتاح، ص ٣٧٠؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٢٧٩؛ وشرح المختصر، ج١، ص٢٣٨؛ والمصباح، ص٥٨؛ عقود الجمان، ص١٨١؛ الاشارات والتنبيهات، ص١٠٧؛ الايضاح، ص١٥٨؛ التبيان، ص١٣٣؛ نهاية الايجاز، ص٣٢٣؛ دلائل الاعجاز، ص١٧٣؛ الطراز، ج٣، ص ٣١١.

٢. و يحتمل أن يكون «أراها» جملة مستأنفة، كأنّه قيل: «كيف تراها في هذا الظنّ؟» فقال: أراها خاطئة فيه تتحيّر في أودية الضلال، و على هذا فيكون من شبه كمال الاتّصال، هذا.

←

زَعَمتْ هَواكَ عَفَا الغَدَاةَ كما عَفا عَنها طُلُولٌ باللّوَى ورُسُومُ

أمّا قوله تعالى: ﴿وابْتَلُوا اليَتامَىٰ حَتّىٰ إذا بَلَغُوا النِكاحَ فإنْ آنَسْتُم مِنْهُم رُشْداً فادْفَعُوا إلَيْهِم أمْوالَهُم ولا تَأْكُلُوها إسْرافاً وبِداراً أنْ يَكْبَرُوا﴾[١].

فلن يترك العطف بـ«الواو» لعدم وجود المانع في ذلك، ففي الآية ثلاث جمل:

الجملة الأولى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾.

الجملة الثانية: جملة الشرط وجوابه: ﴿فإنْ آنسْتُمْ... فَادْفَعُوا﴾.

الجملة الثالثة: ﴿وَلا تَأْكُلُوهَا﴾.

فلا يصحّ عطف الجملة الثالثة على الجملة الثانية (جملة الشرط) لأنّ معنى جملة الشرط: حينما يكبر اليتامى وتأنسون منهم رشداً، ويصيرون قادرين على التصرّف في أموالهم، فادفعوا إليهم هذه الأموال.

والجملة الثالثة: ﴿وَلا تَأْكُلُوهَا﴾ نهي للمسلمين عن أن يأكلوا أموال اليتامى حال صغرهم.

فلا يجوز ـ إذن ـ عطف الجملة الأخيرة على الثانية؛ لأنّ العطف يقتضي التشريك، ولا تشريك بين الجملتين؛ لأنّ الثانية تتحدّث عن اليتامى بعد أن انتهى يتمهم، والثالثة تتحدّث عن حال يتمهم وصغرهم، ولكن يجوز عطف الجملة الأخيرة على الأولى: ﴿وابتلوا﴾ وهو عطف في غاية الحسن؛ إذ يصير المعنى: وابتلوا اليتامى، ولا تأكلوا أموالهم.

● الموضع الخامس: التوسّط بين الكمالين مع المانع من الوصل:

ويكون ذلك العطف مانعاً من عدم صحّة تشريك الجملة الثاني في حكم الأُولى؛

← و مثل هذا البيت قول الشاعر:

يقولون إنّي أحمل الضيم عندهم أعوذ بربّي أن يضام نظيري

لم تعطف جملة «أعوذ» على «يقولون» لئلّا يتوهّم أنّهما معطوفان على جملة «أحمل الضيم».

فشبه كمال الانقطاع ـ إذن ـ أن يكون العطف على جملة صحيحاً و معقولاً إلّا أنّه معه احتمال عطف غير مقصود على جملة أُخرى، فيترك العطف بتاتاً؛ دفعاً لهذا الاحتمال.

١. النساء: ٦.

لما ينشأ عن ذلك من اختلال في المعنى، كقوله تعالى: ﴿وإذا خَلَوْا إلى شَيَاطِينهمْ قَالُوا إنّا مَعَكُم إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ[١] اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم﴾[٢].

وفي النصّ القرآني شاهدان:

١. فَصْل جملة: ﴿اللّه يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عن جملة ﴿قَـالُو﴾؛ لأنّ جـملة ﴿قَـالُوا﴾ جواب شرط لـ ﴿إذَا﴾ فهي مقيّدة بهذا الظرف، ويعني هذا أنّ قولهم لشياطينهم: ﴿إنّا مَعَكُمْ﴾ لا يحدث إلّا عندما يخلون بهم، ومن ثمّ فإنّ عطف جملة ﴿اللّه يَسْـتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على جملة ﴿قَالُوا﴾ يشركها في حكمها وهو التقييد بالظرف المذكور.

وينشأ عن ذلك أنّ استهزاء اللّه سبحانه بهم لا يكون إلّا وقت خلوّهم بشياطينهم، وهذا باطل طبعاً، لأنّ المراد بـاستهزاء اللّـه بـهم هـو مـجازاتـه لهـم بـالخذلان، و استدراجهم من حيث لا يشعرون، و هـذا مـتّصل لا يـتقيّد بـحال خـلوّهم إلى شياطينهم، ولذا وجب فصل جملة ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عن جملة ﴿قَالُوا﴾، لتفادي المحظور[٣].

---

١. ﴿إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ تأكيد للجملة الأُولى، أو بدل اشتمال منها، أو مستأنفة استئنافاً بيانياً:

فالوجه الأوّل: أن جملة ﴿إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ فصّلت عن جملة ﴿إنّا مَعَكُمْ﴾؛ لن تترك دين اليهوديّة، و لن نعتنق دين محمّد، و إنّما نحن نسخر منه و من انصاره، فلمّا قالوا: ﴿إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ كأنّهم كرّروا باللفظ و ما أرادوه من معنى في الجملة السابقة، و عبّروا بألسنتهم عمّا أخفوه في قلوبهم.

و الوجه الثاني: هو كون الثانية بدل اشتمال، فإنّ الثبات على الكفر يستلزم تـحقير الإسـلام، فـبينهما تـعلّق و ارتباط.

و الوجه الثالث: أنّ الجملة واقعة في جواب سؤال مقدّر، تقديره: إذا كنتم معنا فما بالكم تقرّون لأصحاب محمّد بتعظيم دينهم و باتباعه؟ فقالوا: ﴿إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ و ليس ما ترون من باطننا.

فعلى هذا الاحتمال لو عطف عليها أيضاً قوله: ﴿الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ كانت الجملة مقولاً لهم، لأنّ الجملة الاستئنافية لا تكون إلّا مقولة لقائل المستأنف عنها.

٢. البقرة: ١٤ و ١٥.

٣. هذا ما ذهب إليه عبدالقاهر الجرجاني، و يرى الزمخشري أنّ ترك العطف هنا للاستئناف، و معنى الاستئناف أنّه جواب عن سؤال مقدّر، كأنّما قيل: «فما جزاؤهم على هذه الأفعال الشـنيعة و الأقـوال البـذيئة؟» فـقال: ﴿الله يَسْتَهزِئُ بِهِمْ﴾.

و يوضّح الزمخشري بلاغة ذلك: بأنّ الله عزّوجلّ هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء، و لا يؤبه له في مقابلته، لما ينزل بهم من الهوان و الذلّ، و فيه أنّ الله هو الذي يتولّى الاستهزاء بهم؛ انتقاماً للمؤمنين، و لا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله. الكشّاف، ج ١، ص ٦٧.

٢. فصل جملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عن جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لأنّ جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ مفعول الفعل ﴿قَالُوا﴾، أي أنّها مقول المنافقين، ومن ثمّ فإنّ عطف جملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عليها يترتّب عليه إشراكها في حكمها، أي أن تكون مفعولاً لـ﴿قَالُوا﴾ وتكون عندئذٍ من مقول المنافقين، وواقع الحال أنّها من مقوله سبحانه على سبيل الدعاء عليهم.

وكقول الشاعر:

رأيتُ النـاسَ قـد ذهـبوا إلى مـنْ عـندهُ ذهبُ

فجملة «قد ذهبوا» فصّلت عن جملة «رأيت الناس» مع أنّهما متناسبتان في الخبريّة، وبينهما رابطة قويّة، والسبب هو أنّ حكم الجملة الثانية غير حكم الأُولى، ففي الأُولى يعود إلى المتكلّم، وفي الثانية يعود إلى الناس.

ثانياً: مواضع الوصل

يجب الوصل في ثلاثة مواضع:

- **الموضع الأوّل: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام**

وذلك بأن تكون إحداهما خبريّة، والأُخرى إنشائيّة، ولو فصّلت لأوهم الفصل خلاف المقصود، ومنه قول البلغاء: «لا، وأيّدك اللّه».

فـ «لا» هنا ردّ لكلام سابق، كأنّ مخاطباً قد سأل: «هل الأمر كذلك؟» فيقول: «لا» أي ليس الأمر كذلك، وهذه جملة خبريّة، ثمّ يضاف داعياً له: «وأيّدك اللّه» وهذه جملةإنشائيّة دعائيّة، فـ «لا» هنا قائمة مقام الجملة الخبريّة.

فبين الجملتين كمال الانقطاع؛ لاختلافهما خبراً وإنشاءاً، ويستلزم ذلك الفصل بينهما، لكنّه وجب الوصل هنا تخلّصاً من إيهام خلاف المراد وهو ظنّ المخاطب أنّك تدعو عليه بمثل نفي تأييد اللّه له «لا أيّدك اللّه» وهذا القصد غير مقصود.

● الموضع الثاني: أن يكون بين الجملتين توسّط بين الكمالين مع عدم وجود مانع من الوصل

ويكون ذلك عندما تتّفق الجملتان خبراً أو إنشاءاً، لفظاً ومعنىً، أو معنىً فقط، وكانت بينهما مناسبة تامّة وجهة جامعة بينهما، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

وقد تبيّن علماء البلاغة ثماني صور لهذا الأمر:

١. **أن تكون الجملتان خبريّتين لفظاً ومعنىً**، كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ من الحَيِّ ويُحْيِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَكَذلكَ تُخْرَجُونَ﴾[١].

فالجملة الأُولى: ﴿يُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ﴾ جملة خبريّة لفظاً و معنىً، و كذلك الثانية إذن بين الجملتين نوع صلة، فلذلك وجب الوصل بينهما، هذا من ناحية.

ومن الناحية الأهمّ فإنّ غرض الآية الكريمة أن تجمع بين الجملتين؛ لأنّها في سبيل تصوير قدرة اللّه في أسمى معانيها، ولا يتحقّق ذلك إلّا بالجمع، فكما أنّ قدرة اللّه قادرة على إخراج الميّت من الحيّ قادرة أيضاً على إخراج الحيّ من الميّت، وكذلك هو ذاته محيي الأرض، وباعث النيام والموتى.

وفيها أيضاً تناسب في المضارعة بين الجملتين، وبينهما جهة جامعة.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ * وإنَّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٢]. وصل بين الجملتين؛ لما بينهما من التوسّط بين الكمالين المتمثّل في اتّفاقهما خبراً لفظاً ومعنىً مع المناسبة التامّة بين مفرداتهما، ولا يخفى عليك أنّ التقابل بين الجملتين ـ عالم الأبرار المنعّمين في جنّات النعيم، وعالم الفجّار المعذّبين في نيران الجحيم ـ يعطيك صورتين متضادّتين يوضح كلّ منهما الأُخرى، ويؤكّد معناها في النفس.

---

١. الروم: ١٩.
٢. الانفطار: ١٣ و١٤.

قال الشاعر:

ظَلَّ يسعىٰ إلى المعالي بِجِدٍّ والعُلا لاتُنال إلّا بِكَدٍّ[١]

وصل بين الجملتين؛ لما بينهما من التوسّط بين الكمالين المتمّثل في اتّفاقهما خبراً، ووجود المناسبة، وعدم وجود مانع العطف.

٢. أن تكون الجملتان إنشائيّتين لفظاً ومعنىً، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا﴾[٢].

ففي الآية ثلاث جمل متّفقة في الإنشائيّة لفظاً ومعنىً، وبينهما تناسب؛ لتقارنها في الخيال: الأكل، والشرب، وعدم الإسراف، والمسند إليه متّحد؛ وهم المخاطبون، وليس هناك ما يمنع من العطف.

ومثله قوله تعالى: ﴿فادْعُ واسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللّهَ ولا تُشْرِكُوا به شَيْئَاً﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَا أيُّها النّاسُ اتّقُوا رَبَّكُمْ واخشَوْا يَوْمَاً لا يَجْزِى وَالِدٌ عنْ وَلَدِهِ﴾[٥].

وقول الإمام عليّ‌عليه‌السلام: «دعِ الإِسْرافَ مُقْتصداً، واذْكرْ في اليوْمِ غَدَاً، وَأمْسِكْ مِن المالِ بقَدْرِ ضَرُورتِكَ، وقَدِّمْ الفَضْلَ ليومِ حاجتِكَ».

وصل بين الجمل الأربع؛ لاتّفاقهما إنشاءً، مع وجود المناسبة، ولأنّه لا يوجد هناك سبب يقتضي الفصل.

٣. أن تكون الجملتان خبريّتين معنىً، ولفظاهما إنشائيّان، كقولك: «ألم أُخبْركَ بما حدَثَ، وألم أنصحْكَ باجتناب أمثال ذلك؟!»

فالجملتان خبر معنىً وإنشاءً لفظاً.

٤. أن تكون الجملتان خبريّتين معنىً ولفظ الأُولى خبر، ولفظ الثانية إنشاء،

---

١. المنهاج الواضح، ج ٢، ص١٥٨.
٢. الأعراف: ٣١.
٣. الشورى: ١٥.
٤. النساء: ٣٦.
٥. لقمان: ٣٣.

كقوله تعالى: ﴿إِنّى أُشْهِدُ اللّهَ واشْهَدُوا أَنّى بَرِئٌ مِمّا تُشْرِكُونَ﴾[١].

ومعنىٰ ذلك: أنّي أُشْهِدُ اللّه وأُشهِدُكُم، فالجملة الثانية إنشائية لفظاً وخبريّة معنىً؛ إذ المراد: أنّي أُشهد اللّه وأُشهدكم، فتكون الثانية إنشائيّة لفظاً وخبريّة معنىً، وبذلك اتّفقت الثانية مع الأُولى في الخبريّة معنىً، ومن ثمّ وجب الوصل بينهما؛ لوجود الجامع، وليس هناك ما يمنع من العطف.

٥. أن تكون الجملتان خبريّتين معنىً، ولفظ الأُولى إنشاء، ولفظ الثانية خبر، كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمَاً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدىٰ﴾[٢].

على معنى: وجدك يتيماً فآواك، ووجدك ضالاً فهداك.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثاقُ الكِتَابِ أنْ لا يَقُولُوا عَلى اللّهِ إلّا الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾[٣].

على معنى: أُخِذ عليهم ميثاق الكتاب، ودرسوا ما فيه.

٦. أن تكون الجملتان إنشائيّتين معنىً ولفظهما خبراً، كقولك:

«شافاك اللّه وعافاك» على معنى: ليشفِكَ اللّه وليعافِك.

٧. أن تكون الجملتان إنشائيّتين معنىً ولفظ الأُولى إنشاء والثانية خبر.

كما تقول: «زره وتعرف ما يأتيك منه» على معنى: زره واعرف ما يأتيك منه.

وكقولك: «قم الليل، وتصوم النهار» على معنى: قم الليل، وصم النهار.

٨. أن تكون الجملتان إنشائيّتين معنى ولفظ الأُولى خبر والثانية إنشاء، كقوله سبحانه: ﴿وإذْ أَخَذْنا مِيثَاقَ بَنى إسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إلّا اللّهَ، وَبِالْوالِدينِ إحْسَاناً وَذِى الْقُرْبى وَاليَتامَىٰ وَالمسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً...﴾[٤].

الجملة الأُولى من الآية الكريمة خبريّة لفظاً إنشائيّة معنىً؛ لأنّها تعني النهي؛ أي لا تعبدوا.

---

١. هود: ٥٤.

٢. الضحى: ٦ و٧.

٣. الأعراف: ١٦٩.

٤. البقرة: ٨٣.

والجملة الثانية: ﴿وَبِالوَالِدينِ إحْسَانَاً﴾ التي هي في تقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً[١]، فهي إنشائيّة لفظاً ومعنىً.

فالجملتان قد اتّفقتا في الإنشائيّة معنىً وإن اختلفتا في اللفظ؛ إذ كانت الأُولى خبريّة لفظاً والثانية إنشائيّة لفظاً. فوصلت الثانية بالأولى وعطفت عليها بالواو حيث لا مانع من العطف، وحيث وجدت المناسبة بين الجملتين فهما يحققان رضوان اللّه في إطار ميثاق واحد.

● الموضوع الثالث: أن يكون للجملة الأولى محلّ من الإعراب، وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛

لأنّ الجملة لا يكون لها محلّ من الإعراب حتّى تكون واقعة موقع المفرد، وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين.

وكقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الّذى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضَاً حَسَناً فيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعافَاً كَثِيرَةً واللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وإليهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢].

ففي الآية الكريمة جملتان: هما: ﴿يَقْبِضُ﴾ و ﴿يَبْسُطُ﴾. فالأُولى منهما لها موضع من الإعراب؛ لأنّها خبر للمبتدأ قبلها، والآية تريد إشراك الجملة الثانية لها في هذا الحكم الاعرابي، وبين الجملتين تناسب؛ إذ المسند إليه في كلّ منهما واحد، وهو اللّه عزّ جلّ، والمسند فيهما: ﴿يَقْبِضُ﴾ ﴿يَبْسُطُ﴾ متناسبان؛ لأنّهما ضدّان، فبين الجملتين جهة جامعة[٣]، وليس فيهما ما يمنع من العطف، ومن ثمّ وجب عطف الثانية على الأُولى بـ «و».

وسرّ بلاغة الوصل في هذا الموطن أنّ الآية الكريمة تصوّر عظمة القادر، و بيده الأمر، ولا يتحقّق ذلك إلّا إذا جمعت له الآية الكريمة بين القبض والبسط، ولو ترك

---

١. و هذا أبلغ من صريح الأمر و النهي؛ لأنّه كأنّه سُورع إلى الامتثال و الانتهاء، فهو يُخبر عنه.

٢. البقرة: ٢٤٥.

٣. لأنّ الضدّ أقرب توارداً إلى الذهن عند ذكر ضدّه.

العاطف كان قوله: ﴿يَبْسُطُ﴾ رجوعاً عن قوله: ﴿يقْبِضُ﴾ وإبطالاً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُم وَلا أَنْفُسَهُم يَنْصُرُونَ﴾[٢].

ففي الآية الكريمة جملتان هما: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ و ﴿وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فالجملة الثانية تشارك الأُولى في حكمها الإعرابي؛ إذ المقصودمن القول الكريم الإخبار عن المبتدأ فيه ـ ﴿وَالّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ ـ بأمرين: أوّلها: أنّهم لا يستطيعون نصر من يعبدونهمَ. والثاني: أنّهم لا يملكون نصر أنفسهم، فوصل بين الجملتين.

وكقوله تعالى: ﴿وأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأَبْكىٰ * وأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيا﴾[٣].

والتقدير: مضحكٌ ومبكٍ، وهو مميتٌ ومحيٍ، فجملة ﴿أَضْحَكَ﴾ خبر المبتدأ ﴿هُوَ﴾ والجملة بعدها ﴿أَبْكَى﴾ تابعة لها إعراباً، وكذلك يقال في الجملتين التاليتين: ﴿أَماتَ وَأَحْيَا﴾.

وكقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ فى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْها وَمَا يَنْزِل مِنَ السَّماءِ وما يَعْرُجُ فِيَها وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ﴾[٤].

أي ما يدخل في الأرض من المطر والكنوز والأموات، ومايخرج منها من النبات والعيون والمعادن والأموات إذا بعثوا يوم القيامة، وماينزل من السماء من المطر والملائكة والكتب التي أنزلها على الرسل، وما يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد، فصور الحياة المتحرّكة المتضادّة قد جمعت في هذه الآية المباركة بصور وصلية في غاية الإعجاز، لتنتهي إلى العطف الواصل بالجملة الاسميّة ﴿هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ والدالّ على الثبات والدوام.

وقول الرسولﷺ: «إنَّكمْ لتكثرونَ عندَ الفزعِ، وتقلّونَ عندَ الطمعِ».

---

١. من بلاغة النظم العربي، ص١٥٤.

٢. الأعراف: ١٩٧.

٣. النجم: ٤٣ و٤٤.

٤. سبأ: ٢.

يقول المتنبّي:

وللسِّرِّ مِنّي مَوْضعٌ لايَنالُهُ ... نَدِيمٌ ولا يُفْضِي إليهِ شَرابُ [١]

ففي البيت جملتان: «لا يناله نديم» و «لا يفضي إليه شراب» للأُولى منها موضع من الإعراب؛ لأنّها صفة للنكرة قبلها، وأنّه أُريد إشراك الثانية لها في هذا الحكم، وأيضاً نجد أنّ غرض الشاعر لا يتحقّق إلّا بعطف الجملة الثانية على الأُولى؛ قضاءً لحقّ المبالغة في حفظ السرّ، ولذلك عطفت الجملة الثانية على الأُولى، كما ترى.

وقول زينب بنت الطَثَرّة ترثي أخاها:

وقد كانَ يُرْوِي المشرفِيَّ بِكَفِّه ... ويَبْلغُ أقصىٰ حَجرْةِ الحيِّ نائِلُهُ [٢]

وصلت الشاعرة بين الجملتين «يُرْوِي» و «يَبْلُغ»؛ لأنّها أرادت إشراكها في الحكم الإعرابي؛ إذ كلتاهما في محلّ نصب، وبهذا تريد أن توازن بين شجاعته وكرمه بأنّهما لا يتفاوتان.

وفي القرآن نجد أنّ هناك كثيراً من الآيات يأتي العطف في مواضع، ويترك في مواضع أُخرى، كقوله تعالى: ﴿أُولئِكَ على هُدىً مِنْ رَبِّهِم وأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [٣].

يشبه من حيث التركيب قوله تعالى: ﴿أُولئِكَ كالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الغافِلُونَ﴾. ولكن جاءت «و» في إحداهما، وتركت في الأُخرى وذلك لأنّ كلًّا منهما جزاء خاصّ، فهم على هدى من ربّهم أوّلاً، وفي هذا تصحيح لمسيرتهم، وهم مفلحون ثانياً، وفي هذا تحقيق للغاية والنتيجة الطيّبة التي حصلوا عليها.

أمّا قوله سبحانه في الآية الثانية، فإنّ الجملة الثانية لا تختلف عن الأُولى، فهي تأكيد لها؛ لأنّ كونهم كالأنعام لا معنى له إلّا أنّهم غافلون، ولو أنّ هذه الجملة وصلت، فقيل: «وأولئك هم الغافلون» لأدّى هذا إلى معنى غير صحيح؛ وهو أنّ

---

١. أي أنّه كتوم للسرّ: يضعه في مكان أمين حيث لا يمكن لاحد أن يطّلع عليه حتّى ولو كان نديماً، و لا يستطيع أيضاً أن يكشف عنه الشراب ولو كان كثيراً. انظر: اساليب بلاغية، ص١٩٥؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص١٥٦.

٢. «المشرفي»: السيف. «الحجرة»: الناحية. «النائل»: العطاء. تقول: إنّه كان عظيم البأس، كثير الجود.

٣. لقمان: ٥.

الأنعام ليست في غفلة.

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُم عَلى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحياةِ الدُّنيا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فإِنَّا للّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْراهِهِنَّ غَفُورٌ رَحيمٌ، وَلَقدْ أَنْزَلنا إِلَيْكُم آياتٍ مُبيِّناتٍ...﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿واللّهُ خَلَقَ كُلَّ دابّةٍ مِن مَاءٍ فَمِنهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بطنه ومنهم من يشمي على رجلين ومنهم من يمشي على أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّهُ مَا يَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، لَقَدْ أَنْزلنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ...﴾[٢].

في الآية الأُولى: ﴿وَلَقدْ أَنْزَلنا إِلَيْكُمْ آياتٍ مُبيِّناتٍ﴾.

وفي الآية الثانية: ﴿لَقَدْ أَنْزَلنا آياتٍ مُبَيِّنات﴾.

فذكر حرف العطف في الآية الأُولى؛ دلالة على مشاركة هذه الآية لما قبلها في الحكم: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُم عَلى البِغاءِ﴾. وأمّا الثانية، فاستئناف كلام، فخصّ بالحذف.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجّيناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُم﴾[٣].

﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدون «واو»، بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، فكأنّ الذبح هو السوم لا غيره، وفي ذلك نكتة وهي أنّ هذا الخطاب من قبل اللّه عزّ وجلّ، فلم يرد أن يعدّد المحن عليهم؛ رأفةً بهم.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ العذابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبناءَكُمْ﴾[٤].

فقد عطف ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بـ «و» على ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ خلافاً لآية البقرة؛ لأنّ الذبح هنا كان أوفى من العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة، فكأنّه شيء آخر غير العذاب؛

---

١. النور: ٣٣ ـ ٣٥.

٢. النور: ٤٥ و٤٦.

٣. البقرة: ٤٩.

٤. إبراهيم: ٦.

لأنّه كان مأموراً بذلك تخويفاً لهم بقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللّهِ﴾[١].

وذكر عبد القاهر الجرجاني لوناً من الوصل وهو أن يؤتى بالجملة، فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان، ومثال ذلك قول المتنبّي:

تَــوَلَّوْا بَــغْتَةً فَكَــأَنَّ بَــيْناً ... تَــهَـيَّبَني فَـفاجَأَني اغْـتيالاً

فكانَ مَسِـيرُ عِـيْسِهِمُ ذَمِـيلاً ... وسَيْرُ الدَّمْـعِ إثْـرَهُمُ انْـهِمالا

كأنَّ العِيسَ كانتْ فوقَ جَفْني ... مُـناخاتٍ فَـلَمّا ثُـرْنَ سـالا[٢]

قوله: «فكان مسير عيسهم» معطوف على «تولّوا بغتةً» دون مايليه مـن قـوله: «ففاجأني» لأنّا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيث إنّه يدخل في معنى «كأنَّ» وذلك يؤدّي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة، ويكون مـتوهّماً، كماكان تهيّبُ البين كذلك، وهذا أصل كبير.

والسبب في ذلك أنّ الجملة المتوسّطة بين هذه المعطوفة أخيراً وبين المعطوف عليها الأُولى، ترتبط في معناها بتلك الأُولى، كما نرى أنّ قوله: «فكأنَّ بَيْناً تهيّبني» مرتبط بقوله: «تولّوا بغتة» وذلك أنّ الثـانية مسـبّب، والأُولى سـبب، ألا تـرى أنّ المعنى: تولّوا بغتة، فتوهّمت أنّ بيناً تهيّبنى!! ولا شكّ أنّ هذا التوهّم كان سبب أنْ كان التولّي بغتة، وإذا كان كذلك كانت مع الأُولى كالشيء الواحد، وكانت مـنزلتُها منها منزلة المفعول، والظرف، وسائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل ممّا لا يمكن إفراده عن الجملة وأن يعتدُ كاملاً على حِدَتِه.

ثمّ قال:

وها هنا شيء آخر دقيق، وهو أنّك إذا نظرت إلى قوله: «فكان مسـير عـيسهم

---

١. انظر: فن البلاغة، ص٢٦٢ و ما بعدها؛ أفنان البلاغة، ص٤٢٤ و ما بعدها.

٢. «العيس»: الكرام من الإبل. «الذميل»: السير المتوسّط. يقول المتنبّي: لقد أدبروا بغتة على غير علم، فكأنّ البعد تهيّبني، ففاجأني غيلة، وكان سير إبلهم سيراً متوسّطاً، و دموع العين تنسكب إثرهم بـفزارة، كأنّ هـذه العـيس كانت جاثمة على جفني، فلمّا قمن للسير سال دمع العين، فكأنّها هي التي كانت تحبس دمع العين و تمنعه من الأنسكاب. انظر: ديوان المتنبي (الواحدي)، ص٢١٦؛ دلائل الاعجاز، ص٢٤٢.

ذميلا» وجدته لم يُعطف هو وحده على ما عُطِفَ عليه، ولكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطاً آخره بأوّله، ألا ترى أنّ الغرض من هذا الكلام أن يجعل تولّيهم بغتة وعلى الوجه الذي تُوُهِّم من أجله أنّ البين تهيّبه مستدعياً بكاءه، وموجباً أن ينهمل دمعه، فلم يَعْنِهُ أن يذكر ذَمَلان العيسِ إلّا ليذكر هـملان الدمـع، وأن يـوفِّقَ بينهما!!

وكذلك الحكم في الأوّل، فنحن وإن قلنا: إنّ العطف عـلى «تـولّوا بـغتة» فـإنّا لانعني أنّ العطف عليه وحده مقطوعاً عمّا بعده، بل العطف عليه مضموماً إليه مـا بعده إلىٰ آخره، وإنّما أردنا بقولنا: «إنّ العطف عليه» أن نعلمك أنّه الأصل والقاعدة، وأن نصرِفَك عن أن تطرحَه، وتجعلَ العطف على ما يلي هذا الذي تعطِفُه، فتزعم أنّ قوله: «فكان مسير عيسهم» معطوف على «فاجأني» فتقع في الخطأ كالذي أريناك.

فأمر العطف ـ إذن ـ موضوع على أنّك تعطِف تارة جملة على جـملة، وتـعمد أُخرى إلى جملتين أو جُمَل، فتعطِف بعضاً على بعض، ثمّ تعطف مجموع هذه على مجموع تلك[١].

▫ اقتران الجملة الحالية بـ«و»:

يتّصل بالفصل والوصل اقتران الجملة الحالية بـ«و» وعدم اقترانها بها، وقد ألحقه البلاغيون بهذا المبحث، وعقد له عـبد القـاهر الجـرجـاني والرازي والسكّـاكـي والقزويني فصولاً في كتبهم، وألحقوه بباب الفصل والوصل، ولكن دراسة عبد القاهر كانت أعمق هذه الدراسات[٢].

ولتمييز ما يقتضي «و» وممّا لا يقتضيه ندرج النقاط التالية:

١. إنّ الجملة إذا كانت من مبتدأ وخبر، فالغالب عليها أن تجيء مع «و» كقوله تعالى: ﴿وَجاءَ ربُّكَ وَالملَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[٣].

---

١. دلائل الإعجاز، ص٢٤٢ و٢٤٣؛ البلاغة و التطبيق، ص١٦٢ و١٦٣؛ أفنان البلاغة، ص٤٤٤.
٢. البلاغة والتطبيق، ص١٦٣.
٣. الفجر: ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلا تُباشِروهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ في المَساجِدِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعلُوا للّهِ أَنداداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

ومنه قول امرئ القيس

أَيَــقْتُلُني والمَشْـرَفِيُّ مُـضاجِعي ۞ وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كـأنيابِ أَغْـوالِ[3]

ونحو «جاء محمّد وعمرو أمامه».

ومثال خلوّها من «و» قولهم: «كلَّمْتُهُ فُوهُ إلى فيَّ» و«وَرَجَعَ عَوْدُهُ على بَدْئِهِ».

وإنّما حسن بغير «و» من أجل أنّ المعنى: كلّمته مشافهاً له، و رجع ذاهـباً فـي طريقه الذي جاء فيه.

٢. إن كانت جملة اسميّة فيها ضمير يعود على ذي الحال لم يصلح بـغير «و» كقوله تعالى: ﴿لا تَقْربُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكارَىٰ﴾[4]، أي لا تـقربوا الصـلاة فـي حـال سكركم[5].

وقوله تعالى: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾[6].

وإذا فقد الضمير في جملة الحال تجب «و» للربط أيضاً، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿كَما أَخْرجَكَ رَبُّكَ مَنْ بَيْتِكَ بالحَقِّ وإنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنينَ لكارهُونَ﴾[7,8].

---

١. ﴿وَ أَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ﴾ البقرة: ١٨٧ في محلّ نصب حال من «و» الجماعة، و الرابط «و» و الضمير.

٢. ﴿وَ أَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٢، «و» واو الحال، و الجملة الاسميّة في محلّ نصب حال من «و» الجماعة، و الرابط «و» و الضمير.

٣. ديوانه، ص٣٣؛ مفتاح العلوم، ص٤٦١؛ دلائل الاعجاز، ص١٤٣؛ الإيضاح، ص١٧٤. المشرفي: السيف ينعت بالجودة، و مشرفيّ منسوب إلى مشارف الشام، و هي أرض من قرى العرب، و قيل: موضع من اليمن. مسنونة زرق: أي نصال الرماح، نعتت بالزرقة للدلالة على أنّها صافية مجلوّة، فهي لشدّة التماعها و بريقها تُرى زرقاً. أغوال: ـ مفرده غول ـ و هو حيوان وهمي، ذكره للتهويل.

٤. النساء: ٤٣.

٥. ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ الواو واو الحال و ﴿أَنتُمْ﴾ ضمير منفصل و مبتدأ و ﴿سُكَارَى﴾ خبر، و الجملة الاسميّة في محلّ نصب حال من «و» الجماعة، و الرابط «و» والضمير.

٦. البقرة: ٢٤٣.

٧. الأنفال: ٥.

٨. ﴿و إنّ فَرِيقاً مِنَ المؤمِنينَ لَكَارِهُونَ﴾ الواو واو الحال، و الجملة الاسميّة في محلّ نصب حال من كاف الخطاب، و الرابط «و» فقط، و الجملة الاسميّة خالية من الضمير التي يربطها بصاحبها، و هي لا تنحلّ إلى المفرد، و لا تبيّن هيئة الفاعل و لا المفعول، و لا هي حال مؤكّده.

وقوله تعالى: ﴿لِئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[١].

ومثل قول امرئ القيس:

وَقَدْ أغْتَدِي والطيرُ في وكناتِها بمنجردٍ قَيْدِ الأوَابدِ هيكلِ

فجملة «والطير في وكناتها» جملة اسميّة وقعت موقع الحال، والرابط فيها «و» وهي خالية من الضمير الذي يعود إلىٰ صاحبها.

ونحوه «جاء محمّد وما الطقس ممطر».

٣. إن كان الخبر في الجملة الاسميّة جارّاً ومجروراً، وقدّم على المبتدأ ـ مثل «عليه معطف، وفي يده سوط» ـ كثر فيها أن تجيء بغير «و»، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْراها وَمُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

فإنّ ﴿بِسْمِ اللّٰهِ﴾ جارّ ومجرور خبر مقدّم، و ﴿مَجْرَاهَا﴾ مبتدأ مؤخّر، والجملة الاسميّة في محلّ نصب حال مقدّرة من «و» ﴿ٱرْكَبُوا﴾ أو من الضمير في ﴿فِيهَا﴾.

ومنه قول بشّار:

إذا أنْكَرَتْني بَلْدَةٌ أو نَكِرْتُها خَرَجْتُ مَعَ البازي عليَّ سوادُ[٣]

فإنّ قوله: «عليّ سواد» جملة حالية، وهي جملة اسميّة ليس المبتدأ فيها ضميراً، وإنّما ترك «و» فيها لتقديم الجارّ والمجرور[٤].

ومثال ما لم يكن فيه الخبر ظرفاً قول الشاعر:

إذا أتيتَ أبا مروانَ تَسْأَلُهُ وَجَدْتَهُ حاضِراهُ الجُودُ والكَرَمُ[٥]

فإنّ الذي حسّن ترك «و» هنا تقديم الخبر، ولو أنّه أُخّر ما حسن تركها، بل ينبغي

---

١. يوسف: ١٤.

٢. هود: ٤١.

٣. الإيضاح، ص١٧٥. «أنكرتني»: لم تعرف قدري. «نكرتها». كرهتها». «البازي». ضرب من الصقور، و اختاره لأنّه أشدّ الطيور تبكيراً، و خروجه معه، ثمّ خروجه يلفّه سواد الليل، كنايتان عن مبادرته فراق هذه البلدة؛ أي إذا لم يعرف قدري أهل بلدة أو لم أعرفهم، خرجت منهم باكراً.

٤. أي أنّ الجملة الاسميّة التي خبرها جارّ و مجرور مقدّم إذا وقعت حالاً من معرفة قبلها، كثر فيها أن تجيء بغير «و» فلو كان الجارّ و المجرور مؤخّرين وجب قرنها ب«و» وكذلك لو كانت حالاً من نكرة وجب «و» لئلّا يلتبس الحال بالنعت.

٥. البيت ينسب للأخطل، وليس في ديوانه، انظر دلائل الاعجاز، ص٢٠٤؛ المطول (تحقيق عناية)، ص٤٧٩.

أن يقال: «والجود والكرم حاضراه» والذي يقرّب حسنه مع التقديم أنّه يقرب في المعنى من قولك: «وجدته حاضره الجود والكرم»، أو «حاضراً عنده الجود والكرم».

٤. وإن كانت الجملة من فعل وفاعل والفعل مضارع مثبت غير منفي لم‌يكد يجئ بـ «و» مثل «جاء محمّد يسعىٰ أخوه بين يديه» أو «جاء محمّد يسعىٰ».

وعلّة امتناعها أنّ المضارع يشبه اسم الفاعل في الزنة والمعنى، و«و» لاتدخل اسم الفاعل، فكذلك ما أشبهه.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ونَذَرُهُم فِي طُغْيانِهِم يَعْمَهُون﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾[٢]، أي ولا تعط حال كون ما تعطيه كثيراً.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُها الأَتْقىٰ الَّذى يُؤتي مالَهُ يَتَزكّىٰ﴾[٣].

وقول عنترة العبسي:

علقتها عرضاً وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم[٤]

والشاهد فيه: «وأقتل قومها» فهي جملة مبدوءة بمضارع مثبت.

وأمّا ما جاء من نحو قول بعض العرب: «قمت وأصُكُّ عينه، أو وجهه» وقول عبد اللّه بن همّام السلولي:

فَلمّا خَشيتُ أظافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مالِكا[٥]

---

١. ﴿نَذَرُهُمْ﴾ الأنعام: ١١٠، نتركهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيّرون و يتردّدون في ضلالهم، و جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محلّ نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به.

٢. ﴿لا تَمْنُنْ﴾ المدّثّر: ٦، لا تكدّر معروفك بتعداده على من فعلته له، هذا على قراءة ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ على الرفع، أمّا على قراءته بالجزم على أنّه جواب النهي فلا يصحّ التمثيل؛ لأنّه بدل اشتمال من ﴿تَمْنُنْ﴾ لا حال، و لا يصحّ أن يجزم لكونه جواباً للنهي؛ لأنّ شرط الجزم في جوابه صحّة تقدير «أن» الشرطية قبل «لا» على الراجح، و هذا الشرط مفقود هنا.

٣. الليل: ١٧ و١٨.

٤. من بلاغة النظم العربي، ج ٢، ص ٢١٣.

٥. دلائل الإعجاز، ص ٢٠٩؛ الشعر و الشعراء، ج ٢، ص ٦٥١؛ الإيضاح، ص ١٧٠؛ معاهد التنصيص، ج ١، ص ٢٨٥.
و الشاهد دخول «و» الحال على المضارع المثبت؛ و هو «و أرهنهم» و ذلك ممتنع.
و المتّفق عليه في هذه الحال أن تأتي بلا «و» و لا ترتبط إلّا بالضمير؛ لشدّة شبهها باسم الفاعل، لذا أوّلها بعضهم بالجملة الاسميّة بجعل: «أرهنهم» خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: «أنا أرهنهم».

فقيل: على حذف المبتدأ، أي وأنا أصكُّ عينه، وأنا ارهَنُهم.

وقيل: الأوّل شاذّ، والثاني ضرورة.

وقال عبد القاهر الجرجاني: ليست «و» فيهما للحال، بل هي للعطف، و«أصكّ» و «أرهن» بمعنى صكُكْتُ ورهَنْتُ، ولكنّ الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكيا الحال في أحد الخبرين، ويَدَعا الآخر على أصله.

وكقوله:

وَلَقَد أمُرُّ عـلى اللـئيمِ يَسُـبُّني فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتَ: لا يَعْنِيني[١]

٥. فإن دخل حرفُ نفي على المضارع تغيّر الحكم، فجاء بـ «و» وبتركها كثيراً، كقوله تعالى: ﴿وإِذْ قالَ مُوسىٰ لقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَني وَقَدْ تَعْلَمُونَ أنّي رَسُولُ اللّه إلَيْكُم﴾[٢].

وكقول مسكين الدارمي:

أَكْسَبَتْهُ الوَرِقُ البِيـضُ أبـاً وَلَقَدْ كانَ ولا يُـدْعىٰ لأَبِ[٣]

---

١. دلائل الإعجاز، ص٢٠٩؛ الإيضاح، ص ١٧٠، و الشاهد هنا: أنّ «أمُرُّ» بمعنى مررت، عدل عنه لحكاية الحـال الماضية، فالحكاية مانعة من رعاية التناسب بين المعطوفين، و معنى حكاية الحال الماضية أن يفرض ما كان في الزمان الماضي واقعاً في هذا الزمان، فيعبّر عنه بلفظ المضارع.

٢. فجملة: ﴿قَدْ تَعْلَمُونَ﴾ الصفّ: ٥، في موضع الحال من «و» في ﴿تُؤْذُونَنى﴾ و هي جملة فعليّة فعلها فعل مضارع مثبت مسبوق بـ﴿قَدْ﴾ و الرابط فيها «و».

٣. دلائل الإعجاز، ص ٢١٠؛ الإيضاح، ص ١٧١.

«الورق» المال من الدراهم، و يجمع على «أوراق» و قد وصف هنا بالجمع، كما يقال: «الدرهم البيض» لتـعدّده معناً.

أي البيت من قصيدة قالها في فتاة من قومه خطبها فكرهته لسواد لونه، و قلّة ماله، و تزوّجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس مثلُ نسب مسكين، فمرّ بها مسكين ذات يوم و هي جالسة مع زوجها قال هذا البيت ضمن قصيدة. انظر: ديوانه، ص٢٢.

إنّ هذا الرجل قد أكسبه ماله الكثير، و غناه الوفير حُسن السمعة و طيب النسب، و قد كان من قبل دنيء الأخلاق مجهول النسب.

فمجيئه بـ«و» الحال ـ هنا ـ لأنّه قصد أن يجعل كلّ فعل خبراً قائماً بذاته، فإكساب الورق له أبا «خبر»، و أنّه كان لا يُدعى لأب «خبر» آخر؛ ليكون ذلك أوجع و أبلغ في التحقير و الهجاء.

صاغ الشاعر هذا المعنى صياغه تصوّر نفسيّته الكارهة لذلك الشخص تصويراً متقناً حيث جاء المجاز العـقلي ←

فقوله: «ولا يدعى لأب» جملة حالية اقترنت بـ «الواو» أي ولقد وجد غير مدعوّ لأب.

وقول مالك بن رُفيع وكان جنىٰ جناية فطلبه مُصعب بن الزبير:

بَغاني مُصْعَبٌ وبنُو بنيهِ فأين أحيدُ عَنْهُم لا أَحِيدُ[١]
أَقادُوا مِنْ دَمي وَتَوعَّدُوني وَكُنْتُ وما يُنَهْنِهُني الوَعِيدُ

والشاهد في قوله: «وما ينهنهني الوعيد» فإنّها جملة مقترنة بـ «الواو» والمعنى: وَوُجِدتُ غير منهنهٍ بالوعيد، وغير مبالٍ به.

ومثال المضارع بدون «واو» قوله تعالى: ﴿وَمَالنا لا نُؤمِنُ باللّهِ﴾[٢].

فجملة ﴿لا نُؤمِنُ باللّهِ﴾ في موضع الحال من الضمير المجرور بـ «اللام» في ﴿لَنَا﴾ ولم تقرن بـ «الواو» لأنّ المضارع المنفي بـ «لا» بمنزلة اسم الفاعل المحفوض بإضافة «غير»، وهو لا تدخل عليه «الواو» فكما لا يقال: «وما لنا وغير مؤمنين» كذلك لا يقال: «وما لنا ولا نؤمن باللّه».

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ في ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئَاً﴾[٤].

فقوله: ﴿لا يُبْصِرُونَ﴾ و ﴿لا تَعْلَمُونَ شَيْئَاً﴾ جمل حالية لم تقترن بـ «و».

وقوله تعالى: ﴿مَا لِىَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾[٥].

← «أكسبته الورق»؛ ليؤكّد أنّ ما يتمتّع به مهجون من العزّة وكرامة المحتد إنّما هو أمر زائف طارئ عليه؛ لأنّه استقاه من نبع غير متعارف عليه في علم الأنساب. و شارك لفظ «أكسبته» في إبراز هذا المعنى حيث ناسب غرض الشاعر و هو الهجاء، فلو أنّه قال: «منحته، أو وهبته» لقصرت مثل هذه الالفاظ و عجزت عن خدمة المعنى الذي أراد الشاعر، ثمّ انظر إلى التأكيد باللام و قد «ولقد» و مجيء كان التي لنا استمرار حاله في الماضي. و تأمّل العبارة «لا يدعى لاب» و دلالتها على أنّه ولد من سفاح، و تقييده الوَرق بكونها «بيض» مع أنّ لونها معلوم بداهة ذم و تحقير و استهزاء.

١. دلائل الإعجاز، ص ٢١١ و فيه: «أتاني» بدل «بغاني» انظر ذيل: الأمالي، ص١٢٧؛ الإيضاح، ص ١٧١.

٢. المائدة: ٨٤.

٣. البقرة: ١٧.

٤. النحل: ٧٨.

٥. النمل: ٢٠.

وكقول الشاعر:

مَضَوْا لا يُـريدونَ الرَّوَاحَ وغَـالَهُم   من الدَّهْرِ أسبابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ[١]

فقوله: «لا يريدون الرواح» في موضع حال.

وقول أعشى همدان:

أَتَـيـنا إصْـبَهانَ فَـهَزَّلَتْنا   وكُنّا قَـبْلَ ذلِكَ فـي نَـعيمِ

وكانَ سَـفاهَةً مِـنّي وَجَـهْلاً   مَسِيري لا أسيرُ إلى حَمِيمِ[٢]

فقوله: «لا أسير إلى حميم» حال من ضمير المتكلّم الذي هو «ي» في «مسيري» هو فاعلٌ في المعنى، فكأنّه قال: وكان سفاهةً منّي وجهلاً أنْ سرتُ غير سائرٍ إلى حميمٍ، وأنْ ذهبتُ غير متوجّهٍ إلى قريب[٣].

وإذا كان المضارع منفيّاً بـ «لم» جاز أن تربط بـ «و» والضمير معاً، كقوله تعالى: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[٥].

وقول الشاعر:

سَقَطَ النَّصِيفُ ولم تُـرِدْ إسـقاطَهُ   فَـتَنَاوَلَتْهُ واتَّـقَتْنا بـاليَدِ[٦]

وجاء الربط بالضمير وحده، كقوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُم سُوءٌ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾[٨].

فإن خلت من الضمير وجب ربطها بـ «و» نحو «جئت ولم تطّلع الشمس».

---

١. دلائل الإعجاز، ص٢١١؛ الإيضاح، ص١٧١. «الرواح» الرجوع. «غال»: أهلك. «قدْر»: من قدّرته قدراً، بمعنى قدّرته تقديراً، يعني أسباباً مقدّرة.

٢. الإيضاح، ص١٧١؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٢١٠.

٣. دلائل الاعجاز، ص٢١٢؛ الإيضاح، ص١٧١.

٤. الأنعام: ٩٣.

٥. مريم: ٢٠.

٦. جملة «لم ترد إسقاطه» في محلّ نصب حال، و جاز اقترانهابـ«و» الحال؛ لأنّ النفي بـ«لم».

٧. آل عمران: ١٧٤.

٨. الأحزاب: ٢٥.

وإن كان المضارع منفياً بـ «لمّا»، فالأشهر ربطه بـ «و» كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذينَ جاهَدُوا مِنْكُم وَيَعْلَمَ الصابِرِين﴾[١].

وقول الممزّق العبدي:

فإن كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلّا فأدرِكْني ولمّا أُمَزَّقِ[٢]

جملة«لمّا امزَّق» في محلّ نصب حال من «ي» في «أدركني».

وقول الشاعر:

أشوقٌ ولمّا يمضي لم يغيرُ ليلة فكيف اذا خبَّ المطيُّ بنا عشرا

٦. وممّا يجيء بـ«و» وغير «و» الماضي، وهو لا يقع حالاً إلّا مع «قد» مظهرة أو مقدّرة.

وأمّا مجيئها بـ «و» فكثير شائع، كقوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الكِبَرُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿قالَ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لي غُلامٌ وَكانَتْ امْرَأتي عاقِراً﴾[٤].

وقول امرئ القيس:

يقتُلُني وقد شَعَفْتُ فُؤادها كما شَعَفَ المهنوءَةَ الرجل الطالي[٥]

ومثال ما جاء بغير «و» قوله تعالى: ﴿إلّا الّذِينَ يَصِلُونَ إلى قَوْمٍ بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم مِيثاقٌ أَوْ جَاؤُوكُم حَصِرت صُدُرُوهُم﴾[٦].

فقوله ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ جملة حالية، وفعلها ماضٍ لم يقترن بـ «و» أي جاؤوكم في حال كونهم حصرت صدورهم، أي ضاقت عن قتالكم مع قومهم.

---

١. آل عمران: ١٤٢.
٢. «أمزّق» حرّك بالكسر لضرورة الشعر.
٣. آل عمران: ٤٠.
٤. مريم: ٨.
٥. الإيضاح، ص ١٧١. «شعف فؤادها»، أي غلب حبّي قلبها و خالطة حتّى وصل إلى شغاف القلب. المهنوءة: المطلية بالقطران. «شعفها» طلّاها به. يعني أنّ حبّة بلغ منها كما يبلغ القطران من الناقة؛ المهنوءة، فإنّ يسري في جسمها حتّى يؤثر في لحمها.
٦. النساء: ٩٠.

وقول سلمة بن الحجّاج الجهني:

فآبـوا بـالرماحِ مُكَسَّـراتٍ وأُبْنا بالسيوفِ قَدِ انْـحَنَيْنا[١]

فقوله: «قد انحنينا» جملة حالية، أي والسيوف منحنيات[٢].

٧. وممّا يجيء بـ «و»، في الأكثر شيوعاً، ثمّ يأتي في مواضع بغير «الواو» فيلطف مكانه، ويدلّ على البلاغة؛ الجملة قد دخلها «ليس» تقول: «أتاني وليس عليه ثوب»، «ورأيته وليس معه غيره» فهذا هو المعروف المستعمل.

وقد يجيء بغير «الواو» فيكون من الحسن على ماترى، وذلك كما في قول الأعرابي:

لنـا فـتى وحـبّذا الأفْـتاءُ تَـعْرِفُهُ الأرسـانُ، والدِّلاءُ

إذاجَـرَىٰ فـي كـفِّهِ الرِّشـاءُ خَلَّى القَلِيْبَ ليسَ فيهِ ماءُ[٣]

٨. وتمتنع «و» الحال من الاقتران بالجملة إن وقعت بعد عاطف، كقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فجاءَها بَأْسُنا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ﴾[٤].

﴿فَجَاءَهَا﴾ جاء أهلها بحذف المضاف «البأس» العذاب ﴿بَـيَاتَاً﴾ مصدر وضع موضع الحال.

والمعنى: جاء أهلها عذابنا بـائتين أو قـائلين، فـلا يـقال: «أو وهـم قـائلون» كراهةاجتماع عطف في الصورة، وإنّما قيل: فـي الصـورة؛ لأنّ «و» الحـال ليست عاطفة، وإنّما هي تشبه العاطف في الصورة.

واذا لم تقع بعد عاطف يكثر الاقتران بـ «و» كقوله تعالى: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيـارِهِمْ وَهُمْ أُلوُفٌ﴾[٥].

---

١. دلائل الإعجاز، ص٢١٣.

٢. و لعلّه جاء بجملة الحال خالية من «و» ليدلّ على قوّة طعنهم، و مضاء نصلهم بأن جعل رجوعهم، و حال سيوفهم خبراً واحداً مؤكّداً تتلقّاه النفس دفعة واحدة فتشعر بقوته.

٣. دلائل الإعجاز، ص١٤٦؛ الأفتاء: جمع فتي ـ بتشديد الياء ـ و هو الشابّ. و الأرسان الحبال، و الرشاء: حبل الدلو، و القليب: البئر.

٤. الأعراف: ٤.

٥. البقرة: ٢٤٣.

وقوله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا للّهِ أَنْداداً وأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾[١].

وإذا حذفت تكون جملة الحال مؤكّدة لمضمون الجملة.

وكذلك يمتنع الربط بـ«و» إذا كانت جملة الحال مؤكّدة لمضمون الجملة قبلها، نحو قوله تعالى: ﴿ذلِكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيهِ﴾[٢].

فجملة ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال مؤكّدة لمضمون الجملة قبلها.

وكما لا تدخل «و» في التوكيد نحو: «جاء زيد نفسه» لا تدخل هنا، لأنّ المؤكِّد نفس المؤكَّد في المعنى، فلو دخلت «و» لكان في صورة عطف الشيء على نفسه.

٩. وترى الجملة قد جاءت حالاً بغير «و» ويحسن ذلك، ثمّ تنظر فترى ذلك إنّما حسن من أجل حرف قد دخل عليها، مثاله قول الفرزدق:

فَقُلْتُ عَسىٰ أنْ تَبْصُرِيني كأنّما بَنِيَّ حَواليَّ الأُسُودُ الحَوارِدُ[٣]

فقوله: «كأنّما بنيّ حواليّ الأُسود الحوارد» في موضع الحال من مفعول «تبصريني» من غير شبهة، ولو أنّك تركت «كأنّ» فقلت: «عسى أن تبصريني بنيَّ حواليَّ كالأُسود» رأيته لا يحسُن حُسْن دخول «كأنّما» ورأيت الكلام يقتضي «الواو» كقولك: «عسى أن تبصريني وبَنِيَّ حواليَّ كالأُسود الحوارِد».

وشبيه بهذا أنّك ترى الجملة قد جاءت حالاً بعقب مفرد، فلطف مكانها، ولو أنّك أردت أن تجعلها حالاً من غير أن يتقدّمها ذلك المفرد، لم يحسن، مثال ذلك قول ابن الرومي:

واللّهُ يُبْقيكَ لَنا سالِماً بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وتعظيمُ

فقوله: «برداك تبجيل» في موضع حال ثانية، ولو أنّك أسقطت «سالماً» من البيت

---

١. البقرة: ٢٢.

٢. البقرة: ٢.

٣. ديوانه، ج١، ص٣٤٦؛ الايضاح، ص١٧٦؛ شرح المختصر، ج١، ص٢٦٥؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٣٠٤؛ مجمل اللغة، ج٢، ص٥٦؛ أساس البلاغة، (حرد)؛ مقاييس اللغة، ج٢، ص٥٢؛ المطول (تحقيق عناية)، ص٤٨٢؛ و(تحقيق هنداوي)، ص٤٧٧.

فقلت: «واللّه يبقيك برداك تبجيل» لم يكن شيئاً[١].

❊ ❊ ❊

محسّنات الوصل

ممّا يزيد من حسن الوصل توافق الجملتين في الاسميّة والفعلية، وفي المعنى، والمضارعة، وفي الإطلاق والتقييد.

١. تناسب الجملتين في الاسميّة والفعلية، وتناسب الاسميتين في نوع المسند من حيث كونه مفرداً، أوجملة، أوظرفاً، وتناسب الفعليتين في نوع الفعل.

مثال توافق الجملتين من الاسميّة وفي كون المسند مفرداً، قول الشاعر الأندلسي الرمادي:

من حاكم بيني وبين عَـذُولي　　　الشجو شجوي والعويل عويلي

الشاهد في قوله: «الشجو شجوي والعويل عويلي».

ومثال تناسب الجملتين في الاسميّة وفي كون المسند جملة قولهم:

«يداكَ أَوْكتا، وفُوك نَفَخ».

ومثال تناسب الجملتين في الاسميّة وفي كون المسند ظـرفاً «أنت مـنّي، وأنـا منك».

ومثال تناسب الجملتين في الفعليّة وفي كون الفعل ماضياً، قوله سبحانه: ﴿وَقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ﴾[٢].

---

١. دلائل الإعجاز، ٢١٥. و المراد من برداه، نفسه، و هو كناية عن ذات الموصوف، و المراد بـها تـخصيص الصـفة بالموصوف، كما في قوله: «الكرم بين برديه».

و قيل: المراد يبقيك الله سالماً مشتملاً عليك التبجيل و التعظيم اشتمال البرد على صاحبه، أو المقصود طلب بقائه على وصف السلامة، و كونه مبجّلاً معظّماً.

«البردان»: الثوبان، استعارهما الشاعر للوصفين، وثنّى البرد باعتبار لفظي التبجيل و التعظيم المخبر بـهما عـنه مبالغة و إن كان معناها واحداً، و الشاهد في البيت ترك عطف جملة الحال؛ لوقوعها بعد مفرد و هو «سالماً».

٢. الإسراء: ٨١.

ومثال تناسب الجملتين في الفعليّة وفي كون الفعل مضارعاً، قوله سبحانه: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِم آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم﴾[2].

ولا يحسن العدول عن ذلك التناسب في الاسميّة والفعليّة وغيرها ممّا ذكرناها؛ إلّا لغرض من الأغراض، أو مانع من الموانع، كأن يراد حكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة في الذهن، لتكون ماثلة أمام النفس، فتكون أكثر تأثيراً كما في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[3].

عبّر بالمضارع في الجملة الثانية ـ وإن كان القتل في الماضي كالتكذيب ـ لأنّ أمر القتل فظيع، فأُريد استحضاره في النفوس، وتصويره في القلوب، فتكون تلك النفوس منها أشد اشمئزازاً.

ومثله قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عن سبيلِ اللّهِ﴾[4].

وعكس هذا قوله سبحانه: ﴿إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فاسْتَجابَ لَكُم﴾[5].

فإنّه عبّر عن الاستغاثة بالفعل المضارع؛ استحضاراً للصورة، وعبّر عن الاستجابة بالفعل الماضي؛ لأنّ فيها زيادة اطمئنان للنفوس.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمَاواتِ﴾[6].

وكأن يقصد التجدّد في إحداهما، والثبوت في الأُخرى، وذلك مثل قولك: «يَقُومُ خالدٌ وَعَمْروٌ قاعِدٌ» إذا أردت أَنّ قيام خالد يتجدّد، وقعودَ عمرو ثابت مستمرّ.

وكقوله تعالى: ﴿قالُوا أجِئْتَنا بالحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ﴾[7]، كانوا يزعمون أنّ مجيئه لهم بالحقّ أمر حادث، وأنّ اللعب حالة دائمة لإبراهيمعليه السلام وهكذا استفهموا عن

---

١. الشورى: ٤٩.
٢. البقرة: ١٢٩.
٣. البقرة: ٨٧.
٤. الحجّ: ٢٥.
٥. الأنفال: ٩.
٦. النمل: ٨٧.
٧. الانبياء: ٥٥.

حدوث مجيئه لهم بالحقّ بالجملة الفعلية؛ لإفادتها التجدّد والحدوث، وعن كونه من العابثين بالجملة الاسميّة؛ لإفادتها الثبوت والدوام.

ومثله قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[١].

فقد قصد بالجملة الأُولى التجدّد والحدوث، وبالثانية الثبوت والدوام.

وقوله تعالى: ﴿وإِنْ تَدْعُوهُم إلى الهُدى لا يَتَّبِعُوكُم سَواءٌ عَلَيْكُم أَدعَوتَمُوهُم أَمْ أَنْتم صامِتُونَ﴾[٢].

عطفت الجملة الاسميّة ﴿أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ على قوله تعالى: ﴿أدعَوتُمُوهُمْ﴾ وهو جملة فعلية؛ لبيان أنّ صمتهم ـ أي المسلمين أو الدعاة ـ أمر ثابت دائم؛ لأنّ دعوتهم لا تجدي شيئاً.

٢. مثال تناسب الجملتين في الإطلاق والتقييد قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾[٣].

فالجملة الأُولى ـ وهي: ﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ـ مطلقة، والجملة الثانية مقيّدة؛ لأنّ الشرط مقيّد للجواب، والمراد بقضاء الأمر قضاؤه بهلاكهم، وعدم إيمانهم مقيّد بإنزال الملك.

وكقول أبي نواس:

نسيبُكَ مَنْ ناسَبْتَ بالودِّ قلبَهُ ... وجارُكَ من صافيت لا من تُصاقِبُ

❊ ❊ ❊

١. النساء: ١٤٢.
٢. الأعراف: ١٩٣.
٣. الأنعام: ٨.

الباب الرابع

أحوال الجملة

أحوال الجملة

الجملة هي قوام الكلام المفيد وتتألّف بضمّ كلمة إلى كلمة أُخرىٰ أو أكثر؛ لتدلّ على معنىً تامّ معيّن.

أو هي ـ كما يقول النحاة: ـ ما يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب[1]، أو كلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه[2].

وتعريف النحويين للجملة يهتمّ ـ كمانرىٰ ـ بأمرين: هما: استقلال اللفظ بنفسه، أو حسن السكوت عليه، وإفادته للمعنىٰ، أو وجوب الفائدة للمخاطب، ووجوب الفائدة للمعنىٰ مقرونة بحسن السكوت على نهاية اللفظ.

ومن الملاحظ أنّ حسن السكوت غير وجوب السكوت، فكأنّ حسن السكوت علامة فحسب على كمال الجملة، وهذا مشروط بكون الجملة ممّايمكن أن ينطق بها في نَفَس واحد بطبيعة الحال، إذن ليس كلّ سكون دليلاً على كمال الجملة، وليس عدم السكون أيضاً دليلاً على عدم انتهاء الجملة.

وإذا استبدلنا «الوقف» بـ «السكوت» كان الكلام السابق صحيحاً كذلك، ويبقىٰ أنّ وجوب الفائدة للمخاطب هو المحكّ في تحديد الجملة، والفيصل في معرفة أطرافها[3].

---

١. المقتضب، ج ١، ص ١٤٦؛ انظر: شرح ابن عقيل، ج ١، ص ١٤.
٢. الخصائص، ج ١، ص ١٧؛ انظر: شرح المفصل، ج ١، ص ٢٠.
٣. الجملة في الشعر العربي، ص ٢٤ ـ ٢٥.

ولاتكون الجملة تامّة إلاا إذا استوفت ركنين. هما: المسند إليه، والمسند، وإذا ماحذف منها أحد هذين الركنين فإنّ النحاة يلجأون إلىٰ التقدير؛ ليستقيم الكلام.

والمسند هو الموضوع الذي يتناوله معنىٰ الجملة، والمسند إليه هو صاحب هذا الموضوع.

وكلّ مافي الجملة ـ غير المسند والمسند إليه، وغير المضاف إليه وصلة الموصول ـ يُسمّىٰ «قيداً» والمسند والمسند إليه يُسمّيان «عمدة»؛ لأنّهما ركنا الكلام، فلايستغنىٰ عنهما بحال من الأحوال.

وماعداهما يُسمىٰ «فضلة»، وليست الفضلة ممّا يجوز الاستغناء عنها، فقد يلزم ذكرها لعارض، ككونها حالاً سادّةً مسدّ الخبر، وهو عمدة، مثل: «ضربي الطالب مسيئاً».

أو لتوقّف المعنىٰ عليها، نحو قول الشاعر:

إنّما الميتُ مَنْ يعيش كئِيباً كاسِفاً بالُهُ قليلَ الرَجاءِ

وقد تكون الفضلة في مرتبة العمدة من حيث عدم الاستغناء عنها؛ لما فيها من تتميم للفعل الذي يظلّ قاصراً بدونها، نحو: «كافأ المعلّمُ المجتهدَ».

واستعمل الرعيل الأوّل ـ علىٰ يد سيبويه وأُستاذه الخليل ـ المصطلحين، فقال سيبويه: هذا باب المسند والمسند إليه، وهما مالايستغني واحد منهما عن الآخر، ولايجد المتكلّم منه بدّاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيّ عليه، وهو قولك: «عبداللّه أخوك» و«هذا أخوك» ومثل ذلك قولك: «يذهب زيد» فلابدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء، وممّا يكون بمنزلة قولك: «كان عبداللّه منطلقاً» و«ليت زيداً منطلق» لأنّ هذا يحتاج إلى مابعده كاحتياج المبتدأ إلى مابعده[1].

ولم يأخذ النحاة بهذين المصطلحين بعد سيبويه وإن أداروهما في كتبهم، وإنّما استعملوا مايقابلهما من مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل وغيرها، ولكن علماء البلاغة

---

١. كتاب سيبويه، ج ١، ص ٧.

أخذوهما وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني، فانحصرت في المسند والمسند إليه، ومايتبعهما من ذكر وحذف، وتقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وقصر[١].

فمثلاً لم يكن في وسع أفكار البلاغيين في عصر عبدالقاهر الجرجاني، بل ولا في طاقة أخيلتهم أن تنطلق معه حيث يذهب، خاصّة فيما يتعلّق بالتقديم والتأخير وغيره ممّايتّصل بقواعد نحويّة استقرّ قرارها في عقولهم وهي لدى النحاة عرف متداول، مثل: أنّ المعرفتين إذا وقعتا مبتدأً وخبراً لم يختلف المعنىٰ فيهما بتقديم وتأخير.

وممّا يُوهم ذلك قول النحويين في باب «كان»: إذا اجتمع معرفتان كنت بالخيار في جعل أيّهما شئت اسماً، والآخر خبراً، كقولك: «كان زيد أخاك» أو «كان أخوك زيداً» فيُظَنّ من هاهنا أنّ تكافؤ الاسمين في التعريف يقتضي أن لا يختلفَ المعنىٰ بأن تبدأ بهذا، وتُثنّي بذاك.

وهكذا يُتَوهّم في نحو قوله:

أبُوكَ حُبَابٌ سارِقُ الضيفِ بُرْدَهُ وَجَدّي يا حَجّاجُ فارِسُ شَمّرا[٢]

أنّه لافصل بينه وبين أن يقالَ: «حُبابٌ أبوك، وفارسُ شمّر جدّي».

وهاهنا نكتةٌ يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق أبداً وهي أنّ المبتدأ لم يكن مبتدأ؛ لأنّه منطوقٌ به أوّلاً، ولا كان الخبر خبراً؛ لأنّه مذكورٌ بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ؛ لأنّه مسندٌإليه ومثبتٌ له المعنىٰ، والخبرُ خبراً لأنّه مُسند ومثبَتٌ به المعنىٰ.

تفسير ذلك أنّك إذا قلت: «زيد منطلق» فقد أثبت الانطلاق لزيد وأسندته إليه، «فزيدٌ» مثبت له، و«منطلقٌ» مثبَت به. وأمّا تقدّم المبتدأ على الخبر لفظاً فحكمٌ واجبٌ من هذه الجهة، أي من جهة إنْ كان المبتدأ هو الذي يثبت له المعنىٰ ويسند إليه، والخبرُ هو الذي يثبت به المعنىٰ ويُسند.

---

١. أساليب بلاغية، ص١٣٢؛ البلاغة و التطبيق، ص١٤٣.

٢. دلائل الاعجاز، ص١٨٨؛ شرح الحماسة للتبريزي، ج١، ص١٦٥؛ لسان العرب (شمر).

وممّا يدلّ دلالة واضحة على اختلاف المعنىٰ ـ إذا جئت بمعرفتين ثمّ جعلت هذا مبتدأ، وذاك خبراً تارة، وتارة بالعكس ـ قولهم: «الحـبيبُ أنت» و«أنت الحـبيب» وذاك أنّ معنىٰ «الحبيبُ أنت» أنّه لافصلَ بينك وبين من تحبُّه إذا صَدَقتِ المحبّة، وأنّ مثل المتحابيّن مثلُ نفسٍ يقتسمها شخصان، كما جاء عن بعض الحكماء أنّه قـال: «الحبيب أنت، إلّا أنّه غيرُك» فهذا كما ترىٰ فرقٌ لطيف ونكتة شريفة، ولو حاولت أن تفيدها بقولك: «أنت الحبيبُ». حاولت مالايصحُّ؛ لأنّ الذي يُعقل من قولك: «أنت الحبيب» هو ماعناه المتنبّي في قوله:

أنتَ الحَبيبُ ولكـنّي أعُـوذُ بـهِ مِنْ أنْ أكُونَ مُحِبّاً غير مَحْبُوبِ[١]

ولايخفىٰ بُعدُ مابين الغرضين، فالمعنىٰ في قولك: «أنت الحبيبُ» أنّك أنت الذي أختصّهُ بالمحبّة من بين الناس، وإذا كان كذلك عرفت أن الفرق واجبُ أبداً؛ وأنّـه لايجوز أن يكون «أخوك زيد» و«زيد أخوك» بمعنىٰ واحد[٢].

فعبد القاهر الجرجاني يريد بذلك أن يربط بين القواعد النحوية؛ والغايات الفنّية المرتبطة بتلك القواعد، وبين علم المعاني الذي يعلّمنا القـاعدة النـحوية والمـعنىٰ المراد منها أو الغاية منها في آن واحد، فعلم المعاني ـ عنده ـ هو ائتلاف الألفـاظ ووضعها في الجملة الموضعَ الذي يفرضه معناها النحوى.

وقد وضّح تداخل الدراسة النحوية بدراسة المعنىٰ، والتي قدّم لها تطبيقاً عملياً، كما في بنية المضارع، ومعلوم أنّ المضارع قد يشير إلى الحـال، وقـد يشـير إلى الاستقبال، فكيف يمكن التمييز بين الحالتين من البنيات الشكلية والموقع الوظيفي، أي دون معرفة المضمون والمعنىٰ الدلالى.

يقول عبد القاهر: لم يخل من أن تريد الحال أو الاستقبال عندما تقول: «أتفعل؟» أو «أأنت تفعل؟»

فإن أردت الحال مطابقاً لما قلناه عن الماضي، ففي الأُولى «أتفعل؟» تـريد أن

---

١. ديوانه، ج ١، ص ٢٣١ (شرح البرقوقي).
٢. دلائل الإعجاز، ص ١٩٥ و ١٩٦.

تقرّره بفعل هو يفعله، وفي الثانية «أأنت تفعل؟» تريد أن تقرّره بأنّه الفاعل.

نموذج آخر من حالات النفي تتّضح فيه وظيفة الموقع مرتبطة بشكل بنية الوحدة اللغوية، فمثلاً عندما تقول: «مافعلت» أو «ما أنا فعلت»، ففي الحالة الأُولىٰ تنفي عنك فعلاً لم يثبت أنّه مفعول، أمّا في الحالة الثانية، فإنّك تنفي فعلاً ثبت أنّه مفعول.

دليله من واقع اللغة العملي قول المتنبّي:

ومَـا أنـا أَسْـقَمْتُ جِسْـمي بِـهِ وَلا أَنا أَضْرَمْتُ في القَلْبِ نَارا[١]

تقديم الاسم يقتضي ثبوت الفعل؛ أي أنّ السقم ثابت موجود، وليس القصد نفيه، ولكن نفيٰ أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جرّه إلىٰ نفسه، وأثبتُه بذلك للهَمِّ الذي اعتراه[٢].

وهذا أصبحت دراسة الجملة[٣] ـ بعد عبدالقاهر الجرجاني ـ ظاهرةٌ أُسلوبية من حصّة البلاغيين، والتي تقوم بدراسة مايطرأ على ركني الجملة؛ من تعريف وتنكير، وذكر وحذف، وتقديم وتأخير، واتّصال بين الجمل أو انفصال... إلىٰ غير ذلك ممّا يخدم بلاغه الجملة، أي أن تأتي بأُسلوب يجمع إصابة القصد والجمال.

❋ ❋ ❋

القسم الأوّل: التعريف والتنكير

المعرفة هي الاسم الدالّ على مُعيّن مُحَدّد.

والنكرة هي الاسم الدالّ على شيء غير معيّن بسبب شيوعه بين أفراد كثيرة من

---

١. ديوانه، ج ٢، ص١١٨؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤٦؛ الايضاح، ص٥٩؛ دلائل الاعجاز، ص١٢٥.

٢. دلائل الإعجاز، ٤٨. و انظر: عالم اللغة، ص٢٠١ و٢٠٢.

٣. كانت دراسة الجملة قبل عبدالقاهر تعني بدراسة ظاهرة الإعراب و تفسيرها، و فكرة العمل و العامل، و لذلك كان البحث في تقسم الكلمة ـ إلى اسم، و فعل، و حروف، و إلى المعرب و المبنّي، و إلى غير ذلك ـ أساس علمهم و مباحثهم.

نوعه تشابهه في حقيقته.

وأقسام المعرفة سبعة وأعرفها الضمير، ثمّ العلم، ثمّ اسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرّف بـ «أل»، والمضاف إلى المعرفة، والنكرة المقصودة في المنادىٰ، كأن تنادي شرطياً واقفاً أمامك بقولك: «ياشُرْطيُّ».

وتتفاوت النكرات أيضاً في مراتب التنكير، وكلّما ازدادت النكرة عموماً زادت إبهاماً في الوضع.

● التعريف

يدخل التعريف على المسند إليه؛ لأنّ الأصل فيه أن يكون معرفة، والتنكير هو الفرع، والأصل مقدّم على الفرع.

وإنّما كان التعريف فيه هو الأصل؛ لأنّه محكوم عليه، والحكم علىٰ المجهول لايفيد[1]، ولذلك فإنّه يعرّف لتكون الفائدة أتمّ؛ لأنّ احتمال تحقّق الحكم متىٰ كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوىٰ، ومتىٰ كان أقرب كانت أضعف.

وبُعْدُهُ بحسب تخصيص المسند إليه والمسند، فكلّما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بُعداً، وكلّما ازداد عموماً ازداد الحكم قرباً، فمثلاً في قولنا: «شيء ماموجود» يعني إنّ الفائدة فيه ضعيفة؛ لأنّ كلّ إنسان يعلم بوجود شيء ما، فيكون الحكم قريباً.

أمّا في قولنا: «زيد حافظ القرآن» فليس كلّ إنسان يعلم حصول حفظ معيّن من إنسان معيّن، فيكون الحكم بعيداً، ومن ثمّ تكون الفائدة أتمّ وأقوىٰ[2].

١. أو لأنّه العنصر الثابت، و لابدّ للثابت أن يكون معلوماً معروفاً، ليكون المعنىٰ واضحاً، و الحكم عليه بيّناً. فمثلاً نقول: «المال زينة الحياة» فـ«المال» هو الذات، أو هو المسندإليه، أو المحكوم عليه، فـ«زينة الحياة» هي الصفة، أو المسند، أو المحكوم‌به. فالمال زينة‌الحياة في وضع من الأوضاع، ولكنّه قد لا يكون زينة الحياة دائماً؛ إذ قد يكون سبباً في قتل صاحبه، أو في تحطيم سعادته، أو وسيلة لشراء ضمير، أو سبباً في إذلال فرد، أو استعباد أمّة، أو أداة معينة علىٰ الفساد و الحرام... المال هو هو لم يتغيّر جوهره، ولكنّ ما يؤدّي إليه هو المتغيّر حسب الظروف و حسب اليد التي تملك المال، إذن المال هو الثابت، و زينة‌الحياة هي الصفة المتغيّرة. انظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ج ١، ص ١٢٣ و ١٢٤.

٢. الايضاح، ص ٤٠.

والمراد بتخصيص المسند إليه كماله بالتعريف.

❊ ❊ ❊

● المبحث الأوّل: تعريف المسند إليه:

□ أوّلاً: تعريف المسند إليه بالإضمار:

أي باستعمال الضمير للدلالة عليه، وذلك حينما يكون الحديث في مقام التكلّم، أو الخطاب، أو الغيبة، فيؤتى بالمسند إليه ضميراً في أحد المقامات الثلاثة الآتية:

١. مقام التكلّم: يستعمل ضمير المتكلّم للدلالة على المتكلّم مفرداً أو جمعاً، كقوله تعالىٰ: ﴿أنا اللّهُ لا إلهَ إلّا أنَا فَأعْبُدْنِى﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بالحَقِّ﴾[٢].

وكقوله عزّ اسمه: ﴿إنّى أنَا اللّهُ رَبُّ العَالمينَ﴾[٣].

وقولهﷺ: «أنا أفْصَحُ العرب والعجم، ولا فَخْرَ لي».

وقول النبيّﷺ: «أنا النبيّ لاكَذِب، أنا ابنُ عبدِالمطّلِب».

وفيه اعتداد بالنفس مع الفخر، وتمام الفائدة لإيراد المسند إليه إلى ذهن المخاطب بضمير المتكلّم.

وقول الإمام عليّ؈: «أنا الذي سَمَّتْنِي أُمّي حَيْدَرَة».

وكقول بشّار:

أنــا المُـرَعَّثُ لاأُخـفْىٰ عـلىٰ أحَـدٍ ذَرَّتْ بىَ الشّمْسُ للقاصِي وللدّانــي[٤]

إذ جاء بالمسند إليه معرّفاً بضمير المتكلّم، وفيه فخر واعتداد بالنفس؛ لقوله «أنا»

---

١. طه: ١٤.

٢. الكهف: ١٣.

٣. القصص: ٣٠.

٤. «المرعّث»: المقرّط، وكان يلقّب بذلك لرعثة كانت له في صغره. «ذرّت»: طلعت و هي كناية عن شهرته.
انظر: مفتاح العلوم (تحقيق هنداوي)، ص٢٦٩؛ الايضاح، ص٤١؛ ديوان بشار بن برد، ص٢٤٠؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٣٩.

ثمّ يقول «المرعّث» وهو بدل من «أنا» ولكنّه يريد أن يؤكّد ذاته، وأن يصوّر نفسه من عدّة زوايا، فهو «أنا» لا أحد غيره، وهو «المرعّثُ» ومَنْ يُشْبِهُه وهو «لا يخفىٰ علىٰ أحد» ومن يدانيه وهو قد «ذرّت به الشمس».

ومثله قول الكميت:

أنا الذي يَجِدُوني في صُدُورِهِم   لا أَرْتَقِي صَدْراً مِنْهُم ولا أَرِدُ[١]

وقول عمرو بن كلثوم:

وَنَحْنُ التّارِكُونَ لِما سَخِطْنا   وَنَحْنُ الآخِذُونَ لِما رَضِينا
وَكُنّا الأَيْمَنِين إذا التَقَيْنا   وكانَ الأيْسَرِين بَنُو أَبِينا[٢]

٢. مقام الخطاب: كقول الرسول ﷺ: «أنْتَ مِنّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسىٰ»[٣].

قول الشاعر:

أنْتَ الذي لم تَدَعْ سمعاً ولا بَصَراً   إلّا شَفَى فأمَرَّ العيش إمرارا[٤]

وأصل الخطاب أن يكون مع حاضر معيّن؛ لأنّ الخطاب هو الكلام إلى حاضر مشاهد،لكنّ البلغاء قد يخرجون عن هذا الأصل؛ ويستعملون ضمير الخطاب في غيرمشاهد وفي غيرمعيّن[٥]، ليعمّ الخطاب كلّ مخاطب[٦]، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَو تَرىٰ إذ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُوسِهِم عِنْدَ رَبِّهِم﴾[٧].

فهذا الخطاب لم يقصد به مخاطب معيّن، وإنّما المراد أنّ كلّ من تمكنه الرؤية

---

١. انظر مفتاح العلوم، ص٢٦٩.

٢. مفتاح العلوم، ص ٢٧٠؛ شرح المعلقات للزوزني، ص٢٥٣ و ٢٥٨؛ ديوان المعاني، ص ١١٠؛ التبيان، ج ١، ص١٤٩؛ الشعر والشعراء، ج ١، ص ٣٣٤؛ طبقات فحول الشعراء، ج ١، ص ١٥١؛ شرح القصائد العشر للتبريزي، ص٣٥٣؛ التبيان للطيبي، ص٥٨.

٣. صحيح مسلم، ج ١٥، ص١٧٤؛ إرشادالساري، ج٦، ص ١٣١.

٤. اساليب بلاغية، ص ١٤٤.

٥. ذلك على طريق المجاز المرسل بعلاقة الإطلاق، و قيل: إنّ ترك الخطاب لذلك من الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر؛ إذ هو ـ على التحقيق ـ من وضع المضمر موضع المظهر. فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ الظاهر فيه «ولو يرىٰ كلّ أحد».

٦. ذلك بشرط أن يكون المخاطب به صالحاً لأن يخاطب به كلّ أحد، فإن لم يكن فلا، كقوله تعالىٰ: ﴿كَذٰلِكَ يُوحىٰ إِلَيْكَ﴾، فالخطاب خاصّ برسول الله ﷺ.

٧. السجدة: ١٢.

أُخرج بهذه الصورة؛ للقصد إلى تفظيع حالهم، وأنّها تناهت في الظهور حتّى امتنع اختفاؤها.

ويخاطب غير المعيّن حيث يراد تعميم الخطاب وتوجيهه إلى كلّ من يتأتّىٰ خطابه، كأنّك تقول: «أنت تسأل ونحن نجيبُ» لاتقصد شخصاً بعينه، بل كلّ من يتأتّىٰ خطابه، تريد أنّ الاستعداد للإجابة موفّر لكلّ من يسأل، ولايختصّ به أحد دون آخر.

وقد يرد في مقام التشهير والعيب، كأن تقول: «فلان لئيم، إن أكرمته أهانك، وإن أحسنتَ إليه أساء إليك».

يقول السكّاكي: كأنّك قلت: «إن أُكرِمَ أو أُحسِنَ إليه» قصداً إلىٰ أنّ سوء معاملته لايختصّ واحداً دون واحد»[1].

وكقول المتنبي:

إذا أنتَ أكْـرَمتَ الكـريمَ مَـلَكْتَهُ ... وإنْ أنْتَ أكْـرَمْتَ اللـئيمَ تَـمرّدا[2]

فالخطاب في هذا البيت لايختصّ به مخاطب معيّن، بل هو ملك لكلّ الأجيال تعرض عليهم هذه الحكمة في كلّ زمان ومكان.

وقول زهير بن أبي سلمىٰ:

تــراهُ إذا مــاجئته مُـتَهلّلاً ... كأنّكَ تُعطيه الذي أنتَ سائِلُه

فلا يراد هنا مخاطب بعينه.

وقول عليّ بن جبلة العكوك:

يابنَ الأكارِمِ من عدنانَ قَـدْ عَـلِمُوا ... وتـالِدِ المـجدِ بـينَ العَـمِّ والخـالِ

أنتَ الذي تُـنْزِلُ الأيّـامَ مـنزِلَها ... وَتُمْسِكَ الأرْضَ من خَسْفٍ وزلزالِ[3]

وقد يخاطب المستحضَر في القلب، كقوله سبحانه: ﴿أَنْتَ مَوْلانا فَـانْصُرْنا عـلىٰ

---

١. مفتاح العلوم، ص٢٧١.

٢. ديوانه، ج١، ص٣٠٧ (شرح البرقوقي)؛ المنهاج الواضح، ج٢، ص٣٩؛ جواهر البلاغة، ص٧٩؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٤١.

٣. ديوانه، ص٣٣؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٠؛ الحماسة البصرية، ج١، ص١٦٠؛ التبيان، ص٥٨.

القَوْمِ الكَافِرينَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣].

ونحو: «لا إله إلّا أنت ياربّ العالمين».

وقول الشاعر:

جودي بقربِك أبْـلغَ كـلّ أُمـنيّتي   أَنْتِ الحياةُ وأَنْتِ الكـونُ أَجْـمَعُهُ

٣. مقام الغيبة: ولابدّ في ضمير الغيبة من أن يعود على صاحبه المتقدّم في اللفظ وهو على أنواع كما يأتي:

أ) *تحقيقاً*: كقوله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِر حتّىٰ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ﴾[٤].

فقد ورد لفظ الجلالة ثمّ جيء بضميره ﴿هُوَ﴾ ثانياً.

وقول الإمام عليّ‌ﷺ: «أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه اللّه لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوىٰ، ودرع اللّه الحصينة»[٥].

فأُتي بالمسند إليه مضمراً غائباً لذكر المظهر أوّلاً، والاهتمام بشأنه.

ب) *أو تقديراً*: وهو ماتقدّم عليه لفظ من جنسه يدلّ عليه، أو توم إليه قرينة حال:

فالأوّل: كقوله تعالىٰ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتّقوىٰ﴾[٦].

فالضمير ﴿هُوَ﴾ يعود إلى العدل الذي دلّ على معناه لفظ ﴿اعْدِلُوا﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[٧]، الضمير الغائب عائد على معنىٰ الرجوع المفهوم من قوله: ﴿فَارْجِعُوا﴾.

الثاني: كقوله تعالىٰ: ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما السُدُسُ﴾[٨].

---

١. البقرة: ٢٨٦.

٢. يوسف: ١٠١.

٣. الفاتحة: ٥.

٤. يونس: ١٠٩.

٥. الخطبة: ٢٦.

٦. المائدة: ٨.

٧. النور: ٢٨.

٨. النساء: ١١.

فالمسند إليه ـ وهو الضمير الفاعلي ﴿تَرَكَ﴾ المقدّر بـ «هو» ـ يرجع إلى الميّت، وقد دلّت عليه قرينة الحال؛ وهي أنّ المقام لبيان الإرث.

وقوله تعالىٰ: ﴿حَتّىٰ تَوارَتْ بالْحِجابِ﴾[١]. فالمرجع ـ وهو الشمس ـ لم يدلّ عليه لفظ سابق، كما في ﴿اعْدِلُوا﴾، ولكن دلّ عليه ذكر العشيّ والتواري بالحجاب.

ج) *أو حكماً*: وهو مالم يدلّ عليه شيء ممّا ذكر من لفظ القرينة، بل يدعى دائم الحضور في الذهن، فيستغنىٰ عن ذكره بعد الضمير، فضلاً على عدم ذكره قبله، كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ * وَيَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكْرامِ﴾[٢]، فإنّ الضمير هنا وإن لم يتقدّم له مرجع، لكنّ النفس لاتجد عسراً في معرفته، بل تجدها تتأثّر بهذا الضمير أكثر ممّا لو وضع مكانه الاسم الظاهر.

وقول الشاعر:

أبتِ الوِصالَ مخافَةَ الرُّقَباءِ وأتَتْكَ تحت مَدارِعِ الظَّلْماءِ[٣]

ونحو: «أقبل وعليه الهيبةُ والوقار».

ويسمّىٰ هذا العدول بالإضمار في مقام الإظهار.

وإمّا أن يذكر بعد الضمير، فيتمكّن معناه في النفس للبيان بعد الإبهام، ويطّرد في بابي «نعم» و «بئس» وفي ضمير «ربّ» وضمير الشأن.

قال زهير:

نعم امرئاً هَرِمٌ لم تَعْرُ نائبةٌ إلّا وكانَ لِمُرْتاعٍ بها وَزَرا

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿بِئْسَ لِلظّالمينَ بَدَلاً﴾[٤].

ونحو قول الشاعر:

رُبَّهُ فتيةٍ دَعَوْتُ إلىٰ ما يُوْرِثُ المَجْدَ دائباً فأجابوا

فإنّ التقدّم فيهما لازم للضمير لنكتة وهي البيان بعد الإبهام، لكن حكم

---

١. ص: ٣٢.

٢. الرّحمٰن: ٢٦ و٢٧.

٣. جواهر البلاغة، ص ٨٠.

٤. الكهف: ٥٠.

الضمير التأخّر.

ومنه ضمير الشأن وهو مايدّل على غرابة، وما تشوق النفس لتعرف مابعده، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أحد﴾[١].

كيف تتشوّق النفس إلى أن تعرف مابعد ضمير ﴿هُو﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿فإنّها لاتَعْمىٰ الأبْصارُ وَلكِنْ تَعْمىٰ القُلُوبُ التي في الصُدُورِ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إنْ هِيَ إلّا فِتْنَتُكَ﴾[٣].

وكقول الشاعر:

هِيَ الأُمـورُ كـما شـاهدْتها دُوَلٌ　　　مَـن سَـرّهُ زَمَـنٌ سـاءَتْهُ أزمـانُ

وضمير الشأن كما يكون مابعده مذكّراً يكون مؤنّثاً كذلك، فيقال: «الشأن كذا»، أو «القصّة كذا».

□ **ثانياً: تعريف المسند اليه بالعلميّة:**

فإنّ المقامات التي تقتضي مجيء المسند إليه علماً كثيرة نذكر أهمّها:

١. إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاصّ ليتميز عمّن عداه، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ﴾[٤].

وجاء المسند إليه[٥] ﴿اللّهُ﴾ علماً لأجل إحضاره في الذهن ابتداءً بجميع مشخّصاته التي قام عليها الدليل ـ كالقدرة ونحوها ـ باسم خاصّ به تعالىٰ.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿اللّهُ يَعْلَمُ ماتَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ﴾[٧].

---

١. الإخلاص: ١.
٢. الحجّ: ٤٦.
٣. الأعراف: ١٥٥.
٤. الإخلاص، ١.
٥. ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن مبتدأ أوّل. ﴿اللهُ﴾ مبتدأ ثان، و الجملة خبره.
٦. الحشر: ٦.
٧. الرعد: ٨.

وقوله تعالىٰ: ﴿اللّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسالَتَهُ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿اللّهُ الّذى رَفَعَ السّماواتِ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهِيمُ القَواعِدَ مِنَ ٱلْبيتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[٣].

وقول مالك بن عويمر في رثاء أبيه:

أبو مـالِكٍ قـاصِرٌ فَـقْرَهُ   علىٰ نَفْسِهِ وَمُشيعٌ غِناهُ[٤]

فهذا الفقيد الذي كان يمدّ يده للناس في ساعة فقره، وكان يبذل عطاياه للناس أيّام غناه بالإضافة إلىٰ أنّه أبو الشاعر، هذه العاطفة القوية لايعبّر عنها إلّا العلم، أي النصّ عليه باسمه المشخّص المحدّد؛ ليعلن للناس بأنّه فرد في محاسنه لايدانـيه أحد من الناس.

وقول الآخر:

اللّـــهُ يَــعْلَمُ مــاتَرَكْتُ قِـتالَهُم   حتّىٰ عَلَوْ فَرَسِي بـأشْقَرَ مُـزْبِدِ

وَعَلِمْتُ أنّــي إنْ أُقـاتِلْ واحـداً   أُقتلْ ولايَضْرر عدوّىَ مَشْهَدي[٥]

البيت للحارث بن هشام في الاعتذار عن فراره عن أخيه أبي جهل يوم بدر بأنّه لم يفرّ إلّا بعد أن جرح فسال الدم على فرسه، وغرض البيت الاعتذار وهو يخرج من القلب، فيحمل مشاعر الشاعر كلّها، فيقدّم المسند إليه على خبره الفعلي، فهذا التصرّف الذي أحدثه الشاعر أعطى الأُسلوب كلّ الثقة وكلّ الفخامة.

٢. قصد تعظيم المسند إليه أو إهانته وذلك في مواضع:

أ) الألقاب، كأن تقول: «جاء زين الدين» و «وصل ذو الريـاستين» فـي مـقام التعظيم، و«رحل عنّـا أنف الناقة» و«فارقنا صخر» في مقام الإهانة.

---

١. الأنعام: ١٢٤.

٢. الرعد: ٢.

٣. البقرة: ١٢٧.

٤. الايضاح، ص٤٢؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٢؛ ديوان الهذليين، ج٣، ص٢٧٧.

٥. «الاشقر»: الدم. و«المزيد»: ما علاه الزبد و نحوه من الرغوة. «مشهدي»: حضوري الموقعة. والبيتان للمخزومي في المخصص، ج١، ص٤؛ وللحارث بن هشام أخي أبي جهل في ديوان الحماسة، ج١، ص١٨٨؛ انظر: الاشارات والتنبيهات، ص٤٠؛ الايضاح، ص٤٢.

ب) الأسماء الصالحة لذلك، كقول المصطفىﷺ: «أسلم سالمها اللّه، وغِفارُ غفر اللّهُ لها».

ج) الكُنىٰ الصالحة لذلك، كقولك: «أبو الفضلِ صديقُك» في مقام التعظيم، و «أبو الجهل صاحِبُكَ» في مقام االإهانة.

٣. للكناية عن معنىٰ تصلح الكناية عنه باعتبار أصل وضعه، كقوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدا أبى لَهَبٍ﴾[١].

فأبو لهب باعتبار أصل وضعه يشعر بملابسة لهب النار، فهو كناية عن كونه جهنّمياً[٢].

٤. التبرّك بالمسند إليه، مثل «اللّه ربّنا» و«اللّه حسبي» و«محمّد نبيّنا».

٥. الاستلذاذ بالمسند إليه، وهذا كثير في شعر الغزل والنسيب والمدح، ترىٰ الشاعر يذكر المسند إليه باسمه العلم، ويكرّر ليفرغ مافي نفسه من الوجد والصبابة، والمشهور في ذلك قول قيس بن الملوح:

بِاللّهِ ياظَبياتِ القاعِ قُلْنَ لَنا   لَيْلاىَ مِنْكُنَّ أمْ ليلىٰ مِنَ البَشَرِ[٣]

والأصل أن يقول: «أم هي من البشر» إذ المقام للضمير لتقدّم المرجع، ولكنّه ذكر اسمها الصريح لقصده تلذّذاً بذكر اسم محبوبته.

٦. التفاؤل، مثل «سَعْدٌ في دارك».

٧. التطيّر، نحو «السفّاح في دارك» ولاشكّ أنّ كلمة «سعد» توحي بالبشر والإيناس، وتدخل التفاؤل والاطمئنان على قلب من يسمعها، وأمّا السفّاح فتنقبض منها النفس، وتتشاءم وتتطيّر.

---

١. المسد: ١.

٢. ذلك أنّ المركّب الإضافي في «أبوالهب» ـ قبلَ أن يصير علماً ـ معناه ملازم النار و ملابسها، و يلزم منه أنّه «جهنّمي» و أنت حين تأتي بالمسند إليه علماً هكذا «أبولهب» تريد الانتقال من الملزوم ـ ملازمته النار ـ إلى اللازم، كونه جهنّمياً، فيكون ما فعلته انتقالاً من الملزوم الى اللازم؛ أي كناية، و يصلح العلم لهذا المعنىٰ، نظراً إلىٰ معناه الوضعي قبل صيرورته علَماً علىٰ الذات.

٣. الشعر والشعراء، ج ٢، ص٦٢٨؛ معاهد التنصيص، ج ٢، ص١٦٧؛ المصباح، ص٤٤؛ التبيان، ص٥٧؛ اساليب بلاغية، ص١٤٦؛ المنهاج الواضح، ج ٢، ص٣٧؛ جواهر البلاغة، ص٨١؛ من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص١٤٤.

٨. التسجيل على السامع حتّى لايكون له إنكار، كما في قول القاضي لعمرو: «هل أقرّ زيد بكذا؟» فيقول عمرو: «نعم، أقرّ زيد بكذا» لتسجيل حكم الخبر على زيد وضبطه بحيث لايقدر علىٰ الإنكار لثبوت الشهادة عليه.

٩. للتنبيه على غباوة السامع، كما لو قال لك عمرو: «أزيدٌ فعل كذا؟» فتجيب: «نعم، زيد فعل كذا» بإيراد المُسند إليه عَلَماً مع كون الموضع بحسب الظاهر للضمير حيث عليك أن تقول: «نعم، هو فعل كذا» فتعدل عن الضمير إلى العَلَم؛ للتنبيه علىٰ بلادة المُخاطَب، وأنّه لايفهم إلّا بالاسم المظهر.

▫ ثالثاً: تعريف المسند إليه بالموصولية:

يأتي المسند إليه معرفاً بالموصوليّة ليحقّق أغراضاً بلاغيّة: منها:

١. عدم علم المخاطب بالأحوال المختصّة به سوىٰ الصلة، كقولك: «الذي كان معنا أمس رجل صالح» فجاء المسند إليه معرّفاً بالاسم الموصول و هو «الذي»؛ لأنّ المخاطب لايعرف من الأحوال المختصّة به سوىٰ أنّه كان معهما أمس.

٢. لاستهجان التصريح بالاسم الدالّ على ذات المسند إليه إن ثبت عُرْفاً أنّه منفّرٌ في معناه أو لفظه:

فالأوّل: كقولك: «الذي يخرج من أحد السبيلين ناقض للوضوء» حيث لم يُستسَغ ذكر مايخرج من السبيلين؛ لقبح معناه.

والثاني: كقولك: «الذي ربّاني أبي» إن كان اسم الأب قبيحاً، مثل «برغوث» أو «جحش» أو «بطة» أو غيره، وترىٰ الاسم الموصول يؤدّي دوراً هامّاً في هذا المجال.

٣. زيادة تقرير الغرض المسوق إليه الكلام، أي تأكيده وتثبيته، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَراوَدَتْهُ الَّتى هُوَ فِى بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ﴾[1].

فالغرض المسوق إليه الكلام هو بيان نزاهة يوسفعليه السلام وبُعْدُهُ عن خطيئة

---

١. يوسف: ٢٣.

الفحشاء، وكان يمكن الوصول إلى هذا التنزيه بذكر كلّ من الموصول[١] وامرأة العزيز «زليخا»، لكنّ الموصول أدلّ علىٰ النزاهة؛ لأنّه التعبير الذي مكّن من تصوّر تهالكها عليه، وملاحقتها إيّاه، إذ هو في بيتها كان لها مع يوسف من الاختلاط ودنوّ النظر إليه، وتكلّفه ماتشاء بحكم مقدرتها عليه، ورغـم ذلك كـلّه اسـتعصم، فـدلّ دلالة واضحة على نزاهة يوسف عليه السلام ونهايته في الطهارة باطناً وظاهراً.

ومنه قول أبي العلاء:

أعُبّادَ المسيحِ يـخافُ صَـحْبي ... ونحنُ عبيدُ مَنْ خَلَقَ المسيحا[٢]

فالصلة (خلق المسيح) دلّت على تقرير غرض الشاعر وهو إذا كان عبّاد المسيح آمنين من العذاب، فإنّ عُبّاد خالق المسيح (وهو اللّه) أكثر أمناً وسلاماً.

وقول الفرزدق يخاطب هشاماً:

أتَحْبسُني بَـيْنَ المَـدينةِ والتـي ... إليها رِقابُ النّاس تَهْوىٰ مُنيبُها[٣]

أي مكّة، وإنّما عدل زيادة للإنكار مشيراً به إلى أنّ هذا المكان لايصلح إلّا للإنابة والخضوع، لا التجبّر والعدوان.

٤. للتفخيم والتهويل، كقوله سبحانه: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِن اليَمِّ مَاغَشِيَهُم﴾[٤].

أي غشيهم ماءُ غزير يعزّ تقدير كمّيته، ففي الاسم الموصول إبـهام، وفـيه مـن التهويل مالايخفىٰ[٥].

---

١. أي لو قال: «و راودته امرأة العزيز» لماكان هذا نصّاً في المـرأة التـي راودتـه؛ لجـواز أن يكـون للـعزيز نسـاء أخريات، ولو قال: «وراودته زليخا» لاحتمل الكلام مسمّىٰ آخر بها الاسم غير امرأة العزيز.

٢. قاله في بعض أسفاره و قد خاف أصحابه من النصارىٰ في طريقهم، يقول: لا يـنبغي أن يـخاف أصـحابي مـن النصارىٰ؛ لأنّا عبيدالله خالق المسيح الذي يعبدونه، فهو يحمينا منهم، و قوله: «أعبّاد المسيح» إشاره إلى ضعف عقولهم حيث عبدوا المخلوق من دون الخالق. انظر: المطول (تحقيق هنداوي)، ص٢١٩، و(تـحقيق عـناية)، ص١٩٥.

٣. البيت يخاطب هشام بن عبدالملك عندما غضب عليه لمدحه الإمـام عـليّ بـن الحسـين عليه السلام. الأغـاني، ج٢١، ص٣٧٨؛ أخبار الشعراء، ص٦٠.

٤. طه: ٧٨.

٥. يقول الزمخشري: في ذلك تهويل و تعظيم لمّا صبّ عليها [أي على قرية القوم الفاسدين] من العذاب، و أمطر عليها من الصخر المنضود. الكشاف، ج٤، ص٣٤.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مايَغْشَىٰ﴾[١].

أي يغشاها أُمور عظيمة لاقبل للإنسان بتخيّلها.

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «فاحْذِرُوا من اللّه ماحَذَّركُم من نفسِهِ، واخْشُوهُ خِشْيَةً ليست بتعذير...»[٢].

كنّىٰ بهما عن جميع المناهي المترتّب عليها الوعيد.

وقول دريد بن الصمة من أبيات يرثي بها أخاه عبداللّه:

مضىٰ بها مامَضىٰ من عَقْلِ شارِبِها وفي الزجاجةِ باقٍ يَطْلُبُ الباقي[٣]

تجد أنّ الموصول (ما مضىٰ) أفاد تفخيم أمر الخمر وتهويل ما تفعله بعقول شاربيها، ونلمس وراء ذلك معنىً لطيفاً وهو التحذير من شرب الخمر لما تصنعه بالعقل، ولأنّ من أدمن شربها لن يتركها حتىٰ يفقد عقله، فلو بقيت من عقله لطلبته الزجاجة حتىٰ تذهبه: «وفي الزجاجة باق يطلب الباقي».

٥. للتحقير، كقولهم: «من لم يدر حقيقة الحال قال ماقال»، أي الجاهل بالشيء يقول في شأنه مايعنّ له.

٦. تنبيه المخاطب على خطأ تصوّره أو تصوّر غيره.

الأول: كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الّذينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبادٌ أمْثالُكُم﴾[٤]، فجاء المسند إليه معرّفاً بالموصوليّة ﴿الّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ وفي ذلك تنبيه علىٰ خطأ المخاصمين في دعوتهم غير اللّه.

وكقول عبدة بن الطيّب في جملة قصيدة يعظ بها أبناءه:

إنّ الذينَ تَرَوْنَهُمْ إخْوانَكُمْ يَشْفي غَليلَ صُدُورِهِمِ أن تُصْرَعُوا[٥]

---

١. النجم: ١٦.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢.

٣. ديوانه، ص٦٩؛ الايضاح، ص٤٣.

٤. الأعراف: ١٩٤.

٥. «ترونهم»: تظنّوهم. «تصرعوا»: تهلكوا و تصابوا بالحوادث. «الغليل»: العطش الشديد أو الحقد.
انظر: مفتاح العلوم، ص٢٧٥؛ الايضاح، ص٤٣؛ التبيان، ص٦٨؛ المصباح، ص٨؛ المفضليات، ص١٤٧؛ معاهد ←

أي أنّ الذين تظنّون أنّهم إخوانكم، يتمنّون لكم الهلاك والدمار، فأنتم مخطئون في ظنّكم أنّهم إخوانكم، ولايفهم هذا المعنىٰ لو ترك الشاعر الاسم الموصول وصلته؛ وقال: «إنّ فلاناً وفلاناً».

الثاني: كقول عروة بن أُذينة:

إنّ التــي زَعَــمَتْ فُــؤادُك مَـلّها   خُلِقَتْ هَواكَ كما خُلِقْتَ هوىً لَها[1]

جاء بالمسند إليه (التي) اسماً موصولاً؛ للتنبيه علىٰ خطأ الغائبة في زعـمها أنّ فؤاده ملّها، ولو أنّه قال مثلاً: «إنّ فلانة خُلقت هواك لما تأتّى له هذا التنبيه.

٧. الإشارة إلى نوع الخبر من حيث كونه مدحاً، أو ذمّاً، أو ثواباً، أو غير ذلك، وبهذا يتنبّه الفَطِن من فاتحة الكلام إلى خاتمته، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الَّـذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتُ النَعيمِ نُزُلاً﴾[2].

فالإيمان وعمل الصالحات الذي انطوت عليه الصلة، يشير إلى أنّ الخبر من نوع عملهم، أي ضرب من الإثابة والجزاء الحسن.

وكما في قـوله تـعالىٰ: ﴿إنّ الَّـذينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِـبادَتي سَـيَدْخُلُونَ جَـهَنّمَ داخِرِين﴾[3].

فمدلول الصلة ـ وهو الاستكبار ـ يشير إلى أنّ الخبر من نوع العـذاب وسـوء الجزاء.

ومن هذا القبيل ماجاء في الحكمة: «من سـعىٰ رعـىٰ، ومـن لَـزِم المـنامَ رأىٰ الأحلام».

ومنه في الشعر قول الشاعر:

إنّ الذيــن تَـولّوا قَـتْلَهُ سَـفَهاً   لاقوا أثاماً وخُسراناً فما رَبِحُوا

← التنصيص، ج ١، ص ١٣٥؛ شرح عقود الجمان، ص ٦٧؛ اساليب بلاغية، ص ١٤٧؛ المطول (تحقيق هنداوي)، ص ٢٢٠.

١. المنهاج الواضح، ج ٢، ص ٤٥؛ جواهر البلاغة، ص ٨٣.

٢. لقمان: ٨.

٣. غافر: ٦٠.

وحاصله ـ كما يقول الخطيب القزويني ـ أن يؤتى بالفاتحة على وجه ينبّهُ الفَطِن على الخاتمة.

وربّما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر، كقول الفرزدق:

إنّ الذي سَمَكَ السّماء بَنىٰ لَنا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أعَزُّ وَأطْوَلُ[1]

يفتخر علىٰ جرير ببيته في تميم، وأراد بالبيت بيت الشرف والمجد، ففي قوله «إنّ الذي سمك السماء» إشارة إلى أنّ الخبر المبنيّ عليه أمر من جنس الرفعة والبناء عند من له ذوق سليم، ثمّ فيه تعريض بتعظيم بناء بيته؛ لكونه فعل من رفع السماء التي لابناء أعظم منها وأرفع.

وممّا فيه تعريض بالتهوين من شأن الخبر قولك: «إنّ الذي لايعرف الفقه قد صنّف فيه، وإنّ الذي لايحسن قرض الشعر قد أنشأ قصيدة».

وقد تكون الإشارة لتعظيم شأن غير الخبر، كقوله تعالىٰ: ﴿الَّذين كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَن لَم يَغنَوا فيها الذينَ كَذَّبُوا شُعَيباً كَانُوا هُمُ الخَاسِرينَ﴾[2].

وقد تكون الإشارة للتحقير، نحو «إنّ الذي لايحسن الخطابة ألقىٰ خطبة»، فالغرض تحقير الخطبة؛ لأنّ الصلة أوضحت أنّ من لايحسن الخطابة ألقاها.

وقد تكون إشارة الصلة لتحقير غير الخبر نحو «إنّ الذي يصاحب الأشرار مصيره الخيبة»، فالأشرار هنا نالهم التحقير؛ لأنّ مصاحبتهم تؤول إلى الخيبة علماً بأنّ لفظ «الأشرار» هنا ليس خبراً.

وقد تكون الإشارة إلىٰ نوع الخبر، وسيلةً إلى الإشعار بأنّ الخبر أمر محقّق ثابت، كقول عبدة بن الطيّب:

إنّ التي ضَرَبَتْ بَيتاً مُهاجِرَةً بِكوفَةِ الجُنْدِ غالَتْ وُدّهَا غُولُ[3]

---

١. انظر: ديوانه، ج٢، ص١٥٥؛ الاشباه والنظائر، ج٦، ص٥٠؛ خزانة الأدب، ج٦، ص٥٣٩؛ شرح المفصل، ج٦، ص٩٧؛ لسان العرب (كبر) و(عزز)؛ المقاصد النحوية، ج٤، ص٤٢؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤٠؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٠٣؛ التبيان، ص٦٧؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٥؛ الايضاح، ص٤٤.

٢. الأعراف: ٩٢.

٣. انظر: ديوانه، ص٥٩؛ تاج العروس (كوف)؛ شرح اختيارات المفضل، ص٦٤٦؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤٠؛ الايضاح، ص٤٤؛ المطول (تحقيق عناية)، ص١٩٨، و(تحقيق هنداوي)، ص٢٢١؛ المفتاح، ص٢٧٥؛ التبيان، ص٦٧.

ففي البيت إشارة إلى تحقيق الخبر وهو انقطاع مودّة الحـبيبة وزوالهـا، بـدليل تركها لبلد محبوبها، وإقامتها بالكوفة، وقـد جـاء بـالمسند إليـه اسـماً مـوصولاً، وأشار في الصلة إلىٰ أُمور خاصّة ـ ضرب البيت في الكوفة، الهجر ـ ليثبت الخبر في ذهن المتلقّي ذهاب ودّها؛ لأنّ من هذه حالها لايـمكن أن تكـون ذات وداد، والشاعر بذلك يحقّق زوال المودّة، ويقرّره في ذهن المتلقّي حتّىٰ كأنّه برهان عليه بتقديم دليله.

وهذا معنىٰ تحقيق الخبر، وهو مفقود في مثل: «إنّ الذي سمك السماء»؛ إذ ليس في رفع اللّه السماء تحقيق وتثبيت لبنائه لهم بيتاً، فظهر الفرق بين الإيماء، وتحقيق الخبر.

وزعم القزويني في الإيـضاح عدم ظهور فرق بين الإيماء إلى وجه بناء الخبر، وتحقيق الخبر، وتساءل كيف يجعل الأوّل ذريعة إلى الثاني، والمسند إليه في قول الشاعر: «إن الذين ترونهم إخوانكم...» ليس فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر عليه، بل لايبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه؟![1]

وأجاب علىٰ هذا الاعتراض السعد في المطوّل بقوله: إنّ العرف والذوق شاهد صدق على أنّك إذا قلت عند ذكر جماعة يعتقدهم المخاطبون إخواناً خـلّصاً «إنّ الذين تظنّونهم إخوانكم...» كان فيه إيماء إلى أنّ الخبر المـبنيّ عـليه أمـر يـنافي الأخوّة ويباين المحبّة.

□ **رابعاً: تعريف المسند إليه بالإشارة**

و هو كما يأتي:

١. **تمييز المسند إليه أكمل تمييز**؛ لاقتضاء الحال بإحضاره فـي ذهـن السـامع بواسطة اسم الإشارة، إما لتمييزه اكمل تمييز وإما بيان حاله في البعد والقرب أو غير ذلك من الموارد التي سنوردها عليك، كقول ابن الرومي:

---

١. الايضاح، ص ٤٤.

هذا أبو الصَّقْرِ فَرْداً فـي مَـحاسِنِه   مِنْ نَسْل شيبانَ بينَ الضّالِ والسّلَمِ[١]

يمدح الشاعر هذا الرجل بأنّه فذّ في خُلْقِهِ وخَلْقِهِ، لايدانيه فيهما أحـد، وأنّـه سليل قوم ذوي شمم وإباء؛ لأنّهم يسكنون البوادي، وهي لاتخضع لسلطان حاكم، ولاتدين لسلطة قانون، وقد اقتضى مقام المدح وقصد تمييز الممدوح كاملاً أن يعبّر الشاعر عن المسند إليه باسم الإشارة قائلاً: «هذا أبو الصقر».

ومنه قول بعض الشعراء يمدح حاتماً الطائي:

وإذا تأمَّلَ شـخصَ ضـيفٍ مُـقْبلٍ   مُـتَسَرْبِلٍ سِـرْبالَ لَـيْلٍ أغْـبَرِ
أوماً إلى الكـوماءِ: هـذا طـارِقٌ   نَحَرَتْنِي الأَعْداءُ إنْ لَمْ تُـنْحَرِي[٢]

يقول الشاعر: إنّ حاتماً إذا رأى في ظلمات الليل ضيفاً أشار إلى الناقة العظيمة السنام قائلاً لها: هذا القادم إلينا ضيف طارق، لاكنت إن لم تكوني له طعاماً. فقد عبّر عن المسند إليه باسم الإشارة؛ لتميزه أكمل تمييز، لكي يسند إليه الخبر متمكّناً قوياً، وهو أنّه ضيف طارق وجب قراه.

٢. التعريض بغباوة السامع حتّىٰ أنّ الشيء لايتميّز إلّا بالإشارة الحسّية، كقول الفرزدق مادحاً الإمام زين العابدين:

هذا الذي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ   والبيتُ يَعْرِفُهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ
هذا ابنُ خَيرِ عـبادِ اللّـهِ كُـلّهم   هذا التقيُّ النقي الطـاهر العَـلَمُ
هذا ابن فاطمة إن كنتَ جاهلَه   بجدّه أنـبياءُ اللّـهِ قـد خـتموا[٣]

فقد عرّض الشاعر بغباوة هشام بن عبدالملك بتكراره المسند إليه معرّفاً بـاسم

---

١. «الضال» جمع ضالة و هو شجر السدر البرّي. و «السلم» جمع سلمة و هو شجر ذو شوك من شجر البـادية، و «فرداً» نصب على المدح أو الحال من الخبر، يعني إنّ قومه مقيمون بالبادية؛ لأنّه العزّ في الحضر.
انظر: مفتاح العلوم، ص٢٧٦؛ الايضاح، ص٤٤ – ٤٥؛ من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص١٤٩.

٢. «الكوماء»: الناقة العظيمة الضخمة.
البيتان وردا في أمالي القـالي، ج ١، ص٤٣ بلا عزو؛ وفي ديـوان حسـان، ص٣٨٧؛ ومـفتاح العـلوم، ص٢٧٦؛ والايضاح، ص٤٤.

٣. ديوانه، ج ٢، ص١٧٨؛ الاغاني، ج ٢١، ص٣٧٦؛ التبيان، ص٦٨ و ٦٩؛ جواهر البلاغة، ص٨١؛ من بلاغة النـظم العربي، ج ١، ص١٣٦.

الإشارة في إثبات الثلاثة الأوّل؛ إذ قال: «هذا الذي تعرف البطحاء وطأته» «هـذا ابن خير عباد اللّه كلّهم» «هذا التقي النقي الطاهر العلم» «هذا ابن فاطمة إن كـنت جاهله» فكأنّ هشاماً غبي لايفهم إلّا المحسوسات يشار إليها بالبنان، ولكنّه كـرّر اسم الإشارة لينبّه إلى أنّ غباوة هشام قد زادت حتّىٰ أصبح لايفهم المـحسوسات التي يشار إليها إلّا إذا تأكّدت بالتكرار.

وكقول الفرزدق أيضاً:

أوْلئِكَ آبائِي فَـجِئْني بِـمِثْلِهِم   إذا جَمَعَتْنا ياجَرِيرُ المـجامِعُ[١]

فيريد أن يبيّن أنّ جريراً لايستطيع أن يأتي بمثلهم آباء ذوي مجد وحسب إذا جمعتهما مجامع الفخر والمساجلة، والشاهد قوله: «أولئك آبائي» حيث أورد المسند إليه اسمَ إشارة؛ قصداً إلى أن يصم جريراً بوصمة الغباوة، وكأنّه لايعلم آباء الفرزدق إلّا إذا رآهم رأي العين، والأمر في: «فجئني بمثلهم» للتعجيز[٢].

٣. أن تقصد بيان حاله في القرب، أو البعد، أو التوسّط، علماً بأنّ «هذا» للقرب، و«ذلك» للبعد، و«ذاك» للتوسّط بينهما.

أ) القرب: ﴿هذِهِ بِضَاعَتُنَا﴾ «هذا أُستاذي الكبير».

ب) البعد: ﴿ذٰلِكَ يَوْمُ الوَعِيدُ﴾ «ذلك العالم الحاذق».

ج) التوسّط: «ذاك الجندي البطل» «ذاك ولدي».

٤. أو أن يقصد بدلالتي الإشارة علىٰ القرب والبعد تعظيمه أو تحقيره:

الأوّل: فمن التعظيم بالقرب قوله تعالىٰ: ﴿إنّ هذا القُرآنَ يَهْدِى لِلَّتى هِى أقْوَمُ﴾[٣].

---

١. ديوانه، ج٢، ص٤١٨؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤١؛ أساس البلاغة (جـمع)؛ الايـضاح، ص٤٥؛ التبيان، ج١، ص١٥٧؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٧؛ المطول (عناية)، ص٢٠٠، و(هنداوي)، ص٢٢٣.

٢. من النكات البلاغيّة الأُخرى في هذا البيت قوله: «أولئك» للإشارة إلى قدم زمانهم الدالّ عـلى قـدم المـجد، و التنبيه على بعد درجتهم في الكرم و علوّها، و قوله «آبائي» إضافتهم إلى نـفسه للـفخر بـالانتساب إليـهم مـع التخصيص، ثمّ خاطب جرير للامتحان فقال: «جئني بمثلهم» مع علمه أنّه لا يمكنه ذلك، ولكن زاد بيان عجزهِ وكثرة حدّه عن المفاخرة التي لابدّ أن تقع، كما يفهم من «إذا» الدالّة على تحقّق ما بعدها، و اعترض بالمنادي بين الفعل و الفاعل لزيادة التنبيه على غباوة المخاطب، و أنّه لا يدرك مالم ينبّه بالصياح، و اختار الدالّة على البـعد للإشارة إلى أنّه لغباوته مع القرب، بمنزلة البعيد في عدم الإدراك، و نسبة الجمع إلى المجامع مجاز عقلي.

٣. الإسراء: ٩.

نجد اسم الإشارة يعبّر عمّا نكنّه، نحو كتاب ربّنا من قربه لنفوسنا، وتدبّرنا لآياته، وعملنا بوحيه وتوجيهاته.

وقوله تعالىٰ: ﴿ذٰلِكَ الكِتَابُ لارَيْبَ فِيهِ﴾[١].

استعمل فيه اسم الإشارة البعيد لنفي الريب، وهذا يستدعي البعد بالطبع.

الثاني: من التحقير بالقرب قوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا رَآكَ الَّذينَ كَفَرُوا إنْ يَتَّخِذُونَكَ إلّا هُزُواً أهذا الَّذى يَذْكُرُ آلِهَتَكُم﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَاهذِهِ الحَياةُ الدُّنيا إلّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿أهذا الَّذى بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَاذا أرادَ اللّهُ بِهذَا مَثَلاً﴾[٥].

تجد أنّ المسند إليه جاء معرّفاً باسم الإشارة في الآيات، وتحسّ منه في الآية الأُولىٰ ماكان يضمره الكفرة لرسول اللّهﷺ وفي الآية الثانية تحقيراً للدنيا علىٰ الرغم من طول أبعادها، ولكنّها لحقارتها ونهايتها المحتومة، تجدها في نظر من يعرف حقيقة الموت حقيرةً قصيرة لاقيمة لها.

وكما يحكيه الشاعر العنبري عن امرأته[٦]:

تَقُولُ وَدَقّتْ نَحْرَها بِيَمينِها   أبَعْلِي هذا بالرَّحىٰ المُتَقاعِسُ؟![٧]

والشاهد في البيت قوله: «أبعلي هذا؟!» فإنّ صاحبته قد عبّرت عنه باسم الإشارة القريب؛ إشارةً منها إلى دنوّ منزلته، والتصاقه بالتراب متقاعساً يطحن بالرحىٰ شأن الخدم والعبيد.

١. البقرة: ٢.

٢. الأنبياء: ٣٦.

٣. العنكبوت: ٦٤.

٤. الفرقان: ٤١.

٥. البقرة: ٢٦.

٦. التبيان، ص٧١ للهذلول بن لعب العنبري في ديوان حماسة أبي تمام، ص١٩٨ و فيه «صدرها» مكان «نحرها» و له في الإيضاح، ج١، ص٤٦. «البعل»: الزوج، و «تقاعس الرجل»: أخرج صدره و أبرزه. انظر: الاشارات والتنبيهات، ص٤١؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٧؛ الخصائص، ج١، ص٢٤٥؛ الدرر، ج١، ص٢٩٣.

٧. الايضاح، ص٤٦؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٧.

الثالث: ومن التعظيم بالبعد قوله تعالىٰ: ﴿الم * ذٰلِكَ الكِتابُ لاريبَ فِيهِ﴾[١].

إشارة إلىٰ القرآن الكريم وهو بين أيدينا، وقريب منّا، ولكنّ الآية تتحدّث عن منزلة القرآن الكريم، وأنّه في نهاية الكمال، وقد فاق جميع الكتب، فأوجزت هذه المعاني كلّها، وعبّرت عنها باسم الإشارة الموضوع للبعيد، إيماءً إلى بعد منزلة القرآن الكريم.

وقوله تعالىٰ على لسان امرأة العزيز وهي تتحدّث عن يوسفﷺ: ﴿فذٰلِكُنَّ الَّذِى لُمتُنَّنى فِيهِ﴾[٢].

لم تقل: «هذا» وهو حاضر أمامها؛ رفعاً لمنزلته في الحسن، وتمهيداً للعذر في الافتتان به.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِباسُ التَقْوَىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٣].

ومثله قول الحطيئة:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البُنا

وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا[٤]

فقد أفادت الإشارة (اولئك) تعظيم المشار إليهم وبعد مكانتهم وعلوّ مجدهم.. ولكن يؤخذ على الشاعر استخدامه «إن» دون «إذا» فقلّل بهذا بناء المجد والعهد والعقد. ولو استخدم «إذا» لكان أبلغ وأوفي للمدح.

الرابع: ومن التحقير بالبعد قوله تعالىٰ: ﴿فذٰلِكَ الَّذى يَدُعُّ اليَتيمَ﴾[٥].

أشارت الآية إلىٰ المكذّب بالدين باسم الإشارة الموضوع للبعيد؛ لتحسّسهم بأنّ اليتيمَ محروم من القرن منهم، وفي ذلك تحقير لهم.

---

١. البقرة: ٢.

٢. يوسف: ٣٢.

٣. الأعراف: ٢٦.

٤. ديوانه، ص١٤١؛ لسان العرب (عقد)؛ تاج العروس (بنىٰ)؛ مفتاح العلوم، ص٢٧٦؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٤٩.

٥. الماعون: ٢.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّما ذلكمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أوْلياءَهُ فلا تَخافوهُمْ وخافُونِ إنْ كُنْتُم مُؤْمِنينَ﴾[١].

وقد اجتمع التعظيم والتحقير في قوله تعالىٰ: ﴿فمن ثَقُلَت موازينُهُ فأُولئك هم المفلحون ومن خَفّت موازينُهُ فأُولئكَ الذين خَسِروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾[٢].

ولو قيل: إنّ كون «هذا» للقريب و«ذلك» للبعيد و«ذاك» للمتوسّط، بحث خاصّ بعلماء اللغة؛ لأنّهم إنّما يبحثون في المعاني الوضعيّة، فلاينبغي أن يتناوله العلماء الباحثون عن المعاني الزوائد على المعنىٰ الموضوع له.

لقلنا: إنّ لأسماء الإشارة جهتين: فاللغة تبحث فيها من جهة معانيها الوضعيّة، أي من حيث إنّ «هذا» موضوع للقريب، و«ذلك» موضوع للبعيد، و«ذاك» موضوع للمتوسّط، وعلم المعاني يبحث فيها من جهة أنّه يؤتى بـ«هذا» إذا قصد بيان قرب المشار إليه بأن كان المقام يقتضي ذلك، ويؤتىٰ بـ«ذلك» إذا أُريد بيان بُعد المشار إليه متىٰ اقتضته الحال وهكذا، فالبحث فيها عند علماء اللغة من حيث الوضع، وعند علماء المعاني من حيث اقتضاء الحال لها، فوضّح الفرق[٣].

٥. التنبيه علىٰ أن المشار إليه بأوصاف، جدير ـ من أجل تلك الأوصاف ـ بما ذكر بعد اسم الإشارة، وذلك مثل قوله تعالىٰ:

﴿هُدَىً للمُتَّقينَ الّذينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصّلاةَ وَممّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُون، أُولئِكَ عَلىٰ هُدَىً مِنْ رَبّهِمْ وأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُون﴾[٤].

فالمشار إليه في الآية هم المتّقون الموصوفون بالإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق ممّارزقهم اللّه، والإيمان بما أُنزل علىٰ محمّدﷺ وبما أُنزل على الرسل من قبله، والإيقان بالآخرة، وقد عبّر عنهم باسم الإشارة ﴿أولئكَ﴾ ـ وإن كان التعبير عنهم بالضمير ممكناً ـ للتنبيه على أنّهم من أجل تلك الأوصاف، جديرون بالهداية

---

١. آل عمران: ١٧٥.
٢. المؤمنون: ١٠٢ـ١٠٣.
٣. المنهاج الواضح، ج٢، ص٤٠.
٤. البقرة: ٣ـ٥.

في الدنيا، وبالفلاح في الآخرة، هذا في المدح.

أمّا الذمّ، فكقوله تعالىٰ بعد أن ذكر المنافقين وكذّبهم في ادّعاء الإيمان، وكونهم يخادعون اللّه والّذين آمنوا، وكونهم فـي قـلوبهم مـرض: ﴿أُولئِكَ الَّـذينَ اشـتَرُوا الضَّلالةَ بِالهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١].

وكثيراً مايشار إلى القريب غير المشاهد بإشارة البعيد؛ تنزيلاً للبعيد عن العيان منزلة البعد المكاني، كقوله تعالىٰ حكاية عن سيّدنا الخضر مخاطباً موسىٰ ﷺ: ﴿ذلِكَ تأوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَليهِ صَبْراً﴾[٢].

يشير بذلك الىٰ السبب الذي حمله علىٰ قتل الغلام، وخـرق السـفينة، وإقـامة الجدار.

□ **خامساً: تعريف المسند إليه بـ «اللام» أو «أل»:**

قد دلّ تتبّع خواصّ تراكيب الكلام البليغ علىٰ أن المسند إليه يأتي معرّفاً بـ «ال» لغرضين:

الفرض الأوّل: أن يكون تعريف المسند إليه بـ «أل» للإشارة إلىٰ شيء من أفراد الحقيقة ـ واحداً كان، أو أكثر ـ معهود بين المتكلّم والمخاطب، وتسمّىٰ «لام العهد الخارجي» وهي ثلاثة أقسام تبعاً لمدخولها:

أ) ***لام العهد الخارجي الصريحي:*** وهي التي يتقدّم ذكر مدخولها صراحة، كـما في قوله تعالىٰ: ﴿اللّهُ نورُ السّماواتِ والأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمشكاةٍ فيها مِصْباحٌ المِصْباحُ في زُجاجةٍ الزُّجاجَةُ كَأنّها كوْكَبٌ دُرّيٌ﴾[٣].

جيء بالمسند إليه ﴿المِصْبَاحُ﴾ ﴿الزُّجَاجَةُ﴾ معرّفاً بـ «ال» للإشارة بها إلى معهود خارجي عهداً صريحاً؛ لتقدّم ذكرهما منكّرين ﴿مِصْبَاحٍ﴾ ﴿زُجَاجَةٍ﴾.

١. البقرة: ١٦.
٢. البقرة: ١٦.
٣. النور: ٣٥.

وكقوله تعالىٰ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنا إلىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصىٰ فِرْعَوْنُ الرّسولَ﴾[١].

فقد دخلت «ال» على كلمة ﴿الرَّسولَ﴾ التي صُرِّح بذكرها سابقاً.

وكقولك: «صنعت في رجل جميلاً، فلم يحفظ الرجل هذا الجميل» فإتيان المسند وهو «الرجل» محلّىٰ بـ «ال» للإشارة بها إلى معهود في الخارج عهداً صريحاً؛ لتقدّم ذكره صراحة في قوله: «صنعت في رجل جميلاً».

ب) *لام العهد الخارجي الكنائيّ*: وهي التي يتقدّم ذكر مدخولها كناية، كما في قوله تعالىٰ حكاية عن امرأة عمران: ﴿رَبِّ إنّي نَذَرْتُ لَكَ مَا في بَطْني مُحَرّراً فَتَقَبّلْ مِنّي إنّكَ أنْتَ السّميعُ العَليمُ، فَلَمّا وَضَعَتْها قالَت رَبِّ إنّي وَضَعْتُها أُنْثىٰ واللّهُ أعْلَمُ بِما وَضَعتْ وَلَيْسَ الذّكَرُ كالأُنْثىٰ﴾[٢].

الشاهد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ﴾ حيث جيء بالمسند إليه معرّفاً بـ«ال» للإشارة بها إلى معهود خارجاً عهداً كنائياً؛ لأنّ ﴿مَا﴾ في قول امرأة عمران: ﴿مَا فِي بَطْنِي﴾ كناية عن الذكر فحسب؛ لأنّ التحرير ـ وهو إعتاق الولد لخدمة بيت المقدس ـ لايكون إلّا للذكور.

ويقول البلاغيون: ليس المراد بالكناية هنا الكناية المعلومة، بل المراد استعمال المبهم في معيّن بقرينة، فأشبه الكناية[٣].

ج) *لام العهد العلميّ*: وهي التي يستغنىٰ في استخدامها عن تقدّم مدخولها؛ لتقدّم علم المخاطب به، وهي ضربان:

١. *لام العهد العلميّ الحضوريّ*: وهي التي يكون مدخولها حاضراً في المجلس، كقوله تعالىٰ: ﴿اليوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ﴾[٤].

فاليوم المشار إليه بلام العهد حاضِرٌ بذاته في وقت الكلام، والحضور هنا حسّي.

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿ويَوْمَ يَعَضُّ الظالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يالَيْتَني اتّخَذْتُ معَ الرسولِ

---

١. المزّمّل: ١٥و١٦.

٢. آل عمران: ٣٥و٣٦.

٣. مواهب الفتاح، ج١: ص٣٢٢.

٤. المائدة: ٣.

سَبيلاً * ياويْلَتا لَيتنى لم اتّخِذْ فُلاناً خَليلاً * لَقدْ أضَلّنى عَن الذّكرِ بَعْدَ إذْ جاءَنى وكانَ الشيطانُ للإنسانِ خـذولاً * وقـالَ الرّسـولُ يـارَبِّ إنّ قَـوْمِى اتّـخذُوا هـنذَا القـرآنَ مَهْجُورَا﴾[١].

فكلمة ﴿ٱلرّسُول﴾ وردت معرفة مرّتين، وهي في الآية الأخيرة للعهد الصريح، لكنّها في الآية السابقة للعهد العلميّ أو الحضوريّ، وكأن يضمّك وإخوتك مجلس تستقبلون فيه والدتك التي وصلت البارحة مـن السـفر، فـتقول: «الوالدة وصـلت البارحة» جئت بالمسند إليه مـعرّفاً بـ «ال» للإشـارة بـها إلى مـعلوم للـمخاطب بالحضور.

أو كأن تقول في شأن رجل حاضر في المجلس: «أبـدع الرجـل فـي كـلامه» لمخاطب سبق له علم به.

٢. *لام العهد العلميّ غير الحضوريّ:* وهي التي يكـون مـدخولها مـعلوماً لدى المخاطب، كقولك: «هل انعقد المجلس؟» جئت بالمسند إليه معرّفاً بـ «ال» للإشارة بها إلى معلوم للمخاطب.

وكقولك لزميل لك: «الأُستاذ في الصفّ» جـئت بـالمسند إليـه مـعرّفاً بـ «أل» للإشارة بها إلى معلوم للمخاطب.

الفرض الثاني: الإشارة بـ «ال» إلى الحقيقة عندما يكون مـدخولها مـوضوعاً للحقيقة والماهية وهي تبعاً لمدخولها ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: لام الحقيقة أو لام الجنس: وهي التي يراد بمدخولها الحقيقة نفسها بصرف النظر عمّا يقع تحتها من أفراد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿المالُ وَالْبنونَ زِينةُ الحَياةِ ٱلدُّنْيا﴾[٢].

جيء بالمسند إليه ﴿المال﴾ معرّفاً بـ «ال» للإشارة بها إلى الحـقيقة نـفسها، أي جنس المال، وكذا جنس البنين في المعطوف.

---

١. الفرقان: ٢٧ ــ ٣٠.

٢. الكهف: ٤٦.

ومنه قول الشاعر:

النــاسُ أرضٌ بكــلِّ أرضٍ   وانتَ مــن فـوقِهم سـماءُ[١]

وقول أبي العلاء المعرّي:

والخِلُّ كـالماءِ يُـبْدِي لي ضـمائرَهُ   مع الصـفاءِ وَيُـخْفيها مـعَ الكـدَرِ[٢]

أي إنّ الصديق يبدي لك مايضمره إذا صفا لك، أمّا إذا جفاك فإنّك لاترىٰ مـنه شيئاً، فهو كالماء تستشفّ ماتحته عند صفائه، ولاترىٰ ماتحته عند كدره، فالحكم بالتشبيه على حقيقتي الماء والخلّ، لاعلىٰ خلّ بعينه أو ماء بعينه.

وكقولك: «الذهب أثمن من الفضّة».

أي حقيقة الذهب أثمن من حقيقة الفضّة.

القسم الثاني: لام العهد الذهـني: وهي يراد بمدخولها فرد واحد مبهم من أفراد الحقيقة باعتبار عهديّته في الذهن؛ لمطابقة ذلك الواحد الحقيقة، وذلك عـند قـيام قرينة ما دالّة على أن ليس القصد إلى الحقيقة نفسها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[٣].

جيء بالمسند إليه ﴿الذِّئْبُ﴾ معرّفاً بلام الحقيقة أو الجنس؛ للإشارة بها إلى فرد من أفراد حقيقة الذئب، والقرينة الدالّة هي ﴿أَنْ يَأْكُلَهُ﴾ إذ دلّ الأكل على ذئب من الذئاب، لا على الحقيقة؛ لأنّ الحقيقة أمر عقلي لاوجود له في الخارج، فلايحصل منه أكل.

ويمكن أن يكون من هذا قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَـحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاً﴾[٤].

فليس المقصود حماراً معيّناً، بل أيّ حمار، لكن هذا ليس مسنداً إليه، ومثالها في

---

١. مفتاح العلوم، ص٢٧٩؛ ديوان المعاني، ص٢٦.

٢. مفتاح العلوم، ص٢٧٨؛ الايضاح، ص٤٧؛ شروح التلخيص، ج١، ص٣٢٠؛ سر الفصاحة، ص٢٣٨؛ التبيان للطيبي، ص١٩٣؛ الاشارات، ص٤١.

٣. يوسف: ١٣.

٤. الجمعة: ٥.

الشعر قول الشاعر:

ومَنْ طلبَ العلومَ بـغيرِ كـدّ سيدركُها حتّى شابَ الغرابُ

جاء بالمسند إليه «الغراب» معرّفاً بلام الحقيقة؛ للإشارة بها إلى فرد من أفراد حقيقة الغراب، والقرينة الدالّة على ذلك هي قوله «شابّ» إذ أنّ الشيب ممّا يعتري الأفراد، لا الحقائق.

القسم الثالث: لام الاستغراق: وهي التي يراد بمدخولها جميع الأفراد المندرجة تحت الحقيقة وعند قيام القرينة الدالّة علىٰ ذلك، وهي قسمان:

١. *لام الاستغراق الحقيقي:* وهي التي يراد بمدخولها كلّ فرد ممّا يدل عليه اللفظ بحسب اللغة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إلّا الّذينَ آمَنُوا وَعِمِلُوا الصَّالحاتِ﴾[١].

فقوله تعالىٰ: ﴿إلّا الّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ﴾ قرينة لفظية؛ إذ لابدّ أن يكون المستثنىٰ داخلاً في المستثنىٰ منه وهو الإنسان، ولايصحُّ ذلك إلّا إذا كان لفظ «الإنسان» مطلقاً علىٰ جميع أفراد الحقيقة.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّ النَفْسَ لأمّارَةٌ بالسُّوءِ﴾[٢].

أي كلّ نفس.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلوعاً إذا مَسّهُ الشَّرُّ جَزُوعَاً * وإذَا مَسّهُ الخَيْرُ مَنوعَاً﴾[٣].

فـ «ال» في ﴿الإنْسَانَ﴾ للاستغراق، تشمل جميع الأفراد؛ بدليل مابعد الآية ﴿إلّا المصَلِّينَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿عالِمُ الغَيْبِ والشّهادةِ﴾[٤].

أي كلّ غيب وشهادة.

---

١. العصر: ٢ ـ ٣.
٢. يوسف: ٥٣.
٣. المعارج: ١٩ و٢١.
٤. الرعد: ٩.

٢. *لام الاستغراق العرفيّ:* وهي التي يراد بمدخولها كلّ فرد ممّا يدلّ عليه اللفظ بحسب متفاهم العرف، كقولك: «اجتمع الطلّاب في الباحة» تريد جميع الأفراد التي يتناولها لفظ «الطلّاب» عرفاً؛ أي طلّاب الصّف أو المدرسة التي أنت فيها تبعاً للعرف الذي تتّفق فيه مع المخاطب.

وكقولك: «تفتح المدارس أبوابها في الأُسبوع الأوّل من الشهر التاسع من كلّ عام» تريد جميع الأفراد التي يتناولها لفظ «المدارس» في العرف المتّفق عليه.

أو تقول: «امتثل التجّار أمر وزير التجارة»؛ فإنّ المراد جميع الأفراد التي تندرج تحت لفظ «التجّار» بسبب العرف، وهم تجّار الدولة التي فيها هذا الوزير.

والفارق بين نوعي الاستغراق هذين: أنّ الأوّل شامل لكلّ أفراد الحقيقة من دون استثناء. والثاني: شامل لكلّ أفراد الحقيقة التي جرت العادة علىٰ أن تفهم من اللفظ حين يطلق، أي في الاستعمال المحلّىٰ لجماعة معيّنة.

□ سادساً: تعريف المسند إليه بالاضافة:

يؤتىٰ بالمسند إليه معرّفاً بالإضافة لمزايا كثيرة نذكر أهمّها فيما يأتي:

١. أنّها أخصر طريق إلىٰ إحضار مدلول المسند إليه في ذهن السامع، كما تقول: «أخي في الجامعة»، فالتعبير بالإضافة أخصر من قولك: «الأخ الذي لي في الجامعة».

وكقول جعفر بن عُلْبَة الحارثي:

هَوايَ مَعَ الرّكْبِ اليمانينَ مُصْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْماني بِمَكّةَ مُوثَقُ[1]

يقول: والحزن يملأ قلبه، ويحزّ في أحشائه إنّه سجين بمكّة، وإنّ السجن حال

---

١. «هواي» مصدر أُريد به اسم المفعول؛ أي مهوى. و«الركب» اسم جمع لراكب. و«اليمانين» جمع يمان، و أصل «يمان» يمنّي حذفت منه ياء النسبة و عوّض عنه الألف على خلاف القياس، ثمّ أُعلّ إعلال ناقص، و«مصعد» من أصعد في الأرض إذا سار فيها، و«الجنيب»: المستتبع، و هو الذي يتبعه قومه، و يقدّمونه أمامهم.
انظر: معاهد التنصيص، ج ١، ص ١٢٠؛ مفتاح العلوم، ص ٢٨٠؛ الايضاح، ص ٥٠؛ من بلاغة النظم العربي، ج ٢، ص ١٥٩؛ اساليب بلاغية، ص ١٥١.

دون أن يرىٰ حبيبه قبل سفره، وكان يودّ لو يحظىٰ منه بنظرة وداع.

والشاهد قوله: «هواي» حيث أتى بالمسند إليه مـضافاً لقـصد الاخـتصار فـي اللفظ[١]، وهو مطلوب هنا لضيق صدره، وفرط سآمـته وتـوجّعه؛ لكـونه سـجين، والحبيب راحل، ولاشكّ أنّ «هواي» أخصر من «الذي أهواه» مثلاً.

٢. تضمّن الإضافة تعظيماً لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غـيرهما، فـمثال تعظيم المضاف قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[٢].

جيء بالمسند إليه ﴿عِبَادِي﴾ معرّفاً بالإضافة؛ لتضمّن هذه الإضافة تعظيماً لشأن المضاف ﴿عِبَاد﴾؛ لأنّهم بذلك عباد اللّه سبحانه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحـمنِ الَّـذينَ يَـمْشُونَ عَـلَىٰ الأرْضِ هَـوْناً وَإذَا خَـاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[٣].

كقولك: «عبدالأمير قادم»، ففي الإضافة تعظيم للمضاف بأنّه عبدالأمير.

ومثال تعظيم المضاف إليه قولك: «عبدي حاضر»، إذ المراد تعظيم المتكلّم بأنّ له عبداً.

ومثال تعظيم غير المضاف والمضاف إليه «أخو الوزير عندي».

وقولك: «جليس الأمير زارني».

ففي الإضافة تعظيم للمتكلّم وهو غير المسند إليه المضاف، وغير ما أُضيف إليه المسند إليه، وفيها أيضاً تعظيم للمضاف، ولكنّه غير مراد.

٣. تضمّن الإضافة تحقيراً لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما كذلك.

فمثال الأوّل قولك: «ولد اللصّ قادم» في الإضافة تحقير للمضاف بأنّ أباه لصّ.

ومثال الثاني قولك: «ضارب زيد أنا»، ففيه إهانة للمضاف إليه بأنّه مضروب.

ومثال الثالث قولك: «ولد السفيه يجالس عمراً»، ففي الإضافة إهـانة وتـحقير

---

١. قوله: «هواي» حيث عرّفه بالإضافة؛ لأنّها أخصر طريق عند السامع لا مطلقاً؛ لأنّ الإضمار مثلاً أخصر منها.
٢. الحجر: ٤٢.
٣. الفرقان: ٦٣.

لشأن عمرو، وبأنّ ولد السفيه من جلسائه، وهو ليس مضافاً، ولامضافاً إليه، وفيها أيضاً تحقير للمضاف، ولكنّه غير مقصود.

٤. إغناؤها عن تفصيل متعذّر أو متعسّر.

فمثال المتعذّر تفصيله قولهم: «أهل مصر كرام» فقد أُضيف المسند إليه لتعذّر تعداد أهل مصر.

ومثال المتعسّر قول حسّان بن ثابت:

أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أبيهِمُ قَبْرُ ابن مارِيَةِ الكَريمُ المُفْضِلُ[١]

وقول مروان بن أبي حفصة:

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللّقاءِ كَأنّهُم أُسودٌ لها في غيلِ خَفّانَ أشْبُلُ[٢]

أُضيف المسند إليه في البيتين لتعسّر تعداد أولاد جفنة وبني مطر.

٥. إغناؤها عن تفصيل حال دونه مانع مع تيسّره، كما تقول: «حضر قادة الجيش» فيضاف المسند إليه منعاً لوقوع التنافس بينهم فيما لو ذكرت أسماؤهم، وقدّم اسم أحدهم علىٰ غيره.

وكقول الشاعر:

قومي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أخي فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُني سَهْمي[٣]

يقول الشاعر: ياأُميمة! إنّ قومي هم الذين تولّوا قتل أخي، فإن قتلت أحداً منهم ثأراً لأخي أصابني سهمي.

والشاهد قوله: «قومي» حيث جاء بالمسند إليه مضافاً؛ لإغناء الإضافة عن تفصيل تحاشاه الشاعر؛ لأنّ تعداد أسماء رجال قومه ذمّ صريح لهم ينشأ عنه

---

١. «أولاد جفنة» من الغساسنة الذين مدحهم بالشام. «مارية» ذات القرطين و هي أمّ بني جفنة. انظر: ديوان حسان بن ثابت، ص١٢٢؛ مفتاح العلوم، ص٢٨١؛ لسان العرب (جفن) (مرا)؛ تاج العروس (فضل) (جفن) (مرى) وبلا نسبة في كتاب العين، ج٦، ص١٤٦.

٢. «الغيل»: الأكمة. و«خفان»: أسدة مشهورة بقوّة أُسدها. انظر: ديوان مروان، ص٢٥٧؛ مفتاح العلوم، ص٢٨٠؛ الايضاح، ص٥٠.

٣. مفتاح العلوم، ص٢٨١؛ الايضاح، ص٥٠؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٦٠؛ أساليب بلاغية، ص١٥١.

حقدهم عليه، ونفوذهم منه.

٦. تضمّن الإضافة اعتباراً لطيفاً، كما في قول الشاعر:

إذا كـوكب الخـرقاءِ لاح سـحْرَةٍ سهيل أذاعت غزلها في القرائبِ[1]

يقول: إنّ المرأة الحمقاء لاتتهيّأ في الصيف للشتاء بإعداد الغزل حتّى إذا ماطلع الكوكب المذكور في بدء الشتاء وزّعت غزلها على قريباتها ليغزلنّه.

والشاهد قوله: «إذا كوكب الخرقاء» حيث أضاف المسند إليه «الخرقاء» لاعتبار لطيف وهو الإشارة إلى أنّ الإهمال والتكاسل ديدنها وعادتها، وأنّها غافلة عن القيام بشؤونها، ولاتفيق إلّا على ضوء هذا النجم الذي يؤذن طلوعه بحلول فصل الشتاء، وكأنّما هو كوكبه، أو كأنّما خُلِقَ لأجلها.

وكالاستهزاء في قوله تعالىٰ حكاية عن فرعون مخاطباً قومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، فإضافة المسند إليه وهو ﴿رَسُولَ﴾ إلىٰ ضمير المـخاطبين ليس علىٰ سبيل الإقرار والاعتراف برسالة موسىٰ، ولكن عـلىٰ سـبيل الاسـتهزاء والتهكّم.

وكغير ذلك من دواعي الإضافة، فليست الدواعي محصورة فيما ذكرنا، كما هو معروف.

❊ ❊ ❊

● المبحث الثاني: تعريف المسند:

الأصل في المسند أن يكون نكرة، نحو: «محمّد خطيب» ويعدل عن تنكيره إلى تعريفه لدواعٍ بلاغية منها:

١. **إفادة التعيين أو التخصيص:** عبّر علماء البلاغة عن هذه الغاية بقولهم: «إفادة

---

١. لم ينسبه في المفتاح لشاعر معيّن ص ٢٨١، وكذلك صنع السبكي في عروس الأفراح، و الصعيدي في البغية، و ذكره ابن مالك في المصباح، ص ٢١، والمقرب لابن عصفور، ج ١، ص ٢١٣؛ وشرح عقود الجمان، ص ٧٥.

٢. الشعراء: ٢٧.

السامع حكماً بأمر معلوم عنده بإحدىٰ طرق التعريف علىٰ أمر معلوم له كـذلك»، فإذا كان المخاطب يعرف عليّاً مثلاً ويعرف أنّ بالقرية شاعراً معروفاً، ولكن لايدري أنّ عليّاً هو ذلك الشاعر، فتقول له: «عليّ الشاعر» أي علي الشاعر المعروف.

وإذا كان يعرف العكس، أي يعرف أنّ في البلدة شاعراً، ويعرف أشخاصاً كثيرين، كأحمد، وعليّ، ومحمّد، ومصطفىٰ، ولكنّه لايدري من هو الشاعر، فتعيّنه له وذلك بأن تجعل المعلوم ـ «الشاعر» ـ مبتدأ، والمجهول الذي هو «عليّ» خبراً، فتقول له: «الشاعر عليّ».

وعليه قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ وليّيَ اللّهُ الَّذِى نَزَّلَ الكِتَابَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوايُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلىٰ النّورِ﴾[٢].

٢. إفادة السامع قصر المسند علىٰ المسند إليه: إذا كان التعريف بـ «ال» الجنسية، والقصر بها نوعان: حقيقي، وادّعائي؛ لمبالغة كمال معناه بالمسند إليه.

فالأوّل: نحو «المتنبّي الشاعر» إذا لم يكن شاعر سواه، فيؤتىٰ بالمسند معرّفاً بـ«ال» لقصر الشاعرية على المخاطب قصراً حقيقياً.

والثاني: نحو «أرسطو الحكيم» أي الكامل الحكمة، فيخرج الكلام في صورة توهّم أنّ الحكمة لم توجد إلّا فيه؛ لعدم الاعتداد بحكمة غيره، وذلك إذا كان المسند معرّفاً بلام الجنس[٣].

يقول المتنبّي:

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غيرَ صَوتي فـإنّني أنَا الصائِحُ المحكيّ والآخَرُ الصدىٰ[٤]

فـ«أنا الصائح المحكيّ» قصر المسند المعرّف بـ «ال» علىٰ المسند إليه؛ لقصد المبالغة.

٣. تقرير المسند للمسند إليه: وأنّ ثبوته له أمر ظاهر ومعروف لايشكّ فيه أحد،

---

١. الأعراف: ١٩٦.

٢. البقرة: ٢٥٧.

٣. علماً بأنّ التعريف بلام الجنس لا يفيد أحياناً القصر، وإنّما يفيد تقرير المسند للمسنداليه، كما سيأتي.

٤. ديوانه، ج١، ص٣٠٩ (شرح البرقوقي).

وذلك كما في قول الخنساء ترثي أخاها صخراً:

إذا قَـبُحَ البكـاءُ عَـلىٰ قَـتِيلٍ وجدتُ بكاءَكَ الحسَنَ الجـميلا[١]

فالخنساء لاتقصر الجنس علىٰ بكاء قتيلها، ولكنّها تـريد أن تـثبته له، وتـقرّر البكاء عليه، وتخرجه من جنس بكاء غيره علىٰ القتلىٰ.

وقول حسّان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث قبل إسلامه:

وإنّ سَنامَ المَجْدِ مـن آلِ هـاشِمٍ بَنُو بنتِ مَخْزُوم ووالِـدُكَ العَـبْدُ[٢]

فقد أراد أن يقرّر العبودية لوالد المهجو، وأن يبيّن أنّ ذلك الأمر ظاهر مـعروف لاينكره أحد، ولو قال: «ووالدك عبد» بتنكير المسند لما أفاد إلّا إثبات العبوديّة له.

ومنه قول الآخر:

أُسود إذا مَـا أبـدتْ الحـربُ نـابَها وفي سائرِ الدهرِ الغيوثُ المواطِـرُ

٤. الإشارة إلىٰ بلوغ المسند إليه في الصفة حدّ الكمال؛ أو أنّه بلغ فيها حقيقتها المتخيّلة في الذهن، وذلك مانجده في قولهم: «هو البطل الحامي» أي هو البطل الذي بلغ في صفة البطولة حدّ الكمال، أو أنّه بلغ فيها حقيقتها المتخيّلة في الذهن.

ومثله قول ابن الرومي:

هو الرجلُ المشروكُ فـي جُـلِّ مـالِهِ ولكـنّهُ بـالمجدِ والحَـمْدِ مُـفْرَدُ

أي إذا تصوّرت في ذهنك رجلاً يشرك في معظم أمواله عفاته وجيرانه ومعارفه، فإنّه هو ذلك الرجل.

ويغلب أن يأتي هذا النوع بالاسم الموصول «الذي» حيث تقدّر في ذهنك شيئاً ثمّ تعبّر عنه بـ«الذي» كما في قول حجّية بن المضرب:

---

١. شرح ديوان الخنساء، ص٨٨؛ دلائل الاعجاز، ص١٨١؛ شرح عقود الجمان، ج١، ص١٢١؛ الايضاح، ص١٠١؛ المطول، ص٣٤٩.

٢. يقول: إن الأكابر من أولاد هاشم هـم أولاد بـنت مـخزوم، و أنت لست مـثلهم؛ لأنّ والدك العـبد، و قـد كـان لعبدالمطلب عشرة أولاد من أمّهات شتّى، و كانت أمّ عبدالله، و أبي طالب مخزوميّة، و لم تكن أمّ الحرث مثلها في النسب، فلذلك جعله عبداً بالنسبة إليهما. عقودالدرر، ص٢٨؛ ديوان حسان بن ثابت، ص١١٨؛ المطول، ص٣٤٩؛ لسان العرب (سنم)؛ تاج العروس (سنم).

أَخُــــوكَ الذي إنْ تَــدْعُــهُ لِـمُلِمَّـةٍ يُجِبْكَ وإنْ تَغْضَبْ إلىٰ السيفِ يَغْضَبِ[١]

فقد قدّرت في ذهنك وتصوّرت أخاً إن دعوته أجابك، وإن غضبت واضطررت إلىٰ حمل السيف غضب وحمل السيف من أجلك، ثمّ عبّرت عنه بـ«الذي».

وقول الفرزدق يهجو الحجّاج:

زمان هُـوَ العـبدُ المـقِرّ بـذلّةٍ ولكنّه بالمجدِ والحَمْدِ مُـفْرَدُ[٢]

أي هو العبد المتّصف بكمال العبوديّة.

● **المبحث الثالث: تنكير المسند إليه:**

ومن التصرّفات التي يحدثها الأديب في النظم تنكير المسند إليه، ليحقّق أغراضاً بلاغيّة: منها:

١. **يأتي المسند إليه منكّراً للقصد إلىٰ فرد معيّن ممّا يصدق عليه اسم الجنس،** كقوله تعالىٰ: ﴿وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَىٰ المَدينةِ يَسْعىٰ﴾[٣].

فلفظ ﴿رَجُلٌ﴾ مسند إليه وجاء نكرة؛ لأنّ القصد منه إلىٰ فرد غير معيّن، فمواقف الرجولة التي من شيمها قول كلمة الحقّ مطلوبة في كلّ زمان ومكان ومن جميع أفراد الجنس، ولذا جاء التنكير للدلالة علىٰ أنّه فرد منتشر غير معيّن، ولامحدّد[٤].

وفي التنكير أيضاً تعظيم وتعجّب يحسّ بهما من يعيش في المجتمعات الفاسدة التي يعزّ فيها قول كلمة الحقّ والعمل لها.

ومنه في غير باب المسند إليه قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فيهِ شُرَكاءُ

١. من قصيدة قالها حين عاتبته زوجته و غضبت منه؛ إبله لبني أخيه اليتامى. فالشاهد في «الذي»: أفادت بلوغ المسندإليه مبلغ الكمال في الصفة المتصوّرة في الذهن و الخاطر. فالشاعر يريد أن يكشف للنفوس حقيقة الأخوّة، فإذا أردت أن تعرف تلك الحقيقة، و ذلك المثل الأعلى، و الذي لا يكون إلّا في عالم التقدير و الخاطر، فانظر إلى هذا الأخ الذي تستصرخه في ضيق و ملمّة أسرع لنجدتك، و إن ألَمَّ بك خطب طار إليك و غضب لغضبك، و حقيقة الأخوّة هذه لا تتمثّل إلّا في هذا الأخ الذي هذه صفته فاعرفه. شرح الشواهد الشعرية في دلائل الإعجاز، ص٥٢٦.

٢. ديوانه، ص٥٨٩؛ دلائل الاعجاز، ص١٧١؛ الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص٢٠٥.

٣. القصص: ٢٠.

٤. من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٦١.

مُتشاكِسُونَ ورَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هلْ يَسْتويانِ مَثَلاً﴾[١].

٢. أن يراد من تنكير المسند إليه نوع مخالف للأنواع المعهودة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَىٰ أبصارِهمْ غِشاوَةٌ﴾[٢].

أي نوع خاصّ من الغشاوة لايتعارفه الناس بحيث يغطّي ما لا يغطّيه شيء من الغشاوات، وتحسّ في التنكير للفظ ﴿غِشَاوَةٌ﴾ التعظيم، كما أحسّ بذلك السكّاكي[٣].

ومنه في الشعر قول الشاعر:

لكــلِّ داءٍ يُســتطبّ بِـهِ إلّا   الحماقَةَ أعيت مَنْ يداويها[٤]

حيث جاء بالمسند إليه «دواء» منكّراً؛ للدلالة به علىٰ نوع خاصّ متميّز من أنواع الأدوية، أي دواء خاصّ بذلك الداء.

ومنه في غير باب المسند إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُم أحْرَصَ النّاسِ عَلىٰ حَيَاةٍ﴾[٥]، اي نوع من أنواع الحياة يكون في المستقبل؛ لأنّ الحرص لايكون إلّا علىٰ شيء مستقبل.

وتقول الآية الكريمة: ﴿وَاللّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[٦].

فالتنكير فيها يحتّم النوعين بمعنىٰ خلق كلّ نوع من أنواع الدوابّ من نوع من أنواع الماء.

ويحتمل الأفراد، أي خلق كلّ فرد من أفراد الدوابّ من فرد من أفراد النطف.

٣. أن ينكّر المسند إليه للتعظيم، أي أنّه أعظم من أن يُعرّف ويعيّن، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَياةٌ﴾[٧].

---

١. الزمر: ٢٩.
٢. البقرة: ٧.
٣. يرىٰ السكّاكي أنّ التنكير في هذا للتعظيم، أي غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم وقعة واحدة، و تحول بينهم و بين الإدراك، لكن هذا لا يتنافى مع قصد النوعية؛ لأنّ الغشاوة العظيمة ـ التي هي غطاء التعامي عن الحقّ ـ نوع خاصّ من أنواع الأغشية: المنهاج الواضح، ج٢، ص٥٢.
٤. الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص١٢١.
٥. البقرة: ٩٦.
٦. النور: ٤٥.
٧. البقرة: ١٧٩.

حيث جيء بالمسند إليه ﴿حَيَاةٌ﴾ منكّراً للدلالة علىٰ التعظيم؛ إذ المعنىٰ حياة عظيمة؛ لأنّ القصاص يحدّ من القتل العمد، ويمنع من قتل الجماعة بواحد.

وكقول الشاعر:

له هِمَمٌ لامنتهىٰ لكبارِها وهمّتُهُ الصُغرىٰ أجلُّ من الدهرِ[١]

أي همم عظيمة الشأن رفيعة المقام.

٤. أن ينكّر المسند إليه للتحقير، بمعنىٰ انحطاط شأنه إلىٰ حدّ لايمكن أن يعرّف، وذلك مثل: «لك عدوّ لايعتدّ به» أي عدوّ حقير لاقيمة له، ولايعرفه أحد، ونحو قولك: «عنده شمّة من العلم» تحقيراً، وعليه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهِمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ ياوَيْلَنا﴾[٢].

فإنّ مقام المبالغة يقتضي الاستقصاء فيما أمكن من إرادة التحقير في نفس الكلمة، والبناء، والتنكير، ومن ثمّ ضمّ إليه المسّ.

وقد اجتمع التعظيم والتحقير في قول ابن أبي الصلت:

فتىٰ لايُبالي المُدْلجُونَ بنورِهِ إلىٰ بابِهِ ألا تضيء الكواكبُ

لَهُ حاجِبٌ عَنْ كُلِّ أمْرٍ يَشينُهُ وَلَيسَ لَهُ عَنْ طالبِ العرُفِ حاجِبُ[٣]

فتنكير «حاجب» الأُولىٰ للتعظيم، وتنكير «حاجب» الثانية للتحقير، وذلك لأنّ مقام المدح يتطلّب أن يكون مايحجب الممدوح عن كلّ مايعيبه حاجباً عظيماً يحول بينه وبين كلّ مُنْكر قبيح، كما يتطلّب الّا يحجبه أتفه حاجب عن طالب برّه وإحسانه.

وكذلك من أمثلة التعظيم والتحقير قول الشاعر:

وللّه منّي جانبٌ لا أُضيعُهُ وللّهوِ مِنّي والخَلاعَةِ جانِبُ[٤]

---

١. الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص١٢٢؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٦٢.

٢. الأنبياء: ٤٦.

٣. مفتاح العلوم، ص٢٨٩؛ زهر الآداب، ج١، ص٥٥١؛ المصباح، ص٢٥؛ شرح المختصر، ص٨٤؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٢٧؛ ديوان المعاني، ص١٢٧؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤٣؛ مغني اللبيب، ص٥٧٧؛ التبيان، ص٨٤.

٤. اساليب بلاغية، ص١٥٦.

فتنكير «جانب» في الشطر الأوّل للتعظيم، وتنكير «جانب» في الشطر الثـاني للتحقير.

أو أن ينكّر للتجاهل، نحو قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُم علىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾[1].

كأنّهم لم يكونوا يعرفون منه إلّا أنّه رجل ما.

٥. وقد يقصد بالتنكير إفادة معنىٰ التكثير، بمعنىٰ أنّ هذا الشيء كثير حتّىٰ أنّه لايحتاج لتعريف، وذلك مثل قولهم: «إنّ له لإبِلاً، وإنَّ لَهُ لغَنَماً». فمقام هذا الكلام يقتضي أنّ المراد إبلاً كثيرة وغنماً، والتنكير يشعر بأنّ هذا أمر لايمكن الإحاطة به؛ لكثرته.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قالُوا لِفرعَونَ أئِنَّ لَنا لأجْراً﴾[2].

وواضح أنّ السحرة يريدون أجراً كبيراً من فرعون إذا هم غلبوا موسىٰ عليه السلام.

٦. وقد يقصد بالتنكير إفادة معنىٰ التقليل، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللّهُ المؤْمِنينَ والمؤْمِناتِ جَنّاتٍ تجرى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خَالدينَ فِيهَا وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنّاتِ عَدْنٍ وَرضْوانٌ مِنَ اللّهِ أكْبَرُ﴾[3].

أي وشيء ما من رضوانه أكبر من ذلك كلّه؛ لأنّ رضاه سبب كلّ سعادة وفلاح، ولأنّ العبد إذا علم أنّ مولاه راضٍ عنه، فهو أكبر في نفسه مـمّا وراءه مـن النـعم، فالتنكير في ﴿رِضْوانٌ﴾ للتقليل، أي أقلّ قدر من رضا اللّه خير للإنسان من الدنيا ومافيها، ولايخفىٰ عليك مافي ذلك من التعظيم لرضا اللّه.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الأمرِ شَيْءٌ﴾[4].

فقد نكّر المسند إليه وهو ﴿شَيْءٌ﴾ لقصد إفادة أنّه شيء قليل.

وقد جاء التنكير للتعظيم والتكثير، والفـرق بـينهما أنّ التكـثير يـنظر فـيه إلى الكمّيات والمقادير، والتعظيم ينظر فيه إلىٰ علوّ الشأن، وكذلك الفرق بـين التـقليل

---

١. سبأ: ٧.
٢. الشعراء: ٤١.
٣. التوبة: ٧٢.
٤. آل عمران: ١٥٤.

والتحقير.

تأمّل قوله تعالىٰ لنبيّه: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبوكَ فَقَدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مِنْ قَبلِكَ﴾[١].

فلفظ ﴿رُسُلٌ﴾ مسند إليه ورد منكّراً لإفادة التكثير والتعظيم، ومعناه: رسل ذوو عدد كثير، وذوو شأن عظيم.

وقد يكون التنكير للتحقير والتقليل معاً، نحو «وصلني منه شيء»، أي حقير قليل.

٧. وقد يأتي المسند إليه منكّراً؛ لأنّ المقام يمنع من التعريف، كقول الشاعر:

إذا سئمتْ مهنّدهُ يمينٌ لِطُولِ العَهْدِ بدّلَهُ شِمالاً[٢]

فالمقام يقتضي المبالغة في المدح.

ومن هنا نجد الشاعر لم يقل: «يمينه» تحاشياً من أن ينسب السآمة والملل، بصريح اللفظ، إلىٰ يمين الممدوح؛ مبالغة في المدح.

٨. إخفاؤه عن المخاطب خوفاً عليه، كقولك: «قال لي شخص: إنّك لم تُصلّ الجمعة الماضية» حيث جاء المسند إليه: «شخص» منكّراً بقصد إخفائه عن المخاطب خوفاً عليه.

● المبحث الرابع: تنكير المسند:

ينكّر المسند للأغراض التالية:

١. قصد الإخبار بثبوت المسند للمسند إليه من غير إرادة عهد أو تخصيص، نحو «عليّ كاتب، ومحمّد شاعر» حيث يراد مجرّد الإخبار بالكتابة أو الشعر، لا حصر الكتابة في عليّ، والشعر في محمّد، ولا أنّ أحدهما معهود بحيث يراد الكتابة المعهودة أو الشعر المعهود، ولو أُريد إفادة حَصْر المسند لعُرّف بـ«ال» الجنسيّة لقيل:

---

١. فاطر: ٤.

٢. شرح المختصر، ص٨٤؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٢٧. وصفه بالشجاعة والحرص علىٰ مواصلته القتال، فإنْ ملّت يمينه من حمل سيفه وتعبت من الضرب به، بدّل سيفه شمالاً.

«عليّ الكاتب، ومحمّد الشاعر» أو «عليّ كاتب الدولة، ومحمد شـاعرها» بـمعنىٰ صاحب الكتابة المعهودة، وصاحب الشعر المعهود.

٢. للتفخيم والتعظيم، وذلك لما يفيده التنكير عندئذٍ مـن أنّ المسـند بـلغ مـن خطورة الشأن وسموّ المرتبة حدّاً لايدرك كُنْهُهُ أو مداه، كقوله تعالىٰ: ﴿ذٰلِكَ الكِتابُ لارَيْبَ فِيهِ هُدىً للمُتّقينَ﴾[١].

فقد أتي بالمسند نكرة؛ للدلالة علىٰ كمال هداية الكتاب الكريم، وأنّـها بـلغت مبلغاً لايدرك مداه، ولهذا أكّد للتفخيم بأن جعل ﴿هُدَىً﴾ مـصدراً مـخبراً بـه عـن الكتاب، أي أنّ الكتاب هو الهداية نفسها[٢].

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿إنّ زَلزلةَ ٱلسّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

٣. للتحقير، وذلك كما في قول قيس بن جروة يخاطب عمرو بن هند ـ وكان قد نقض عهداً بينه وبين طيء ـ:

غدرْتَ بـأمرٍ كـنتَ أنتَ دعـوتنا إليه وبئسَ الشيمة الغـدر بـالعهدِ
وقد يترك الغـدْرَ الفـتىٰ وطـعامه إذا هو أمسىٰ حلبة من دم الفصدِ

يقول: لقد غدرت بعهد كنت أنت الذي دعوت إليه، وبئست ـ لعمري ـ شـيمة الغدر بالعهد من شيمة، فقد يترفّع عنها أفقر الناس وأقلّهم شأناً، فكيف يغدر بالعهد ملك عظيم كعمرو بن هند؟!

والشاهد هنا تنكير «حلبة» التي وقعت خبراً عن «طعامه»؛ لبيان أنّه شيء تافه وحقير، هذا مضافاً إلىٰ ماتفيده صيغة «فعلة» الدالّة علىٰ المرّة من إفادة معنىٰ القلّة.

وفي الحقيقة فليست النكرة في تركيب حروفها، هي التي حملت معنىٰ التفخيم، أو التقليل، أو التعظيم، أو غير ذلك، إنّما سياق الجملة من ناحية، ولهجة المتحدّث من جهة ثانية، ونفسيّة المخاطب من جهة ثالثة، ومقتضىٰ الحال أوّلاً وأخيراً... هي التي

---

١. البقرة: ٢.
٢. هذا على اعتبار أنّ ﴿هُدَىً﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي هو هدى، أو خبر للمبتدأ ﴿ذٰلِكَ﴾ و أمّا إن أُعربت حالاً فهو خارج عن اعتباره مسنداً و إن كان التنكير فيه للتعظيم أيضاً.
٣. الحجّ: ١.

لوّنت النكرة بتلك الألوان، وتستطيع أن تلوّنها بأكثر ممّا فعلت بكثير[١].

● المبحث الخامس: تنكير قيود الجملة:

تُنكّر قيود الجملة كما يُنَكّر ركناها (المسند، والمسند إليه) لأغراض أهمّها:

١. **الإفراد، والنوعية**، كقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[٢].

فقد نكّر كُلّاً من ﴿دَابَّةٍ﴾ و ﴿مَاءٍ﴾للإفراد أو النوعيّة.

والمعنىٰ على الإفراد: واللّه خلق كلّ فرد من أفراد الدوابّ من فرد خاصّ من أفراد المياه؛ وهو الماء الخاصّ بأبيه.

والمعنىٰ علىٰ النوعيّة: واللّه خلق كلّ نوع من أنواع الدوابّ من نوع خاصّ من أنواع المياه؛ وهو نوع النطفة المختصّة بذلك النوع من الدوابّ.

٢. **التنكير للتعظيم**، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٣]، أي حرب عظيمة.

ويحتمل أن يكون التنكير في كلمة ﴿حَرْبٍ﴾ في هذه الآية للنوعيّة، أي أذنُوا بنوع من الحرب غير متعارف لديكم.

٣. **التنكير للتحقير**، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلّا ظَنّاً﴾[٤]، أي إن نظنّ بالساعة إلّا ظنّاً حقيراً ضعيفاً، فتنكير المفعول المطلق هنا للإشارة إلىٰ تحقيره؛ وأنّه ظنّ ضعيف.

٤. **التنكير للتقليل**، كقول المتنبّي:

فَيَوْماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُومَ عنْهُمُ وَيَوماً بِجُودٍ تَطْرُدُ الفَقْرَ والجَدْبا[٥]

يريد بقليل من الخيل ويسير من الجود.

ويمكن إدراك كلّ ماتقدّم بالذوق والقرينة.

---

١. البلاغة العربية، ج١، ص١٥٨.
٢. النور: ٤٥.
٣. البقرة: ٢٧٩.
٤. الجاثية: ٣٢.
٥. المطول، ص٢٣٧.

القسم الثاني: التقديم والتأخير:

وهو باب تتبارىٰ فيه الأساليب، وتظهر المواهب والقدرات، ويدلّ علىٰ التمكّن في الفصاحة، وحسن التصرّف في الكلام، ووضعه الموضع الذي يـقتضيه المـعنىٰ. يقول الزركشي: هو أحد أساليب البلاغة، فإنّهم أتوا به دلالة على تمكّنهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق[١].

ويقول فيه ابن الأثير: وهذا باب طويل عريض، يشتمل علىٰ أسرار دقيقة.

إنّ هذا التقديم والتأخير فيه زيادة في إيضاح المعنىٰ، وفي تحسين الكلام وأدائه علىٰ الوجه الأكمل من الوضوح وحسن الموقع في النفس، ولهذا يـتّصل التـقديم والتأخير بالبلاغة وثيق الاتّصال، ويكونان جديرين بالدراسـة والتـوضيح، وهـما يتناولان ركني الجملة الأساسين، أي المسند، والمسند إليه، كما يتناولان القيود أو المتمّمات في الجمل، كالمفعول به، والجارّ والمجرور، والظـرف، والمـفعول مـعه، والحال، والمفعول المطلق، وما إلى ذلك[٢].

ويذهب العلويّ إلى أنّ الألفاظ تتبع المعاني، والمعاني تتقدّم باعتبارات خمسة:

الاعتبار الأوّل: تقدّم العلّة علىٰ معلولها، كتقدّم الكون علىٰ الكائنية، والعلم على العالمية.

الاعتبار الثاني: التقدّم الرتبي، كتقدّم الواحد على الإثنين علىٰ معنىٰ أنّ الوحدة لايمكن أن تحقّق الاثنينية إلّا بعد سبقها.

الاعتبار الثالث: بالشرف، كتقدّم الأنبياء علىٰ الأتباع، والعلماء على الجهّال.

الاعتبار الرابع: بالمكان، كتقدّم الإمام على المأموم.

الاعتبار الخامس: بالزمان، كتقدّم الشيخ علىٰ الشابّ، والأب علىٰ الابن[٣].

---

١. البرهان، ج٣، ص٣٠٣؛ البلاغة و التطبيق، ص١٤٤.
٢. البلاغة و التحليل، ص٩٩.
٣. الطراز، ج٢، ص٥٦ وما بعدها.

وهذه المعاني ثابتة معروفة عقلاً، ولذلك لايقع فيها تفاوت أو تفنّن في التعبير.

والتقديم لايخلو من أحوال أربع:

الحال الأوّل: مايفيد زيادة في المعنىٰ مع تحسين في اللفظ، وذلك هو الغاية القصوىٰ، وإليه المرجع في فنون البلاغة، كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلىٰ رَبِّها نَاظِرَةٌ﴾[1].

تجد أنّ تقديم الجارّ أفاد التخصيص، وأنّ النظر لايكون إلّا للّه، مع جودة الصياغة، وحسن النظم الإيقاعي.

الحال الثاني: مايفيد زيادة في المعنىٰ فقط، نحو قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ اللّهَ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾[2].

فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة، وأنّه ينبغي أن لاتكون لغيره، ولو أخّر ماأفاد الكلام ذلك.

الحال الثالث: مايتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة، كقول الشاعر:

وكانت يدي ملأى به ثمّ أصبحت   بحمد إلهي وهي منه سليب

فتقديره: ثمّ أصبحت وهي منه سليب بحمد اللّه.

الحال الرابع: مايختلّ به المعنىٰ ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي أو المعاظلة، كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول، ونحو ذلك من الأنواع التي خرجت عن الفصاحة، كقول الفرزدق:

إلى ملكٍ ما أُمّهُ من محاربٍ   أبوه ولا كانت كليبٌ تصاهُرهْ

فتقديره: إلى ملك أبوه ما أُمه من محارب، أي ما أُمّ أبيه منهم، ولاشكّ أنّ هذا لايفهم من كلامه للنظرة الأُولىٰ، بل يحتاج إلىٰ تأمّل وتريّث حتّى يفهم المراد منه.

---

١. القيامة: ٢٢ و٢٣.

٢. الزمر: ٦٦.

وقد قسّم الجرجاني التقديم إلى قسمين:

القسم الأوّل: تقديم لا علىٰ نيّة التأخير، وذلك في كلّ شيء أقررته مع التقديم علىٰ حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل، فالتقديم لايخرج الخبر أو المفعول عمّا كانا عليه قبل التقديم.

القسم الثاني: تقديم لا علىٰ نيّة التأخير ولكن علىٰ أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبراً له، فتقدّم تارة هذا على ذاك، وأُخرىٰ ذاك علىٰ هذا، ومثاله: «زيد المنطلق» و«المنطلق زيد» فالتقديم والتأخير يؤثّران في معنىٰ الجملة؛ لأنّ مايقدّم هو المبتدأ أو المسند إليه، ومايؤخّر هو الخبر أو المسند.

وكذلك «ضربت زيداً» و«زيدٌ ضربته» فـ«زيد» في الجملة الأولىٰ مفعول به، وفي الثانية مبتدأ.

وهذا يختلف عن النوع الأوّل الذي لايتغيّر فيه حكم المتقدّم أو المتأخّر، ففي «منطلق زيد» و«زيد منطلق» ظلّ «زيد» مسنداً إليه، و«منطلق» مسنداً، وفي «ضرب زيدٌ عمراً» و«ضرب عمراً زيدٌ» بقي زيد مسنداً إليه فاعلاً، وعمراً مفعولاً به[1].

والفرق بين النوع الثاني والأوّل أنّ التقديم علىٰ نيّة التأخير هو أن تأخذ الكلمة كلّ صلاحياتها، وتشغل بها الصدارة، وكأنّ الصدارة لم تُضِف إلى هذه الكلمة شيئاً سوىٰ أن أتاحت لها فرصة التقدّم بإمكاناتها.

أمّا النوع الثاني، فالكلمة تفقد طاقاتها، وتَحِلّ بها ميّزات الصدارة، فالخبر (المسند) حينما يُقدّم ليكون مبتدأ(مسنداًإليه) يتجرّد من طاقات الخبريّة، ويتلبّس

---

١. دلائل الإعجاز، ص١٣٥ وما بعدها.

بميّزات الابتدائيّة، وكذا المفعول الذي يتحوّل إلى مبتدأ، فالتبادل هنا بين ميّزات الصدارة وميّزات شاغل الصدارة[١].

ويعرض عبدالقاهر الجرجاني إلىٰ أهمّية التقديم والتأخير في التأثير النفسي من حيث التمهيد والتشويق في أوّل الكلام لما يأتي بعده، ولما يكون فيه إصابة الغرض بالتعبير المناسب، بقوله: إنّه ليس إعلامُك الشيء بغتةً مثل إعلامِكَ له بعد التنبيه عليه والتقدمة له... إنّا نعلم ضرورة في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لاتَعْمَىٰ الأَبْصارُ﴾[٢] فخامةً وشرفاً وروعة لانجد منها شيئاً في قولنا: «فإنّ الأبصار لاتعمىٰ»

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لايُفلِحُ الكَافِرُونَ﴾[٣] يفيد القوّة في نفي الفلاح عن الكافرين، ولو قيل: «إنّ الكافرين لايفلحون» لم يُفد ذلك، ولم يكن ذلك كذلك إلّا لأنّك تعلمه إيّاه من بعد تقدّمةٍ وتنبيه، أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطّد ثمّ بيّن ولوّح ثمّ صرّح، ولايخفىٰ مكان المزيّة فيما طريقه هذا الطريق[٤].

وبعد ذلك نقول: إنّ التقديم والتأخير يرجع إلى فنّيّة الأديب، وهذه الفنّيّة المتشابكة مع حسّه الشعوري واللاشعوري هي التي تتدخّل في التركيب اللغوي للعبارة، قد يكون منها ماسيأتي من المواضع، وقد يكون منها ماهو أدقّ وأخفىٰ، وعلينا أن نستنتج ذلك من السياق العامّ[٥].

ولقد حاول البلاغيون إحصاء الأغراض التي تتوخّىٰ من التقديم والتأخير، وحصروا الحديث في مباحث ثلاثة:

المبحث الأوّل: تقديم المسند إليه.

المبحث الثاني: تقديم المسند.

المبحث الثالث: تقديم متعلّقات الفعل.

---

١. بلاغة الكلمة و الجملة و الجمل، ص١٤٠.

٢. الحجّ: ٤٦.

٣. المؤمنون: ١١٧.

٤. دلائل الإعجاز، ص١٥٣ و ١٥٤؛ علم المعاني، ص١٣٣.

٥. في البلاغة العربية، ص٨١.

● **المبحث الأول: تقديم المسند اليه:**

إنّ مرتبة المسند إليه التقديم؛ لأنّ مدلوله هو الذي يخطر في الذهن أوّلاً؛ لأنّه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم.

ويؤتىٰ بالمسند إليه مقدّماً لأغراض:

١. أنّ تقديمه هوالأصل ولامقتضي للعدول عنه لدلائل:

أ) إمّا كون المسند إليه هو الأصل؛ لأنه المحكوم عليه، ولابد أن يكون مذكوراً قبل الحكم عليه، إذا لم يكن في العبارة ما يقتضي العدول عن ذلك الأصل، كقوله تعالى: ﴿مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ﴾[١].

جيء بالمسند إليه ﴿مَحَمَّدٌ﴾ مقدّماً؛ لأنّ تقديمه هو الأصل، ذلك أنّه هو المحكوم عليه بالرسالة، وينبغي تقديم ذكره.

وكقولهم في الأمثال: «الحقُّ أبلجُ، والباطلُ لجلجُ».

و«العدل أساس الملك».

وقولهم: «الحياة دمعة وابتسامة».

ب) أن يقدّم المسند إليه لتمكين الخبر في ذهن السامع؛ لأنّه في ذكر المسند إليه أولاً تشتاق النفس لذلك المسند، كقوله تعالىٰ: ﴿إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أتْقاكُمْ﴾[٢].

فالمخاطبون يتشوّقون لمعرفة الخبر، ولاسيّما وأنّهم كانوا يحسبون أنّ الكرم هو البذل، ولكنّه هنا شيء آخر إنّه التقوىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿الّذينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا في سَبيلِ اللّهِ بأموالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ أعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّهِ وَأولئِكَ هُمُ الْفائِزونَ﴾[٣].

فقوله تعالىٰ: ﴿الَّذينَ آمَنُوا﴾ (وهو المسند إليه) متّصل بقوله تعالىٰ: ﴿هَاجَرُوا وَجاهَدُوا فِى سَبيلِ اللّهِ بِأمْوَالِهِمْ وَأنْفُسِهِمْ﴾ اتّصالاً يشوّق النفس إلى معرفة الجزاء

---

١. الفتح: ٢٩.

٢. الحجرات: ١٣.

٣. التوبة: ٢٠.

والثواب الذي يستحقّه أُولئك المؤمنون، فذكر تعالىٰ: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ فزاد تمكّناً وثباتاً لنفوسهم.

وكقول المعرّي:

والذي حـارَتِ البَـرِيَّةُ فـيهِ حيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جمادِ[١]

فقوله: «والذي حارت البريّة فيه» ممّا يدعو إلى الدهشة والتشوّق إلى الخبر، والذي يبغيه أبو العلاء البعث الجسماني يومَ يخرج الناس من أجداثهم، فالناس قد تحيّروا في البعث الذي هو إعادة الناس بعد أن كانوا تراباً، فالمسند إليه المتقدّم وهو «والذي حارت البرّية فيه» قد حمل صفة غريبة جعلت النفس تتشوّق إلى معرفة ذلك الشيء المتأخّر، فلمّا قيل بعد ذلك: «حيوان مستحدث من جماد» استقرّ في النفس وزاد تمكّناً.

ومنه قول الشاعر:

ثـلاثةٌ تَشْـرِق الدنـيا بـبهجتها شَمْسُ الضُحىٰ وأبو إسحاق القَمَرُ[٢]

فقدّم الشاعر المسند إليه وهو «ثلاثة» واتّصف بصفة غريبة وهي قوله: «تشرق الدنيا ببهجتها» فإشراق الدنيا تضيء وتشرق وتتألّق بها، فإذا ماعرفت تلك الأشياء تمكّن فيها الخبر واستقرّ[٣].

ومنه قولهم: «ثلاثة ليس لها إياب: الوقت، والجمال، والشباب». فقد قدّم فيه المسند إليه؛ وهو «ثلاثة»، لأنّ فيه تشويقاً إلى الخبر، لاتّصافه بما يدعو إلى العجب.

٢. ومن أغراض التقديم الاهتمام بالمتقدّم، وتفسير هذا أنّ التقديم دليل على أنّ المتقدّم هو الغرض المتعمّد بالذكر، وأنّ الكلام قد سيق لأجله.

وأوضح مثال يبيّن أثر التقديم في المعنى ومدى الأهمّية التي يعطيها للتعبير قوله

---

١. الايضاح، ص٥٧؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٣٥؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤٦؛ المفتاح، ص٢٧٥؛ شرح عقود الجمان، ج١، ص٦٨؛ المصباح، ص١٥؛ المطول، ص٢٥٣.

٢. البيت لمحمد بن وهيب في معاهد التنصيص، ج١، ص٢١٥؛ وفي الأغاني، ج١٩، ص٧٩ و٨٠؛ وفيه: «ببهجتهم» بدل «ببهجتها» وهو لأبي تمام في شرح عقود الجمان، ص١٨٧؛ وبلا نسبة في تاج العروس (شرق).

٣. علم المعاني، ج١، ص١٤٩.

تعالى في سورة النمل حيث قدّم اسم الإشارة، فقال: ﴿لَقَدْ وُعِدْنا هٰذَا نَحْنُ وآباؤُنا مِنْ قَبْلُ إنْ هٰذا إلاّأساطِيرُ الأوّلين﴾[١].

وفي آية أُخرى يؤخّر اسم الإشارة، كما في: ﴿لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وآباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إنْ هٰذَا إلا أسَاطِيرُ الأوّلين﴾[٢].

فقدّم ﴿نَحْنُ وَآباؤُنَا﴾ على ﴿هٰذَا﴾، فإذا قدّم اسم الإشارة الذي يريد به البعث كان ذلك دليلاً على أهمّيةالبعث، وأنّ الكلام قد سيق لأجله.

أمّا الآيةالأُخرى حيث أخّر اسم الإشارة، وقدّم ﴿نَحْنُ وَآباؤُنَا﴾ فهو دليل على أهمّية المبعوثين وهم القصد من الحديث، وليس البعث[٣].

٣. ومن أغراض التقديم التعجيل، ويكون الغرض من التعجيل مايلي:

أ) *تعجيل المسرّة*، نحو «العفو عنك صدَر الأمر به» فذكر العفو أوّلاً لإدخال السرور مستعجلاً علىٰ قلب المحكوم.

ونحو «الهدىٰ في قلوب المؤمنين».

ب) *تعجيل المساءة*، نحو «القصاص منك حكم به القاضي».

ونحو: «الخبيث قريب منك».

قدّم المسند إليه لقصد المبادرة بإدخال الغمّ علىٰ قلبه؛ ليتشاءم بحصول الشرّ.

ج) *تعجيل التبرّك*، نحو «النبي اقتديت به» «محمّد نبيّنا».

ونحو «القدس قبلة المسلمين الأُولىٰ».

د) *تعجيل التلذّذ بذكره*، كقول الشاعر:

باللّهِ ياظبياتِ القـاعِ قُـلْنَ لنـا ليلاي منكُنَّ أمْ ليلىٰ مِنَ البَشرِ[٤]

---

١. النمل: ٦٨.

٢. المؤمنون: ٨٣.

٣. و صيغة القصر في قوله تعالى: ﴿إن هذا إلا أساطير الأوّلين﴾ بمعنى منحصر في كونه من حكايات الأوّلين، و هو قصر إضافي لا يعدو كونه من الأساطير إلى كونه واقعاً كما زعم المدّعون. و الأساطير: ـ جمع أسطورة ـ و هي الخبر الكاذب يكسى صفة الواقع مثل الخرافات و الروايات الوهمية لقصد التلهّي بها.

٤. البيت للحسين بن عبدالله أو العرجي، أنظر: الطراز، ج٣، ص٨١؛ المصباح، ص٨٨؛ الايضاح، ص٢٩٠؛ شرح التلخيص (للبابرتي)، ص٢٣٣؛ المطول (تحقيق هنداوي)، ص١٠٨؛ اساليب بلاغية، ص١٤٦؛ البلاغة الصافية، ج٢، ص٤٤؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٣٤.

فقد عجّل بذكره ليلاه أوّلاً للتلذّذ باسمها.

ه) ***التعجيل بإظهار تعظيمه***، نحو «رجل فاضل عندنا».

وكقوله تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ والَّذينَ مَعَهُ أشِدّاءُ عَلىٰ الكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

ونحو: «قائد الثورة قادم اليوم».

و ـ ***التعجيل بإظهار تحقيره***، نحو «رجل جاهل رَحَل عنّا».

وقولهم: «الدنيا لاتساوي عند اللّه جناح بعوضة».

فـ«الرجل» و«الدنيا» مسند إليه، قدّم للتعجيل بإظهار تحقيره.

٤. **تقديم «مثل» و«غير» لتقوية الحكم وتقريره**، وهذا التقديم كاللازم إذا استعمل في إثبات الحكم كناية من غير تعريض، كقولك: «مثلُك لايبخَلُ، وغيرُكَ لايجود» دون أن تقصد التعريض بمعيّن، وإنّما تريد نفي البخل عن المخاطب، وإثبات الجود له بطريق الكناية؛ لأنّك إذا أردت العموم في «مثل» و «غير» فقد نفيت البخل عن كلّ من كان مثل المخاطب، ولزم من ذلك نفي البخل عنه، ونفيت الجود عن كلّ من عداه، ولزم من ذلك إثبات الجود له؛ لأنّ الجود حينئذٍ لايكون له محلّ يقوم به إلّا هو.

ومن ذلك قول أبي تمّام:

وَغَيْري يَأكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتاً ... وَتَشْحُبُ عِنْدَهُ بِيْضُ الأيادي[2]

يريد أنا أقدّرُ المعروف، وأحفظ الجميل، فهو لايريد أن يثبت أكل السحت لغيره من الناس، بل هدفه أن ينفيه عن نفسه، كأنّه يقول: «أنا لا آكل المعروف سحتاً»[3].

ونحو قول المتنبّي:

غيري بأكْثَرِ هذا النّاسِ يَنْخَدِعُ ... إنْ قاتلُوا جَبُنُوا أو حدَّثُوا شَجُعوا[4]

---

١. الفتح: ٢٩.

٢. ديوان أبي تمام، ج ١، ص٣٧٧، الاشارات والتنبيهات، ص ٥٠، «السحت»: الذي لا بركة فيه، و لذلك سمّوا المُحَرَّم من المكاسب «سُحتاً»؛ لأنَّهُ لا يثبت خيره، و لا تحمد عاقبته.

٣. انظر: دلائل الإعجاز، ص١٥٨ و١٥٩.

٤. من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص١٨٨.

أي أنا لا أُخدع بأكثر الناس.

وقد اضطرّ إلى تقديم «مثل» و «غير» في تلك الحال حتّىٰ صار ذلك كاللازم.

والسرّ البلاغي في ذلك هو أنّ التقديم للتقوية ملائم للكناية من حيث إنّها هي أيضاً تفيد التقوية والتثبيت؛ إذ هي تفيد إثبات الحكم بـالانتقال مـن المـلزوم إلى اللازم، فإثبات الحكم فيها كإثبات الدعوىٰ بالدليل والبرهان، إذن فالكناية والتقديم هنا يتضامنان في إثبات الحكم بالطريق الأبلغ؛ وهو طريق التقرير والتثبيت.

أمّا إذا أُريد التعريض ـ بأن قُصِد بهما معيّن ـ، فلايلزم فيهما التقديم؛ وذلك لأنّهما حينئذٍ جاريان علىٰ سبيل الحقيقة، لاسبيل الكناية.

ومعنىٰ ذلك أنّ «التعريض» هنا ليس المراد به التعريض الاصطلاحي الذي هو من أنواع الكناية، وإنّما المراد به التعريض بالمعنىٰ اللغوي، وهو مايقابل التصريح، وهو بذلك المعنىٰ يجري مجرىٰ الحقيقة.

ومن ذلك قول الشاعر:

غيري جَنىٰ وأَنـا المُـعاقَبُ فـيكُمُ فكَـــأَنّني سـبّابَــةُ المُـتَـنَـدِّمِ[1]

فالمراد بـ«غير» هنا معيّن، وهو الجاني الذي لم يُصرّح به الشاعر، وإنّما ذكـره علىٰ سبيل التعريض الذي تفيده «غير».

٥. **تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي**؛ أي قصر الخبر الفعلي[2] عليه، وذلك إذا كان الخبر جملة فعليّة، وله صور:

الصورة الأُولىٰ: إذا كان المسند إليه ضميراً ووقع المسند إليـه بـعد أداة حـرف النفي، نحو: «ماأنا قصّرْت في حاجتك» تريد أنّه لم يقع تـقصير، وأنت لاتـنفي أن يكون التقصير وقع من غيرك، ولهذا لايصحّ أن تقول: «ما أنا قصّرت ولاغيري»؛ لأنّ

١. المطول، ص ٢٧١؛ من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص ١٨٩.

٢. المراد بالخبر الفعلي ما في أوّله فعل، وكان فاعله ضمير المسندإليه، لا المتضمّن لمعنى الفعل، كما أنّ الصفة المشبّهة في قوله تعالى: ﴿وَ مَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ليست خبراً فعلياً، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَ مَا هُمْ مِنْهَا بِمخْرَجِينَ﴾ فعدم العزّة في الأُولى مختصّ بالمسندإليه، وثابتة لغيره، وكذا نفي الخروج في الثانية مختصّ بالمسندإليه؛ وهو الكفّار، والخروج منها ثابت لغيرهم.

منطوق «لاغيري» يتنافىٰ مع مفهوم العبارة؛ لأنّ مفهوم «ماأنا قصّرت في حاجتك» ثبوت هذا التقصير للغير، ومعنىٰ «لاغيري» نفيها عنه، وهما متناقضان.

ومنه قول المتنبّي:

وما أنا أسْقَمْتُ جِسْمي بِهِ ولا أنا أضْرَمْتُ في القَلْبِ نارا[1]

فالمعنىٰ أنّ هذا السقم الموجود والضرم الثابت ماأنا جالب لهما، فالقصد الى نفي كونه فاعلاً لهما لا إلى نفيهما.

ويفهم من ذلك أنّ المسند إليه إذا قدّم على الخبر الفعلي كان الفعل ثابتاً وواقعاً، فإذا نفيته عن نفسك ـ مثلاً ـ ثبت لغيرك، ولايجوز نفيه عن الغير؛ لاستحالة وقوع فعل بلا فاعل.

الصورة الثانية: إذا كان المسند إليه اسماً ظاهراً معرفة وولي حرف النفي، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَما اللّهُ يُريدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾[2].

أي نفىٰ الظلم عنه عزّوجلّ وأثبته لغيره، فما فعل اللّه بالأحزاب لم يكن ظلماً، بل كان عدلاً وقسطاً؛ لأنّه عزّوجلّ أرسل إليهم رسلهم بالبيّنات فكذّبوهم، وتحزّبوا عليهم، فاقتضىٰ ذلك إهلاكهم، فاللّه لايريد لهم أن يظلموا، أي أنّه عزّوجلّ دمّرهم، لأنّهم كانوا ظالمين.

الصورة الثالثة: إذا كان المسند إليه نكرة وولي حرف النفي، مثاله: «مارجل جاءني».

وفي هذه الصورة سبب آخر لإفادة التخصيص، وهو كون المسند إليه نكرة، ويكون إمّا لتخصيص الجنس، والمعنىٰ: «مارجل جاءني، بل امرأة».

وإمّا لتخصيص الوحدة، والمعنىٰ: «مارجل جاءني، بل رجلان».

وفي هذه الصور الثلاث ـ حسب رأي عبدالقاهر الجرجاني ـ إن كانت أداة النفي سابقة علىٰ المسند إليه ـ سواء كان معرفة أو نكرة مظهراً أو مضمراً ـ أفاد

---

١. ديوانه، ج٢، ص١١٨؛ الاشارات والتنبيهات، ص٤٦؛ أساليب بلاغية، ص١٧٠.

٢. غافر: ٣١.

الكلام التخصيص.

الصورة الرابعة: إذا كان المسند إليه نكرة ولم يلِ حرف النفي وكان الخبر منفياً، وذلك نحو: «رجل ماجاءني».

الصورة الخامسة: وإذا تقدّم المسند إليه علىٰ خبره الفعلي وكان نكرة، فإنّه يكون للتخصيص قطعاً إلّا أنّه يكون مرّة لتخصيص الجنس، ومرّة أخرىٰ لتخصيص العدد من هذا الجنس.

والفصل بين المقامين إنّما هو لحال المخاطب، فإن كـان النـزاع فـي الجـنس فالتخصيص له والقصر عليه، وإن كان في العدد فالتخصيص للعدد، تقول لمن عرف أن قد أتاك آت ولم يدرِ أرجل هو أم امرأة: «رجل جاءني» أي لا امرأة، فيفيد قصر المجيء على جنس الرجال تعييناً، أو يفيد قصر المجيء على جنس الرجال قلباً؛ إذا كان المخاطب يعتقد العكس.

هذا، ويلحق بالجنس في هذا الباب النوع بحسب الوصف أوغيره، قال الشـيخ عبدالقاهر:

وكذلك إن قلت: «رجل طويل جاءني» لم يستقم حتّىٰ يكون السامع قد ظنّ أنّه قد أتاك قصير، أو أنزلته منزلة من ظنّ ذلك.

وسرّ هذا التنوّع هو أنّ الاسم النكرة حامل لمعنيين: الجنس، والعدد؛ لأنّ أصل النكرة أن تكون للواحد من الجنس، فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط، أي إذا كانت منازعة المخاطب في الجنس، وتارة إلى الواحدة، يعني أو غيرها من أنواع العدد إذا كانت المنازعة في العدد[1].

الصورة السادسة: إذا قدّم المسند إليه على الفعل والنفي جميعاً وكان الغرض من التقديم قصر نفي الفعل علىٰ المسند إليه المقدّم وإثباته لغيره، نحو قولنا: «أنا لا أفعل كذا» و«أنت ماكتبت في شأني».

الصورة السابعة: إذا تقدّم المسند إليه علىٰ الفعل ولم يكن في الكلام نفي وكان

---

١. دلائل الإعجاز، ص٩٤ و٩٥.

الغرض قصر الفعل على المقدّم، ونفيه عن واحد آخر، أو عن جميع ماعدا المقدّم، وهو علىٰ الأوّل قصر إضافي، وعلىٰ الثاني حقيقي.

مثال ذلك أن يقول: «أنا كتبت في معنى فلان» أي شأنه، و«أنا شفعت في بابه»، أي أمره تريد أن تدّعي الانفراد بذلك، وأن تردّ على من زعم أنّ غيرك مشاركك في الأمر، فتفرد نفسك به.

وهو على الأوّل قصر قلب، وعلى الثاني قصر إفراد، ويجوز أن يكون قصر تعيين إذا قلته لمن ردّد الأمر بينك وبين غيرك، وكلّ ذلك من القصر الإضافي.

وإذا أردنا أن نثبت الفعل لأنفسنا وننفيه عن جميع من عدانا كان قصراً حقيقياً.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ المدينَةِ مَرَدُوا[1] عَلىٰ النِفاقِ لاتَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[2].

فإنّ المعنى: لايعلمهم إلّا نحن، وذلك لإبطانهم الكفر في أعماق قلوبهم، وواضح أنّه من قصر القلب؛ لأنّ العلم بما في القلوب لايكون إلّا من اللّه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أنَّكَ تقومُ أدْنىٰ من ثُلُثَى اللَّيلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وطائِفَةٌ مِنَ الّذينَ مَعَكَ واللّهُ يُقَدِّرُ اللّيلَ والنَّهارَ عَلِمَ أنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَاتَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ﴾[3].

أي لايقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما إلّا اللّه وحده، وتقديم اسمه عزّوجلّ مبتدأ مبنياً عليه ﴿يُقَدِّرُ﴾ هو الدالّ على معنىٰ الاختصاص بالتقدير، والمعنى أنّكم لاتقدرون عليه.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الّذى يَتَوفّاكُم باللَّيلِ وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُم بالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضىٰ أجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إليهِ مَرْجِعُكُم ثُمّ يُنَبِئُكُمْ بما كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾[4].

فالآية الكريمة جاءت مناسبة لما قبلها من أنّه سبحانه ذكر استئثاره بالعلم التامّ لكلّ شيء؛ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لايَعْلَمُها إلّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا في البَرِّ

---

١. ﴿مَرَدُوا عَلَى ٱلنِّفاقِ﴾ تمهّروا فيه.

٢. التوبة: ١٠١.

٣. المزّمّل: ٢٠.

٤. الأنعام: ٦٠.

والبَحْرِ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلّا يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلايابِسٍ إلّا فِي كِتابٍ مُبينٍ﴾[١].

بعد هذه الآية الكريمة ذكر شيئاً محسوساً قاهراً للأنام وهو التوفّي بالليل، وإطلاق الأرواح بالنهار؛ إذ ليس للإنسان فيه قدرة، وجاءت كلمة التوفّي بمعنى ينبّمكم فيه علىٰ استعارة التوفّي من الإماتة للأنام؛ لما بين الموت والنوم من المشاركه في زوال الإحساس، فكان تقديم المسند إليه في الآية الكريمة تنبيهاً علىٰ قدرة اللّه سبحانه، وتصرّفه فيما يشاء.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ القرآنَ تَنْزِيلاً﴾[٢].

﴿إنّا نَحْنُ﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً؛ لأنّه تأكيد على تأكيد لمعنىٰ اختصاص اللّه بالتنزيل، ليقرّر في نفس الرسولﷺ أنّه إذا كان هو المنزّل لم يكن تنزيله على أيّ وجه نزل إلّا حكمة وصواباً، كأنّه: «مانزل عليك القرآن تنزيلاً منجّماً إلّا أنا لاغيري».

الصورة الثامنة: إذا كان المسند إليه نكرة ولم يكن حرف النفي، وكان الخبر مثبتاً، نحو: «رجل جاءني».

٦. تقوية الحكم وتقريره: ويكون علىٰ صورتين:

الصورة الأولىٰ: ان يتقدّم المسند إليه علىٰ الخبر الفعلي ولم يكن في الكلام نفي، وكان الغرض إفادة تقوية الحكم الذي هو ثبوت الفعل للفاعل وتوكيده، ودفع الشكّ عنه لاقصره عليه. نحو: «محمّد يعطي الجزيل» «محمد يحبّ الثناء».

لايراد أن تقصر الفعل عليه، ولا أن تنفيه عن غيره، وإنّما تريد أن تحقّق الحكم وتمكّنه في نفس السامع، وتدفع الشكّ عنه.

وسرّ التقوية أنّ مثل هذا التركيب تكرار للإسناد من حيث إنّ الفعل ـ وهو «يعطي» في المثال الأوّل ـ أُسند مرّتين: أُسند أوّلاً إلى الضمير المستتر فيه العائد

---

١. الأنعام: ٥٩.
٢. الإنسان: ٢٣.

على محمّد، ثمّ أُسند ثانياً إلى الاسم الظاهر فهو بمثابة قولك: «يعطي محمّد الجزيل، يعطي محمد الجزيل» هكذا يقال في المثال الثاني، وبتكرار الإسناد يتقوّىٰ الحكم، ويتقرّر في ذهن السامع.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿واتّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لايَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[1].

والشاهد في الآية ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإذا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنّا وَقَدْ دَخَلُوا بالكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾[2].

والشاهد ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾.

قال المعذّل بن عبدالله الليثي:

جزى اللّهُ فتيان العَتيكِ وإنْ نأتْ ... بي الدارُ عَنْهُم خَيْرَ ماكانَ جازيا

هُمُ خلطوني بالنفوس وأكْرَمُوا الـ ... صحابَةَ لمَّا عَنْهُم خَيْرَ ماكانَ جازيا

هُمُ يُفْرِشُونَ اللّبْدَ كُلّ طِمِرَّةٍ ... وأجْرَدَ سبّاحٍ يَبُذُ المُغاليا

قدم ضمير «هم»على الخبر الفعلي المثبت؛ لأن القصر ليس إلى الفاعل بل إلى التوكيد والتحقيق بأنّ الفاعل قد فعل الفعل ومنع السامع من الشّك؛ لأنّ بين الشاعر وبين الممدوح مودة عميقة، وعاطفة بينه وبين قوم ممدوحه، جعلوه يشاركهم في خيرهم وصاحبوه مصاحبة كريمة لمّا قُدّر له ماكان يكابده، ولمّا كان الموقف موقف مدح، ولمّا كان إحساس الشاعر بحبّ هؤلاء القوم عظيماً لجأ إلى تأكيد المعنى وتقويته، وتقريره في النفوس بتقديم المسند إليه على المسند «هم خلطوني» «هم يفرشون» ولم يرد أن يدّعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها، ويَنُصّ عليهم فيها، حتى كأنه يُعَرّض بقوم آخرين، فينفي أن يكون أصحابها. هذا محال! وإنّما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل، وأنهم يقتعدون الجياد منها، وأنّ ذلك دابهم من غير أن يُعرّض لنفيه عن غيرهم إلّا أنّه بدأ بذكرهم لينبّه السامع لهم، ويُعلِمَ بدياً قصده إليهم بما في نفسه من الصفة، ليمنعه بذلك من الشكّ، ومن توهّم أن

---

١. الفرقان: ٣.

٢. المائدة: ٦١.

يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه.

وقول طرفة بن العبد:

نَحْنُ فـي المَشْـتاةِ نَـدْعُو الجَـفَلى   لا تَـــرَى الآدِبَ فـــينا يَـنْتَقِر
حـين قـالَ النـاسُ فـي مـجلسِهِم   أقُـــتارٌ ذاكَ أم ريـــحُ قُـــطُر
بـــجفانٍ تَـــعْتَرِي نــــادِينا   مـن سـديفٍ حـين هـاج الصِّنَبِر
كـــالجوابـــي لا تَـني مُـتْرَعَةُ   لِــقِرَى الأضـيافِ أو لِلـمُحْتَضِر

من قصيدة يفتخر بها، ويصف نفسه وقومه بشدّة الكرم، والشاهد فـيه كسـابقه، وهو أن المسند إليه قُدّم على الخبر الفعلي في موضع الافتخار ليؤكد الشاعر مايريد الافتخار به، ويمنع السامع من الشكّ فيما يفتخر، فالشاعر أراد أن يصف قومه بالكرم الشامل، والجود العامّ، فأخرج هذا الافتخار فـي أبـدع صـورة وأغـربها، وأجـمل أسلوب وآنفه.

فقد اختار الزمن، فأحسن الاختيار، فقدّم الجار والمجرور «في المشتاة» على متعلّقه «ندعو» ليثبت ويظهر أنّهم ليسوا كرماء في وقت الرخاء فقط، فـهذا الوقت يكثر فيه المتصارعون على الكرم، أمّا وقت القحط والجدب حين تـنقبض أيـدي الكرماء تمتدّ أيديهم ويشتدّ كرمهم، وليس هذا فحسب فبعد أن وفّق فـي اخـتيار الزمن أخذ يضفي على موقفهم نوعاً من الغرابة، فهو في وقت الشـتاء، وهـو وقت القحط تمتدّ أيديهم للعامّ والخاصّ، للصغير والكبير، للغني والفقير، فدعوتهم عامّة شاملة، وهذا أعظم مايكون الكرم.

فاجتماع زمن القحط، وكـون الدعـوة عـامّة أمـر غـريب تـنعجب له النـفس وتستغربه، وتدهش له؛ ولأنّ الأمر فيه نوع من الغرابة قد يشكّ السامع فيها، قـدّم المسند إليه على الخبر الفعلي «نحن في المشتاة ندعو» لينبّه الأسماع ويوقظها حتى إذا ما وقفت النفس على تلك الصفات تقرّرت فيها وقويت وتأكّدت وزال عنها كل شكّ[١].

١. الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، ص ٣٨٠.

الصورة الثـانية: أن يتقدّم المسند إليه علىٰ الفعل والنفي جميعاً؛ لإفـادة تـقوية الحكم وتوكيده، فإنّ قولنا: «أنت لاتحسن كذا» ـ إذا قصدت التقوية ـ أشـدّ لنـفي الإحسان من قولنا: «لاتحسن كذا»؛ ولذلك لانقول: «أنت لاتحسن كذا» إلّا لمن هو أشدّ إعجاباً بنفسه، وأعرض دعوىٰ، فنكذّبه في دعواه بالتوكيد الذي يفيده تـقديم المسند إليه.

وتأمّل قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لايُشْرِكُونَ﴾[١].

فقدّم المسند إليه في الآية الكريمة؛ ليفيد ضرباً من التوكيد والمبالغة فـي نـفي الشرك منهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ حقَّ القَوْلُ عَلىٰ أكْثَرِهِمْ فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ﴾[٢].

نجد فيه من التوكيد والمبالغة في نفي الإيمان عنهم مالانجده لو جيء بالمسند إليه متأخّراً.

وكذا قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لايَتَساءَلُونَ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذٰلِكَ بأنَّهُم آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِم فَهُمْ لايَفْقَهُونَ﴾[٤].

وذكر البلاغيون أنّ المسند إليه يقدّم لفائدة التأكيد؛ فيما سـبق فـيه إنكـار، أو المدح، والافتخار، والوعد، والوعيد، وغير ذلك، كقوله تعالى: ﴿والمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ ثلاثَةَ قُرُوءٍ وَلايَحِلُّ لَهُنَّ أنْ يَكْتُمْنَ ماخَلَقَ اللّهُ في أرْحامِهِنَّ إنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ باللّهِ واليومِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذٰلِكَ إنْ أرادُوا إصْلاحاً ولَهُنَّ مِثْلُ الَّذى عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوفِ...﴾[٥].

ففي الآية الكريمة جاء الخبر فـي مـعنىٰ الأمـر، فـأصل الكـلام: «وليـتربّص المطلّقات بأنفسهنّ» ولمّا كان الخبر يحتاج الى تأكيد، وأنّـه مـمّايجب أن يـتلقّى

---

١. المؤمنون: ٥٩.

٢. يس: ٧.

٣. القصص: ٦٦.

٤. المنافقين: ٣.

٥. البقرة: ٢٢٨.

بالمسارعة في امتثالهنّ له احتاج الكلام إلى تأكيد؛ لأهمّية الموضوع الذي تتحدّث عنه الآية الكريمة، لذلك جاء الأُسلوب القرآني على سبيل التأكيد؛ بتقديم المسند إليه على خبره الفعلي ممّا زاد الكلام فضل تأكيد وعناية.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَالْوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَينِ كامِلَينِ لِـمَنْ أرادَ أنْ يُـتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾[١].

فدلّت الآية علىٰ التأكيد برضع الوالدات لأولادهنّ؛ لما فيه من الإشفاق علـى المولود والاهتمام بشأنه.

لقد اختلف في تـقديم المسـند إليـه عـلىٰ المسـند الفـعلي مـن حـيث إفـادة الاختصاص،واشتهر بذلك مذهبان:مذهب عبدالقاهر،ومذهب السكّاكي.

مذهب عبدالقاهر يرىٰ أنّ المسند إليه إنْ وليَ أداة النفي فهو للتخصيص فقط[٢]، وإلّا فقد يكون لتقوية الحكم وتقريره مُضمراً كان المسـند إليـه أم مُـظهراً مـعرّفاً، أم منكّراً، مثبتاً كان الفعل أم منفياً.

وقد خرّج عبدالقاهر مذهبه في تقديم المسند إليه علىٰ المسند الفعلي في تسع صور مقسومة إلى زمرتين:

الزمرة الأُولىٰ: مؤلّفة من ثلاث صور، ويكون فيها تقديم المسند إليه علىٰ المسند الفعلي للتخصيص، وهي:

١. النكرة بعد النفي «مارجل فعل هذا».

٢. المعرفة المضمرة بعد النفي «ما أنا فعلت هذا».

---

١. البقرة: ٢٣٣.

٢. أي إنّه يفيد أمرين:

أوّلهما: انتفاء الحكم عن المسندإليه.

و الآخر: ثبوت هذا الحكم لغيره غير أنّ انتفاء الحكم قد دلّ عليه منطوق العبارة، أمّا ثبوته لغير المسندإليه، فقد دلّ عليه مفهومها، فهذا الأُسلوب لا يكون إلّا في شيء ثبت حصوله فعلاً، و يراد نفي حصوله عن المسـندإليـه خاصّة، و لهذا لا يصحّ أن يقال: «ما رجل فعل هذا و لا غيري»؛ لأنّ منطوق «لا غيري» يتنافى فـي مـعناه مـع مفهوم العبارة؛ لأنّ مفهوم «ما رجل فعل هذا» ثبوت هذا الفعل للغير، و مـعنى «لا غـيري» نـفيها عـنه، و هـما متناقضان.

٣. المعرفة الظاهرة بعد النفي «ماعبد اللّه فعل هذا».

الزمرة الثانية: مؤلّفة من ستّ صور، وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي فيها لايفيد تخصيصاً، وإنّما يقوّي الحكم ويقرّره:

١. المعرفة المُضمرة قبل النفي «أنت ماسعيت في حاجتي».

٢. المعرفة الظاهرة قبل النفي «عبداللّه ماسعىٰ في حاجتي».

٣. النكرة قبل النفي «رجلٌ ما قال هذا».

٤. المعرفة المضمرة في الإثبات «أنت سعيت في حاجتي».

٥. المعرفة الظاهرة في الإثبات «عبداللّه قام».

٦. النكرة في الإثبات «رجل جاءني».

أمّا السكّاكي، فإنّه يرىٰ أنّ المسند إليه المقدّم إن كان نكرة فهو للتخصيص فقط إن لم يمنع التخصيص مانع، وإن كان معرفة ظاهر فهو للتقوية فقط، وإن كان ضميراً فهو محتمل للأمرين: التخصيص، والتقوية.

وعلىٰ هذا تكون الصور التسع السابقة عند عبدالقاهر ثلاثة أقسام عند السكّاكي.

القسم الأوّل: مايتعيّن فيه التخصيص وهو ثلاث صور خاصّة بالنكرة بشرط أن لايمنع من التخصيص مانع، وهي:

١. النكرة إذا وَلَيتَ حرف النفي «مارجل فَعَل هذا».

٢. النكرة قبل النفي «رجلٌ ماقالَ هذا».

٣. النكرة في الإثبات «رجلٌ فعلَ هذا».

القسم الثاني: يفيد التقوية وهو ثلاث صور خاصّة بالمعرفة:

١. المعرفة الظاهرة بعد حرف النفي «ماعبداللّه فعل هذا».

٢. المعرفة الظاهرة قبل حرف النفي «عبداللّه ماسعىٰ في حاجتي».

٣. المعرفة الظاهرة في الإثبات «عبداللّه قام».

القسم الثالث: يحتمل التخصيص والتقوية وهو ثلاث صور خاصّة بالمضمر:

١. المضمر بعد حرف النفي «ما أنا فعلت هذا».

٢. المضمر قبل حرف النفي «أنت ماسعيت في حاجتي».

٣. المضمر في الإثبات «أنت سعيت في حاجتي».

وبما تقدّم يتّضح لك أنّ التخصيص في النكرة في القسم الأوّل عند السكّاكي هو تخصيص الجنس أو الوحدة علىٰ حسب المقام، فإذا قلت مثلاً: «رَجُـلٌ جـاءني» وكان قصدك تخصيص الجنس فمعنىٰ ذلك أنّك تريد أن تُعْلِمَ المُخاطب أنّ الذي جاء هو رجل، لا امرأة، إذن فأنت توجّه كلامك هذا إلى من عرف أنّه قد جاءك إنسانٌ، ولكنّه لايعلمُ جنسهُ، فتقول: «رجلٌ جاءني لا امرأة».

وإن كنت تريد تخصيص الوحدة فمعنىٰ ذلك أنّك تريد أن تُـعْلِم المـخاطب أنّ الذي جاء هو رجُلٌ واحدٌ، لارجلان، ولا أكثر، و«رجل» حينئذٍ وإن دَلّ على جنس الرجل، لا جنس النساء إلّا أنّ هذه الدلالة على الجنس غير مقصودة في مـعرض الدلالة علىٰ الوحدة.

وأمّا التقوية والتقرير، فهما تمكين الحكم وتثبيته بين المسند إليه والمسند، فإذا قلت مثلاً: «عبدالله قام» فيمكن اعتبار أنّ القيام لم يثبت حصوله من قـبل، وأنّك بعبارتك هذه تريد أن تخبر بحدوثه، وأن تعقد النسبة بينه وبين عبدالله، ولكن على سبيل التقرير والتثبيت.

وبالنظر إلى المذهبين المتقدّمين عند عبدالقاهر والسكّـاكـي يـتّضح لك وجـه الخلاف بينهما إذا تأمّلت تقسيماتهما جيّداً، ويتجلّىٰ الفرق بين السكّاكي وعبدالقاهر في هذه الصور التسع، وهي:

١. «مارجل فعل هذا» للاختصاص عند الإثـنين بـلاشرط عـند عـبدالقـاهر، وبشرط عند السكّاكي، وهذه هي الصورة الأُولىٰ التي اتفقا فيها.

٢. «ما أنا فعلت هذا» للاختصاص فـقط عـند عـبدالقـاهر، وله بشـرط عـند السكّاكي، فإن لم يوجد الشرط كان للتقوية.

٣. «ما عبدالله فعل هذا» للتخصيص فقط عند عبدالقاهر، وللتقوية فقط عـند السكّاكي.

٤. «أنت ماسعيت في حاجتي» للتقوية عند الاثنين.

٥. «عبداللّه ماسعىٰ في حاجتي» للتقوية عند الإثنين.

٦. «رَجُلٌ ماقالَ هذا» للتقوية عند عبدالقاهر، والتخصيص عند السكّاكى.

٧. «أنت سعيت في حاجتي» للتقوية عند عبدالقاهر، وعند السكّاكي يحتمل التخصيص والتقوية.

٨. «عبداللّه قام» للتقوية عند عبدالقاهر، والتخصيص عند السكّاكى.

٩. «رجل جاءني» للتقوية عند عبدالقاهر، وعند السكّاكي للتخصيص بشرط أن لا يمنع منه مانع.

فالسكّاكي يرىٰ أنّ تقديم المسند إليه علىٰ خبره الفعلي لايفيد التخصيص إلّا بثلاثة شروط:

١. جواز تقدير تأخير المسند إليه علىٰ أنّه فاعل في المعنىٰ فقط بأن يعرب توكيداً؛ أو بدلاً من الفاعل اللفظى.

٢. اعتبار كونه في الأصل مؤخّراً على أنّه فاعل معنى فقط، فقدّم لإفادة التخصيص.

٣. أن لا يمنع من التخصيص مانع.

فإذا لم تتحقّق هذه الشروط فلايفيد التقديم إلّا التقوية. وخرج بالشرط الأوّل المعرفة؛ لانتفاء جواز تقدير كونها مؤخّرة على أنّها فاعل معنىٰ فقط، فتقديمها مطلقاً لايفيد إلّا التقوية عنده.

واستثنىٰ السكّاكي من هذا الشرط النكرة، فتقديمها عنده لإفادة التخصيص قطعاً مطلقاً إلّا إذا منع من التخصيص مانع.

أمّا الضمير، فهو عند السكّاكي يحتمل أن يكون تقديمه للتخصيص، أو التقوية، فإن لم يعتبر كونه مؤخّراً في الأصل على أنّه فاعل معنى فقط، فلايفيد تقديمه إلّا التقوية، وإن اعتبر ذلك كان تقديمه للتخصيص، أمّا الشرط الأوّل، فموجود في الضمير، ومتحقّق فيه.

٧. إفادة التعميم بالنصّ علىٰ عموم السلب، أي شمول النفي لكلّ فرد من أفراد المسند إليه.

وبيان ذلك أنّ الوسيلة الغالبة في تحقيق عموم السلب هي تقديم أداة من أدوات العموم علىٰ أداة نفي بحيث لاتقع الأُولىٰ في حيّز الثانية، وحينئذٍ تكون أداة العموم المسند إليه المقدّم لإفادة التعميم بالنصّ علىٰ عموم السلب، وذلك نحو: «كلُّ ظالمٍ لايُفْلِحُ»، ففي هذا المثال أداة العموم «كلّ» مقدّمة على أداة نفي «لا» وإنّـما هـي خارجة عن نطاقه، والكلام هنا يُفيد شمول النفي لكلّ فرد من أفراد المسند إليه؛ إذ المعنىٰ: «لايُفلِحُ أحد من الظالمين».

والعلّة في إرادة شمول النفي هنا أنّ اداة العموم بهذا الوضع تكون هي المتسلّطة علىٰ النفي العاملة فيه بعمومها وكلّيّتها، وذلك يقتضي عموم النفي وشموله.

أمّا إذا أُريد سلب العموم، فيكون بتأخير أداة العموم عن أداة النفي، أو بتقديمها عليها، ولكن مع بقائها في حيّز النفي.

فمن الأوّل قول أبي العتاهية:

ماكلُّ رأيِ الفتىٰ يـدعو إلىٰ رَشَـدٍ ... إذا بـدا لكَ رأيٌ مُشْـكِلٌ فَـقِـفِ[١]

وقول المتنبّي:

مــا كـــلُّ مـايتمنّىٰ المـرءُ يُـدْرِكُهُ ... تجري الرّياحُ بما لاتَشْتَهي السّفَنُ[٢]

ومن الثاني قولك: «كُلَّ ذنبٍ لم أصنع» بنصب «كلّ» على أنّه مفعول به لـ«صنع»، فأداة العموم هنا مقدّمة علىٰ أداة النفي، ولكنّها واقعة في حيّز النفي؛ لأنّها في حكم التأخير، إذ التقدير: «لم أصنع كُلَّ ذَنْب».

والنفي بسَلْب العموم أو نفي الشمول ليس عامّاً شاملاً لجميع الأفراد، بل يُـفيد ثبوت الحكم لبعض الأفراد دون بعض، فالمعنىٰ في بيت أبي العتاهية: ليست جميع

---

١. البلاغة الصافية، ج٢، ص٥٩.

٢. دلائل الاعجاز، ص٢٨٤؛ التبيان، ج٢، ص٤٧٨؛ شرح المرشدي، ج١، ص٨٨؛ المطول (تحقيق هنداوي)، ص٢٧٧.

آراء الإنسان مصيبةً، بل منها ماهو مصيب، ومنها ماهو منحرف عن الصواب.

والمعنىٰ في بيت المتنبّي: أنّ الإنسان لايدرك كلّ أمانيه، وإنّما يُدْرك بعضاً، ويفوتهُ بعضٌ.

والمعنىٰ في «كُلّ ذنب لم أصنع»: لم أرتكب كلّ الذنوب، وإنّما أرتكب بعضاً، وحفظني اللّه من بعض.

وقد يفيد تقديم أداة النفي علىٰ أداة العموم عموم السلب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهَ لايُحِبُّ كلَّ كَفّارٍ أثيمٍ﴾[1].

و ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهينٍ﴾[2].

فالنفي في هذه الآيات عامّ شامل؛ إذ المراد نفي حبّ اللّه عن أيّ مختال فخور، وعن أيّ كفّار أثيم، والنهي عن إطاعة أيّ حلّاف مهين.

٨. أن يقصد الإخبار عن المسند إليه بأمر مستغرب خلاف ماقد يتبادر إلى الذهن، كقولك: «الزاهِدُ يشرب ويطربُ»، فإذا ذكرت كلمة «الزاهد» كان ظنّ السامع عند النطق بها بعيداً عن كونه يشرب ويطرب، فإذا أثبت بعد ذلك بالمسند الغريب بالنسبة الىٰ المسند إليه، كان ذكره أوقع في النفس؛ لغرابته.

وكقولك: «المقاتل ألقى السلاح، وانصرف إلى التجارة، وذلك لمن قال لك: «كيف المقاتل؟» وقد قدّمت المسند إليه «المقاتل» لتدلّ علىٰ أنّ المهمّ في الأمر هو اتّصافه بإلقاء السلاح والانشغال بالتجارة ممّا لايتوقّع أن يحصل منه.

ومنه قول المتنبّي:

يا أعْدَلَ الناسِ إلّا في معاملتي
فيكَ الخصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

قدّم المسند إليه «أنت» لإفادة أنّ المطلوب هو اتّصافه بالخصومة والحكومة معاً ممّا لايُتوقّع أن يحصل؛ إذ كيف يكون الإنسان خصماً وحكماً في آن واحد؟!

١. البقرة: ٢٧٦.
٢. القلم: ١٠.

ولإيراد الإخبار بهذين الأمرين.

٩. إفادة تخصيص المسند إليه المقدّم بـالمسند المـؤخّر، كـقولك لمـن أهـان صديقك: «أنت مهينٌ فلاناً»، كأنّك على وشك أن تقول أيضاً: «لاغيرك».

ومنه في الشعر قول الشاعر:

متىٰ تَهْزُزْ بـني قَـطَنٍ تَـجِدْهُمُ ... سيوفاً فـي عَـواتِـقِهم سـيوفُ
جُـلوسٌ فـي مـجالِسِهم رِزانٌ ... وإن ضيفٌ أَلَـمَّ فـهُمْ خُـفُوفُ[١]

الشاهد قوله: «فهم خُفُوفَ» حيث أفاد تقديم المسند إليه «هم» زيادة تخصيص بني قطن بالكرم بما يتراءىٰ منهم من إسراع إلى استقبال الضيف، وخفّةٍ في القـيام بواجبه.

- **المبحث الثاني: تقديم المسند:**

يقدّم لأغراض منها:

١. التخصيص أو القصر: وتعني إفادة قصر المسـند إليـه عـلىٰ المسـند بـحيث لا يتجاوز إلى غيره أصلاً، نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ دينكُمْ وَلى دِين﴾[٢].

أي دينكم مقصور على اتّصافه بكونه لكم لايتجاوز إلى اتّصافه بكونه لي، وديني مقصور علىٰ الاتصاف بكونه لي لايتجاوز إلى اتّصافه بكونه لكـم، فـالقصر هـنا إضافي في الموضعين قصر صفة على موصوف.

فنجد أنّ المسند قد تقدّم وهو ﴿لَكُمْ﴾ على المسند إليه وهو: ﴿دِينُكُمْ﴾، وكذلك تقدّم المسند ﴿وَلى﴾ على المسند أليه وهو ﴿دِين﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَكُم الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثىٰ﴾[٣].

ينكر اللّه عليهم أن يخصّوا أنفسهم بالبنين، ويخصّوا اللّه بالإناث.

---

١. البيتان بلا نسبة في التبيان، ج١، ص١٧٢؛ والمفتاح، ص٢٩٢؛ والمصباح، ص٢٧؛ المطول (تحقيق هنداوي)، ص٢٥٤؛ وينسبان إلىٰ النابغة في ديوان المعاني، ص٣٤.
٢. الكافرون: ٦.
٣. النجم: ٢١.

وقوله تعالىٰ: ﴿لافِيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ﴾[١].

«الغول» مايتبع شرب الخمر في الدنيا من وجع الرأس، واسترخاء الأعضاء، وتقديم المسند هنا لإفادة قصر المسند إليه ﴿غَوْلٌ﴾ علىٰ هذا المسند ﴿لافِيها﴾، ويقول البلاغيون: إنّ المراد هنا أحد أمرين:

أ) قصر الغول علىٰ اتّصافه بعدم حصوله في خمور الجنّة، فلايتجاوز إلى اتّصافه بحصوله في خمور الدنيا.

ب) قصر عدم الغول على اتّصافه بحصوله في خمور الجنّة، فلايتجاوز إلى اتصافه بعدم حصوله في خمور الدنيا.

ومن ثمّ لم يقدّم الظرف في قوله تعالىٰ: ﴿لارَيبَ فِيهِ﴾[٢]، لأنّه لو قدّم لاقتضىٰ ثبوت الريب في سائر كتب اللّه تعالىٰ ماعدا القرآن، وهو فساد بيّن، وتشكيك في الكتب المقدّسة النازلة من عنداللّه.

وكقوله تعالى: ﴿للّهِ مُلْكُ السّماواتِ والأرْضِ﴾[٣].

فمُلك السماواتِ والأرض مخصّص للّه تعالىٰ، أي قصر المسند إليه علىٰ المسند، فإنّ المعنىٰ هو أنّ ملك السماوات والأرض مقصور علىٰ الاتّصاف بأنّه للّه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّ إلينَا إيابَهُم * ثُمَّ عَلَيْنَا حِسابَهُم﴾[٤].

قدّم الظرف في الآيتين ليدلّ على أنّ إيابهم ليس إلّا إلى اللّه الجبّار، وأنّ حسابهم إلّا عليه.

ومن التقديم المفيد للاختصاص قوله تعالىٰ: ﴿ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللّهِ واللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثّوابِ﴾[٥].

أي وعنده مثل أيّ مختصّ به وبقدرته وفضله لايثنيه غيره، ولايقدر عليه،

---

١. الصافات: ٤٧.

٢. البقرة: ٢.

٣. المائدة: ١٢٠.

٤. الغاشية: ٢٥ و٢٦.

٥. آل عمران: ١٩٥.

وقدأفادت الآية مزيد فضل المهاجرين، ورفعة شأنهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وعِنْدَهُ مفاتحُ الغَيْبِ لايَعْلَمُها إلّا هُوَ﴾[١].

فجاء تقديم المسند في الآية الكريمة لإفادة الحصر؛ ليدلّ على أنّ اللّه سبحانه هو الأعلم بجميع المغيّبات علىٰ سبيل الاستغراق.

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الّذى أخْرَجَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِم لأوّلِ الحَشْرِ ماظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرُجُوا وَظَنّوا أنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهم مِنَ اللّهِ فأتاهُم اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[٢].

فالآية الكريمة تصوّر حال المشركين، وشدّة وثوقهم بديارهم وحصانتها، وكان في اعتقادهم أنّها في عزّة ومنعة لاينالهم أذىٰ من المسلمين، فتقديم الخبر على المبتدأ في الآية الكريمة جاء لإعطاء تلك الفائدة البلاغيّة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذَا هِيَ شاخِصَةٌ أبْصارُ الّذينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنا قَدْكُنّا فِى غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا بَلْ كُنّا ظَالِمينَ﴾[٣].

فالمعاني التي صوّرها التقديم والتأخير في الآية الكريمة جاءت وصفاً لحال المشركين عند اقتراب الوعد الحقّ والكيفية التي هم عليها، وإنّما قال ذلك ولم يقل: «فإذا أبصار الّذين كفروا شاخصة» لأمرين:

الأمر الأوّل: تخصيص الأبصار بالشخوص دون غيرها، فلو قال: «فإذا أبصار الّذين كفروا شاخصة» لجاز أن يضع موضع «شاخصة» غيره، فيقول: «حائرة» أو «مطموسة» أو غير ذلك، فلمّا قدّم الضمير اختصّ الشخوص بالأبصار دون غيرها.

الأمر الثاني: أنّه لمّا أراد أنّ الشخوص خاصّ بهم دون غيرهم دلّ عليه بتقديم الضمير أوّلاً، ثم بصاحبه ثانياً؛ لأنّه قال: فإذا هم شاخصون دون غيرهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ للّهِ مَا فِى السَماواتِ وَمَا فِى الأرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ

١. الأنعام: ٥٩.
٢. الحشر: ٢.
٣. الأنبياء: ٩٧.

علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ﴾[١].

قُدّم الظرفان ليدلّ بتقديمهما على معنىٰ اختصاص الملك والحمد للّه عزّوجل؛ لأنّ الملك على الحقيقة له، لأنّه أُصول النعم، وفروعها منه.

ومنه قول الشاعر:

لك القــــلمُ الذي بشــــباته يصاب من الأمر العلى والمفاصل[٢]

والشاهد في البيت هو أنّ الشاعر قدّم المسند في قوله «لك القلم» لإفادة معنى القصر، أي أنّ القلم الموصوف بتلك الصفات لك لا لغيرك.

وكقول أبي العلاء:

تـعبٌ كـلُّها الحـياةُ فـما أعـ جبُ إلّا منْ راغبٍ في ازديادِ

فقد قدّم المسند وهو «تعب» علىٰ المسند إليه وهو «الحياة» ليفيد قصر المسند علىٰ المسند إليه، فدلّ علىٰ أنّ الحياة بجميع مافيها مقصورة علىٰ التعب والشـقاء، قصراً على سبيل الادّعاء، أي أنّ مافي الحياة من فترات الراحة والأُنس والمسـرّة لاقيمة لها، فقد نزّلها منزلة العدم بجانب مافيها مـن التـعب والمشـقّة، فـهو قـصر موصوف على صفة.

٢. التنبيه مباشرةً على أنّ المسند خبرٌ لانعت[٣]: كقوله تعالى: ﴿فيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾[٤].

فلو قيل: «رجالٌ فيه يحبّون أن يتطهّروا» لتُـوُهِّم أنّ الظـرف صـفة لـ«رجـال» و«يحبّون» ومابعدها خبرٌ، على معنى: أنّ الرجال الذين فيه يـحبّون أن يـتطهّروا، ولا سيّما أنّ الحاجة داعية إلى وصف المسند إليه؛ لوقـوعه نكـرة، ولكـنّ المـراد الإخبار عن الرجال بالحصول في المكان، لا بالمحبّة للتطهّر، فقدّم المسند لإدراك

---

١. التغابن: ١.

٢. البلاغة الصافية، ج ٢، ص ٨٣.

٣. و ذلك فيما إذا كان المسندإليه نكرة، فإنّ التقديم حينئذٍ يكـون مـلتبساً بـالصفة بـخلاف التأخـير؛ لأنّ النـعت لا يتقدم على المنعوت.

٤. التوبة: ١٠٨.

هذه الغاية دون حاجة إلى التأمّل في العبارة، أو النظر في القرينة.

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[١].

أي لكم الاستقرار والمتاع دون غيركم، فالشاهد هنا هو قوله: ﴿وَلَكُمْ... مُسْتَقَرٌّ﴾ فلو قال: «ومستقرّ لكم» لتوهّم ابتداء أنّ «لكم» نعت، وأنّ خبر المبتدأ سيذكر فيما بعد، وذلك لأنّ حاجة النكرة إلى النعت أشدّ من حاجتها إلى الخبر، ولذلك تـعيّن تقديم المسند للتنبيه علىٰ أنّه خبر لا نعت.

وكقول حسّان بن ثابت مادحاً الرسول ﷺ:

لَـــهُ هِـــمَمٌ لامُـــنْتَهىٰ لِكــبارِها وَهِمَّتُهُ الصُغْرَىٰ أجَـلُّ مِـنَ الدّهْـرِ
لَـــهُ راحــةٌ لو أنّ مِـعْشار جُـودِها عَلىٰ البرِّ كانَ البَرُّ أَنْدىٰ من البَحْرِ[٢]

أي أنّ هممه الكبيرة لايحصيها عدّ، ولايحيط بها وهم، وأنّ صغرىٰ هممه فوق همّة الدهر، بمعنىٰ أنّ الدهر ـ على عظم خطره ـ لايفلّ من عزيمته، ولايحول دون إرادته.

والشاهد تقديم «له» علىٰ «همم» و «راحة» وهي خـبر، ولو قـال: «هـمم له، وراحةٌ له» لتوهّم السامع ابتداءً أنّ «له» في كلا المثالين نعت، وأنّ الخبر سيذكر فيما بعد؛ وذلك لأنّ حاجة النكرة إلىٰ النعت أشدُّ من حاجتها إلى الخبر.

٣. التفاؤل بتقديم مايسرّ، كقول الشاعر:

سَعِدَتْ بـغُرَّةِ وَجْـهِكَ الأيّـامُ وَتَــزيّنتْ بـبقائِكَ الأَعـوامُ[٣]

فقد قدّم فِعل السعادة لإدخال السُرور علىٰ قلب المُخاطب.

ومنه قولك لمن يودّعك: «في حفظ اللّه أنت».

٤. التشويق الىٰ ذكر المسند إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿إنّ فى خَلْقِ السماواتِ والأَرْضِ

---

١. البقرة: ٣٦.

٢. الاشارات والتنبيهات، ص٧٠؛ المصباح، ص٣٩؛ الايضاح، ص١٠٤؛ مفتاح العلوم، ص٣٢٢؛ وقيل انه لبكر بن النطاح في أبي دلف، انظر المطول (تحقيق هنداوي)، ص٣٥٤؛ بغية الإيضاح، ج١، ص٢١٢.

٣. المطول (تحقيق هنداوي)، ص٣٥٥.

واخْتِلافِ اللّيلِ والنّهارِ لآياتٍ لأُولى الألبابِ﴾[١].

فحين ذكر خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، أي تعاقبهما واحداً بعد واحد شوّق سامعه إلى معرفة مايبني هذا المذكور عليه.

وكقول المعرّي:

وكالنارِ الحـياةُ فـمنْ رمـادِ   أواخــرِها وأوّلـها دُخـانُ[٢]

فالمشبّه به «كالنار» يدفع النفس إلىٰ التطلّع نحو المشبّه وهو الحياة.

ومنه الحديث الشريف: «منهومان لايشبعان: طالب علم، وطالب مال».

باعتبار «منهومان» خبراً، وقُدّم لاشتماله علىٰ وَصفٍ مشوّق.

وقول الشاعر:

شيئانِ لاتـصلحُ الدنـيا بـغيرِهما   المالُ يـصلحُ مـنه الحـالُ والولدُ

فـ«شيئان» هنا خبر مقدّم، والحال مبتدأ مؤخّر، وقدّم المسند للتشوّق إلى ذكر المسند إليه.

وقول الشاعر:

خيرُ الصنائعِ فـي الأنـامِ صـنيعةٌ   تــنبو بــحامِلِها عــن الإذلالِ

وكما يكون تـقديم المسـند للـتفاؤل يكـون أيـضاً للـتطيّر، كـقولك:«ضـاعت مساعيك».

٥. المساءة نكايةً بالمخاطب، كقول المتنبّي:

ومنْ نَكَد الدنيا عـلى الحُـرِّ أَنْ يَـرَىٰ

عــدوّاً لَــهُ مــا مــنْ صـداقـتِه بُـدُّ

قدّم المتنبّي المسند «ومن نكد» على المسـند إليـه ـالمـصدر المـؤوّل المـقدّر بـ«رؤية» ـ لإظهار أنّه مستاء من المخاطب مريداً إغضابه، وتقدير الكلام: رؤية الحرّ

---

١. آل عمران: ١٩٠.

٢. الايضاح، ص١٠٤؛ الاشارات والتنبيهات، ص٧٠؛ سقط الزند، ص٦٤؛ مفتاح العلوم، ص٣٢٤؛ شرح التلخيص، ج٢، ص١٠٩.

عدوّاً لابدّ من صداقته، من نكد الدنيا وإيلامها.

٦. تعجيل المسرّة للمخاطب، أو التعجّب، أو التعظيم، أو المدح، أو الذمّ، أو الترحّم، أو الدعاء، نحو: «للّه درّك» و«عظيم أنت ياالله» و«نعم الزعيم سعد» و«بئس الرجل خليل» و«فقير أبوك» و«مبارك وصولك بالسلامة».

٧. وقد يأتي تقديم المسند دالاً على الوعد والضمان، كقوله تعالىٰ: ﴿وَقالَ الّذى نَجا مِنهُما وَادكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[١].

وذلك أنّ الملك أراد أن يفسّر له الرؤيا التي رآها، فضمن له الذي نجا من السجن ممّن كان مع يوسفعليه السلام فأخرج الكلام مخرج التأكيد؛ ضماناً للوعد الذي قاله.

وقوله تعالىٰ على لسان أحد العفاريت في جلب عرش بلقيس: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وإنّى عَلَيْهِ لَقَوىٌّ أَمِينٌ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿قالَ الّذى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِن الكِتابِ أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إليْكَ طَرْفُكَ فَلَمّا رآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبّى﴾[٣].

٨. لإتمام بناء نسق الكلام ولتحقيق أغراض أُخرىٰ معه، كقوله تعالىٰ: ﴿إنَّ وَلِيّيَ اللّهُ الّذى نَزَّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَولَّىٰ الصَّالحينَ﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقالُوا أَسَاطِيرُ الأَوّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأصِيلاً﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ والإنسِ والطّيرِ فَهُم يُوزَعُونَ﴾[٦].

فبناء الفعل على الاسم في الآية الأُولىٰ، أمر ضروري لبناء نسق الكلام، فالآية الأُولىٰ تؤكّد ولاية اللّه الذي نزّل الكتاب على نبيّهصلى الله عليه وآله فنزول الكتاب من عند اللّه حقيقة مؤكّدة، كولاية اللّه للنبيّصلى الله عليه وآله فيكون إنكار الكفّار كلا إنكار.

---

١. يوسف: ٤٥.
٢. النمل: ٣٩.
٣. النمل: ٤٠.
٤. الأعراف: ١٩٦.
٥. الفرقان: ٥.
٦. النمل: ١٧.

وفي الجملة الثانية اعتمد الفعل على ضمير الغيبة الذي يفسّره لفظ في صدر الآية، وضرورة هذا الضمير لأجل الالتفات حتّىٰ لايكون الكلام نابياً مستكرهاً.

وأمّا في الآية الثانية، فإنّه أسند الفعل إلى الضمير دون الظاهر؛ لأنّه لو كرّر «الأساطير» لاختلّ النسق القرآني، وانعدم الإيقاع الذي أحدثه القرآن الكريم.

وفي الآية الثالثة كانت مناسبة تقديم الضمير الذي يعود على الجنّ والإنس والطير؛ تحقيقاً للإيجاز، وإتماماً لنسق الكلام.

فالآيتان الكريمتان الثانية والثالثة، جاءتا مصدّرتين بالفعل الماضي، فكانتا مجرّد إخبار، فلمّا أراد أن يؤكّد مضمونهما جاء بالجملتين مصدّرتين بالاسم؛ مبالغةً في تأكيد الخبر المقصود، وهو التولّي للصالحين.

٩. وقد يفيد تقديم المسند للاهتمام بالمتقدّم، كقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[١].

أُدخلت همزة الإنكار على الظرف ـ أي الجارّ والمجرور ـ؛ لأنّ الكلام ليس في الشكّ، وإنّما هو في المشكوك فيه؛ لأنّ المنكر كونه تعالى محلّ الشكّ لانفس الشكّ، فإنّه غير منكر؛ لظهور الأدلّة وشهادتها عليه.

● المبحث الثالث: تقديم متعلّقات الفعل

و هو كما يلي:

□ أوّلاً: دواعي تقديم بعض المعمولات علىٰ بعض

يحدث أن يقدّم بعض معمولات الفعل علىٰ بعض لدواعٍ أهمّها:

١. أصالة تقدّم بعضها علىٰ بعض، ولامُقتضي للعدول عن تلك الأصالة، كالفاعل في قولك: «شرب الظمآن ماءً» حيث قُدّم الفاعل علىٰ المفعول لأنّه عمدة في الكلام، وحقّه أن يلي الفعل.

ويشبه في أصالة التقديم المفعول الأوّل، كقولك: «أعطيت محمّداً ديناراً» حيث

---

١. إبراهيم: ١٠.

قدّم المفعول الأوّل «محمّداً»؛ لأنّ أصله التقديم؛ لما فيه معنىٰ الفـاعلية، أي أخـذ العطاء.

٢. كون ذكره أهمّ والعناية به أتمّ، وذلك بأن يكون تعلّق الفعل بذلك المقدّم هو المقصود بالذات تبعاً لاعتناء المتكلّم أو السامع بشأنّه، كقولك: «أنشـأت الجـامعة شركة وطنيّة»؛ ذلك لأنّ الأهمّ في تعلّق الإنشاء هو الجامعة المنشأة؛ ليرتادها نشّاد الثقافة، ويتجلّىٰ ذلك واضحاً في الآيتين الكريمتين:

﴿ولاتَقْتُلُوا أوْلادكُم مِنْ إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإيّاهُمْ﴾[١].

﴿وَلاتَقْتُلُوا أوْلادكُمْ خَشيةَ إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإيّاكُمْ﴾[٢].

فنجد صور التقديم مختلفة في الضمائر حيث قُدّم ذكر المخاطبين في الأُولىٰ: ﴿نَرْزُقُكُمْ وَإيّاهُمْ﴾ دون الثانية: ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإيّاكُمْ﴾؛ لأنّ الخطاب في الأُولىٰ للـفقراء بدليل قوله تعالىٰ ﴿مِنْ إمْلاقٍ﴾ وهؤلاء رزقهم أهمّ عندهم من رزق أولادهم؛ لأنّهم يعيشون بأنفسهم آثار الفقر والفاقة، وهكذا قُدّم الوعد برزقهم على الوعـد بـرزق أولادهم؛ لاستدعاء المقام ذلك.

أمّا الخطاب في الثانية، فللأغنياء بدليل قوله تعالىٰ: ﴿خَشْيَةَ إمْلاقٍ﴾ والخشية إنّما تكون بما لم يقع، فكان رزق أولادهم هو المطلوب عندهم، دون رزقـهم؛ لأنّـهم مرزوقون، وهكذا قدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم؛ لاستدعاء المـقام ذلك.

٣. أن يتضمّن تأخير المفعول إخلالاً بالدلالة المرادة، فداعي التقديم دفعُ توهّم غير المراد، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِـنْ آلِ فِـرْعَونَ يَكْـتُمُ إيـمانَهُ أتقتُلُونَ رَجُلاً أن يقولَ رَبّيَ اللّهُ﴾[٣].

قُدّم قوله سبحانه: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ علىٰ قوله: ﴿يَكْتُمُ إيمانَهُ﴾ حتّىٰ لايُتوهّم أنّ ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلّق بـ ﴿يَكْتُمُ﴾ ويترتّب علىٰ ذلك إخلال بالمعنى المراد؛ وهو

١. الأنعام: ١٥١.
٢. الإسراء: ٣١.
٣. غافر: ٢٨.

بيان أنّ الرجل من آل فرعون؛ لإفادة ذلك مزيد عناية به، ورعـاية له مـن البـارئ سبحانه؛ إذ جَعَل من آل فرعونَ من يدافع عنه.

٤. أن يتضمّن التأخير إخلالاً بالإيقاع، فيقدّم لرعاية الفاصلة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسىٰ﴾[١].

قدّم في الآية الكريمة الجارّ والمجرور ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ والمفعول لأجله ﴿خِيفَةً﴾علىٰ الفاعل﴿مُوسَىٰ﴾ لرعاية مابعده من الفواصل المختومة بالألف، لتكون الألفاظ على نسقٍ واحد يخلب اللّب، ويأخذ بزمام السمع[٢].

□ ثانياً: أغراض تقديم المفعول به على الفعل

الأصل في الفعل أن يتقدّم على معموله سواء كان هذا المعمول مفعولاً، أو جارّاً ومجروراً، أو ظرفاً، أو حالاً، وهكذا، وقد يقدّم معمول الفعل عليه لأغراض بلاغيّة تستدعيها المقامات ومن ذلك:

١. **إفادة التخصيص**، أي قصر الفعل علىٰ معموله ولايتعدّاه إلىٰ غيره، كما في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣].

أي نخصّك بالعبادة والاستعانة، لانعبد غيرك، ولانستعين به.

فالعبادة والاستعانة مختصّان بالضمير المتقدّم، ويرجّح ابن الأثير ذلك نظراً إلى إفادة مراعاة النظام السجعي الذي هو على حرف النون.

وأمّا الزركشي، فيضيف غرضاً بلاغياً آخر في التقديم وهو العلّة السببية، وذلك لأنّ العبادة سبب حصول الإعانة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وأَمّا ثَمُودَ فَهَدَيناهُمْ فَاسْتَحبُّوا الْعَمىٰ عَلىٰ الْهُدىٰ﴾[٤]، لا علىٰ قراءة

---

١. طه: ٦٧.

٢. انظر: شروح التلخيص، ج٢، ص١٦٣؛ من بلاغة النظم العربي، ج٢، ص٢٨١ و٢٨٢؛ الكافي في علوم البلاغة العربية، المعاني، ص٢١٦ و٢١٧.

٣. الفاتحة: ٥.

٤. فصّلت: ١٧.

نصب ﴿ثَمُودَ﴾ وهو لا يفيد إلّا التخصيص، وذلك لأنّ سبب عدم إفادة التـخصيص تقدير المحذوف المنصوب، وسبب التخصيص تقديره بعده، ولايمكن هـنا تـقدير المحذوف قبله؛ لأنّ المفسّر لكونه بعد ﴿أمّا﴾ يجب أن يتّصل بالفاء والمفسَّر كذلك، وموالاة مدخول الفاء لـ«أمّا» يمتنع صراحة، إذ لايقال: «وأمّا فهدينا ثمود» والمقدّر كالمذكور فيمتنع أيضاً، وإذا امتنع التقدير قـبل المـنصوب وجب بـعده، والتـقدير المتأخّر يفيد التخصيص، كما علمت.

ومنه: «أخاك قابَلتُ» و «مُرتاحاً عُدْتُ» و«فـي المسـجد صـلّيت» و «تـحت الشجرة جلست».

قدّم المفعول (أخاك) والحال (مرتاحاً) ليفيد التركيب القصر.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[١]. قدّم الجارّ والمجرور ﴿بالآخِرَةِ﴾ لإفادة التخصيص.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلىٰ النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهيداً﴾[٢].

أُخِّرَ الجارّ والمجرور بعد ﴿شُهَدَاءَ﴾ في الأوّل؛ لأنّ الغرض إثبات شهادتهم علىٰ الناس، وقُدّم في الثاني على ﴿شُهَدَاءَ﴾ لاختصاصهم بكون الرسولﷺ شهيداً عليهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿بَلِ اللّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾[٣].

إنّما قيل: ﴿بَلِ ٱللّهَ فَاعْبُدْ﴾ ولم يقل: «بل اعبد اللّه»؛ لأنّ المـفعول وهـو لفـظ الجلالة ﴿اللّهَ﴾ إذا تقدّم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال: «بل أعبد» لجاز إيقاع الفعل على أيّ مفعول شاء.

والآية الكريمة سيقت خطاباً للرسول الكريمﷺ في محاججة الكـفّار، وكـيف كانوا يأمرونه بعبادة الأصنام، فأخبر اللّه سبحانه أن يوجّه عبادته إلى اللّه وحده، وأن يجعلها خالصة لوجهه.

١. البقرة: ٤.
٢. البقرة: ١٤٣.
٣. الزمر: ٦٦.

وقوله تعالىٰ: ﴿لاإلى اللّهِ تُحْشَرُونَ﴾[١].

أي لا إلى غيره، قدّم المفعول ـ وهو جارّ ومجرور ـ لإفادة الحصر[٢] كذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إني أُمِرْتُ أنْ أَعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدّينَ * وَأُمِرْتُ لأنْ أكُونَ أوّلَ المُسْلمينَ * إنّى أخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبّى عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ * قُلْ اللّهَ أعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينى﴾[٣].

فقوله تعالىٰ: ﴿أُمِرتُ أنْ أعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدّينَ﴾ إخبار بأنّه مأمور من جهة اللّه تعالىٰ بالإتيان بالعبادة والإخلاص، فلايفيد الحصر.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللّهَ أعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينى﴾ إخبار بأنّه يختصّ اللّه وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدّم المعبود على فعل العبادة، وأخّره في الأولّ، فالكلام أوّلاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أرأيْتُكمْ إنْ أتاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أو أتَتْكُمْ الساعَةُ أغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ * بَلْ إيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إليهِ إنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ ماتُشْرِكونَ﴾[٤].

أي لاغيراللّه تدعون، بل إيّاه تدعون، فالتقديم في الأوّل ليس للاختصاص، وفي ﴿إيّاهُ﴾ للاختصاص، أي بل تخصّونه سبحانه بالدعاء، والتخصيص مستفاد ممّا بعد.

وقول الشاعر:

بيدِ العَفافِ أَصُونُ عِزَّ حِجابي ... وَبِعِصْمَتِي أَسْمُو علىٰ أترابي

قدم الجارّ والمجرور في مطلع الصدر والعجز؛ لإفادة التخصيص.

وقول الشاعر:

إلى اللّه أشكو لا إلى الناسِ حبّها ... ولابدَّ من شكوى حبيبٍ يروَّعُ

---

١. آل عمران: ١٥٨.

٢. إنّ مفهوم الحصر و الاختصاص قد تداخلا عند البلاغين حيث يرى قسم منهم أنّ التقديم المفيد للحصر هو نفسه التقديم المفيد للاختصاص، فهما مصطلحان يعطيان معنىً واحداً و فكرة واحدة.

٣. الزمر: ١١ ـ ١٤.

٤. الأنعام: ٤٠ و ٤١.

٢. الاهتمام بالمتقدّم، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغى رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ﴾[١].

فالسبب في تقديم المفعول هو كونه موضع اهتمام، المُتَمثّل في الإنكـار الذي خرج إليه الاستفهام.

وقوله تعالىٰ: ﴿أفَغَيْرَ دينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فى السَّماواتِ والأرضِ طَـوْعاً وَكَرْهاً وإليهِ يُرْجَعُونَ﴾[٢].

قدّم المفعول به الذي هو (غَيْرَ دِينِ اللّهِ) على فعله؛ لأنّه أهمّ من حيث الإنكار ـالذي هو معنىٰ الهمزة ـ متوجّه إلى المعبود بالباطل.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿أفغيرَ اللّه أبتغي حَكَماً﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أفَغَيْرَ اللّهِ تَأمُرُونى أعْبُدُ أيُّها الجاهِلُونَ﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿فكُلّاً أخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أرْسَلْنا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أخَـذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾[٥].

قدّم المفعول به ﴿كُلّاً﴾ للاهتمام بأمر الاستيعاب والاستغراق، أي كلّ واحد من المذكورين عوقب بجنايته لابعض دون بعض.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُوْلُواْ القُرْبىٰ وَاليَتَامىٰ وَالمسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾[٦].

نجد تقديم المفعول به ﴿القِسْمَةَ﴾ على الفاعل ﴿أولُوا القُرْبىٰ﴾ إذ أنّ مدار الحديث منصبّ عليها وهي المبحوث عنها، فكان الأولى بها أن تتقدّم علىٰ الفـاعل؛ لأنّـها الأهمّ في الذكر، لتكون أمام الحاضرين في اللفظ، كما هي في الواقع.

وهناك جانب آخر هو أنّ في الفاعل تعداداً وتطويلاً لايحسن أن تأتي بعده؛ لأنّها تفقد أهمّيتها، فكان الأولى والأهمّ ذكرها في بداية الحديث.

---

١. الأنعام: ١٦٤.
٢. آل عمران: ٨٣.
٣. الأنعام: ١١٤.
٤. الزمر: ٦٤.
٥. العنكبوت: ٤٠.
٦. النساء: ٨.

ومن هذا النمط قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذينَ كَفَرُوا الملائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبارَهُم وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾[1].

إنّما قدّم المفعول به ﴿الَّذينَ كَفَرُوا﴾ لأنّ الحديث منصبّ عليه، ومايلقى الكافر من أذىٰ ومشقّة عند الموت، وبصبّ العذاب واحتضاره في تلك اللحظة، فكان المقصود تشنيع تلك الحالة، وبيان غلظة عقوبة الذين كفروا.

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلاتَهِنُوا وَلاتَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ * إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بينَ النّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الّذينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُم شُهَداءَ واللّهُ لايُحِبُّ الظالمينَ﴾[2].

فقدّم المفعول به وهو ﴿القَوْمَ﴾ اهتماماً به؛ إذ أنّ الحديث كان عليه.

وقيل: إنّ هذه الآية نزلت في معركة أُحد، حيث أصاب فيها المسلمين أذىً، وُقتِل من قُتِل، وجرح رسول اللّهﷺ، وأنزل اللّه هذه الآية ليواسي بها المسلمين، ويمسح عنهم الحزن والأذى الذي أصابهم.

وكذلك يقدّم المفعول به لينبّه على عظيم خلقه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَالأنعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمنافِعُ وَمِنها تَأْكُلونَ * وَلَكُم فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحونَ وَحينَ تَسْرَحُونَ﴾[3].

وهذا يبدو واضحاً من تكرار الضمائر العائدة إليها:

الأوّل: ﴿خَلَقَها﴾.

والثاني: ﴿فِيهَا﴾.

والثالث: ﴿مِنْهَا﴾.

والرابع: ﴿وَلَكُمْ فِيها جَمَالٌ﴾.

فكان من الطبيعي أن تتصدّر تلك الخواصّ والمنافع لينتبه الناس إلى تلك الفوائد التي ذكرتها الآية الكريمة، وتبقىٰ في الذهن حاضرة، كما هي حاضرة في اللفظ.

---

١. الأنفال: ٥٠.

٢. آل عمران: ١٣٩ و ١٤٠.

٣. النحل: ٥ و٦.

وكقول حاتم الطائي:

أخاك أخاك إنّ من لا أخاً لهُ كساعٍ إلىٰ الهَيْجا بغيرِ سِلاحِ

ونحو «الحقَّ عَرَفْتَ» و«العيشَ الذليلَ أبيتَ» و«العِلمَ لزمْتُ» و«الحياةَ سَئِمْتُ».

وكما في «بسم اللّه» حيث يقدّر العامل مؤخّراً، أي بسم اللّه أفعل كذا بياناً للاهتمام بالاسم الكريم، ومنه إلى جانب ذلك ردّ على المشركين؛ إذ كانوا يبدأون بذكر آلهتهم اهتماماً بأمرها، فيقولون: «باسم اللات» و«باسم العزّىٰ...»[1].

٣. التعجيل بذكر مايتبرّك به، أو يتلذّذ، أو يذكر مايسرّ به أو يساء.

فمثال الأوّل: «محمّداًﷺ زُرتُ» و «قُرآناً كريماً تَلَوْتُ».

ومثال الثاني: «عليّاً رأيتُ» و«هنداً قابلتُ».

ومثال الثالث: «نجاحاً لقيت».

ومثال الرابع: «بشرٍّ منيت».

وإنّما عبّروا بالتعجيل في إفادة هذه المعاني؛ لأنّها تأتي مع التأخير أيضاً.

٤. كون المعمول محطّ إنكار، كقول أبي ذؤيب الهذلي:

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجّعُ والدَهْرُ ليس بمُعْتبٍ من يَجْزَعُ[2]

قدّم الشاعر الجارّ والمجرور «من المنون» وهما معمول الفعل «يتوجّع» لكونهما محطّ إنكار وتعجّب.

وكقول الشاعر:

أكلّ امرئٍ تحسبين امرءاً ونارٍ توقّدُ بالليل ناراً[3]

قدّم المفعول ليفيد أنّ الإنكار مسلّط عليه؛ إذ هو ينكر عليها أنّ الناس في حسبانها متساوون، لافرق بين كامل وناقص، كما أنّه ينكر عليها أنّ كلّ نار في

---

١. و لا يشكل علينا آية ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ بتقديم الفعل على اسم الله؛ لأنّ الأمر بالقراءة فيها أهمّ، إذ هي أوّل ما نزل من القرآن.

٢. ديوان الهذليين، ج ١، ص ١.

٣. البيت لأبي داود جارية بن الحجاج الإيادي في ديوانه، ص٣٥٣؛ الاصمعيات، ص١٩١؛ أمالي ابن الحاجب، ج ١، ص ١٣٤ و٢٩٧؛ خزانة الأدب، ج ٩، ص ٥٩٢، ج ١٠، ص ٤٨١؛ شرح شواهد الايضاح، ص٢٩٩؛ شرح شواهد المغني، ج ٢، ص ٧٠٠؛ مفتاح العلوم، ص ٢٠٥.

زعمها نار كرم وسماحة.

وكما تقول: «أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف؟!».

وكذلك: «أفي الشرّ تسعىٰ وقد جرّبت عواقبه؟!».

فأنت في الأوّل لم تنكر عليه الانخداع؛ إذ هو أمر شائع، وإنّما تنكر عليه أن يكون الانخداع منه بعد طول التجربة، كما لم تنكر عليه في الثاني سعيه، وإنّما تنكر عليه أن يكون السعي منه في الشرّ لا في الخير، وقد عرف وخامة عاقبته، وسوء مغبّته، لهذا قدّم كلاً من الظرف والجارّ والمجرور علىٰ عامليهما؛ إذ هما محطّ الإنكار كما رأيت.

٥. موافقة أو مجاراة كلام السامع، كما تقول: «اللّهَ دعوت» و «بالنبي توسّلت» في جواب: «من دعوت؟» و «بمن توسّلت؟» فتقدّم المعمول ليكون موافقاً مقابلة في كلام السائل.

٦. المحافظة علىٰ الوزن، أو رعاية الفاصلة:

فمثال الأوّل قول الأُقَيْشِر:

سَرِيعٌ إلى ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ ... وليسَ إلىٰ داعي النَّدىٰ بِسَرِيعِ[1]

أي أنّ نزعةَ الشرّ فيه غالبة، فهو إلى الضرّ والأذىٰ أسرع منه إلى الإحسان والخير، فقدّم الجارّ والمجرور ـ «إلى داعي الندىٰ» ـ علىٰ متعلّقه وهو الصفة المشبّهة (سريع) للمحافظة على الوزن، أو مايسمّىٰ بـ«الضرورة الشعرية»[2].

ومثال الثاني قوله تعالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِراعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[3].

---

١. دلائل الاعجاز، ص٩٩؛ مفتاح العلوم، ص٢٦٦؛ الايضاح، ص٣٩؛ معاهد التنصيص، ج٣، ص٢٤٢.

٢. استشهد كثير من علماء البلاغة بهذا البيت على ردّ العجز على الصدر (الصناعتين؛ التلخيص؛ أنوار الربيع) و استشهد صاحب الايضاح بالشاهد في موضعي الحذف ـ أخذاً عن الشيخ عبدالقاهر الجرجاني فيما يبدو ـ ورد العجز على الصدر، وكذلك جاء في شرح أبيات الإيضاح «وكان الشاعر إنّما حذف المسند إليه تطهيراً للسان عنه»، ولعلّ سر الحذف هنا أيضاً ضيق المقام، فالشاعر قد أُهين، ولُطم أمام ملأ من الناس، فثارت فيه الرغبة في الدفاع عن نفسه بأسرع ما يمكن (الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز، ص٤٣٧.

٣. الحاقة: ٣٠ـ ٣٢.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَر * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَر﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْناهُمْ وَلكِنْ كَانُوا أنفُسَهُم يَظْلِمُونَ﴾[٢].

ففي الآية الأُولىٰ قُدّم المفعول ﴿الْجَحِيمَ﴾ على الفعل ﴿صَلُّوهُ﴾ وقدّم الجارّ والمجرور ﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾ على الفعل ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ مراعاة للفاصلة، وكذا في الآية الثانية قُدّم المفعول ﴿الْيَتِيمَ﴾ على الفعل ﴿تَقْهَرْ﴾ والمفعول ﴿السائِلَ﴾ على الفعل ﴿تَنْهَرْ﴾ مراعاة للفاصلة أيضاً، وكذلك في الآية الثالثة.

ويأتي ضمن مبحث تقديم المفعول به تقديم المفعول الثاني؛ لنكتة بلاغية يوجبها سياق الآيات الكريمة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَد آتيْنا مُوسىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أخَاهُ هَارونَ وَزيرَاً﴾[٣].

فجاء تقديم المفعول الأوّل على الأصل.

ولمّا كان من الاهتمام بأمر الوزارة قدّم المفعول الثاني في سورة أُخرىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾[٤].

ومن هذا التقديم ماجاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنا بَنى إسْرَائيلَ الكِتابَ﴾[٥].

ففي هذه الآية جاء تقديم المفعول الأوّل على الأصل؛ إذ أنّ الحديث كان على حملة الكتاب.

وقدّم المفعول الثاني في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمّ أَوْرَثنا الكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِن عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخيراتِ بإذْنِ اللّهِ ذلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبيرُ﴾[٦].

فكان الحديث على الكتاب وعلى أهمّيته؛ لما فيه من التعليم والإرشاد والتوعية، فقدّم ذكره لأهمّيته في هذا السياق.

---

١. الضحىٰ: ٩ و ١٠.
٢. النحل: ١١٨.
٣. الفرقان: ٣٥.
٤. طه: ٢٩ ـ ٣٠.
٥. غافر: ٥٣.
٦. فاطر: ٣٢.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[١].

وأصل الكلام: وجعلوا للّه الجنّ شركاء، فقدّم المفعول الثاني لشدّة الاهتمام به، واستعظام أن يكون للّه شريك؛ سواء أكان جنّاً، أو غير جنّ.

- **المبحث الرابع: تأخير المسند إليه:**

يؤخّر المسند إليه إذا اقتضىٰ تقديم المسند ـ كما وضح فيما سبق[٢]، وينبغي أن يكون مؤكّداً عندنا؛ أنّ التماس دواعي التقديم والتأخير متوقّف على إباحة الاستعمال لكليهما، وتوافر دواعي ترجيح أحدهما على الآخر.

وقد يأتي تأخير المسند إليه رعاية للفاصلة القرآنية، والتي هي الاستراحة في الخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي باين القرآن بها سائر الكلام، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَونَ النُّذُورُ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾[٤].

فجاء تأخير الفاعل رعاية للفاصلة القرآنية، كما أنّ للتأخير حكمة أُخرى وهي أن النفس تتشوّق لفاعل ﴿أَوْجَسَ﴾ فإذا جاء بعد أن أُخّر وقع بموقع.

القسم الثالث: الذكر والحذف

- **المبحث الأوّل: ذكر المسند إليه:**

يذكر المسند إليه لأغراض بلاغية كثيرة، منها:

١. كون ذكره هو الأصل، وليس هناك مايقتضي العدول عنه، كقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٥].

---

١. الأنعام: ١٠٠.
٢. يعني أن تأخير المسند إليه يكون لقيام سبب يقتضي تقديم المسند فيلزم حينئذ تأخير المسند إليه.
٣. القمر: ٤١.
٤. طه: ٦٧.
٥. البقرة: ٢٥٧.

وكقول الشاعر:

الظـلـمُ يـصرعُ أهْـلَـهُ والبَـغْـيُّ مَرْتَـعُـهُ وَخِيمُ

وكما تقول: «هذا أخي»، «وذلك صديقي».

٢. ضعف التعويل على القرينة؛ لأنّها غير واضحة، أو للاشتباه فيها.

فالأوّل وهو أن تكون القرينة غير واضحة، مثاله: أن يذكر المسند إليه في حديث ثمّ تمضي فترة حتى يطول عهد السامع به، فيذكر ثانياً لاحتمال غفلة السامع لطول العهد به.

والثاني مثاله أن يذكر المسند إليه في حديث ثم يحوّل مجرىٰ الحديث الى غيره، فيذكر المسند إليه ثانياً، لئلاً يلتبس الأمر علىٰ السامع، فلايعلم المحدّث عنه علىٰ وجه اليقين، وذلك كأن يكون الحديث عن المتنبّي، ثم يجري الحديث عن شاعر غيره، فإذا ماأردت مدح المتنبّي حينئذ قلت: «المتنبّي من فحول شعراء العربية».

٣. زيادة الإيضاح والتقرير، كقوله تعالىٰ: ﴿أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[1].

ففي تكرير اسم الإشارة زيادة إيضاح وتقرير؛ لتمييزهم بالشرف عن غـيرهم، فكما ثبت لهم الاستئثار بالهدىٰ ثبت لهم الاستئثار بالفلاح[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿... واللّهُ قَديرٌ * وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

---

١. البقرة: ٥.

٢. ولو لم يكرّر وعطف قوله: ﴿هُمُ المفْلِحُونَ﴾ على قوله ﴿عَلَىٰ هُدَىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما كان الأمر بذلك الوضوح، ولربّما فهم اختصاصهم بالمجموع، فيوهم تحقّق كلّ واحد منهما بالانفراد فيمن عداهم؛ إذ مع الحذف لا يتّضح التكرير كمال الاتّضاح.

وإنّما دخل العاطف بين الجملتين؛ لكونهما واقعتين بين كمال الاتّصال والانفصال، لأنّهما وإن تناسبتا، فهما مختلفتان مفهوماً ووجوداً، فإنّ الهدىٰ في الدنيا، والفلاح في الآخرة، وإثبات كلّ منهما مقصود في نفسه، وبهذا فارق قوله تعالى: ﴿أُولٰئِكَ كَالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أولٰئِكَ هُمُ الغَافِلُوْنَ﴾ فالثانية فيه مؤكّدة للأولى؛ إذ لا معنى للتشبيه إلّا بالأنعام المبالغة في الغفلة، فلا مجال للعطف بينهما.

فتكرّر المسندإليه ﴿أُولٰئِكَ﴾ مع كلّ حكم رغم إمكانية الاستغناء عن الذكر في الجملتين اللاحقتين لكلا الآيتين، فمن ذلك ظهر بوضوح أنّ الذكر في قوله تعالىٰ من قبيل إيضاح غرض متعلّق بتكرير المسندإليه، لا من قبيل زيادة إيضاح المسندإليه.

٣. الممتحنة: ٧.

ومن ذلك قول عبدالله بن الدمينة معاتباً صاحبته أمامة:

وَأَنْتِ التـي قَـطَّعتِ قَـلْبي حَـزازةً وَفَـرَّقتِ قَـرْحَ القَـلْبِ وَهُـوَ كَـلُومُ
وَأَنتِ التـي كَـلَّفْتني دَلَـجَ السُّـرىٰ وَجُـونُ القَـطا بـالجَهْلَتين جُـثُومُ
وَأَنْتِ التـي أَحْـفَظْتِ قـومي فَكُـلُّهُم بَعيدُ الرضـا دانـي الصـدُودِ كَـظُومُ[1]

ذكر ضمير محبوبته المسند إليه في كلّ بيت؛ ليزيدها تقريراً وإيضاحاً، وليبيّن أن هذه التي قطّعت قلبه حزازة هي نفسها التي كلّفته دلج السرىٰ، وهي نفسها التي أحفظت قومه عليه، فتكرار «أنت» أفاد اختصاصها بكلّ من تقطيع قلبه، وتكليفه دلج السرىٰ، وإحفاظ قومه عليه.

فأجابته أمامة على وزنها ورويها:

وَأَنْتَ الذي أَخْـلَفْتَني مـاوَعَدْتني وَأَشْمَتَّ بي مَـنْ كـانَ فـيكَ يَـلُومُ
وأَبْـرَزْتَني للـناس ثُـمَّ تَـرَكْـتِني لَـهُم غَـرَضاً أُرْمـىٰ وأنْتَ سَـليمُ
فلو أنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الجِسْمَ قَـدْ بَـدا بِجِسْمِيَ مِـنْ قـولِ الوُشَـاةِ كُـلُومُ

كما أنّ صاحبته هي الأُخرىٰ قد ذكرت ضمير صاحبها في أوّل الأبيات؛ لكي تسند إليه تلك الأفعال في صورة واضحة ومؤكّدة، وهي أنّه أخلف ماوعدها به، وأنّه أشمت بها اللوّام، وأنّه كشف أمرها للناس، ثمّ تركها غرضاً لألسنتهم[2].

ومن زيادة الإيضاح والتقرير قول الرسول الأكرمﷺ: «ألا إنَّ سِلْعَةَ اللّهِ غاليةٌ، ألا إنّ سِلْعَةَ اللّهِ الجنّةُ».

٤. بسط الكلام، حيث يكون إصغاء السامع مطلوباً للمتكلّم؛ لجلال مقامه، أو لقربه من قلبه، كما في الآية: ﴿وَما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾[3].

كان يَكفيه في الجواب أن يقول: «عصا» ولكنّه ذكر المسند إليه لبسط الكلام في

---

١. ديوانه، ص٤٢.
٢. الابيات لمعشوقة ابن الدمينة في ديوانه، ص٢٤؛ ولاميمة امرأتـه فـي الاغـاني، ج١٧، ص٥٣؛ شـرح ديـوان الحماسة للمرزوقي، ص١٣٨١؛ مفتاح العلوم، ص٢٧١؛ البيان والتبيين، ج٣، ص٣٧٠؛ الحيوان، ج٣، ص٥٥؛ مغني اللبيب، ج٢، ص٥٠٤؛ البلاغة الصافية، ج٢، ص٤٢ – ٤٣.
٣. طه: ١٧ و١٨.

هذا المقام حيث يريد أن يطيل في مناجاته لربّه، ليزداد بذلك شرفاً وفضلاً، لذلك زاد على الجواب المطلوب أيضاً: ﴿أتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[1].

٥. إظهار التعظيم للمسند إليه، إذا كان اللفظ ممّا يفيد معنى التعظيم، كأن يسألك شخص: «هل رجع عليّ؟» فتقول: «رجع الشجاع المقدام».

ونحو: «نعم، قُتِل الشاعر الكبير» في جواب من قال: «هل مات الشاعر المتنبي؟».

ونحو قولك: «القهّار يصون عباده»، فتذكر المسند إليه «القهّار» ولفظَ «القهار» بالذات لعظم هذا الاسم.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إنّ هذَا الْقرآن يُهْدِي لِلّتي هِيَ أقْوَمُ﴾[2].

قصد فيه تعظيم المسند إليه ـ وهو القرآن الكريم ـ بالقرب، تنزيلاً لقربه من النفس منزلة قرب المسافة، ولهذا عبّر عنه باسم الإشارة الموضوع للقريب تحقيقاً للغرض.

٦. إظهار تحقيره، نحو: «حضر السارق اللئيم أمام المحكمة» في جواب من قال: «هل حضر فلان أمام المحكمة؟».

قال مروان بن أبي حفصة:

بنو مَطَرٍ يَومَ اللّقاءِ كَأنّهُمْ ... أُسُودٌ لَها في غيلِ خَفّانَ أشْبُلُ[3]
هُمُ المانِعُونَ الجارَ حَتّىٰ كَأنّما ... لجارٍ هُمُ فَوْقَ السّماكينِ مَنْزِلُ
هُمُ القومُ إنْ قالُوا وإنْ دُعُوا ... أجابُوا وإنْ أَعْطَوْا أطابُوا وأجْزَلُوا[4]

وقوله تعالىٰ: ﴿فذٰلِكَ الّذي يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾[5].

---

١. طه: ١٨. انظر: المطول، ص٢١٣؛ الايضاح، ج٢، ص٨.
٢. الإسراء: ٩.
٣. ديوانه، ص٢٥٧؛ مفتاح العلوم، ص٢٨٠؛ التبيان، ج١، ص١٤٨؛ الايضاح، ص٥٠.
٤. الشعر و الشعراء، ج٢، ص٧٦٥؛ التذكرة الفخرية، ص٤٥٤ ـ ٤٥٥؛ التبيان، ص٥٦، و«خفّان» موضع قرب الكوفة و«أطابوا» أعطوا الطّيب.
٥. الماعون: ٢.

قصد به تحقير المسند إليه ـ وهو الذي يدعّ اليتيم ـ بالبعد؛ تنزيلاً لبعده عن ساحة عزّ الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة.

٧. **التيمّنُ والتبرّك بذكره**، نحو «نَعَمْ، علىٰ نبيّنا عليه الصلاة والسلام هبط الوحي» في جواب من قال: «هل هبط علىٰ نبيّكم الوحى؟».

وكجوابك علىٰ من سألك: «هل اللّه يرضي هذا؟» فتقول: «نعم، اللّه يرضاه».

٨. **إظهار التعجّب منه**، وذلك إذا كان الحكم غريباً يندر وقوعه، نحو قولك: «نعم، أنا قاتل الأسد» في جواب من قال: «هل أنت قاتِلُ الأسد؟».

٩. **التنبيه علىٰ غباوة السامع؛ وأنّه لايفهم إلّا بالتصريح**، أي يذكر المسند إليه مع العلم بأنّ السامع فاهم له بالقرينة؛ لأجل تنبيه الحاضرين ومن هو مقصود بالسماع، كما تقول لسامع «القرآن كلام اللّه» لأنّه لن يُدْرِك ذلك. أو كقول البائع مثلاً للمشتري: «التفّاح بعشرين فلساً».

١٠. **التسجيل على السامع حتّىٰ لايتأتّىٰ له الإنكار**، كما يقول القاضي للشاهد: «هل أقَرَّ زيد بأنّ عليه لعمرو كذا؟» فيقول الشاهد: «نعم، زيدٌ أقرَّ بأنّ عليه لعمرو كذا» فلايقع التباس، ولايجد المشهود عليه سبيلاً للإنكار.

وكقول الفرزدق يمدح الإمام زين العابدين عليه السلام حين أنكر هشام بن عبدالملك معرفته:

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللّه كُلِّهِمُ   هذا التّقيُّ النّقيُّ الطاهِرُ العَلَمُ[1]

فذكر المسند إليه «هذا» وكان يمكن حذفه؛ لوجود القرينة الدالّة عليه، وذلك للتسجيل على السامع حتّىٰ لايتأتّى له الإنكار، فقد روي أنّ الإمام طاف يوماً بالبيت فالتفّ الناس حوله، فرآه هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي، فسأل عنه متجاهلاً إيّاه، فأنشد الفرزدق هذه الأبيات للتسجيل علىٰ هشام، ودفعاً لإنكاره وتجاهله.أو لينبّه على غباوة هشام، وأنّها قد زادت حتّىٰ أصبح لا يفهم المحسوسات التي يشار إليها إلّا إذا تأكّدت بالتكرار.

---

١. من بلاغة النظم العربي، ج ١، ص١٣٦.

١١. التلذّذ بذكره، ويكثر ذلك في النسيب، والرثاء، والمديح، فمنه في النسيب قول قيس الملوّح:

ألا ليتَ لُبْنى لمْ تكن لي خلّة ... ولمْ تلقني لبُنىٰ ولمْ أدرِ ماهيا

ومنه في الرثاء قول الخنساء:

وإنَّ صَخْراً لكافينا وَسَيْدنا ... وإنّ صَخْراً إذا نَشْتُو لَنَحّارُ
وإنَّ صَخْراً لتأتمُّ الهُداةُ بِهِ ... كأنّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نارُ[1]

ومنه في المديح قول الأخطل:

ألا أيّها الساعي ليدركَ خالداً ... تناة وأقصِرْ بعضَ ما أنتَ تفعلُ
فهلْ أنتَ إن مدّ المدىٰ لكَ خالدٌ ... مُوازِنُهُ أو حاملٌ مايحملُ

١٢. الإرهاب والتخويف، كقولك مثلاً: «أمير المؤمنين يأمرك بكذا» أو «عميد الكلّية قرّر فصل كلّ من يحاول الغشّ» وقد يكون في ذلك مايدعو إلى الطاعة والامتثال.

١٣. إظهار التعجّب من المسند إليه؛ وإذا كان الخبر غريباً، مثل: «محمّد يقاوم الأسد» أو «محمّد يحمل كذا طنّاً من الحديد» أو «فلان عبر المحيط».

● المبحث الثاني: حذف المسند إليه:

يحذف إذا دلّ عليه دليل من اللفظ أو الحال، ويترجّح حذفه إذا كان:

أ) مبتدأ. يحذف المسند إليه المبتدأ لدواع منها:

١. *الاحتراز من العبث*، وذلك بترك مالاضرورة لذكره ممّا يكسب الكلام قوّة وجمالاً، كما في جواب الاستفهام، نحو: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[2].

أي هي نار حامية.

---

١. ديوانها، ص٣٨٦؛ جمهرة اللغة، ص٩٤٨؛ تاج العروس (صخر)؛ مقاييس اللغة، ج٤، ص١٠٩؛ الاشارات والتنبيهات، ص١٢٧.
٢. القارعة: ١٠ـ١١.

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاالحُطَمَةُ * نَارُ اللّهِ المُوقَدَةُ﴾[١]، أي هي نار اللّـه الملتهبة التهاباً شديداً.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَابُ اليَمِينِ مَاأَصْحَابُ اليَمِينِ * في سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾[٢].

أي هم في سدر مخضود، وطلح منظود.

ونحو: «النجاح» جواباً عن سؤال: «ماهي نتيجتك؟».

ومنه قولك: «حضر الجلسة» تريد الرئيس، إذا كانت هناك قرينة قائمة علىٰ أنّ الرئيس قد حضرها.

٢. *بعد الفاء المقترنة بالجمل الاسمية الواقعة جواباً للشرط*، نحو قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْها﴾[٣].

أي فعمله لنفسه، وإساءته عليها.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[٤].

أي فهو يؤوس قنوط.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[٥].

أي فهو طلّ.

وقوله تعالى: ﴿وإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فإخْوَانُكُمْ﴾[٦].

أي فهم إخوانكم.

٣. *إخفاء الأمر عن غير المخاطب*، كما تقول: «انتهت» أي المسألة المعهودة بينكما.

٤. *بعد القول*، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُملَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٧].

---

١. الهمزة: ٥ـ٦.
٢. الواقعة: ٢٧ و٢٨.
٣. فصلت: ٤٦.
٤. فصلت: ٤٩.
٥. البقرة: ٢٦٥.
٦. البقرة: ٢٢٠.
٧. الفرقان: ٥.

أي قالوا: «القرآن أساطير الأوّلين».

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ فِـرْعَوْنُ وَمـا رَبُّ العَـالَمِينَ * قَـالَ رَبُّ السَّـماواتِ وَالأَرْضِ وَمَابَيْنَهُما إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٢].

أي يقولون: هم ثلاثة، ويقولون هم خمسة، ويقولون هم سبعة.

وكقول مجنون ليلىٰ:

يـــقولونَ مـــجنونٌ تَـهيمُ بـحبِّها وأُقْسِمُ مابيَ من جُنُونٍ ولاسِـحْرِ

٥. *أن يقصد تخييل العدول إلى أقوىٰ الدليلين من العقل واللفظ*، كقولنا: «قائم» في جواب «كيف زيد»؟ فحذفنا المسند إليه، والتقدير: زيد قائم، وكان حذف المسند إليه فيه تخييل العدول إلىٰ أقوىٰ الدليلين؛ لأنّك لو قلت: «زيد قائم» أو «هو قائم» مثلاً، لكان الكلام دالاًّ علىٰ المسند إليه بلفظه. ولو قلت: «قائم» فحذفت المسند إليه لعرفه المتلقّي بالعقل الذي يفهم أنّ السؤال كالمعاد في الجواب.

فالدليلان هما: دليل العقل، ودليل اللفظ، وأقواهما دليل العقل؛ لأنّ دلالته معنوية، وعمل العقل من مميّزات اللغة[٣].

٦. *حين يبدأ المتكلّم بذكر شيء، فيقدّم بعض أمره*، ثمّ يدع الكلام الأوّل، ويستأنف كلاماً آخر، كما في قول أبي الأسود الدؤلي يمدح عمراً بن سعيد:

سَـــأَشْكُرُ عَـمْراً إنْ تـراخَتْ مَـنِيَّتي أيـــادِيَ لَـمْ تَـمْنُنْ وإنْ هِـيَ جَـلَّتِ

فتىً غيرُ مَحْجُوبِ الغِنىٰ عَنْ صَديقِهِ ولا مُظْهِرُ الشكـوىٰ إذا النَـعْلُ زَلَّتِ[٤]

ففي البيت الثاني المستأنف حذف المسند إليه «هو» والتقدير: هو فتىٰ، وواضح

١. الشعراء: ٢٣ـ٢٤.

٢. الكهف: ٢٢.

٣. من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٢٧.

٤. مفتاح العلوم، ص٢٦٦؛ الإيضاح، ص٤٠ و٣٠٠؛ شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري، ج٢، ص٨٨٢؛ التبيان، ص٥٥؛ معاهد التنصيص، ج٣، ص٣٠٣؛ الكامل، ج١، ص٢٧٩.

أنّ الغرض من حذفه التعظيم والإيجاز، والأولىٰ أن يدلّ علىٰ هذا الرجل العظيم بصفاته الكريمة، فقد وصفه بالبذل والسخاء والوفاء لأصدقائه، ثم وصفه بالحزم والرجولة والقوّة.

وكقول أبي الطحّان القيني:

أضاءَت لَهُمْ أحْسابُهُم وَوُجوهُهُم ... دُجىٰ الليل حتّىٰ نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ

نُجُومُ سَماءٍ كُلّما أنْقَضَّ كوكبٌ ... بَدا كوكبٌ تَأوِي إليهِ كواكِبُه[١]

فحذف المسند إليه، إذ التقدير: هم نجوم سماء، وبلاغته أنّ الشاعر رأى من عظمة هؤلاء الناس أن يطوي ذكر ضميرهم، ويدلّ عليهم بصفاتهم، كما أنّ في البيت إيجازاً ومحافظة علىٰ الوزن.

٧. ***إذا كان المسند معيّناً للمسند إليه منحصراً فيه حقيقة***، نحو قوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾[٢].

فعَالِمُ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو، ولأنّ هذا الخبر لايكون إلّا له سبحانه جاء الكلام علىٰ الحذف، وفي ذلك قوّة ودلالة علىٰ الوحدانيّة والجلال.

وكقوله سبحانه: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيّتِ وَيُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ وَيُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[٣].

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «شُغِلَ من الجنّة، والنارُ أمامَهُ، ساعٍ سَرِيعٌ نجا، وطالِبٌ بطيءٌ رجا، ومُقَصّرٌ في النار هوىٰ...».

المسند إليه محذوف ودلّ عليه سياق الكلام، تقديره: الناس أصناف ثلاثة: ساع سريع نجا، وطالب...

وإنّما نكّر الخبر للدلالة علىٰ الأشخاص، أي كون الناس منحصراً أفراده في

---

١. مفتاح العلوم، ص٢٦٧؛ الايضاح، ج٢، ص٦ (تحقيق: خفاجي)؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٠٠؛ التبيان، ص٥٥؛ التذكرة الفخرية، ص١١١؛ الشعر والشعراء، ج٢، ص٧١١؛ حماسة أبي تمام، ص٥٢٢ وفيه (غاب) مكان (انقض). ديوان المعاني، ص٢٣؛ الحيوان، ج٣، ص٩٣؛ قواعد الشعر، ص٤٥.

٢. الرعد: ٩.

٣. الروم: ١٩.

ثلاثة أشخاص لايعنيهم، ومجيء الفعل الماضي بعد سريع وبطيء؛ دلالة على التمكّن في السعي والسرعة بالاعتقاد، ولم يأتِ في القسم الثالث بوصف غير التقصير؛ ليدلّ على أنّ مجرّد التقصير يوجب الدخول في النار.

٨. *ضيق المقام عن إطالة الكلام*؛ بسبب مرض، أو ضجر، وغير ذلك كما في قول الشاعر:

قال لي كيفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ عَليلٌ سَهَرٌ دائِمٌ وَحُزْنٌ طَويلٌ[١]

أي أنا عليل، وحالي سهر دائم، وقد حذف المسند إليه في شطري البيت؛ لضيق المقام[٢].

ومن الحذف لضيق الصدر قوله تعالىٰ: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[٣].

أي: أنا عجوز، فحذف المسند إليه لما تحسّه من ضيق صدرها من الإطالة في الكلام بسبب ماانتابها من العقم، ومالحقها من الكبر.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلّىٰ بِرُكْنِه وَقالَ ساحِرٌ...﴾[٤].

والتقدير: وقال هذا ساحر، فحذف المسند إليه لضيق المقام لما أصاب فرعون من الهلع حين رأى الآيات.

أو لخوف من فوات الفرصة، كقولك: «غزال» لصيّاد تنبّهه وأنت تريد: «هذا غزال» أو قولك: «ثعبان» لمن تحذّره وأنت تريد: «هذا ثعبان».

أو من ينبّه فرق الإنقاذ: «غريق» «حريق» وهو يريد: «هذا غريق» «هذا حريق».

ونحو قولك: «مشغول» حين يقول لك صديق لك: «أنراك الليلة؟» ولم تردّ بـ«أنا

١. مفتاح العلوم، ص١٧٦؛ دلائل الاعجاز، ص٢٣٨؛ الايضاح، ص٣٨؛ المطول، ص١٨٦؛ شرح المختصر، ج١، ص٦٣؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٠٠؛ التبيان، ص٥٤.

٢. جمع في حذف المسندإليه في هذا البيت ثلاث علل بلاغية، هي: ضيق المقام، والاحتراز عن العبث، وتخييل العدول إلى أقوى الدليلين، والنكت البلاغية لا تتزاحم، كما يقول البلاغيون.

٣. الذاريات: ٢٩.

٤. الذاريات: ٢٩.

مشغول» أو «أنا مشغول الليلة» تضجّراً.

٩. *تيسير الإنكار عند الحاجة*؛ وذلك لأنّه قد تدعو الحاجة إلى التكلّم بشيء ثمّ تدعو الحاجة إلى إنكاره، كقولك عن شخص: «جاهل مغرور» فلو سمّيته وقلت: «زيد جاهل مغرور» لقام عليك دليل بهذا التصريح، ولم تستطع إنكاره.

ونحو قولك: «فاجر لايتّقي اللّه»، ونحو: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[١] إذا قامت القرينة علىٰ أنّ المراد خالد مثلاً.

١٠. *تعجيل المسرّة بالمسند*، نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلّا ساعَةً مِنْ نَّهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾[٢]، أي هذا بلاغ.

ونحو: «دينار» أي هذا دينار، فحذف المسند إليه؛ لأنّ المتكلّم يريد أن يدخل السرور على قلب المتكلّم.

١١. *للتحقير*، كقوله تعالىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[٣]، والتقدير: «هم صم».

وكقول النابغة:

لإن كنتَ قدْ بلّغتَ عنّي وشايةً ... لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ

١٢. *اتّباع الاستعمال الوارد على حذف المسند إليه*، وذلك كما في الأمثال الواردة قولهم: «رَمْيَةٌ من غير رام»[٤] يقصدون: هي رمية موفّقة ممّن لايحسن الرمي، فإذا ماقلنا: هذا القول في إنسان قد وفّق في عمله عفو الخاطر، ولكنّه ليس أهلاً لمثل هذا التوفيق كان هذا القول مطابقاً لمقتضى حاله.

ومثل قولهم: «شنشنة أعرفها من أخزم»[٥]، أي هي شنشنة، يقال لمن أتى بفعل

---

١. القلم: ١١.

٢. الأحقاف: ٣٥.

٣. البقرة: ١٨.

٤. مثل يضرب لمن صدر منه فعل ليس هو أهلاً لأن يصدر عنه.

٥. أصله أنّ أبا أخزم الطائي كان ابنه أخزم يؤذيه فمات أخزم و خلّف أولاداً كانوا على نفس سريرة أبيهم، وثبو على جدّهم يوماً فضربوه، فقال لهم أبوأخزم: «شنشنة أعرفها من أخزم» و الشاهد أنّه حذف فيه المسندإليه اتّباعاً للاستعمال الأوّل الوارد على تركه حيث إنّ أبا أخزم حذفه. انظر: طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٧١٢ المطول (تحقيق عناية)، ص١٨٦، و(تحقيق هنداوي)، ص٢١٢.

قبيح سبقه أحد من أهله.

و«قضيّة ولا أبا حسن لها»[١]؛ أي هذه قضيّة.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنّا مُؤْمِنينَ﴾[٢].

أي لولا أنتم موجودون.

١٣. *ومنه قولهم في النعت المقطوع إلى الرفع ـ لقصد إنشاء المدح، أو الذم، أو الترحم*، كقول ابن عنقاء يمدح عميلة وقد شاطره ماله لفقره:

رآني على مابي عـميلةُ فـاشتكىٰ ... إلى مـالهِ حـالي أسـرّ كـما جَـهر

دعاني فآسـاني ولو ضَـنَّ لمْ أَلُـمِ ... علىٰ حينِ لابد ويرجى ولا حـضرِ

غـلام رمـاه اللّـه بـالخير يـافعاً ... له سـيماء لاتشـقّ عـلىٰ البـصر[٣]

أي هو غلام.

ونحو: «الحمد للّه أهلُ الحمدِ» بضمّ لام «أهلُ» قاصداً إنشاء المـدح، وتـقدير الكلام علىٰ هذا الوجه: الحمد للّه، هو أهل الحمد.

ونحو: «أعوذ باللّه من الشيطان الرجيمُ» بضمّ الميم قاصداً إنشاء الذمّ، وتـقدير الكلام على هذا الوجه: أعوذ باللّه من الشيطان، هو الرجيم.

ونحو: «اللّهم ارحم عبدك المسكينُ» بضمّ النون قاصداً إنشاء الترحّم، فتحذف في هذه الأمثلة المسند إليه اتّباعاً للاستعمال الوارد من العرب على ترك نظائر الذي حذفته في القسم الأوّل.

ثمّ إن الفرق بين الاتباعين من وجهين:

الوجه الأوّل: أنّ الكلام بل المسند إليه في الأوّل واحد في كلا الاستعمالين حيث إنّك تقول: «رمية من غير رامٍ» تستعمله في معناه الحقيقي، فـتكون كـلمة «هـذه»

---

١. يقال في الأمر الصعب الذي لا يجد من يحلّه.

٢. سبأ: ٣١.

٣. «اشتكى حاله إلى ماله» كناية عن أنّه رقّ له و عطف، و هو من أروع الكنايات و الطفها، و قوله: «أسرّ كما جهر» يريد أنّ باطنه كظاهره، فلم يعطه رياء، بل كان عطفه عليه وليد رغبة صادقة فيه، و«يافعاً» من أيفع الغلام إذا ناهز العشرين، و«السيماء»: العلامة، يريد أنّ سيماءه في وجهه، و أنّ ما ينطوي عليه من خير يدرك بمجرّد النظر إليه.

المقدّرة إشارة إلى صنيعة مطعم صاحب المثل، على الرغم من أنّ مـرادك الجـدّي على نحو الكناية هو تفهيم أنّ هذا الفعل الذي صدر من هذا الشخص كان غير متوقّع منه بخلاف الاتّباع الثاني، فإنّ الكلام ـ فضلاً عن المسند إليه ـ متعدّد؛ فإنّ قولك: «الحمد للّه أهلُ الحمد» غير قولهم: «مررت بزيد الكريم» والمسند إليه المحذوف في كلامك راجع إلى اللّه، وفي كلامهم راجع إلى زيد.

الوجه الثاني: أنّ الاستعمال الأوّل في الأوّل لايجب أن يكون قـياسياً، بـل لك الاتّباع وإن كان سماعياً حيث إنّك تذكر نفس الكلام الذي سمع بخلاف الثاني، فإنّ الاستعمال الأوّل فيه لابدّ أن يكون قياسياً؛ إذ المفروض فيه أنّك تـذكر كـلاماً لم تسمع شخصه من العرب، بل سمعت نظيره، فكلامك لايصحّ إلّا أن يكون ماسمعته من النظير قياسياً، أي في كلام مشتمل على الرفع للمدح، أو الذمّ أو الترحّم؛ لما فيه من النكات البلاغية التي ذكرناها سابقاً، كزيادة إيقاظ السامع؛ وتحريك رغبته في الاستماع، والمبالغة في المدح، أو الذمّ، أو الترحم.

١٤. تكثير *الفائدة*، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[١].

أي فأمري صَبْرٌ أجمل، أو فصبر جميل أجلّ بي وأولى.

وفي التقدير الأخير يكون المحذوف الخبر، أي المسند، وقد تحقّقت كثرة الفائدة باحتمال أكثر من تقدير واحد.

وقوله تعالىٰ: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾[٢].

أي يطلب منكم طاعة معروفة، أو أمركم طاعة معروفة[٣].

أمثلة قرآنية أخرى حول حذف المسند إليه:

١. قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حطَّةٌ نَغْفر لَكُم خَطاياكُم﴾[٤].

أي مسألتنا حطّة وهي فعلة من الحطّ (كالجلسة)، والأصل النصب بمعنىٰ: حطّ

---

١. يوسف: ١٨.
٢. النور: ٥٣.
٣. مفتاح العلوم، ص٢٦٧ و٣٠٧.
٤. البقرة: ٥٨.

عنّا ذنوبنا حطّة، والنكتة في رفعها وحذف المبتدأ أنّها تعطي معنى الثبات.

٢. قوله تعالى: ﴿وإنْ كَانَ ذو عُسْرَة فَنَظِرَةٌ إلىٰ مَيْسَرَة﴾[١].

أي فالأمر أو الحكم نظرة، حذف المبتدأ؛ لأنّ الكلام موجّه إلى بيان الخبر ليتلقّى بما ينبغي أن يتلقّى به من الامتثال والقبول.

٣. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فإنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّم﴾[٢].

أي فجزاؤه أنّ له نارجهنّم، وقد حذفالمسند إليه لكمال العناية بالمسند.

٤. قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضىٰ﴾[٣].

أي ولأنت سوف يعطيك ربّك، حذف المبتدأ؛ لأنّ الخبر هو المقصود بالكلام ولكمال العناية به.

ب) فاعلاً، يحذف المسند إليه الفاعل لدواعٍ، منها:

١. حين لا يحقّق ذكره غرضاً معيّناً، كقوله تعالىٰ: ﴿إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيماناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤].

فليس هناك غرض يتحقّق من ذكر الفاعل، فأيّ ذاكر أو تالٍ، وكما في قول الفرزدق يمدح الإمام زين العابدين:

يُغْضي حياءً وَيُغْضِىٰ من مهابَتِهِ فَلا يُكَلَّمُ إلّا حينَ يَبْتَسمُ

فالفعلان المبنيان للمجهول لايعنيان منهما أن نعرف الفاعل المغضي والمتكلّم.

٢. *الإيجاز والاختصار*، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَإنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[٥].

فقد حذف الفاعل هنا، ولم يقل: «بما عاقبكم الناس به».

٣. حين يكون *معلوماً*، فيحذف ويقيم مقامه المفعول به، فيصبح نائب فاعل،

---

١. البقرة: ٢٨٠.
٢. الجنّ: ٢٣.
٣. الضحىٰ: ٥.
٤. الأنفال: ٢.
٥. النحل: ١٢٦.

كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[١].

أي قضيتم الصلاة.

ومثله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[٢]، أي كتب اللّه عليكم.

وقوله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٣]؛ فإنّ الخالق تبارك وتعالىٰ لايُماري فيه عاقل.

٤. حين يكون *هذا الفاعل مجهولاً*، كأن ترىٰ الباب قد فتح ولا تعلم فاتحه، فتقول: «فتح الباب».

وكقول المرقش الأكبر:

إن تبتدرْ غايةٌ يوماً لمكرمةٍ ... تلقَ السوابقَ منّا والمصلّينا

وقول الشاعر:

وإنّي رأيتُ البخلَ يزري بأهلِه ... فأكرمتُ نفسي أنْ يقالَ بخيلُ

٥. تعيّنه بالعهدية، أي أن يكون المسند اليه معهوداً بين المتكلّم والمتلقّي، نحو قوله تعالىٰ: ﴿واسْتَوَتْ عَلَىٰ الجُودِيّ﴾[٤]، أي السفينة، وهي معهودة في الكلام المتقدّم.

وكقوله تعالىٰ: ﴿حَتّىٰ تَوَارَتْ بالحِجَابِ﴾[٥]، أي الشمس.

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبي، فهو الذي يوحي إليك بما في القول من بلاغة وحسن بيان.

٦. *حين يُخاف من الفاعل، أو يُخاف عليه*، كقولك: «قُتِلَ فلان» لم تسمّ القاتل خوفاً منه، أو عليه.

وحذف المسند إليه الفاعل في الأمثلة السابقة يُعدّ حذفاً للمسند إليه الحقيقي وإن كان المسند إليه اللفظي ـ وهو نائب الفاعل ـ مذكوراً.

---

١. الجمعة: ١٠.

٢. البقرة: ٢١٦.

٣. الأنبياء: ٣٧.

٤. هود: ٤٤.

٥. ص٣٢.

٧. *كون المسند إليه لايصلح إلّا له*، مثل: «انتهت فلا رادّ لها»، كقولك ذلك حين تكون في حديث عن الحياة والموت وهنا عندما تقول: «انتهت» تعني انتهت الحياة طبعاً.

ونحو: «يرزق من يشاء بغير حساب».

ولاشكّ أنّ فاعل هذه الجملة ـ المسند إليه ـ والمحذوف ـ هو لفظ «اللّه» تعالىٰ.

٨. *تعظيمه*، كقوله تعالىٰ: ﴿وَالّذينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْـزِلَ إلَـيْكَ﴾[١]، وهـذا أدلّ عـلىٰ كبرياء المنزل وجلاء شأنه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَغِيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأمْرُ﴾[٢].

٩. *مناسبة الفواصل*، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَالأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجزىٰ﴾[٣].

ولم يقل: «يجزيها».

١٠. *مناسبة ما تقدّمه*، كقوله تعالىٰ: ﴿رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخوالِفِ وَطُـبِعَ عَـلىٰ قُلُوبِهِم فَهُمْ لايَفْقَهُونَ﴾[٤]، لأنّ قبلها: ﴿وإذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾[٥] علىٰ بناء الفعل للمفعول، فجاء قوله: ﴿وَطُبِعَ﴾ ليناسب بالختام المطلع، بخلاف قوله فيما بعدها: ﴿وَطَبَعَ اللّه علىٰ قُلُوبِهِم فَهُمْ لايَعْلَمُونَ﴾[٦]، فإنّه لم يقع قبلها مايقتضي البناء،فجاء على الأصل.

١١. *وقد يحقّق حذف المسند إليه بعض الأغراض الأخرىٰ*، مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾[٧].

فحذف المسند إليه (النفس) وفي ذلك إشارة إلى أنّها إذا وصلت الحلقوم فإنّها تنذر صاحبها بترك الحياة، وأنّه أصبح أثراً بعد عين.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَغَلَبُوا هُنالِكَ وَانقَلَبُوا صاغِرينَ﴾[٨].

---

١. البقرة: ٤.
٢. هود: ٤٤.
٣. الليل: ١٩.
٤. التوبة: ٨٧.
٥. التوبة: ٨٦.
٦. التوبة: ٩٣.
٧. الواقعة: ٨٣.
٨. الأعراف: ١١٩.

وفي ذلك إشارة إلى أنّ الفاعل الحقيقي هو اللّه سبحانه، وليس موسى، وإلّا كان أُسند إليه.

ويحذف المسند إليه لقصد المحافظة على الوزن، أو السجع، أو القافية.

فمثال الأوّل قول الشاعر:

علىٰ أنّني راضٍ بـأن أحـملَ الهـوىٰ وأخـــرجَ مـــنهُ لا عَـــلَيَّ ولا لِـيا[1]

أي لا عليَّ شيء، ولا لي شيء، فحذف المسند إليه فيهما ـ وهو لفظ «شي» ـ محافظة على وزن البيت.

ومثال الثاني قولهم: «مَنْ كَرُمَ أصْلُه وُصِلَ حَبْلُه»، والتقدير: وَصَل الناس حَبْلَهُ، ولكنّهم حذفوا المسندإليه الأصلي وهو الفاعل محافظة علىٰ السجع.

ونحو: «مَنْ طَهَّر قَلبَهُ فُرِّجَ كربُهُ»، أي فرّج اللّه كربه.

ونحو: «من طابت سَريرَتُهُ حُمِدَت سيرته»، أي حمد الناس سيرته.

ومثال الثالث قول لبيد:

وما المـالُ والأهْـلُونَ إلّا ودائِـعٌ وَلابُدَّ يَوْمـاً أن تُـرَدَّ الودائِـعُ[2]

يقصد أن يردّ الناس الودائع، فحذف المسندإليه؛ محافظةً منه على القافية، ولولا ذلك لصارت منصوبة، والقافية في القصيدة كلّها مضمومة لا مفتوحة.

وممّا يكاد يطرد في حذف المسند إليه توجيه المخاطب لنفس الحدث، ونجد هذا في مشاهد يوم القيامة، كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ * وَحُمِلَتْ الأرْضُ والجبال فَدُكَّتا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً﴾[4].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[5].

---

١. البيت للمجنون، انظر ديوانه، ص٢٩٧؛ الاشارات والتنبيهات، ص٢٠٧؛ من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٣١؛ البلاغة الصافية، ج٢، ص٣٩.

٢. من بلاغة النظم العربي، ج١، ص١٣١؛ البلاغة الصافية، ج٢، ص٣٩.

٣. الحاقة: ١٣ و١٤.

٤. الزمر: ٧١.

٥. الفجر: ٢٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم إلىٰ الجَنَّةِ زُمَراً﴾[١].

فنرى أنّ المسند إليه قد حذف في جميع هذه الآيات؛ ذلك لأنّ الذي يريده القرآن توجيه الناس إلى هذه الأحداث العظام، دون أن يشغلوا بمن فعل هذه الأفعال، فأيّاً كان النافخ في الصور، وأيّاً كان الذي يدكّ الأرض ويبدّلها، وكيف تجيء جهنّم، وكم من ملك يجيء بها؟ كلّ هذا نجده لايُذكر في الآيات الكريمة؛ إذ ليس هناك كبير هدف يتحقّق بذكره.

وربّما نجد هذا في بعض الأحداث العظيمة، وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ ياأَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِىَ الأمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَومِ الظَّالِمينَ﴾[٢].

- **المبحث الثالث: ذكر المسند:**

يذكر المسند لأغراض بلاغية كثيرة منها:

١. *زيادة التقرير*، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ سَالْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾[٣،٤].

ذكر المسند ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ مع إمكان تركه لزيادة تقرير خلق السماوات والأرض، وللتسجيل عليهم، وبيان سفاهتهم وعدم جدوى مايعبدون.

٢. *كون ذكره هو الأصل، ولامقتضىٰ للعدول عنه*، كقوله سبحانه: ﴿اَلرِجالُ قَوّامُونَ عَلَىٰ النِسَاءِ﴾[٥].

ذَكَرَ المسند الخبر و هو ﴿قَوّامُونَ﴾؛ لكون ذكره هو الأصل، ولامقتضي للعدول عنه.

---

١. الزمر: ٧٣.
٢. هود: ٤٤.
٣. الزخرف: ٩.
٤. أمّا في قوله تعالى: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرْض لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لقمان: ٢٥. فحذف المسند لاقتضاء المقام في هذه الآية.
٥. النساء: ٣٤.

ونحو: «العلم خيرٌ من المال». و«الأقصىٰ ثالث الحرمين».

٣. *التعريض بغباوة السامع*، كما في قولك: «محمّد نبيّنا» في جواب من قال: «من نبيّكم؟» فقد ظهر المسند وهو «نبيّنا» مع علمه به في قرينة السؤال؛ للإشارة إلى أنّ المخاطب غبيّ لايفهم بالقرينة بدليل أنّه سأل عن نبيّ أجلُّ من أن يتوهّم خفاؤه.

وكقوله سبحانه: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[1] بعد قوله سبحانه حكاية عن قومه: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ياإِبْراهِيمُ﴾[2].

فقد ذكر المسند ﴿فَعَلَهُ﴾ في الإجابة تعريضاً بغباوة السامعين.

٤. *الاحتياط*؛ لضعف التعويل علىٰ القرينة، كما في قولك: «العين بصيرة واليد قصيرة» فلو حذف قوله: «قصيرة» لكان من المحتمل أن يكون للكلام معنىٰ آخر.

وكقولك: «عنترة أشجع، وحاتم أجود» في جواب من قال: «من أكرم العرب في الجاهلية وأشجعهم؟» فصرّح بالمسند احتياطاً؛ لاحتمال الغفلة عن العلم به من السؤال.

٥. *إفادة أنّه فعل*، فيفيد التجدّد مقيّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار، أو إفادة أنّه اسم فيفيد الثبوت؛ لأنّ الاسم بأصل وضعه يفيد الثبوت من غير دلالة علىٰ الزمان، نحو: ﴿يُخادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ﴾[3].

إنّ قوله: ﴿يُخادِعُونَ﴾ يفيد التجدّد مرّة بعد مرّة مقيّداً من غير افتقار إلى قرينة تدلّ عليه، كذكر: «الآن» أو «الغد» وقوله: ﴿وَهُوَ خادِعُهُم﴾ يفيد الثبوت من غير دلالة على الزمن.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللّهَ يُدافِعُ عَنِ الّذِينَ آمَنوا﴾[4].

---

١. الأنبياء: ٦٣.

٢. الأنبياء: ٦٢.

٣. النساء: ١٤٢.

٤. الحجّ: ٣٨.

فقد ذكر المسند هنا، وهو فعل ﴿يُدافِعُ﴾ ليفيد التجدّد كـلّما أصـاب المـؤمنين ضائقة وكرب، وفي هذا تسلية وثبات للمؤمنين، ليثبتوا على إيمانهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلى إنَّ اللَّهَ قَوىٌّ عَزيزٌ﴾[١].

فقد ذكر المسند هنا اسماً ـ وهو قوله تعالىٰ: ﴿قَوىٌّ﴾ ليفيد الثبوت.

٦. *ضعف تنبّه السامع*، نحو: «أصلها ثابت، وفرعها ثابت» إذ لو حذف «ثابت» فلربّما لاينتبه السامع؛ لضعف فهمه.

٧. *الاستلذاذ بذكره*، كقولك: «هي ليلىٰ» في إجابة من سألك: «هل هذه ليلىٰ؟» تذكر المسند الخبر وهو «ليلىٰ» تلذّذاً بذكر اسمها.

٨. *لإفادة تخصيصه بالمسند إليه*، وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فى الدُّنْيا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخِرةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

فقد ذكر المسند وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ﴾ ـ مرّتين، ولم يقل: «لهم في الدنيا خزي، وفي الآخرة عذاب عظيم»؛ لأنّ الهدف أن يبيّن أنّهم كما استحقّوا الخزي، فهم كذلك يستحقّون العذاب العظيم في الآخرة.

● المبحث الرابع: حذف المسند

□ أوّلاً ـ أغراض حذف المسند

يذهب البلاغيون[٣] إلىٰ أنّ حذف المسند أو تركه عند قيام القرينة عليه يـحقّق ثلاث مزايا علىٰ قدر كبير من الأهمّية: إيجاز العبارة وامتلاؤها، وتصفيتها وصونها من الترهّل والتمدّد؛ إثارة الحسّ والفكر اللذين يأخذان في تعرّف جزء المعنى الذي لم يذكر لفظ دالّ عليه.

---

١. المجادلة: ٢١.

٢. البقرة: ١١٤.

٣. الكافي في علوم البلاغة، ص١٨٩.

وعلى الجملة أنّ المسند يحذف من الكلام للأغراض التي أُشير إليها في حذف المسند إليه، ومن ذلك:

١. أن تدلّ عليه قرينة، ويتعلّق بحذفه غرض ممّا جاء في حذف المسند إليـه، والقرينة نوعان:

أ) مذكورة، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال محقّق، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ سَـالتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَماواتِ والأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ﴾[١].

أي خلقهنّ اللّه، حذف المسند وهو «خلقهنّ» لدلالة القرينة عليه، والقرينة هنا مذكورة ضمن السؤال بـ﴿خَلَقَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَن نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَحْيا بِهِ الأرْضَ مِن بَعدِ مَوتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ﴾[٢]، أي نزّله وأحيا به الأرض.

ب) مقدّرة، كقوله تعالىٰ: ﴿يُسَبَّحُ لَهُ فيها بِـالغُدُوِّ والآصَـالِ * رِجـال...﴾[٣،٤]، أي يُسَبِّحُهُ رجالٌ، كأنّه قيل: «مَنْ يُسَبِّحُهُ؟».

ونحو قول ضرار بن نهشل الذي يرثي به على أخيه يزيد:

لِـيُبْكَ يَـزيدُ ضَـارِعٌ لِـخصومِهِ   وَمُخْتَـبِطٌ ممّا تطـيحُ الطّوائِـحُ[٥]

كأنّه قيل: «من يبكيه؟» فقال: «ضارع ذليل لخصومه»؛ إذ هـو مـلجأ الأولاد، وعون الضعفاء.

---

١. لقمان: ٢٥.

٢. العنكبوت: ٦٣.

٣. النور: ٣٦ و٣٧.

٤. ببناء الفعل ﴿يُسَبَّح﴾ للمجهول، و هذه إحدىٰ قراءتين في الآية الكريمة، و القراءة الأُخرى: ﴿يُسَبِّحُ﴾ ببناء الفعل للفاعل، ثمّ قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيْهِمْ تِجَارَةٌ...﴾ فعلىٰ القراءة الثانية ﴿يُسَبِّحُ﴾ فعل مضارع، ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل، و لا حذف هنا، و على القراءة الأُولى ﴿يُسَبَّح﴾ على بناء الفعل للمفعول لا يجوز أن تكون ﴿رِجَالٌ﴾ فاعلاً؛ لأنّ الفعل مبنيّ للمجهول، بل هي فاعل لفعل محذوف يدلّ عليه المذكور.

٥. «ضارع لخصومه» مستغيث من خصومه، و«الضارع»: الضعيف من الرجال أيضاً. «المختبط»: طالب الرفد «ممّا تطيع الطوائح»: ممّا تلحق به الخطوب، و«الطائح»: المشرف علىٰ الهلاك. المصباح، ص٤٦؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٢٠٢؛ الكتاب، ج١، ص١٤٥؛ شرح عقود الجمان، ج١، ص١٨٠؛ مجاز القرآن، ج١، ص٣٤٩؛ شواهد الكشاف، ص٣٩١؛ المقتضب، ج٢، ص١٣٨؛ الخزانة، ج١، ص١٥٢.

٢. الاحتراز عن العبث، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[١]، أي ورسوله بريءٌ منهم أيضاً، فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً؛ لعدم الحاجة إليه.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكُمُ النَّارُ﴾[٢]، أي النارُ شَرٌّ مِنْ ذلِكم[٣]، وهذا يزيد الكلام جمالاً وقوّة.

ويكون الاحتراز عن العبث في موارد كما تأتي:

أ) جملة الجواب على استفهام عُلِمَ منه الخبر، كما لو سأل سائل: «من في الدار؟» فتجيب: «ابي» أي أبي في الدار، ويسأل آخر: «ماذا في يدك؟» فتجيب: «كتاب»، أي في يدي كتاب.

ب) في جملة بعد «إذا» الفجائية وكان الخبر يدلّ علىٰ معنىٰ عامّ يفهم من الكلام، نحو: «دخلت الحديقة فإذا رفيق الصّبا».

ونحو: «خرجت من دارنا فإذا المطر».

والتقدير: إذا رفيق الصبا موجود، وإذا المطر نازل.

والخبر هنا يدلّ على معنى عامّ وهو مجرّد الوجود والنزول، فهو مفهوم من الكلام.

ج) الجملة المعطوفة علىٰ جملة اسمية والمبتدءان مشتركان في الحكم، نحو: «أنت ناجح وأخوك» ونحو: «أهل القرىٰ يحتفلون بالعيد، وأهل المدن». وعليه قوله تعالىٰ: ﴿أكلها دائمٌ وَظِلّها﴾[٤].

أي وظلّها دائم.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْكِتَابَ حلّ لكم وَطَعَامكم حلّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنات

---

١. التوبة: ٣.
٢. الحجّ: ٧٢.
٣. مفتاح العلوم، ص٣٠٦.
٤. الرعد: ٣٥.

مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[١]، أي والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب حل لكم.

ونحو قول الشاعر:

وليسَ قـولُك مَـنْ هـذا بـضائِرِهِ   العربُ تعرفُ من أنْكَرْتَ والعَجمُ

والتقدير: وأخوك ناجح، وأهل المدن يحتفلون، والعجم تعرفه أيضاً.

٣. ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول المتنبّي:

قالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصْـفِراري: مَـنْ بِـهِ   وَتَـــنَـــهَّدَتْ فَـــأجَبْتُها: المُـــتَنَهِّدُ[٢]

أراد المتنهّد هو المطالب بشأن اصفراري ونحولي وسقمي، فحذف المسند الخبر وهو «المطالب» لضيق المقام عن إطالة الكلام.

ومثله قول الشاعر:

نَـحْنُ بِـما عِـنْدنا وَأنْتَ بِـما   عِنْدَكَ راضٍ والرأيُ مُـخْتَلِفُ[٣]

يخاطب الشاعر مالك بن العجلان حين ردّ قضاءه في واقعة للأوس والخزرج، اي نحن بما عندنا راضون حيث حذف خبر المبتدأ الأوّل وهـو «نـحن»؛ لضـيق أصاب الشاعر من جراء هذا الخلاف، وعدم استعداد المخاطب لقبول الكلام فـي الصلح.

٤. اتّباع الاستعمال العربي، كقوله سبحانه: ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنّا مُـؤْمنينَ﴾[٤]، أي لولا أنتم موجودون؛ حذف المسند الخبر وهو «موجودون»؛ لورود الاستعمال العـربيّ على ترك المسند في مثل هذا الأُسلوب.

---

١. المائدة: ٥.

٢. مفتاح العلوم، ص٣٠٦؛ العرف الطيّب، ج١، ص٤١؛ وبلا عزو في المصباح، ص١٤. و له في الإيضاح، ص٨٤؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٩٠؛ التبيان، ص٨٨.

٣. البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة أوّلها:

ردَّ الخليط الجـمالَ فـانصرفوا   مـاذا عـليهم لو أنّـهم وَقَـفُوا

أُنظر: معاهد التنصيص، ج١، ص١٨٩؛ و الإيضاح، ص٨٤؛ مفتاح العلوم، ص٣٠٦.

٤. سبأ: ٣١.

وكقولك: «خرجت فإذا أحمد» أي فإذا أحمد بالباب مثلاً.

ومنه قول الأعشىٰ:

إنَّ مَحَلًّا وإنَّ مُرْتَحَلاً وإنَّ في السَّفْرِ إذْ مَضَوا مَهَلا[1]

أي: أنّ لنا في الدنيا حلولاً، وأنّ لنا عنها إلى الآخرة ارتحالاً، و«السفر» الرفاق أو المسافرون، وقد أراد بهم الموتى، و«المهل» مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة، وقد توغّلوا في المضيّ لا رجوع لهم، ونحن على أثرهم عن قريب.

والشاهد في البيت هو حذف المسند الذي هو خبر «إنّ» اتّباعاً للاستعمال الوارد وهو حذف الخبر عند تكرار «إنّ» وتعدّد اسمها.

٥. الاستهانة به، والحذف هنا إحدىٰ الكيفيات التي كثر ورودها في الذكر الحكيم، كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[2]؛ إذ الاسم الموصول وهو «مَنْ» مبتدأ هنا وخبره محذوف و تقديره: «كمن ليس كذلك»، وجليّ أنّ القائم على كلّ نفس هو اللّه سبحانه، أي المتولّي لأمر كلّ نفس، والحافظ لشأنها، والمحذوف الذي هو «كمن ليس كذلك» هو المعبود بالباطل.

وقد جاء حذف المسند الخبر هذا؛ ليعلن الفارق الهائل بين الواجب الوجود وبين المفقود، ألا يكون في الحذف هنا إشعار بإهمال المحذوف وازدرائه، وعدم الالتفات إليه حتّى لكأنّه غير موجود، وحتّى لكأنّ إغفال الذكر في الكلام خير تعبير عن الإهمال والتغاضي!!

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ للإِسْلامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ فَوَيْلٌ للقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[3]، أي أهذا خير، أم من جعل صدره ضيّقاً حرجاً؟

وكقوله سبحانه: ﴿ أَمَّن هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَة وَيَرْجُو

---

١. ديوان الأعشى، ص٢٣٣؛ دلائل الإعجاز، ص٣٠٤، و البيت هو مطلع قصيدة يمدح بها: «سلامة» و هو من شواهد سيبويه على حذف خبر إنّ؛ لأنّه معلوم.

٢. الرعد: ٣٣.

٣. الزمر: ٢٢.

رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[١].

٦. **قصد الاختصار والاحتراز عن العبث**، بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسّر والتوجّع، كقول ضابئ البرجمي من أبيات قالها في الحبس:

وَمَنْ يكُ أمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ فإنّي وَقَيارٌ بها لَغريب[٢]

تقديره: فإنّي لغريب بها، وقيار غريب، والباعث علىٰ تقديم قيار على خبر «إنّ» قصد التسوية بينهما في التحسّر علىٰ الاغتراب حتّى كأنّ قياراً تأثّر بما تأثّر هو به أيضاً.

وعليه قوله تعالىٰ: ﴿وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾[٣].

تقديره: واللّه أحقّ أن يرضوه، ورسوله كذلك، فالمحذوف خبر ﴿وَرَسُولُهُ﴾ فيكون من ترك المسند للإيجاز بدون ضيق المقام.

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا لاٰ ضَيْرَ إِنَّا إِلىٰ رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾[٤].

فخبر «لا» محذوف، والتقدير: لا ضير علينا، أو لا ضير في ذلك، وحذف الخبر لدلالة الحال عليه اختصاراً.

وقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٥].

والتقدير: لعمرك قسمي أنّهم لفي غوايتهم يتردّدون بين ما يرشدهم إليه رسولهم وبين ما هم عليه من الخطيئة. وقد حذف الخبر اختصاراً للعلم به.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ الّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجرِى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ أُكُلُها دَائِمٌ وَظِلُّها...﴾[٦].

أي: وظلّها دائم، وقد حذف لدلالة الأوّل عليه، وقد أفاد الحذف الاختصار،

---

١. الزمر: ٩.

٢. «قيار» اسم جمل، و البيت خبر أُريد به إنشاء التحسّر و التوجّع من الغربة. أُنظر: معاهد التنصيص، ج ١، ١٥٦؛ خزانة الأدب، ج ٤، ص٢٢٧، و البيت من شواهد سيبويه.

٣. التوبة: ٦٢.

٤. الشعراء: ٥٠.

٥. الحجر: ٧٢.

٦. الرعد: ٣٥.

واحتمال كلّ الصفات المرغوبة كالدوام والامتداد والشمول ونحوها.

٧. الدلالة علىٰ الاختصاص، نحو: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِـنَ رَحْـمَةِ رَبِّـى إذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنفاقِ...﴾[1].

تقديره: لو تملكون أنتم تملكون، بالتكرار للتوكيد، ثمّ حذف الفعل الأوّل المسند إلى ضميرالمخاطبين؛ لدلالة الفعل الثاني عليه، فانفصل الضمير، وأفاد الاختصاص[2]، وأعلمهم اللّه أنّهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شحّاً وبخلاً، فترك المسند وهو فعل «تملكون» للإيجاز، إضافة إلى التأكيد.

وكقول المتنبي:

إذا أنْتَ أَكْـرَمْتَ الكَـريمَ مَـلَكْتَهُ وإنْ أَنْتَ أكْـرَمْتَ اللَّـئيمَ تَـمَرَّدا[3]

فحذف المسند في موضعين بعد «إذا» وبعد «إن» والتقدير: إذا أكرمت أكرمت. وهناك فرق بين قولك: «إذا قمت بواجبك أدركت معنى السعادة» وقولك: «إذا أنت قمت بواجبك أدركت معنى السعادة» ستجد أنّ العبارة الثانية التي حذف فيها المسند أكثر بلاغة، وبخاصّة إذا كان المقام يقتضي ذلك.

٨. تكثير الفائدة، وذلك فيما يحتمل فيه حذف المسند أو المسند إليه بـإمكان حمل الكلام على كلّ من المعنيين.

وممّا هو محتمل لحذف المسند أو المسند إليه قول اللّه تعالىٰ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أمْراً فَصَبْرٌ جَميلٌ﴾[4].

وقوله تعالىٰ: ﴿سُوْرَةٌ أَنْزَلْناهَا وَفَرَضْناهَا﴾[5].

وقوله تعالىٰ: ﴿وأَقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيْمانِهِم لَـئِنْ أَمَـرْتَهُم لَـيَخْرُجُنَّ قُـلْ لاتُـقْسِمُوا

---

١. الإسراء: ١٠٠.

٢. أدوات الشرط «أن» و«إذا» و«لو» إذا جاء بعدها اسم يجب أن يكون هذا الاسم فاعلاً لفعل محذوف؛ و ذلك لاختصاص هذه الأدوات بالدخول على الفعل.

٣. ديوانه، ج ١، ص ٣٠٧.

٤. يوسف: ١٨.

٥. النور: ١.

طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾[١].

فالآية الأولىٰ يمكن أن تكون من حذف المسند، فيكون التقدير: فصبر جميل أجمل، وأن تكون من حذف المسند إليه، ويكون التقدير: فأمري صبر جميل.

والآية الثانية يمكن أن تكون من حذف المسند، فيكون التقدير فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها، وأن تكون من حذف المسند إليه، ويكون التقدير: هذه سورة أنزلناها.

والآية الثالثة يمكن أن تكون من حذف المسند، فيكون التقدير: طاعه معروفة أمثل وأولىٰ بكم من هذه الأيمان الكاذبة، وأن تكون من حذف المسند إليه، ويكون التقدير: الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة، لايشكّ فيها ولايرتاب، كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم، وقلوبكم على خلافها، أو: طاعة معروفة بأنّها بالقول دون العمل[٢].

وهناك أغراض أُخرىٰ كثيرة ـ في آيات المحكم العظيم ـ تقتضي حذف المسند، كالاختصار ودلالة الحال والشمولية وغيرها، كقوله تعالىٰ:

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أو عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيّامٍ أُخَرَ﴾[٣].

والتقدير: فعليه عدّة أيام أُخر، وقد حذف الخبر اختصاراً لدلالة ماقبله عليه من وجوب صيام الشهر كلّه، ولتتوفّر العناية بالمبتدأ وهو عدة الذي هو الحكم.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذيْنَ آمَنُوا وَالَّذيْنَ هَادُوا وَالصّابِئُونَ وَالنَّصارىٰ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤].

﴿الصابئون﴾ رفع على الابتداء،وخبره محذوف، والنيّة به التأخير عمّا في حيّز «إنّ» من اسمها وخبرها، كأنّه قيل: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارىٰ حكمهم كذا،والصابئون كذلك،وقد وسط بين اسم«إنّ» وخبرها دلالة على الصابئين مع ظهور

---

١. النور: ٥٣.

٢. البلاغة الصافية، ج٢، ص٧٤ – ٧٥.

٣. البقرة: ١٨٤.

٤. المائدة: ٦٩.

ضلالهم وزيغهم عن الأديان كلّها ـ وقد قبلت توبتهم إن صحّ منهم الإيمان والعمل الصالح ـ فغيرهم أولىٰ بقبول توبتهم إن آمنوا وعملوا الصالحات، وقد حذف الخبر لأداء هذا المعنىٰ.

● المبحث الخامس: حذف المفعول به[1]

يحذف المسند المفعول به لأغراض أهمّها:

١. عدم تعلّق الغرض بذكره، وحينئذٍ ينزّل الفعل المتعدّي منزلة اللازم؛ إذ يكون المراد مجرّد إثبات الفعل للفاعل، أو نفيه عنه، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لايَعْلَمُونَ﴾[2].

فالفعل متعدٍّ قطعاً إلى مفعول؛ لأنّ الأصل هل يستوي الّـذين يـعلمون الديـن، والذين لايعلمونه؟! فحذف المفعول المذكور، ونزّل الفعل منزلة اللازم، وصار المراد من الفعل حقيقته، والمعنىٰ: هل يستوي الذين وجدت فيهم حقيقة العـلم، والذيـن لم توجد عندهم حقيقته؟!

وقولهم: «فلان يحلّ ويعقد، ويأمر وينهي».

---

١. يُذكر المفعول به مع الفعل لإفادة وقوعه عليه، كما يُذكر الفاعل معه لإفادة وقوعه منه، فإذا لم يذكر المفعول به مع الفعل فلابدّ من أن يكون الغرض إثبات الفعل لفاعله، أو نفيه عنه، إمّا من غير اعتبار تعلّقه بالمفعول، و إمّـا باعتبار تعلّقه به:

أما الأول: فإذا كان المراد إثبات الفعل للفاعل أو نفيه عنه مع قطع النظر عن تعلّقه به، كان ذلك بمثابة تنزيل الفعل المتعدّي منزلة اللازم؛ لأنّ المراد حينئذٍ استقرار الحدث في نفس الفاعل غير منظور إلى تجاوزه إلى المفعول، و لذلك لا يقدّر المفعول غير منظور إلى تجاوزه إلى المفعول، و لذلك لا يقدّر المفعول المتروك معه؛ إذ لا موضع له، لأنّ المقدّر كأنّه قد ذُكر لإتمام الفائدة، ثمّ حذف لغرض، فيقام تقديره في النيّة مقام ذكره في اللفظ.

مثال ذلك: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ أي توجد له حقيقة العلم، و لا توجد لكم، فأثبت العلم لله، و نـفاه عـن المخاطبين دون أن يذكر ما هو مفعول العلم.

أما الثاني: و إن كان المراد إثبات العلم لفاعله أو نفيه عنه مع اعتبار تعلّقه بالمفعول المحذوف، فلا بدّ من التقدير بحسب القرائن الدالّة على المحذوف؛ لأنّ المفعول حينئذ مقصود في المعنى، فلابدّ من وجوده فـي النـيّة إذا لم يكن في اللفظ (مجموع الأدب في متون العرب، ص٤٧ و٤٨). انظر: دلائل الإعجاز، ص١٦٩ و ما بعدها؛ فن البلاغة، ص١٠٧.

٢. الزمر: ٩.

وقولهم: «فلان يضرّ وينفع، ويعطي ويمنع».

وقول البحتري:

إذا بَعُدَتْ أبْلَتْ وإنْ قَـرُبَتْ شَـفَتْ   فَهِجْرانُـها يُـبْلي وَلُـقْيانُها يَشْـفي[1]

فلم يقل: ابلتني وشفتني؛ لأنّه أراد أنّ بُعْدها في ذاته داءٌ، وقُربها شفاء.

٢. إذا كان معلوماً بدلالة الحال، فيذكر الفعل، وينوىٰ له في النفس مفعول خاصّ قد علم موضعه من سبق ذكر، أو قرينة حال، ولكنّك تنسيه نـفسك، وتـخيّل أنّك لم تقصد إلّا إلى ذات الفعل قاصداً بذلك المبالغة فيه، وذلك كما في قول البـحتري يمدح المعتزّ باللّه، ويعرض بأخيه المستعين وكان ينازعه الخلافة:

شَجْوُ حُسَّـادِهِ وَغَـيْظُ عِـداهُ   أنْ يَرىٰ مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ واعٍ[2]

أي: ليس في الوجود مايرىٰ ويسمع إلّا آثاره المحمودة، فإذا أبصر مبصر، لايرىٰ إلّا محاسنه، وإذا سمع سامع لايسمع إلّا مآثره، فيغيظ عداه أن يقع إبصار أو سمع؛ لأنّه لايقع إلّا علىٰ محاسنه ومآثره.

فالفعلان: «يرىٰ» و«يسمع» من الأفعال المتعدّية، والمعنىٰ ـ لامحالة ـ: أن يرىٰ مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره وأوصافه، ولكنّهما هنا نزّلا منزلة الفعل اللازم؛ لأنّ المقصود هو مجرّد إثبات الرؤية والسـماع للـفاعل، دون النـظر إلىٰ تـعلّقهما بمفعول خاصّ، وذلك ليتسنّىٰ له أن يشعر الناس بأنّ محاسن الممدوح وفـضائله، قد بلغت من الوضوح والشهرة حدّاً لاتخفىٰ على ذي بصر أو سمع بحيث يكفي في إدراكها مجرّد أن يكون ذا بصر، وذا سمع، فيعلم الرائي والسامع أنّه لايليق لمـقام الخلافة سواه، فلايجد أعداؤه وحسّاده إلىٰ منازعته سبيلاً، فحسّاده وأعداؤه يتمنّون أن لا يكون في الدنيا ذو بصر وسمع؛ ليخفىٰ استحقاقه للإمامة، فيجدوا بذلك سبيلاً إلىٰ منازعته، ولايخفىٰ عليك أنّ هذا الغلوّ في المدح يفقد عـند ذكـر المـفعول أو تقديره.

---

١. ديوان البحتري، ج٣، ص١٣٦٩؛ دلائل الإعجاز، ص١٧٤.

٢. دلائل الإعجاز، ص١٦٢؛ ديوان البحتري، ج٢، ص١٢٤٤؛ الاشارات والتنبيهات، ص٧٢.

ومنه قول عمرو بن معديكرب الزبيدي:

ظَـلِلْتُ كـأنّي للـرماح درِيّـة أُقـاتل عـن أبـناء جـرم وفـرَّتِ
فلو أنَّ قَوْمي أنـطقَتْني رِمـاحُهُمْ نَـطَقْتُ ولكِـنَّ الرِّمـاحَ أجَـرَّتِ[١]

والشاهد في البيت الثاني، ومعناه: لو أنّ قومي أبلوا فـي الحـرب بـلاءً حسـناً لمدحتهم، وذكرت بلاءهم، ولكنّهم قصّروا، فأجروا لساني، أي منعوه مـن النـطق، فما أنطق بمدحهم، فقوله: «أجرّت» فعل متعدّ، والمعنى: أجرّتني، ولكنّه نزّل منزلة اللازم؛ قصداً إلىٰ إثبات الفعل للفاعل، أي إثبات الإجرار للرماح دون نظر إلى تعلّقه بمفعول؛ لانّه يريد أن يقول: إنّه كان منها مامن شأنّه أن يجرّ كلّ لسان ويخرسه عن النطق بمدحهم والإشادة بهم.

٣. دفعُ مايُوهم في أوّل الأمر خلاف المقصود، كقول البحتري:

وَكَمْ ذُدْتُ عَنّي مِـنْ تَـحامُلِ حـادِثٍ وَسَــوْرَةِ أيّـامٍ حَــزَزْنَ إلىٰ العَـظْمِ[٢]

لو ذكر الشاعر مفعول الفعل «حززن» وقال: «حززن اللحم» لتوهّم السامع أنّ الحزّ لم يكن أليماً عنيفاً كما أراده الشاعر، فدفع عن سامعه هذا التـوهّم، فـحذف المفعول، وصوّر له أنّ الحزّ مضىٰ في اللحم حتّىٰ لم يردّه إلّا العظم.

ونحو: «زرنا حتّىٰ آخر بيت في الحيّ».

والمفعول المحذوف هو «البيوت» أي بيوت الحيّ.

أو كقولنا: «أنهينا حتى آخر محاضرة» نـريد أنـهينا المـحاضرات حـتى آخـر محاضرة، فحذف المفعول؛ لأنّ في ذكره قبل ذكر ما بعده إيهام أنّنا لم نسـتوعب المحاضرات كلّها ـ وهو غير مراد.

٤. البيان بعد الإبهام؛ وذلك لتقرير المعنىٰ في النـفس، ويكـثر ذلك فـي فـعل

---

١. أصل الإجراء أن يشقّ لسان الفصيل لكيلا يرضع، و يستعمل في شقّ اللسان مطلقاً، لينتقل منه إلى لازمه، و هو المنع من الكلام، و الرماح لا تنطق، ولكنّها فاعل سببي للنطق بالفخر إذا هي أبلت في المعارك بلاءً حسناً. انظر: دلائل الاعجاز، ص١٥٧.

٢. «ذدت»: دفعت و طردت. «التحامل»: تكليف مالا يطاق. «سورة الأيام»: شدّتها و صولتها، «حززن»: قطعن، و البيت من شواهد الإيضاح، ص٢٠٠؛ دلائل الإعجاز، ص١٧١؛ الاشارات والتنبيهات، ص٧٣.

المشيئة، أو الإرادة، أو نحوهما، إذا وقع شرطاً، فإنّ الجواب يدلّ عليه ويبيّنه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾[١].

ونكتة الحذف هنا هي البيان بعد الإبهام؛ لأنّه لمّا قيل ﴿لَوْ شَاءَ﴾ علم السامع أنّ هناك شيئاً تعلّقت بهالمشيئة،لكنّه مبهم،فلمّا جيء بجواب الشرط ـ وهو قوله: ﴿هَدَاكُمْ﴾ صار واضحاً،وعلم أنّه الهداية، وهذا أوقع في النفس.

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[٢].

والتقدير: لو شاء اللّٰه أن لا يقتتلوا مااقتتلوا.

وقوله تعالىٰ: ﴿ولوْ شِئْنا لأَتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداهَا﴾[٣].

أي ولو شئنا هداية الأنفس لآتينا كلّ نفس هُداها.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصارِهِمْ﴾[٤].

أي لو شاء اللّٰه أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَمَعَهُمْ علىٰ الهُدىٰ﴾[٥].

أي لهداهم جميعاً، ولم يفعل ذلك؛ لأنّه ينافي التكليف، ويسقط استحقاق الثواب.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَشأ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾[٦].

أي من يشأ اللّٰه إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله علىٰ طريق مستقيم.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ يَشإِ اللّٰهُ يَخْتِمْ علىٰ قَلْبِكَ﴾[٧].

أي إن يشأ اللّٰه الختم علىٰ قلبك يختم عليه، فكلّ من الشرط والجواب قد دلّ علىٰ المفعول، غير أنّ الشرط دلّ عليه إجمالاً، والجواب دلّ عليه تفصيلاً، ولاريب أنّ الإيضاح بعد الإبهام أوقع في النفس؛ لأنّ السامع حين يسمع قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾

---

١. الأنعام: ١٤٩.
٢. البقرة: ٢٥٣.
٣. السجدة: ١٣.
٤. البقرة: ٢٠.
٥. الأنعام: ٣٥.
٦. الأنعام: ٣٩.
٧. الشورى: ٢٤.

تتحرّك نفسه ـ في شوق ـ إلىٰ ماتعلّقت به المشيئة، فإذا مـاجاء بـعد ذلك، جـاء والنفس في ولع ولهف ترقب قدومه، فلايلبث أن يقع منها موقع الماء القراح من ذي الغلّة الصادى.

ومنه في حالة النفي ممّا جاء في الشعر قول البحتري:

لو شِئْتَ لم تُفسِدْ سَماحةَ حـاتمٍ كَــرَماً وَلَــم تَـهْدِم مَآثِـرَ خـالِدِ[١]

أي لو شئت أن لاتفسد ولا تبطل سماحة حاتم وجوده، وأن لا تهدم مآثر خالد ومساعيه كرماً عليهما، بأن لا تفرط في الجود، ولا تسـرف فـي ابـتناء المكـارم، ولا تبالغ فيه، لما أفسدت، ولكنّك زدت على كلّ منهما فيما اختص به، فـأفسدت جود ذلك وهدمت مساعي هذا.

فحذف المفعول بعد فعل المشيئه المسبوق بـ «لو» والأصل فـيه: لو شـئت أن لاتفسد سماحة حاتم لم تفسدها فحذف ذلك من الأول استغناء بالدلالة عليه في الثانى.

فإن كان في تعلّق فعل المشيئة بالمفعول غرابة لم يستحسن حذف المفعول؛ لأنّ الجواب لايدلّ عليه، لغرابة موضعه، وينبغي ذكره ليتقرّر في ذهن السامع، ويأنس به، كقول أبي الهندام الخزاعي يرثي ابنه الهندام:

وَلَو شِئْتُ أنْ أبكي دَماً لَـبَكَيْتُهُ عليهِ ولكِنْ ساحَةُ الصّبْرِ أوْسَعُ[٢]

يقول: إنّ ما به من الحزن والأسى ليوجب البكاء دماً، ولكن أعانني على تركه الصبر الجميل، فقوله: «أن أبكي دماً» مفعول فعل المشيئة، ومن الغرابـة أن يـبكي الإنسان دماً، فالمواقف الغريبة والعجيبة يحسن فيها ذكر المفعول لتأنس به النفس، ومن أجل ذلك كان لابدّ من ذكره؛ ليتقرّر في ذهن السامع، ويأنس به.

والحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب، لايمكن أن تكون إلّا مـثيلة الجـواب، ولذلك كـانت الإرادة كـالمشيئة فـي جـواز إطّـراد

---

١. السماحة الكرم «حاتم» هو الطائي المشهور، خالد: هو ابن أصمع النبهاني الذي نزل عليه امرؤ القيس، و البيت من شواهد الإيضاح، ص١٩٩.

٢. دلائل الإعجاز، ص١٦٤؛ الايضاح، ص١١٠.

حذف مفعولها[١].

ومن هذا القبيل قوله تعالىٰ: ﴿لَوْأرادَ اللّـهُ أنْ يَـتَّخِذَ وَلَـداً لاصْـطَفىٰ مِـمّا يَـخْلُقُ مايَشاءُ﴾[٢].

لأنّه من الغرابة بمكان أن يتّخذ ربّ العالمين ولداً.

أراد ردّ قول الكفّار: ﴿اتّخَذَ اللّهُ وَلَداً﴾، بما يطابقه في اللفظ، ليكون أبلغ في الردّ؛ لأنّه لو حذفه فقال: «لو أراد اللّه لاصطفىٰ»، لم يظهر المعنىٰ المراد؛ لأنّ الاصطفاء قد لايكون بمعنىٰ التبنّي، ولو قال: «لو أراد اللّه لاتّخذ ولداً» لم يكن فيه ما في إظهاره من تعظيم جرم قائله.

وقد يحتاج لعود الضمير عليه، فإنّه يذكر، كقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ أرَدْنا أنْ نَتّخِذَ لَـهْواً لاتّخذناهُ﴾[٣].

فإنّه لو حذف لم يبقَ للضمير مايرجع عليه.

أو قد يكون السامع منكراً لذلك، أو كالمنكر، فيقصد إلى إثباته عنده، فإن لم يكن منكراً فالحذف[٤].

وقد يذكر الشاعر مفعول المشيئة وهو غير مستغرب؛ وذلك لأنّ الواقع بعده لايدلّ عليه، لأنّه ليس من نوعه، وممّا جاء علىٰ هذه الطريقة قول أبي الحسن عليّ بن أحمد الجوهري ـ أحد شعراء الصاحب بن عباد ـ:

فَلَوْ شِئْتُ أنْ أبْكي بَكَيْتُ تَفَكُّراً فَلَمْ يُبْقِ مِنّي الشَّوقُ غَيرَ تَفَكُّري[٥]

يريد أن يبالغ في فنائه ونحوله حتّىٰ أنّه لم تبقَ فيه مادّة سوى التفكير، فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه هو بكاء الدمع، وأراد بالبكاء الثاني بكاء التفكّر، ولهذا فإنّه لايصلح البكاء الثاني بياناً للبكاء الأوّل؛ لمباينته له، فذكر مفعول المشيئة في البيت إنّما هو لعدم قيام الدليل عليه، وذلك لأنّه لو حذف، فقيل: «لو شئت بكيت

١. الكشاف، ج١، ص٤٣.
٢. الزمر: ٤.
٣. الأنبياء: ١٧.
٤. البرهان، ج٣، ص٢٤١.
٥. من شواهد الإيضاح، ص١٩٩؛ دلائل الإعجاز، ص١٧٧؛ يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٧.

تفكّراً» لم يوجد مايدلّ عليه، وأوهم أنّ المراد بكاء التفكّر، مع أنّ المراد هو بكاء الدمع.

وكذلك يكثر حذف المفعول به بعد العلم ونحوه، كقوله تعالى:

﴿ألا إنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلكنَّ أكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾[1].

أي لا يعلمون أنّ وعد اللّه حقّ.

وكقوله تعالى: ﴿وإذا قِيْلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهاءُ ألاٰ إنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءِ وَلَكِنْ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾[2].

أي لا يعلمون أنّهم سفهاء.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ وَلكِنْ لاٰ تُبصِرُونَ﴾[3].

أي لا تبصرون أنّنا أقرب إليكم.

٥. إرادة ذكر المفعول ثانياً علىٰ نحو يتضمّن إيقاع الفعل في صريح لفظه، لاعلىٰ الضمير العائد إليه؛ إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، كالذي تراه من قول البحتري في مدح المعتزّ:

قَدْ طَلَبْنا فَلَمْ نَجِدْ لكَ في السُّؤ   دَدِ وَالمَجْدِ وَالمَكارِمِ مِثْلا[4]

والمعنى: قد طلبنا لك مثلاً، ثمّ حذف؛ لأنّ ذكره في الثاني يدلّ عليه، ولو ذكر المفعول فقال: «قد طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً» لناسب أن يقول بعد ذلك: «فلم نجده»؛ لأنّ المقام حينئذٍ يكون للضمير؛ لتقدّم مرجعه، فيفوت المقصود، وهو إيقاع الفعل المنفيّ على صريح لفظ المفعول الدالّ صراحةً علىٰ عدم وجود المثل، وذلك أنسب بمقام المدح[5].

---

١. يونس: ٥٥.

٢. البقرة: ١٣.

٣. الواقعة: ٨٥.

٤. «السؤدد»: السيادة، و البيت من شواهد الإيضاح، ص ٣٠٠؛ دلائل الإعجاز، ص١٦٨؛ الاشارات والتنبيهات، ص٧٢.

٥. و يمكن أن يكون الغرض من حذف المفعول في البيت المذكور هو التحرّج من واجهة الممدوح بطلب مثل له، مبالغةً في التأدّب معه، و تعظيماً له.

←

ولأجل هذا المعنىٰ عكس ذو الرمة في قوله هاجياً:

ولم أمـدَحْ لأُرْضِـيَهُ بِشِـعْري لَئِيماً أن يكونَ أصـابَ مـالا[١]

إذ كان مراده إيقاع نفي المدح علىٰ اللئيم صريحاً، وإيقاع الإرضاء علىٰ ضميره، وفي هذا مافيه من قصد التحقير والتهوين.

٦. **قصد الاختصار المجرّد عن أيّ اعتبار**، كقولهم: «أصغيت إليه»، أي أُذني، وقد حذف المفعول هنا لمجرّد الاختصار.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ أرنى أنظُرْ إليْكَ﴾[٢]، أي أرني ذاتك.

وقوله تعالىٰ: ﴿أهذٰا الَّذى بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً﴾[٣]، أي بعثه اللّه.

وكقوله تعالىٰ: ﴿عَلىٰ أنْ تَأْجُرَنى﴾[٤]، أي تأْجُرَني نفسك.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذا﴾[٥]، اي فذوقوا العذاب.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ والسَماواتُ﴾[٦]، أي غير السماوات.

٧. **قصد الاحتقار**، كقوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ اللّهُ لأغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلى﴾[٧]، أي الكفّار.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أعْثَرْنَا عَلَيْهِم لِيَعْلَمُوا أنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾[٨]، أي أعثرنا الكفّار عليهم ليعلموا، فحذف تحفيزاً لمن ينكر البعث.

وقوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بـأساً شَـديْداً﴾[٩]، أي لينـذر الذيـن كـفروا بـأساً شـديداً، واقتصر على أحد المفعولين؛ لأنّه جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه وتحقيراً

← و يمكن أيضاً أن يكون الغرض هو البيان بعد الابهام؛ لأنّ المطلوب أبهم أوّلاً، ثمّ بيّن أنّه المثل، و لهذا أثـر حميد في النفس.

١. أُنظر: دلائل الإعجاز، ص ١٧٠.

٢. الأعراف: ١٤٣.

٣. الفرقان: ٤١.

٤. القصص: ٢٧.

٥. السجدة: ١٤.

٦. إبراهيم: ٤٨.

٧. المجادلة: ٢١.

٨. الكهف: ٢١.

٩. الكهف: ٢.

للذين كفروا[١].

٨. قصد التعميم، ولاسيّما إذا كان في حَيّز النفي، كقوله تعالىٰ: ﴿وَماتُغْنى الآياتُ والنُّذُرُ عَنْ قَومٍ لايُؤمِنُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَما كَانُوا مُؤْمِنينَ﴾[٣].

وكثيراً مايعتري الحذف في رؤوس الآي، نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

و ﴿لِقَومٍ يَشْكُرونَ﴾[٥].

﴿أفلا تَسْمَعُون﴾[٦].

﴿إنّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئونَ﴾[٧].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ يَدْعُوا إلىٰ دَارِ السلام﴾[٨]، أي كلّ أحد؛ لأنّ الدعوة عامّة، والهداية خاصّة.

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا كَالُوهُمْ أوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرونَ﴾[٩].

فـ«كال» و«وزن» يتعدّيان إلى مفعولين أحدهما باللام، والتقدير: «كـالوا لهـم، ووزنوا لهم» وحذف المفعول الثاني لقصد التعميم.

وقد يقصد إفادة التعميم في المفعول المحذوف مع الاختصار، كأن تقول: «قد كان منك مايؤلم»، فتحذف المفعول مريداً التعميم في المعنى والشمول، فكأنّك قصدت: قد كان منك مايؤلمني ويؤلم كلّ إنسان.

ونحو: «لقد حدث مايفجع»، أي كلَّ أحدٍ، فقد حذف المفعول هنا لقصد إفـادة

---

١. أمّا قوله تعالى: ﴿وَ يُنْذِرَ الَّذِيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً﴾ الكهف: ٤. فقد حذف فيها المنذر به للتهويل و لتذهب النفس في تصوّره كلّ مذهب و هذا أدعى للردع.

٢. يونس: ١٠١.

٣. الأعراف: ٧٢.

٤. البقرة: ١٠٢.

٥. الأعراف: ٥٨.

٦. القصص: ٧١.

٧. البقرة: ١٤.

٨. يونس: ٢٥.

٩. المطففين: ٣.

العموم؛ بقرينة أنّ المقام للمبالغة في وصف الفاجعة.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَاللّٰهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلام﴾[١]، أي جميع المكلّفين.

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ﴾[٢].

حذف مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ وتقديره: «الناس» ومفعول ﴿يَأمُرُونَ﴾ وتقديره: «الناس» أيضاً؛ لقصد التعميم مع الاختصار.

وفارق مابين إفادة العموم في الأمثلة الأُولىٰ والتي هي على طريق المبالغة، وفي الآيتين الكريمتين على طريق التحقيق؛ لأنّ الدعوة إلى الجنّة تعمّ الناس جميعاً، أمّا المثال الأوّل، فإفادته العموم فيه على وجه المبالغة؛ لأنّ إيلام كلّ أحد من شخص واحد محال عادة.

وإنّما قلنا: «مع الاختصار»؛ لأنّ التعميم يمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم بأن يقال مثلاً: «قد كان منك مايؤلم كلّ أحد»، أو يقال في غير القرآن: «واللّه يدعو كافّة الناس إلى دار السلام» لكن يفوتنا الاختصار، وهو مطلوب أيضاً.

٩. رعاية الفاصلة في النثر، أو مراعاة الوزن في النظم:

أمّا الأوّل: فكقوله تعالىٰ: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللّيلِ إذا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ﴾[٣]، أي ماقلاك، فحذف المفعول محافظةً علىٰ الروي حتّى يتوافق مع ماقبله ومابعده.

ويحتمل أنّه للاختصار، لظهور المحذوف فيما قبله، أي أفمن شرح الله صدره للإسلام كمن أقسى قلبه؟! فحذف لدلالة ﴿فويلٌ للقَاسيةِ﴾[٤].

ونحو قوله تعالى: ﴿طهٰ * مَا أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إلّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾[٥]. ولم يقل: «يخشاه» أو «يخشى اللّه» لكي تنتهي الجملة الثانية بكلمة مناسبة في

١. يونس: ٢٥.

٢. آل عمران: ١٠٤.

٣. الضحى: ١ـ٣.

٤. الزمر: ٢٢.

٥. طه: ١ـ٣.

وزنها لكلمة: «تشقىٰ» التي انتهت بها الجملة الأُولىٰ.

ونحو ﴿أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ من قوله تعالىٰ:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[١]، أي من أعطى المال، واتّقى اللّه.

ونحو «يضّرون» من قوله جل شأنه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَها عَاكِفِيْنَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أو يَنْفَعُونَكُمْ أو يَضُرُّونَ﴾[٢].

ونحو ﴿يُسِرّونَ وَيعلِنُون﴾ من قوله تعالى: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٣].

١٠. وقد يحذف المفعول حينما يتقدّم مثله في اللفظ. كقوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا اللّهُ مَايَشاءُ وَيُثْبِتُ﴾[٤]، أي ويثبت مايشاء.

وقوله تعالىٰ: ﴿وأَبْصِرْ فَسَوفَ يُبْصِرونَ﴾[٥].

أي أبصرهم؛ بدليل قوله: ﴿وأَبْصِرْهُمْ﴾[٦].

والسرّ في ذكر المفعول في الأوّل، وحذفه في الثاني في هذه الآية الشريفة أنّ الأُولىٰ اقتضت نزول العذاب بهم يوم بدر، فلمّا تضمّنت التشفّي قيل: ﴿أَبْصِرْهُمْ﴾ وأمّا الثانية، فالمراد بها يوم الفتح، واقترن بها مع الظهور عليهم تأمينهم والدعاء إلى إيمانهم، فلم يكن وقتاً للتشفّي، بل للبروز، فقيل له: ﴿أَبْصِرْ﴾ والمعنىٰ: فسيبصرون منّك عليهم.

وأمّا الثاني: فكما في قول الشاعر:

---

١. الليل: ٥ـ٧.

٢. الشعراء: ٦٩ـ٧٣.

٣. البقرة: ٧٧.

٤. الرعد: ٣٩.

٥. الصافات: ١٧٩.

٦. الصافات: ١٧٥.

بَناها فَـأَعْلىٰ والَـقنا يَـقِرَعُ القـنا وَمَـوْجُ المَـنايا حَـوْلَها مُـتَلاطِمُ

أي فأعلاها، وقد حذف المفعول حفاظاً علىٰ وزن البيت، فهو ضرورة.

وقول أحمد شوقي:

ما فـي الحـياة لأنْ تُـعا تِب أو تـحاسِبَ مُـتَّسعْ

أي تعاتب المخطئ أو تحاسبه.

وقول الشاعر:

شكرتكَ إنَّ الشكرَ فـرعٌ مـن التـقىٰ ومـا كـلّ أوليـتَهُ نـعمةً يـقضي

أي يقضي حقّها من الشكر، أو يقضي شكرها.

١١. **توجيه النفوس لإثبات الفعل للفاعل**، أي يكون القصد من حذفه مجرّد إسناد الفعل إلى الفاعل من غير قصد تعلّقه بمفعول، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهم آمْرَأَتَيْنِ تَـذُودانِ قـالَ مـاخَطْبُكُما قـالَتا لانَسْقِي حَتّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونا شَيْخٌ كبيرٌ * فَسَقىٰ لَهُمَا ثُمّ تَوَلّىٰ إلَى الظِّلِ فَقَالَ رَبِّ إنّى لما أَنْزَلْتَ إليَّ مِن خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١].

فقد حذف المفعول هنا في أربعة مواضع وهـي: ﴿أُمّـةً مِـنَ النّـاسِ يَسْـقُونَ﴾ و ﴿تَذُودَان﴾ و ﴿لانَسْقِى﴾ و ﴿فَسَقىٰ لَهُمَا﴾ والتقدير: يسقون غنماً، تدودان عن إبلهما، قالتا: لانسقي إبلنا، فسقىٰ لهما إبلهما؛ لغرض العلم فقط بأنّه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود، وأنّهما قالتا: لايكون منّا سقي حتّى يصدر الرعاء، وأنّه كان من موسىٰ ﷺ من بعد ذلك سقى.

وأمّا كون المسقيّ غنماً أم إبلاً أم غير ذلك، فخارج عن الغرض، وموهم خلافه، وذلك أنّه لو قيل: «وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما» جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم حتّى لو كان مكان الغنم إبـل لم ينكر الذود[٢].

---

١. القصص: ٢٣ـ٢٤.

٢. دلائل الإعجاز، ص١٧٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمَرْنا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾[١].

أي أمرناهم بالفسق، وهو مجاز عن تمكينهم واقتدارهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَىٰ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وأَنَّهُ هُوَ أغنىٰ وأَقْنىٰ﴾[٣].

أي هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[٤].

أي يعطيك الخير فترضاه.

ونحو قول البخيل لمن يعيبه بالبخل: طالما أنفقت، وساعدت، وعاونت، أي طالما أنفقت المال، وساعدت فلاناً وعاونت فلاناً، وحذفت المفعولات؛ لأنّ الغرض إلهام من الجملة ليس فلاناً وفلاناً من الأشخاص المعيّنة، إنّما الغرض هو: البذل والإعطاء لهذا أو لذاك بغير تعيين.

وذكر المفعول في قوله تعالىٰ: ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنثىٰ﴾[٥]؛

لأنّ المراد جنس الزوجين، فكأنّه قال: «يخلق كلّ ذكر وكلّ أُنثىٰ» وكان ذكره هنا أبلغ؛ ليدلّ على عموم ثبوت الخلق له بالتصريح.

١٢. تعيّنه حقيقة أو ادّعاء:

الأوّل: كقولك: «نحمد ونشكر» وتقصد «اللّه» سبحانه، حذفتَ المفعول هنا لتعيّن «ثبوت» أنّه المحمود المشكور حقيقة.

وكقولك: «شربت الدابّة» تريد الماء.

وقال سبحانه: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً﴾[٦]، اي الذين كفروا.

---

١. الإسراء: ١٦.
٢. النجم: ٤٣ و٤٤.
٣. النجم: ٤٨.
٤. الضحى: ٥.
٥. النجم: ٤٥.
٦. الكهف: ٢.

الثاني: كأن تقول: «تمرُّ وتزور»، أي تمرّ دار فلانٍ وتزور، حذفت المفعول لادّعاء تعيّنه؛ وأنّه مستحقّ الزيارة الأوحد في البلد.

١٣. إيهام صونه عن لسانك؛ لسموّ منزلته، أو صون لسانك عنه؛ لدنو منزلته:

الأوّل: كقولك «نخشىٰ ونتّقي» تريد اللّه جلّ وعلا.

الثاني: كقولك: «لعن اللّه وطرد» تريد إبليس، عليه لعنة اللّه.

وثمّة أغراض أُخرىٰ تقتضي حذف المفعول، كإخفائه عن السامعين خوفاً عليه، أو التمكّن من إنكاره إن مسّت الحاجة إلى ذلك، أو استهجان ذكر المفعول، وهكذا.

❊ ❊ ❊

تخريج الكلام على خلاف مقتضىٰ الظاهر في المسند إليه

هناك ثلاثة اصطلاحات بلاغية كانت لنا وقفة معها في موضع سابق، ونستعيدها هاهنا لمقتضيات البحث، وهذه المصطلحات هي:

١. الحال: وهو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مصوّراً بصورة خاصّة، بصرف النظر عمّا إن كان المخاطب يتّصف بهذا الأمر، أو لايتّصف به، بل يفترضه المتكلّم افتراضاً:

فخلّو الذهن لدى المخاطب، حال يدعو المتكلّم إلى إيراد كلامه خالياً من التأكيد.

وتردّد المخاطب في قبول الحكم حال يدعو المتكلّم إلى استحسان إيراد الكلام مؤكّداً بمؤكّد واحد... وهكذا.

٢. ظاهر الحال: وهو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مصوّراً بصورة خاصّة؛ شريطة أن يتّصف المخاطب بهذا الأمر أو هذه الصفة فعلاً، وهكذا:

فخلوّ الذهن الذي يتّصف به المخاطب فعلاً، ظاهر حال يدعو المتكلّم إلى إيراد الكلام خالياً من التأكيد.

والتردّد الذي يتّصف به المخاطب فعلاً، ظاهر حال يدعو المتكلّم إلى استحسان إيراد كلامه مؤكّداً بمؤكّد واحد.

٣. تخريج الكلام على وفق مقتضىٰ الظاهر وهو الإتيان بالكلام مصوّراً بصورة تطابق ظاهر الحال، كأن يؤتىٰ بالكلام خلوّاً من التأكيد حين يكون المخاطب خالي الذهن فعلاً، فيقال مثلاً: «محمّد صادق».

أو يؤتى به مؤكّداً بمؤكّد واحد حين يكون المخاطب متردّداً في الحكم، شاكّاً فيه فعلاً فيقال مثلاً: «لمحمّد صادق».

أو يؤتى به مؤكّداً بأكثر من مؤكّد حين يكون المخاطب منكراً للحكم فعلاً، فيقال مثلاً: «إنّ محمّداً لصادق».

هذا التطابق بين صورة الكلام، أو كيفيّته المخصوصة، وبين ظاهر حال المخاطب وواقعه النفسي، يسمّىٰ تخريجاً للكلام على وفق مقتضىٰ الظاهر.

لكنّ المتكلّم قد يتخيّل ـ تبعاً لأسباب تبدو له ـ أنّ المخاطب خالي الذهن مثلاً، وهو على الحقيقة منكِر، ثمّ يأتي بالكلام موافقاً لتخيّله، وهو خلوّ الذهن، ومخالفاً لحقيقة أمر المخاطب ـ الإنكار ـ فيقول لهذا المخاطب: «محمّد صادق».

هاهنا نقول: إنّ خلوّ الذهن حال، والإنكار ظاهر حال، وإتيان الكلام على هذه الصورة الخالية من التأكيد، تخريج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ويعني ذلك إعطاء الكلام صورة أو كيفيّة مخصوصة مخالفة لظاهر حال المخاطب وواقعه النفسي، ومستجيبة لتصوّر وضع المتكلّم في الحسبان، وتخيّله تخيّلاً مستنداً إلى أسباب خاصّة بدت له حالاً.

ونسوق لك هاهنا صوراً من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهرفي المسند إليه، وهذه الصور هي أساليب يحدثها البليغ في النظم؛ ليحقّق بها أغراضاً بلاغية تكسب الكلام قوّة وجمالاً، وتجعل النظم يوحي بالأفكار التي تثير انتباه

القارئ والسامع؛ تلبية لاعتبار مناسب اقتضاه الحال.

وصور إيراد المسند إليه على خلاف مقضى الظاهر كثيرة، منها:

□ **أوّلاً: وضع المضمر موضع المظهر:**

ويؤتى بالمسند إليه مضمراً وظاهر حاله يستدعي الإظهار في أُسلوبين:

الأُسلوب الأوّل: «نعم» و«بئس» مثل: «نعم رجلاً محمّد، وبئس فتاةً هندٌ» فالمسند إليه ضمير مستتر في «نعم» و«بئس» مع أنّ شرط الإضمار هو أن يتقدّم للضمير مرجع، وكان مقتضى الظاهر أن يؤتى بالمسند إليه ـ فاعل «نعم» و«بئس» اسماً ظاهراً؛ لفقدان شرط الإضمار، فيقال: «نعم الرجلُ محمّدٌ، وبئس الفتاةُ هندٌ» فـ«الرجل» و«الفتاة» فاعلا «نعم» و«بئس» وكلاهما اسم ظاهر، ولكن خولف فيهما مقتضى الظاهر، فوضع المضمر موضع المظهر لغرض بلاغي هو الإيضاح بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال؛ ليتمكّن في ذهن السامع مايعقب الضمير[1].

الأُسلوب الثاني: باب ضمير الشأن والقصّة، كقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ﴾[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لاتَعْمَى الأَبْصارُ﴾[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لايُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[4].

فالمسند إليه في الآيات ضمير شأن أو قصّة، وهو ضمير غيبة، ولم يتقدّمه مرجع،

---

١. من الواضح أنّ هذا الأُسلوب يصحّ على رأي من يجعل المخصوص بالمدح أو الذمّ مبتدأ محذوف الخبر، أو خبراً محذوف المبتدأ، أمّا من يجعل المخصوص مبتدأ، و الجملة قبله خبراً، فلا يكون من هذا الباب؛ لأنّ الضمير في هذه الحالة يكون عائداً على متقدّم في الرتبة؛ و إن تأخّر في اللفظ.

٢. الإخلاص، ١.

٣. الحج: ٤٦.

٤. المؤمنون: ١١٧.

ولم تدلّ عليه قرينة، وكان مقتضى الظاهر أن يعبّر بدلاً عنه بالاسم الظاهر، ولكن جاء المسند إليه ضميراً؛ لتفخيم الشأن أو القصّة، وطريق الإجمال والإبهام ثمّ الإيضاح والتفصيل يساعد على تحقيق الغرض البلاغي المطلوب؛ لأنّ الضمير حين يطرق النفس ـ من غير أن يكون له عائد يعود عليه ـ يصيّرها إلى حالة من الغموض والإبهام لاقرار لها معها، فتتشوّق إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير، فإذا جاءت الجملة المفسِّرة تمكّن معناها، ووقع في القلب موقع القبول.

ومنه في الشعر قول الشاعر:

هِيَ الحياةُ كَمَا شاهدْتُها دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتْهُ أزْمانُ

وقول أبي خِراش الهُذَليّ يذكر عروة أخاه وخراشاً ابنه، وكان قد أُسِرا، فقتل أخاه، ونجا خراش:

حَمِدتُ إلهي بعدَ عُروةَ إذ نَجا خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ
فواللّهِ ماأنسىٰ قتيلاً رُزِئتهُ بجانبِ قوسىٰ مامَشَيْتُ علىٰ الأرضِ
علىٰ أنّها تعفو الكلوم وإنّما نُوكّلُ بالأدنىٰ وإن جَلَّ مايمضي[1]

الأُسلوب الثالث: ادّعاء أنّ مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، كقولك: «أقبل وعليه الهيبة والوقار».

ومنه قول الشاعر:

أبتِ الوِصالَ مخافَةَ الرقباءِ وأتَتْكَ تحتَ مدارِعَ الظلماءِ

جاء الشاعر بالمسند إليه ـ فاعل «أبت» ـ ضميراً مستتراً لم يتقدّم مرجعه، ولم يُذكر له مفسّرٌ؛ اعتماداً على وضوح المراد منه، وادّعاء أنّه معروف حاضر في القلب لايخطر بالبال سواه.

---

١. «قوسى» المكان الذي قتل فيه عروة «تعفو الكلوم» تمحى آثار الجراح؛ أي ينسى الإنسان مصائبه كلّها، ولكن الإنسان يتألّم للمصيبة الحاضرة وإن كانت أصغر من المصيبة التي مضت.

□ **ثانياً: وضع المظهر موضع المضمر:**

وقد يعكس الوضع السابق، فيؤتىٰ بالمظهر موضع المضمر، وللمظهر هنا حالان:

الحال الأوّل: أن يكون اسم إشارة.

الحال الثاني: أن يكون اسماً ظاهراً غير اسم إشارة، كأن يكون علماً، أو معرّفاً بـ«ال» أو بالإضافة، أو نحو ذلك:

فإن كان هذا المظهر اسم إشارة فلأغراض بلاغية، أهمها:

١. **كمال العناية بتمييز المسند إليه**؛ ليبدو في معرض المحسوس المشار إليه؛ لاختصاصه بأمر غريب أو عجيب، كقوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَالايَضُرُّهُ وَمَالا يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعيدُ﴾[1].

مقتضى الظاهر أن يكتفى بالضمير، فيقال: «هو الضلال البعيد» لتقدّم المرجع معنى وهو دعاء مالايضرّ ومالاينفع، لكنّه عدل عنه إلى اسم الإشارة ﴿ذٰلِكَ﴾ مثلاً لكمال العناية بتمييز المسند إليه بسبب اختصاصه بحكم غريب، ويجيء هذا كثيراً في القرآن الكريم.

ومن ذلك قول ابن الراوندي:

كَمْ عاقِلٍ عاقِلٍ أعْـيَتْ مـذاهِـبُهُ وَجـاهِلٍ جـاهِلٍ تـلقاهُ مَـرْزُوقا
هذا الذي تَـرَكَ الأوهـامَ حـائِرَةً وَصَـيَّرَ العـالِمَ النِّـحْريرَ زِنْـديقا[2]

والشاهد فيه مجيء المسند إليه«هذا» اسم إشارة مشاراً به إلى الحكم السابق غير المحسوس حرمان العاقل، وارتزاق الجاهل، وكان مقتضىٰ الظاهر أن يؤتىٰ بالضمير

---

١. الحج: ١٢.

٢. التبيان، ص ٧٠ و رُدّ عليه:

كـم أديبٍ فَـهِمٍ قَـلْبُهُ مُسْتكمِلِ العقلِ مُقلٍ عديمِ
و مـن جـهولٍ مُكـثِرٍ مـالهُ ذلِكَ تـقديرُ العـزيزِ العـليمِ

انظر البيتين ـ أعلاه ـ كذلك في المصباح، ص٢٩؛ الإيضاح، ص٧٣؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٤٧؛ المفتاح، ص ، شرح عقود الجمان، ج١، ص١٠٤.

مكان اسم الإشارة؛ لتقدّم مرجعه، فيقال: «هما» مثلاً. لكنّه عُدِل عن ذلك، وجيء باسم الإشارة لأجل الحكم البديع[١] الذي اختصّ به المشار إليه؛ وهو جعل الأوهام حائرة العالم النحرير زنديقا، ولهذا كان جديراً بأن يميّز أكمل تـمييز، ليشـار إليـه ويسند إليه هذا الحكم.

٢. التهكّم بالسامع، وذلك كان يسأل بصير عن شيء، فيجيبه آخر مشيراً إلى غير شيء تهكّماً به، كما لو سأل: «من رماني بـالحجر؟» فأُجـيب: «هـذا الذي رمـاك بالحجر» مع عدم وجود مشار إليه أصلاً.

أو كأن يسأل كفيف عن شيء، فيشار إليه بـ «هذا» كما لو سأل: «مـن رمـاني بالحجر؟» فقيل له: «هذا الذي رماك بالحجر» ومقتضىٰ الظاهر أن يؤتىٰ بـالمسند المبتدأ ضميراً، فيقال: «هو الذي رماك بالحجر» مرجع الضمير في سؤال الكـفيف، لكنّ المتكلّم أخرج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر؛ لقصد السخريّة والتهكّم بالمخاطب، إذ نزّله منزلة البصير استهزاء به.

٣. التنبيه على بلادة السامع، وأنّه لايدرك غير المحسوس بحاسّة البـصر، أو على كمال فطانته؛ وأنّ غير المحسوس عنده بمثابة المحسوس.

فمثال الأوّل قول الفرزدق لجرير:

أُولئِكَ آبائي فـجِئْني بِـمِثْلِهِم   إذا جَمَعْتَنا ياجَريرُ المـجامِعُ[٢]

فالفرزدق وضع اسم الإشارة وهو «أُولئك» وكان يـمكنه أن يـأتي بـه ضـميراً فيقول: «هم آبائي» لتقدّم مرجعه في الأبيات السابقة التي تتحدّث عن مفاخر آبائه وأجداده، ولكنّه آثر اسم الإشارة الظاهر عن الضمير للتعريض بغباوة جرير، والتنبيه علىٰ بلادته، ويريد أن يفهمنا أنّ جريراً لايدرك إلّا المحسوس بالبصر، ومعلوم أنّ اسم الإشارة يدلّ علىٰ مشاهد معيّن.

---

١. معنى كونه بديعاً أنّه ضد ما كان ينبغي.

٢. ديوانه، ج ١، ص٤١٨؛ المفتاح، ص٤٥؛ الايضاح، ص٤٥؛ الاشارات، ص٤١؛ المصباح، ص١٨؛ النقائض، ج ٢، ص٦٩٩؛ بغية الإيضاح، ج ١، ص٩٢؛ شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ج ٢، ص٦٩٦.

ومثال الثاني قول الأُستاذ لطلّابه بعد أن يشرح مسألة: «هذه مسألة واضحة» وكان مقتضىٰ الظاهر أن يقول: «هي مسألة»، ولكنّه عبّر باسم الإشارة تنبيهاً على كمال فطنة الطلّاب، وأنّ المعقول عندهم كالمحسوس بحاسّة البصر.

قال الشاعر:

تَعالَلْتِ كَيْ أَشْجىٰ ومابكِ عِلّةٌ   تُرِيدينَ قَتْلِي قد ظَفِرْتِ بذلكِ[1]

أي بقتلي، وكان من حقّه أن يقول: «به» لكنّه ادعىٰ أنّ قتله قد ظهر ظهور المحسوس، فوضع اسم الإشارة وهو اسم ظاهر بدل الضمير؛ لادّعاء كمال ظهوره، خلافاً لمقتضىٰ الظاهر وهو في غير باب المسند إليه.

٤. **ادعاء كمال ظهور المسند إليه حتّى كأنّ المعقول ـ في رأي المتكلّم ـ ممّا يحسّ بحاسّة البصر**، كأن تحاور إنساناً في مسألة ينكرها: «هذه مسألة ظاهرة» وكان مقتضى الظاهر أن تقول: «وهي مسألة ظاهرة» ولكنّك عبّرت باسم الإشارة؛ إدعاء لكمال ظهور المسند إليه عندك، حتّى كأنّه ممّايحسّ بحاسّة البصر.

ويؤتى بالمسند إليه اسماً ظاهراً غير اسم الإشارة في موضع المضمر لأغراض بلاغية أهمّها:

١. ***أن يقصد تمكين المسند إليه في ذهن السامع***؛ لأنّ المقام يقتضي اعتناءً بشأنه، ومن الاعتناء بشأنه أن لاينوب عنه ضمير؛ لأنّ الضمير وإن جاز أن ينوب عنه، لايغني غناء الاسم الظاهر؛ لما يتضمّنه الاسم من معنىٰ له وقع عند المتلقّي أو المتذوّق في رأي الشاعر أو الأديب، ففي إظهار الاسم مكان إضماره بيان لعظم أمر ما؛ شرفاً، أو خسّة، جودة، أو رداءة، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ * اللّهُ الصَّمَدُ﴾[2].

لم يقل: «هو الصمد» وإن كان ظاهر الحال يقتضي الإضمار؛ لتقدّم المرجع، ولكنّه قال: ﴿اللّهُ الصَّمَدُ﴾، فوضع المظهر موضع المضمر؛ لأنّ المقام يقتضي الاعتناء

---

١. البيت لابن الدمينة، شعره، ص١٦؛ المصباح، ص٢٩؛ الايضاح، ص٧٣؛ المفتاح، ص٢٩٤؛ نهاية الايجاز، ص١١٠؛ معاهد التنصيص، ج١، ص١٥٩؛ ومعنىٰ أشجىٰ: أحزن من شجىٰ يَشجىٰ، وأما شجا يشجو فهو متعد.

٢. الإخلاص: ١ و٢.

بتمكين لفظ الجلالة من النفوس، وعلى هذا الأُسلوب جرى القـرآن الكـريم فـي مواضع كثيرة منه حيث يريد تربية المهابة في نفوس المؤمنين.

وقوله تعالىٰ: ﴿الحاقَّةُ * ما الحاقَّةُ﴾[١]، فمقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير، فيقال: «الحاقّة ماهي»؛ لتقدّم المرجع، ولكن عدل إلى الاسم الظاهر؛ ليتمكّن فـي ذهـن السامع تمكّناً قويّاً؛ لما في الاسم الظاهر من التصريح.

وأمّا ماجاء منه للذمّ فنحو قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ عَـدُوّاً لِلّـهِ وَمَـلائِكَتِهِ وَرُسُـلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢].

فقوله تعالىٰ: ﴿فإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: «عدو لهم» وقد سبق ذكرهم في ﴿مَنْ﴾ المبهم، واسم ﴿كَانَ﴾ المضمر فيها؛ ذمّاً لهم بـالكفر، وتـبييناً أنّ عـدوّ اللّـه وملائكته ورسله لايكون إلّا كافراً.

وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمينَ مِنْ أَنْصارٍ﴾[٣].

فوضع ﴿اَلظّـالمينَ﴾ موضع ضمير المدخلين؛ للدلالة عـلى أنّ ظـلمهم تسـبّب لإدخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها.

ونظيره من غير المسند إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَبالحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ﴾[٤].

ولم يقل: «وبه نزل» مع أنّ الحقّ قد ذكر قبله[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبّى رَحِـيمٌ وَدُودٌ﴾[٦]، فـمقتضى الظاهر أن يعبّر عن الذات بالخطاب؛ فيقال: «إنّ ربّكم» مجاراةً لظاهر السياق فيما تقدّم، لكنّه عدل عن الخطاب إلى التكلّم؛ لإظهار الاعتبار بإضافة الربّ إليه.

---

١. الحاقّة: ١ و٢.

٢. البقرة: ٩٨.

٣. آل عمران: ١٩٢.

٤. الإسراء: ١٠٥.

٥. قيل: و لا يخفى أنّ الاستشهاد دائماً يتمّ لو كان الحقّان بـمعنى واحـد، لا أن يـختلف مـعناهما عـلى مـا قـاله المفسّرون من أنّ المعنى بسبب الحقّ و العمل به أنزلنا القرآن و نزل، أو المعنى أنزل القرآن و معه الحقّ و بالأوامر و النواهي شرح التلخيص، ص٢٥٤.

٦. هود: ٩٠.

ومنه في أشعار العرب قول الفِنْدُ الزِّمانيُّ في حرب البسوس:

صَفَحْنا عَنْ بَني ذُهْلٍ وَقُلْنا القَوْمُ إخْوانُ

عَسَىٰ الأَيّامُ أن يَرْجِعْـ ـنَ قَوْماً كالذي كانوا

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأمسَىٰ وَهُوَ عُرْيانُ

وَلَمْ يَبْقَ سِوى العُدْوا نِ دِناهُمْ كما دانُوا

شَدَدْنا شَدَّة اللَّيثِ عَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبانُ[١]

فقد أتى بالمسند إليه اسماً ظاهراً وهو الليث، وكان ظاهر المقام يقتضي أن يأتي به ضميراً، فيقول: «وهو غضبان»؛ لتقدّم مرجع الضمير، ولكنّه عدل عن الإضمار إلى الإظهار؛ ليتمكّن الإسم في ذهن السامع؛ لأنّ المقام وهو الحرب يقتضي الاعتناء به؛ لأنّ في لفظ المسند إليه وهو الليث ما يشعر بالتفخيم والتهويل.

وقول الشاعر:

وإنْ طُرّةٌ ذاقتكَ فانظُرْ فربّما أمرّ مذاق العُودِ والعُود اخضرُ

في موضع: «وهو أخضر».

٢. ***أن يقصد الاستعطاف***، أي طلب العفو والرحمة، كقول الشاعر:

إلهي عبدك العاصي أتاكا مُقِرّاً بالذنوبِ وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لذاك أهلٌ وإن تطرد فمن يرحم سِواكا[٢]

قال: «عبدك العاصي أتاك» مكان: «أنا العاصي أتيتك»، فأخرج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر؛ لما في قوله: «عبدك» من التخضّع، واستحقاق الرحمة، وترقّب الشفقة.

٣. ***لادخال الروعة والمهابة في نفس السامع***، نحو: ﴿فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلىٰ اللّهِ﴾[٣]؛ لا ندراج كلّ كمال تحت لفظ الجلالة، فأجدر به أن يكون موضع التُكلان.

٤. ***التهكم والتعجب***، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ص والقرآنِ ذى الذكر * بَلِ الّذينَ كَفَرُوا

---

١. شرح حماسة أبي تمام، ج ١، ص ٣٦٠.
٢. البيت بلا عزو في الايضاح؛ معاهد التنصيص، ج ١، ص ١٧٠؛ التبيان، ص ٦٠.
٣. آل عمران: ١٥٩.

في عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾[١].

ثمّ قال بعد: ﴿وَقَالَ الكافِرُونَ هذَا سَاحِرٌ كَذّابٌ﴾، فالغرض تشديد النكير عليهم، والتعريض بأنّهم حقّاً أهل التمرّد والعناد.

٥. *التلذّذ بذكره*، كلفظ «سلمى» في قول الأخطل[٢]:

سَـقىٰ اللّـهُ مـينْهُ دارَ سَـلْمىٰ بِـرِيّةٍ عَلى أنَّ سَلمىٰ ليسَ يُشْفى سَقيمُها[٣]
وَلَوْ حَـمّلَتْني السـرَّ سَـلْمىٰ حَـمَلْتُهُ وَهَـل يَـحْمِلُ الأسْـرارَ إلّا كَـتُومُها[٤]
مِـنَ العَـربياتِ البـوادي ولمْ تَكُـنْ تُـلَوّحُها حُـمّى دِمَشْـقَ ومُـومُها[٥]

ذكر «سلمى» مرّتين باسمها الصريح في موضع حقّه الإضمار؛ لتقدّم المرجع في صدر البيت الأوّل، وما ذلك إلّا للتلذّذ بجريان اسمها على لسانه، وهذا من المعاني المتعارفة في شعرنا العربي حتّى أنّ الشعراء يحبّون عذل العذّال ولوم اللائمين حبّاً لذكر المحبوبة.

أمثلة قرآنية أُخرىٰ حول وضع المظهر موضع المضمر كما تأتي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿فَبَدَّلَ الّذينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الّذى قِيلَ لَهُمْ فَـأَنْزَلْنا عَـلى الّـذينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ﴾[٦].

وضع الظاهر مكان الضمير في قوله: ﴿فَأَنْزَلْنا عَـلى الّـذينَ ظَـلَمُوا﴾، ولم يـقل: «فأنزلنا عليهم» لزيادة التقبيح والمبالغة في الذمّ والتقريع، وتنكير ﴿رِجْزَاً﴾ للتهويل والتفخيم.

---

١. ص: ١ و٢.
٢. الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص١٤٩.
٣. «السقيم» العليل المريض، يذكر صاحبته و يطلب لها السقيا؛ مضيفاً أنّ من يعلّق بحبّ صاحبته يظلّ طوال عمره سقيماً لا يشفيه أيّ دواء.
٤. يقول: لو حمّلتني سلمى سرّها لكتمته، و لن أبوح به لأحد؛ لئلّا يفتضح أمرها.
٥. «تلوّح» تغيّر لونه. «الموم»: نوع من المرض أشدّ من الجدري، يقول: إنّ صاحبته من عرب البوادي، فهي لم تقطن حواضر الشام، و لم تلوّحها شمسها المؤذية كالحمّى.
٦. البقرة: ٥٩.

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ علىٰ الّذينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُم مَاعَرَفُوا كَفَروا به فَلَعْنَةُ اللّهِ علىٰ الكافِرينَ﴾[1].

وضع الظاهر مكان الضمير: ﴿فَلَعْنَةُ اللّهِ علىٰ الكافِرينَ﴾، ولم يقل «عليهم»؛ لينبّه على السبب المقتضي لذلك وهو الكفر.

٣. قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السماواتِ والأَرْضِ وَما لَكُم مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾[2].

وضع الاسم الجليل موضع الضمير في ﴿أنَّ اللّه﴾ وفي ﴿مِنْ دُونِ اللّـه﴾ لتـربية الروعة والمهابة في النفوس.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيةٍ ماتَبِعُوا قِبْلَتَكَ...﴾[3].

في قوله ﴿أوتُوا الكِـتابَ﴾ وضع اسم الموصول موضع الضمير؛ للإيذان بكـمال سوء حالهم من العناد.

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَو يَرَى الَّذينَ ظَلَمُوا إذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للّهِ جَميعاً...﴾[4].

وضع الظاهر موضع الضمير في ﴿وَلَوْ يَرَوْنَ﴾؛ لإحضار الصورة في ذهن السامع، وتسجيل السبب في العذاب الشديد؛ وهو الظلم الفادح.

٦. في قوله تعالىٰ: ﴿واتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾[5].

إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار؛ لتربية المهابة، وإدخال الروعة.

٧. في قوله تعالىٰ: ﴿فَلا جُناحَ عَلَيْهُما أَنْ يَتَراجَعا إنْ ظَنّا أَنْ يُقيمَا حُدُودَ اللّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[6].

وضع الاسم الجليل موضع الضمير؛ لتربية المهابة، وإدخال الروعة في النفوس، وتعقيبُ النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد.

---

١. البقرة: ٨٩.
٢. البقرة: ١٠٧.
٣. البقرة: ١٤٥.
٤. البقرة: ١٦٥.
٥. البقرة: ١٩٦.
٦. البقرة: ٢٣٠.

٨. قال في قوله تعالىٰ: ﴿سَنُلْقِي في قُلُوبِ الَّذينَ كَفَروا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا باللّهِ مالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً ومأواهُم النّارُ وَبِئْسَ مَثوىٰ الظّالِمينَ﴾[1].

ولم يقل: «بئس مثواهم» بل وضع الظاهر مكان الضمير للتغليظ، وللإشعار بأنّهم ظالمون؛ لوضعهم الشيء في غير موضعه، والمخصوص بالذمّ محذوف؛ أي بئس مثوى الظالمين النار.

٩. قال في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ ياأهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ علىٰ شيْءٍ... فَلا تَأْسَ عَلىٰ القَوْمِ الكافِرينَ﴾[2]، ولم يقل: «عليهم» وإنّما وضع الظاهر مكان الضمير للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر.

١٠. في قوله تعالىٰ: ﴿وَنَقُولُ لِلّذينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النار... وقالَ الّذينَ كَفَرُوا لِلحقِّ لمّا جاءَهُم إنْ هذا إلّا سِحْرٌ مُبينٌ﴾[3]، وضع الظاهر موضع الضمير لتسجيل جريمة الكفر عليهم ﴿وَقالَ الّذيْنَ كَفَرُوا لِلْحقّ﴾ والأصل: «قالوا».

١١. في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ خَسِرَ الّذينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُم سَفَهاً بِغَيرِ علمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افتِراءً علىٰ اللّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كانُوا مُهْتَدينَ﴾[4].

إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار؛ لإظهار كمال عتوّهم وضلالهم.

١٢. في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوا أنْ جاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقالَ الكافِرُونَ هذَا ساحِرٌ كَذّابٌ﴾[5].

وضع الظاهر مكان الضمير ﴿وَقَالَ الكَافِرُونَ﴾ بدل «قالوا» لتسجيل جريمة الكفر عليهم.

١٣. في قوله تعالىٰ: ﴿وَإذا رَأَيْتَ الّذينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأعْرِضْ عَنْهُم حَتّىٰ يَخُوضُوا فِي حَديثٍ غَيرِهِ وإمّا يُنْسِيَنَّكَ الشيطانُ فلاتَقْعُدْ بَعْدَ الذِكْرىٰ مَعَ

---

١. آل عمران: ١٥١.
٢. المائدة: ٦٨.
٣. سبأ: ٤٣.
٤. الأنعام: ١٤٠.
٥. ص: ٤.

القَومِ الظالمينَ﴾[١].

وضع الظاهر موضع الضمير أي «معهم» للتسجيل عليهم بشناعة ما ارتكبوا حيث وضعوا التكذيب والاستهزاء مكان التصديق والتعظيم.

١٤. في قوله تعالىٰ: ﴿أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾[٢]. الإظهار في مقام الإضمار لمزيد الاهتمام والعناية، و كذا في ﴿إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً﴾ بعد قوله: ﴿وَقُرآنَ الفَجْرِ﴾.

١٥. قوله تعالىٰ: ﴿إذا جَاؤوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الّذينَ كَفَروا إنْ هذَا إلّا أسَاطيرُ الأوّلينَ﴾[٣].

ففي ﴿يَقُولُ الّذينَ كَفَروا﴾ وضع الظاهر موضع الضمير؛لتسجيل الكفر عليهم.

١٦. قوله تعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ باللّهِ لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُم إليْهِم لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إنّهُم رِجْسٌ وَمَأْواهُم جَهَنَّمُ جَزاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوا عَنْهُم فإنْ تَرْضُوا عَنْهُمْ فإنَّ اللّهَ لايَرْضىٰ عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[٤]. فالاظهار في موضع الإضمار هو ﴿لايَرْضىٰ عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ لزيادة التشنيع والتقبيح، وأصله: «لايرضىٰ عنهم».

١٧. في قوله تعالىٰ: ﴿هذٰا خَلْقُ اللّهِ فَأَرُونى مَاذَا خَلَقَ الّذينَ مِنْ دُونِهِ بلِ الظالِمُونَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٥]، وضع الظاهر موضع المضمر؛ لزيادة التوبيخ، وللتسجيل عليهم بغاية الظلم والجهل ﴿بلِ الظالِمُونَ فِى ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ وكان الأصل أن يقال: «بل هم في ضلال مبين».

١٨. قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبُوا أنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُم فَقَالَ الكَافِرونَ هذٰا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٦].

---

١. الأنعام: ٦٨.
٢. الإسراء: ٧٨.
٣. الأنعام: ٢٥.
٤. التوبة: ٩٥ـ٩٦.
٥. لقمان: ١١.
٦. ق: ٢.

فذكر ﴿فَقَالَ الكَافِرونَ﴾ بدل (فقالوا) للتسجيل عليهم بالكفر.

١٩. في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَنْ يَتَعدَّ حُدُودَ اللّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾[١]، الإظهار في موضع الإضمار للتهويل.

٢٠. في قوله تعالىٰ: ﴿وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الفَصْلِ * وَما أدْراكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾[٢]، وضع الظاهر مكان الضمير، والمجيء بصيغة الاستفهام كما في ﴿لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الفَصْلِ * وَما أدْراكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾ لزيادة تفظيع الأمر وتهويله.

٢١. قوله تعالىٰ: ﴿القارِعَةُ * مَا القارِعَة * وَمَا أدْراكَ مَا القارِعَةُ﴾[٣].

وضع الظاهر مكان الضمير للتخويف والتهويل، والأصل أن يقال: «القارعة ما هي؟».

٢٢. في قوله تعالىٰ: ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالَها * وَأخْرَجَتِ الأرْضُ أثْقالَها﴾[٤]، الإظهارفي مقام الإضمام وهو ﴿وَأخْرَجَتِ الأرْضُ﴾لزيادة التقرير والتوكيد.

٢٣. قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ اظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بآياتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزى الّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنَا﴾[٥].

ففي ﴿يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنَا﴾ وضع الظاهر مكان الضمير عنها؛ لتسجيل شناعة وقباحة طغيانهم.

٢٤. قوله تعالىٰ: ﴿الحَمْدُ للّهِ الّذى خَلَقَ السَّمَاواتِ والأرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ثُمَّ الّذينَ كَفَرُوا بَربّهِم يَعْدِلُونَ﴾[٦]، ففيه استبعاد أن يعدلوا به إلى غيره بعد وضوح آيات قدرته، ووضع الربّ في ﴿رَبِّهم﴾ موضع الضمير لزيادة التشنيع والتقبيح.

---

١. الطلاق: ١.

٢. المرسلات: ١١ـ١٤.

٣. القارعة: ١ـ٣.

٤. الزلزلة: ١ـ٢.

٥. الأنعام: ١٥٧.

٦. الأنعام: ١.

تخريج الكلام على خلاف مقتضىٰ الظاهر في غير المسند إليه:

هناك صور مختلفة يأتي فيها تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في غير المسند إليه بحث بعضها مفصّلاً في علم البديع وهو يسلّط الأضواء عليها من خلال إبراز المزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال.

وأمّا علم المعاني، فيسلّط الأضواء على هذه الصور ليعرّفنا على صياغة عباراتها صياغةً تتناسب تماماً مع مقتضى الحال؛ لتعبّر تعبيراً دقيقاً عن القصد الذي تبتغيه، وعبقرية اللغة العربية تكمن في مرونتها وطواعيتها، وإفادتها دقيق المعاني بوجوه وفنون الصياغة، فتصف بهيئة الكلمة، وتشير بخصوصية التركيب، فمن أهمّ هذه الصور:

● أوّلاً: الالتفات:

وحقيقته التعبير عن معنىً بطريق الثلاثة: التكلّم، والخطاب، والغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها رعاية لنكتة[١]، وذلك ستّ صور:

١. **فمن التكلّم إلى الخطاب** قول اللّه تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لاٰ يَسْـأَلُكُمْ أَجْـراً وَهُـمْ

١. بشرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر الملتفت عنه، بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأوّل. فقوله تعالى: ﴿فَاقْض مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنّما تَقْضِي هَذه الْحيَاة الدُّنيا * إِنَّا آمَنَّا بِرِبِّنا﴾ طه: ٧٢ و٧٣.
فالضمير في الجملة الأُولى للمخاطب و هو «أنت»، و في الجملة الأخيرة للمتكلّم وهو «نحن»، ففيه انتقال من الخطاب إلى التكلّم، و مع ذلك لا يسمّى إلتفاتاً؛ لأنّ المراد ليس واحداً، و كذلك قول جرير:

ثـقي بـالله ليس له شـريك	و مـن عـند الخـليفة بـالنجاح
اغـتني فـداك أبـي و أمّـي	بسـبب مـنك إنّك ذو ارتـياح

فكلا الضميرين في البيت الاوّل و الثاني للمخاطب، ولكنّ الخطاب مختلف، فهو في البيت الأوّل يخاطب امرأته، بينما في البيت الثاني يخاطب الخليفة الأموي، و هذان البيتان ليسا من الالتفات؛ لأنّه لم ينتقل من ضمير إلى ضمير آخر مخالف له في نوعه. (أُنظر: فن البلاغة، ص١٥٧؛ أسلوب الالتفات، ص١٥١).

مُهْتَدُونَ * وَما لِى لا أَعْبُدُ الّذى فطَرنى وإلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾[١].

فقد عبّر عن المعنىٰ أوّلاً بطريق التكلّم، فقال: ﴿وَما لِى لا أَعْبُدُ الّذى فطَرنى﴾ ثمّ التفت فعبّر عنه بطريق الخطاب، فقال: ﴿وإلَيهِ تُرْجَعُونَ﴾ وكان مقتضىٰ الظاهر أن يقول: «وإليه أرجع»؛ وذلك لما في الالتفات من فائدة التلطّف والترفّق مع المخاطب، فأبرز الكلام في صورة من ينصح نفسه تلطّفاً بهم، فهو لا يبغي لهم إلّا ما يبغيه لنفسه، فإذا انقضىٰ غرضه، كشف عن مراده، وبيّن أنّ القصد إليهم وهو تحذيرهم من أنّهم راجعون إلىٰ اللّه تعالىٰ، فكأنّه قال: «كيف لاتخافون من ترجعون إليه فيحاسبكم على ماقدّمتم؟!».

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبريلَ فإنّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ بإذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشرىٰ للمُؤْمِنينَ﴾[٢].

وكان مقتضىٰ الظاهر أن يقول: «على قلبي» للدلالة على أنّ القرآن كما لاشأن في إنزاله لجبريل وإنّما هو مأمور مطيع، كذلك لا شأن في تلقّيه لرسول اللّهﷺ إلّا أنّ قلبه وعاء للوحي لا يملكمنه شيئاً سوىٰ أنّه مأمور بليغ.

٢. ومن التكلّم إلى الغيبة قوله تعالىٰ: ﴿إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[٣].

فقد عبّر عن المعنى أوّلاً بطريق التكلّم: ﴿إنّا أعْطَيْناكَ...﴾ ثمّ التفت فعبّر عنه بطريق الغيبة، فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ...﴾ وكان مقتضىٰ الظاهر أن يقول: «فَصَلِّ لنا»؛ وذلك لما في الالتفات من بلاغة تأتي من أنّ في لفظ «الربّ» حثّاً علىٰ فعل المأمور به؛ لأنّه مَنْ غيرُ رَبّك يستحقّ العبادة؟»، وفيه إزالة الاحتمال أيضاً؛ لأنّ قوله: ﴿إنّا أعْطَيْناكَ الكَوْثَرَ﴾ ليس صريحاً في إفادة الإعطاء من اللّه، وأيضاً كلمة ﴿إنّا﴾ تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظِّم نفسَه، فلمّا التفت بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ زال

---

١. يس: ٢١ـ٢٢.
٢. البقرة: ٩٧.
٣. الكوثر: ١ و٢.

هذان الاحتمالان[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَد صَرَّفْنَا فِى هذَا القُرآن لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إلّا نُفُورَاً﴾[٢]، تنبيهاً علىٰ أنّهم غير صالحين للخطاب والتكلّم بعدما كان.

٣. من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالىٰ: ﴿حَتّىٰ إذا كُنْتُمْ فِى الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِـهِم﴾[٣]؛ وذلك لأنّ المخاطبين هم الذين إذا أنجاهم اللّه من الغرض، يبغون في الأرض بغير الحقّ، فناسب أن ينقل الحديث إلى الغيبة إعراضاً عنهم، وتشهيراً بهم، ودعوة لغيرهم أن يأخذوا من قصّتهم عظة وعبرة؛ لأنّهم لمّا كانوا في الفلك كانوا في مقام الشهود والوجود، فناسب المقام خطابهم، فلمّا جرت بهم الريح، وذهبوا بعيداً عن مقام الخطاب، ناسب حالهم طريق الغيبة.

وكما قال في قوله تعالىٰ: ﴿ادْخُلُوا الجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ...﴾[٤]، ولم يقل: «يطاف عليكم».

٤. من الغيبة إلى التكلّم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ الَّذى أرْسَلَ الرِّياحَ فَتَثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ...﴾[٥]. فالتفت من الغيبة في قوله: ﴿وَاللّهُ الَّذى أرْسَلَ الرِّيـاحَ﴾ إلى التكلّم في قوله: ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ وكان مقتضىٰ الظاهر أن يقال: «فساقه»؛ وذلك لأنّ سوق السحاب إلى بلد ميّت أمر لايقدر عليه غير مقسّم الأرزاق سبحانه وتعالىٰ؛ لأنّ ذلك نوع من قسمة الأرزاق حيث يسوقها سبحانه إلى من يشاء من عباده، فناسب أن يسند السوق الى ذاته العلية.

كما قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَها وَزَيَّـنا السَّمَاءَ الدُّنْيا﴾[٦]، ولم يقل: «وزيّن».

---

١. شرح التلخيص، حاشية الدسوقي، ج١، ص٤٦٨.
٢. الإسراء: ٤١.
٣. يونس: ٢٢.
٤. الزخرف: ٧٠ ـ ٧١.
٥. فاطر: ٩.
٦. فصلت: ١٢.

والفائدة من ذلك أنّ طائفة من الناس ـ غير المتشرّعين ـ يعتقدون أنّ النجوم ليست في سماء الدنيا، وأنّها ليس حفظاً، ولا رجوماً، فلمّا صار الكلام إلى هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس؛ لأنّه مهمّ من مهمّات الاعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذّبة المعتقدة بطلانَه.

٥. ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالىٰ: ﴿الحَمْدُ للّهِ رَبِّ العَالمينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيم * مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ * إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ...﴾[١].

فإنّه عبّر عن الذات أوّلاً بطريق الغيبة فقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾ فالتفت إلى الخطاب فقال: ﴿إيّاكَ نَعْبُدُ﴾[٢]؛ وذلك لأنّه بدأ الحديث عن اللّه تعالىٰ معظّماً لشأنه، معدّداً لصفات عظمته التي توجب العبادة له وحده، فلمّا حان وقت عبادته خاطبه خطاب الحاضر الذي لايغيب عنه طرفة عين.

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً * إنّ هذَا كَانَ لَكُمْ جَزاءً﴾[٣]، ولم يقل: «كان لهم».

٦. من الخطاب إلى التكلّم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ إنَّ رَبّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٤].

فإنّه عبّر عن الذات أوّلاً بطريق الخطاب، فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إلَيْهِ﴾ ثمّ عبّر عنهما ثانياً بطريق التكلّم، فقال: ﴿إنَّ رَبّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾، فالسامع يثير انتباهه ماذا يحدث بعد الاستغفار والتوبة، وهو في لهفة المتطلّع، وشوق المنتظر، فجاء الجواب بصيغة التكلّم بعد أن قرن اسمه سبحانه باسم الرسول؛ تعظيماً لاستغفاره

---

١. الحمد: ١ـ٦.

٢. كذلك حصل الالتفات بقوله: ﴿وإياك نستعين﴾ و ﴿اهدنا﴾ و ﴿أنعمت﴾ لأنّ الانتقال فيه حاصل من الخطاب ﴿إياك نعبد﴾ إلى خطاب آخر.
أما في قوله ﴿مالك يوم الدين﴾ فيصدق عليه أنّه انتقال من طريق إلى طريق آخر، لكنّه ليس على خلاف مقتضى الظاهر، بل جاء على مقتضى الظاهر، لأنّه لما التفت للخطاب صار الأسلوب له، فهو خارج عن الالتفات شروح التلخيص، حاشية الدسوقي، ج١، ص٤٦٦.

٣. الإنسان: ٢١ ـ ٢٢.

٤. هود: ٩٠.

وتوبته، وتفخيماً لشأن الرسول ﷺ.

أو قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ يعكس لسان حال المخاطب بعد استغفاره وتوبته، وشعوره بسرعة الاستجابة وهو تحت رعاية ربّ رحيم ودود، وهذا واضح من عدم وصل الجملة بما قبلها.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ماتَمْكُرُونَ﴾[١].

علىٰ أنّه سبحانه نزّل نفسه منزلة المخاطب، فالضمير في ﴿قُلْ﴾ للمخاطب، وفي ﴿رُسُلَنا﴾ للمتكلّم.

أمثلة أُخرىٰ للالتفات كما تلي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ﴾[٢].

ولم يقل: «لنغفر لك» تعليقاً لهذه المغفرة التامّة باسمه المتضمّن لسائر أسمائه الحسنى، ولهذا علّق به النصر، فقال: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾[٣].

٢. قوله تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أمْراً مِنْ عِنْدِنَا إنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِن رَبِّكَ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[٤].

كما أنّه وضع الظاهر و هو ﴿رَبِّكَ﴾ موضع الضمير وهو «رحمة منّا» إيذاناً بأنّ الربوبية تقتضي الرحمة للمربوبين.

٣. قوله تعالىٰ: ﴿قُل ياأيُّهَا النَّاسُ إنّى رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً... فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٥]، ولم يقل: «بي» وله فائدتان:

إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها.

ثانيتهما: تنبيههم على استحقاقه الاتّباع بما اتّصف به من الصفات المذكورة؛ من

---

١. يونس: ٢١.
٢. الفتح: ١ و٢.
٣. الفتح: ٣.
٤. الدخان: ٤ـ٦.
٥. الأعراف: ١٥٨.

النبوّة والأُمّية التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنّه لايستحقّ الاتّباع لذاته، بل لهذه الخصائص.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿ قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلىٰ مَاجَاءَنا من البَيِّناتِ وَالّذى فَطَرنا فَاقضِ مَا أنْتَ قاضٍ إنَّمَا تَقْضى هذِهِ الحَيَاةَ الدُّنيا * إنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾[١].

٥ـ قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

والأصل: «فقطعتم» عطفاً على ماقبله، لكنّه عدل من الخطاب إلى الغيبة؛ لينعى عليهم مافعلوا من التفرّق في الدين، وجعله قطعاً موزّعة.

٦. قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدّاً﴾[٣].

عدل من الغيبة في ﴿قالوا﴾ إلى الخطاب في ﴿جئتكم﴾ المنبئ عن كمال السخط وشدّة الغضب، المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح والتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة.

٧ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَماوَاتٍ فى يَوْمَيْنِ وَأَوْحىٰ فى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيا بِمَصَابِيحَ﴾[٤].

عدل عن الغيبة في ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ و ﴿سَوَّاهُنَّ﴾ إلى التكلّم في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾ للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه بأنّه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا وحفظاً، تكذيباً لمن أنكر ذلك.

٨. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ بَنِى إِسْرَائيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَى عَشَرَ نَقِيباً...﴾[٥].

ففي ﴿وَبَعَثْنا مِنْهُمُ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلّم، ومقتضىٰ الظاهر «وبعث» وإنّما التفت اعتناءً بشأنه.

---

١. طه: ٧٢ و٧٣.
٢. الأنبياء: ٩٢ و٩٣.
٣. مريم: ٨٨ و٨٩.
٤. فصلت: ١٢.
٥. المائدة: ١٢.

٩. قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

فإنّ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ للتوبيخ والتقريع، فقد كان الكلام بصيغة الغيبة، ثمّ التفت فخاطبهم بصيغة الحضور.

١٠. قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ...﴾[2]، ففيه التفات من الغائب إلى المخاطب.

١١. قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ...﴾[3].

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ من باب الالتفات؛ لأنّه جاء بعد لفظ ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهو التفات من الحاضر إلى الغيبة، والسرّ في هذا الالتفات تعظيم شأن الجهاد في سبيل اللّه.

١٢. قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[4].

الالتفات من الغائب إلى المخاطب ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ﴾ والغرض المبالغة في تحقيق الحقّ.

١٣. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَاتَشْكُرُونَ﴾[5].

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ والأصل: «وجعل له» والنكتة أنّ الخطاب إنّما يكون مع الحيّ، فلمّا نفخ تعالىٰ الروح فيه حسن خطابه مع ذريّته.

١٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ

---

١. البقرة: ٢٨.
٢. البقرة: ١٩٦.
٣. آل عمران: ١٤٠.
٤. سبأ: ٣٦ و ٣٧.
٥. السجدة: ٩.

لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾[١]؛ إذ مقتضىٰ السياق «إذ قلنا» كما أنّ جواب ابراهيم جاء علىٰ هذا المنوال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَـالَمِينَ﴾ ولم يـقل: «أسـلمت لك» للإيذان بكمال قوّة إسلامه، وللإشارة إلى أنّ من كان ربّاً للـعالمين، لايـليق إلّا أن يتلقّىٰ أمره بالخضوع وحسن الطاعة.

١٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيّ... وَهُوَ الّذى خَلَقَ اللّيلَ والنَّـهارَ والشّمسَ والقَمَرَ كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٢].

الالتفات من المتكلّم إلى الغائب ﴿وَهُوَ الّذى خَـلَقَ اللّـيلَ وَالنَّـهارَ﴾ بـعد قـوله ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ﴾ وذلك لتأكيد الاعتناء بالنعم الجليلة التي أنعم بها اللّه علىٰ العباد.

١٦. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلّا لِيُطاعَ بإذْنِ اللّهِ ولَـوْ أَنَّـهُمْ إذْ ظَـلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً﴾[٣].

في ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ تفخيم لشأن الرسول، وتعظيم لاستغفاره، ولو جرى على الأصل لقال: «واستغفرت لهم».

١٧. قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ الّذينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنْزَلْنا مِن البَيّناتِ والهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مـابيّنّاهُ للنّاس فِي الكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُم اللّهُ...﴾[٤].

ف﴿يَلْعَنُهُم اللّهُ﴾ فيه التفات من ضمير المتكلّم إلى الغيبة؛ إذ الأصل «نلعنهم» ولكن في إظهار الاسم الجليل وهو ﴿يَلْعَنُهُم اللّهُ﴾ إلقاء الروعة والمهابة في القلب.

١٨. قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا بِكتابِكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ * وَجَـعَلُوا بَـيْنَهُ وَبَـيْنَ الجـنّةِ نَسَباً...﴾[٥].

فإنّ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كما في ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَـيْنَ الجـنّةِ نَسَـباً﴾ والأصل: «وتجعلون» والالتفات للإشارة إلى أنّهم ليسوا أهلاً للخطاب وهم بعيدون

---

١. البقرة: ١٣٠و١٣١.
٢. الأنبياء: ٣٠ـ٣٣.
٣. النساء: ٦٤.
٤. البقرة: ١٥٩.
٥. الصافات: ١٥٧و١٥٨.

من رحمة ربّ الأرباب.

١٩. قوله تعالىٰ: ﴿وإذَا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَاللّهُ أعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالوا إنّما أنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أكْثَرُهُمْ لايَعْلَمُونَ﴾[١].

ففيه الاعتراض بـ﴿وَاللّهُ أعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ﴾؛ إذ هي جملة اعتراضية لبيان الحكمة الإلهية في النسخ، وفيه التفات من التكلّم إلى الغيبة، وذكر الاسم الجليل لتربية المهابة في النفس.

٢٠. قوله تعالىٰ: ﴿وَألْقىٰ فى الأرْضِ رَوَاسىَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دابّةٍ وَأنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأنْبَتْنا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٢].

الالتفات من الغيبة إلى التكلّم وهو ﴿وَأنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ﴾ بعد قوله ﴿خَلَقَ﴾ و ﴿ألقىٰ﴾ و ﴿بَثَّ﴾ وكلّها بضمير الغائب، ثمّ التفت، فقال: ﴿وَأنْزَلْنا﴾ تعظيماً لشأن الرحمن، وتوفية لمقام الامتنان.

٢١. قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ ياعبادىَ الّذينَ أسْرَفُوا عَلىٰ أنْفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٣].

ففيه الالتفات من التكلّم إلى الغيبة وهو ﴿لاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ﴾ والأصل: «لاتقنطوا من رحمتي».

٢٢. قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ جَاءَ بالحَقِّ وَصَدَّقَ المُرْسَلِينَ * إنّكُمْ لَذَائِقُوا العَذابِ الأليمِ﴾[٤].

ففيه الألتفات من الغيبة إلى الخطاب وهو ﴿إنّكُمْ لَذَائِقُوا العَذابِ الأليمِ﴾ والأصل: «إنّهم لذائقو» وإنّما التفت لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم.

٢٣. قوله تعالىٰ: ﴿وَأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً * لِيَسْألَ الصادقينَ عَنْ صِدْقِهِم...﴾[٥].

---

١. النحل: ١٠١.

٢. لقمان: ١٠.

٣. الزمر: ٥٣.

٤. الصافات: ٣٧ و٣٨.

٥. الأحزاب: ٧ و٨.

إنّ الالتفات في ﴿لِيَسْأَلَ الصادقينَ﴾ لغرض التبكيت والتقبيح للمشركين.

٢٤. قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُ البَنَاتُ وَلَكُم الْبَنُونَ﴾[١].

فإنّ الالتفات فيه من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التوبيخ والتقريع لهم، والأصل: «أم له البنات ولهم البنون؟!».

٢٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَلكِنَّ اللّهَ حبّبَ إليكُمْ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ فى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إليكُمْ الكُفْرَ والفُسُوقَ...﴾[٢]؛ فإنّ فيه الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو ﴿أُولئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ﴾ بعد قوله ﴿حبّبَ إليكُمْ الإيمانَ﴾.

٢٦. قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ والجِبالُ وَكَانَت الجِبالُ كَثِيْباً مَهِيلاً * إنّا أرْسَلْنا إليكُمْ رَسُولاً...﴾[٣].

فيه الالتفات من الخطاب وهو ﴿إنّا أرْسَلْنا إليكُمْ رَسُولاً﴾ ولو جرىٰ على الأصل لقال: «إنّا أرسلنا إليهم»، والغرض من الالتفات التقريع والتوبيخ علىٰ عدم الإيمان.

٢٧. قوله تعالىٰ: ﴿وَغَرَّتْكُم الحَياةُ الدُّنْيا فاليَومَ لايَخْرَجُونَ مِنْها ولاهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٤].

فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة؛ لإسقاطهم من رتبة الخطاب.

٢٨. قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أُمَّةً قَانِتاً للّهِ حنيفاً... وآتيناهُ فِى الْدُّنْيا حَسَنَةً...﴾[٥]، فالالتفات في ﴿وآتيناهُ فِى الْدُّنْيا حَسَنَةً﴾ التفات من الغيبة إلى التكلّم، وإشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه وتفخيم أمره.

٢٩. قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أئِنّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالّذى خَلَقَ الأرضَ... فَإنْ أعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُم صاعِقةً...﴾[٦].

الالتفات في ﴿فَإنْ أعْرَضُوا﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ أئِنّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ وهو التفات من

---

١. الطور: ٣٩.
٢. الحجرات: ٧.
٣. المزمل: ١٤و١٥.
٤. الجاثية: ٣٥.
٥. النحل: ١٢٠و١٢١.
٦. فصلت: ١٠ـ١٣.

الخطاب إلى الغيبة، وناسب الإعراض مخاطبتهم؛ لكونهم أعرضوا عن الحقّ، وهو تناسب حسن.

٣٠. قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إنّكُمْ أيُّها الضَّالُّونَ المُكَذِّبُونَ... هذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدّيْنِ﴾[١].

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وهو ﴿ثُمَّ إنّكُمْ أيُّها الضَّالُّونَ﴾ ثمّ قال بعد ذلك ملتفتاً عن خطابهم: ﴿هذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدّيْنِ﴾، وذلك للتحقير من شأنهم، والأصل: «هذا نزلكم».

٣١. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاتَدْرى لَعَلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أمْراً﴾[٢].

الالتفات لمزيد الاهتمام ﴿لاتَدْرى لَعَلَّ اللّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أمْراً﴾ ورد بطريق الخطاب، والأصل أن يكون بطريق الغائب: «لايدري».

٣٢. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُم... فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيْتُمْ أن تُفْسِدوا فِي الأرْضِ...﴾[٣].

﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع.

٣٣. قوله تعالىٰ: ﴿إلّا الّذيْنَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصّالحاتِ فَلَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدّينِ﴾[٤].

التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ زيادةً في التوبيخ والعتاب.

٣٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَأمّا إذَا مَا ٱبْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْه رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّى أهانَنِ * كَلّا بَلْ لاتُكرِمُونَ اليتيمَ﴾[٥].

فإنّ في ﴿كَلّا بَلْ لاتُكرِمُونَ اليتيمَ﴾ التفات من ضمير الغائب إلى المخاطب؛ زيادةً

١. الواقعة: ٥١ـ٥٦.
٢. الطلاق: ١.
٣. محمد: ٢١ و٢٢.
٤. التين: ٦ و٧.
٥. الفجر: ١٦ و١٧.

في التوبيخ والعتاب، والأصل: «بل لايكرمون».

٣٥. قوله تعالىٰ: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم... وَعَدَكُمُ اللّهُ مَـغانِمَ كَثِيرةً...﴾[١].

فالالتفات من ضمير الغائب إلى الخطاب في ﴿وَعَدَكُمُ اللّهُ مَـغانِمَ﴾ بـعد قـوله تعالىٰ: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَـلَيْهِمْ﴾ لتشـريف المـؤمنين فـي مـقام الامتنان.

٣٦. قوله تعالىٰ: ﴿وإذْ أَسَرَّ النبيّ إلى بَعْض أزْواجِهِ حَديثاً... إنْ تَتُوبا إلى اللّه...﴾[٢].

فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب في ﴿إنْ تَتُوبا إلى اللّهِ﴾ زيادة في التوبيخ واللوم والتقريع.

٣٧. في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إلىٰ أهْلِهِ يَتَمَطّىٰ * أوْلىٰ لَكَ فَأوْلَىٰ﴾[٣]، التفات من الغيبة إلى الخطاب تقبيحاً وتشنيعاً.

- **ثانياً: سوق المعلوم مساق غيره (تجاهل العارف) (مزج الشك باليقين):**

وهو أن يسأل المتكلّم عن شيء يعرفه سؤالَ من لايعرفه، ليُعلِمَ أنَّ شدّة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبّه بالمشبّه به، وفائدته المبالغة في المعنى وهو ممدوح عند البلغاء؛ لكون مجيئه على سبيل التعجّب[٤].

وقد ذكره العسكري مدرجاً الشكّ باليقين وسمّاه: «تـجاهل العـارف»، ومـزج الشكّ باليقين، وعرّفه، فقال: هو إخراج مايعرف صحّته مخرج مايشكّ فيه؛ ليـزيد بذلك تأكيداً، كقول بعض الشعراء:

كَتَبْتُ إليكَ والأحشاءُ تَهْفُو وَقـلبي مـايَقرُّ لهُ قـرارُ

وتحدّث السكّاكي عنه في تنكير المسند إليه، وذكر التجاهل في البلاغة، ومثّل له

---

١. الفتح: ١٨ ـ ٢٠.

٢. التحريم: ٣ و٤.

٣. القيامة: ٣٣ و٣٤.

٤. نضرة الاغريض، ص١٩٢.

بقول الخارجية:

أيا شَجَرَ الخـابورِ مـالَكَ مـورِقَاً كأنّكَ لم تَجْزَع علىٰ ابن طَرِيفِ[١]

ثمّ أدخله بعد ذلك في التحسين المعنوي، وسمّاه: «سوق المعلوم مساق غيره».

ولعلّه عدل إلى هذه التسمية؛ تعظيماً لكتاب اللّه واحترامه حين ترد بعض آياته كأمثلة لهذا النوع؛ إذ لايصحّ إطلاق تسمية «تجاهل العارف» على شيء من آيات الكتاب العزيز[٢]، وتسمية السكّاكي أدقّ وأكثر أدباً إلّا أنّه لم يغيّر من جوهر المعنى بتسميته «تجاهل العارف» شيئاً من حيث الواقع[٣].

وعرّفه المصري بقوله: «هو سؤال المتكلّم عمّا يعلمه حقيقة تـجاهلاً مـنه بـه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح، أو الذمّ، أو ليدلّ على شدّة التدلّه في الحبّ، أو لقصد التعجّب، أو التقرير، أو التوبيخ[٤]».

وقسّمه المصري إلى قسمين:

القسم الأوّل: موجب، كقوله تعالىٰ: ﴿أَبَشَراً مِنّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾[٥] وهذا خارج مخرج التعجّب.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مايَعْبُدُ آبـاؤُنا أَوْ أَنْ نَـفْعَلَ فـى أَمْـوالِـنا مانَشاؤُا﴾[٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونى وَأُمِّى إلٰهَـيْنِ مِـنْ دُونِ اللّـهِ﴾[٧]، وهـذا خارج مخرج التقرير[٨].

---

١. أي ساقت المعلوم و هو كون الشجر لم يجزع مساق الأمر المشكوك الذي لم يعرف حاله بإدخال «كأنّ» عـلى ذلك الدالّة على عدم التحقيق، وقولها: «مالك مورِقاً» دليل التوبيخ، و سرّ ذلك أنّها لم ترد أن تصرّح بعدم جـزع الشجر على ابن طريف، بل أرادت أن تقول: كيف يجوز لك أن تجزع على أخي و لا نحسّ ذلك منك؟

٢. انظر: معجم المصطلحات البلاغية و تطوّرها، ص٢٥٧.

٣. البديع في ضوء أساليب القرآن، ص٧١.

٤. تحرير التحبير، ص١٣٥؛ بديع القرآن، ص٥٠.

٥. القمر: ٢٤.

٦. هود: ٨٧.

٧. المائدة: ١١٦.

٨. فإنّ السؤال هنا لم يكن للتشبيه، و إنّما هو توبيخ لمن ادّعى فيه ذلك، فقد أجاب عـيسى عليه السلام بـالنفي والله يـعلم ذلك، وفي هذا الأسلوب ما يظهر بوضوح تبرئة عيسى عليه السلام ممّا نسب إليه، و إقامة الحجّة على من يعتقد ذلك.

وممّا جاء منه في المدح قول بعضهم:

بـدا فـراغ فُـؤادي حُسْـنَ صُـورتِهِ فقلْتُ: هل مَلِكٌ ذا الشَّخْصُ أم مَلَكُ

وأمّا ماجاء منه للذمّ، فكقول زهير:

وَمَـا أدْرِي وَلسْتُ أخَـالُ أدْري أقَـــومٌ آلُ حُـصْنٍ أمْ نِسَـاءُ[١]

وأمّا مادلّ منه علىٰ التدلّه في الحبّ، فكقول العَرْجي:

باللّهِ ياظَبَياتِ القـاعِ قُـلْنَ لَـنا لَيْلاي مِنْكُنَّ أمْ ليلىٰ مِنَ البَشَرِ[٢]

القسم الثاني: منفيّ، كقوله تعالىٰ: ﴿مَا هذَا بَشَراً إنَّ هذَا إلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٣].

وعليه نرى أنّ الأديب يتصرّف في بناء العبارة أو الجملة، فيسوق المعلوم مساق غيره؛ ليبلغ مراده من وجهة تثبت المعنى المراد مـن المـدح، أو الذمّ، أو غـيرهما، ومرجع تأكيد المعنى وإثباته في هذا الضرب إظهار المتكلّم أنّه تحرّى الدقّة والتمس الحقيقة، فوجد الأمر على ماوصف، فإنّ هذا اللون من التصرّف البـلاغي أو هـذا التعبير الذي أُدرج تحت تخريج الكلام على خلاف مقتضى ظاهر الحال، والحال هو الأمر الداعي لإيراد الكلام مكيّفاً بكيفيّة مخصوصة، سواء كان ذلك الأمر الداعي ثابتاً في الواقع، أم كان ثبوته بالنظر إلى ماعند المتكلّم.

أمّا ظاهر الحال، فهو الأمر الداعي بشرط أن يكون ذلك الأمر ثابتاً في الواقـع فقط، فظاهر الحال أخصّ من الحال، فيكون مـقتضى ظـاهر الحـال أخـصّ مـن

---

١. خزانة الأدب، ج ١، ص٢٧٨؛ الطراز، ج ٣، ص ٨١؛ حسن التوسّل، ص ٢٣١؛ معاهد التنصيص، ج ٣، ص ١٦٥. يريد أن يقول أرجال آل حصن أم نساء؟ فالقوم: الرجال، أي فيه دلالة على أنّ لفظ «القوم» لا يطلق إلّا عـلى رجال خاصّة.

٢. حسن التوسّل، ص ٢٣٢؛ البديع، ص ١٤١، فالشاعر يعلم أنّ ليلى من البشر، لكـنّه تـجاهل ذلك و تـظاهر بأنّـه لا يدري، و قد أكّد ذلك التجاهل بسؤاله الظبيان، و هو يرمي من وراء ذلك إلى الترجمة عن ذهوله، و مدى سيطره حبّها عليه حتّى أفقده صوابه، و حتّى أصبح لا يدرى أهي إنسانة من بنات حوّاء، أم هي ظبي من الظباء!؟

٣. يوسف: ٣١. و في الآية أسلوب بلاغي رفيع من قبيل قصر القلب، فالمخاطبون وهم الرسل لم يكونوا جاهلين؛ لكونهم بشراً، و لا منكرين لذلك، لكنّهم نزلوا منزلة المنكرين؛ لاعتقاد الكفّار أنّ الرسول لا يكون بشراً، فنزلوهم منزلة المنكرين للبشريّة؛ لما اعتقدوا التنافي بين الرسالة و البشريّة، فـقلّبوا هـذا الحكـم و عكسـوه، و قـالوا: ﴿و ما أنتم إلّا بشر مثلنا﴾، أي أنتم مقصورون على البشريّة ليس لكم وصف الرسالة التي تدعونها، فلا فضل لكم علينا يقتضي اختصاصكم بالرسالة دوننا، ولو أرسل الرحمن إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم، و هم الملائكة على زعمهم.

مقتضى الحال، فإذا خُرّج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر كان سائراً على مقتضى الحال.

فعلم المعاني هو الذي يبحث في أحوال اللفظ، أي في التراكيب العربيّة، ويبحث أيضاً في الاعتبار المناسب، ومن وجهة الأوضاع التي تجعل المعنى يظفر بـأقصى درجات الموافقة للحال التي يقال فيها، والمخاطب الذي يوجّه اليه.

وقد أُدرج هذا اللون البلاغي في علم البديع؛ ليتولّى هذا العلم دراسة المعنى أو اللفظ من حيث صياغتهما على أنحاء خاصّة تثير الحسّ الجمالي، وتنعش النفس، فهو يدرس جماليات الآراء أو الصياغة، أو وجوه تحسين الكلام.

ومن الأغراض البلاغيّة على سوق المعلوم مساق غيره ما يأتي:

١. المبالغة، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُم عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١]، فهم يعنون بـ ﴿رَجُلٍ﴾ محمّداًﷺ، وكأنّهم لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً سوى أنّه رجل ما، وهو عندهم أوضح من الشمس.

٢. الاستدراج، كقوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيْتُم أنْ تُفسِدُوا فى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أرْحَامَكُمْ﴾[٢]؛ إذ لو عدل عن الاستخبار المتضمّن للتوبيخ إلى تصريح الإخبار بأنّكم إذا تولّيتم أُمور الناس أفسدتم وقطّعتم الأرحام، للبسُوا جلد النمر، ولكن إذا تأمّلوا في الاستخبار أنصفوا وأذعنوا للحقّ.

٣. التعريض، نحو قوله: ﴿وَإنّا أوْ إيّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدىً أوْ فى ضَلالٍ مُبينٍ﴾[٣].

فهذا تعريض بأنّ الكافر في ضلال، والرسولﷺ على هدى بلاشكّ.

٤. التعظيم، كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إنّكَ أنْتَ عَلّامُ الغُيُوبِ﴾[٤].

فسؤال اللّه الرسل يوم القيامة عمّا أُجيبوا به ممّن أُرسلو إليهم ـ وهو يعلم بذلك

---

١. سبأ: ٧.

٢. محمّد: ٢٢.

٣. سبأ: ٢٤.

٤. المائدة: ١٠٩.

منهم ـ ممّا يدلّ على أهوال ذلك اليوم، لدرجة أنّهم ـ وهم رسل ـ يذهلون عن أخصّ أعمالهم.

٥. التسجيل بالكفر، نحو قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[1].

فسبب امتناع إبليس عن السجود لآدم معروف للّه سبحانه، ولكن هذا الأُسلوب تسجيل على إبليس بالمعصية؛ ليجيب بما أجاب به، فيستحقّ الجزاء.

• ثالثاً: الأسلوب الحكيم

ومن خلاف المقتضى مايسمّى بـ«الأُسلوب الحكيم»[2] وهو على أنحاء:

أ) تلقّي المخاطب بغير مايترقّب بأن يحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهاً على أنّه الأولىٰ بالقصد بالنسبة إلى حاله، كقول القبعثري للحجّاج حين قال له متوعّداً: «لأحْمِلَنَّكَ على الأَدْهم»، يعني الحجّاج القيد؛ إذ من أسمائه «الأدهم».

فقال له القبعثري: «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب».

فحوّل وعيد الحجّاج إلى وعد، وتلقّاه بغير مايترقّب حيث حوّل المراد من الأدهم إلى الفرس الأدهم، وهو الذي غلب سواده، وضمّ إليه وصفاً آخر للفرس وهو الأشهب، أي الذي غلب بياضه على سواده، ففاجأ ابن القبعثري الحجّاج، وحمل كلامه على غير مايريد، فنبّهه علىٰ أنّ الأولىٰ به ـ وهو الأمير ذو السلطان ـ أن يعطي ويكرم، لا أن يقيّد ويسجن.

ومنه قول ابن حجّاج البغدادي:

قلتُ: ثقّلتُ إذْ أتيتُ مِراراً　　قال ثقّلتَ كاهلي بالأيادي
قلتُ: طوّلتُ قال: لا بل تطولـ　　ـتَ وأبرمتَ قال: حبل ودادي

فلفظ «ثقّلت» وقع في كلام المتكلّم بمعنى حمّلتك المؤونة، فحمله المخاطب

---

١. ص: ٧٥.

٢. انظر: مفتاح العلوم، ص٤٣٥ – ٤٣٦؛ الايضاح، ص٧٩ – ٨٠؛ شروح التلخيص، ج١، ص٤٧٩؛ الاشارات والتنبيهات، ص٥٥.

على تثقيل عاتقه بالمنن والأيادي، وليس في «طوّلت» الأُولى التي من طول الإقامة، و«تطوّلت» من التطوّل ـ وهو التفضّل ـ شاهد.

ب) ومنه تلقّي السائل[١] بغير ما يتطلّب بتنزيل سؤاله منزلة سؤال غير سؤاله؛ تنبيهاً على أنّ ذلك الغير هو الأولى بحال، أو المهمّ له، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والحَجِّ﴾[٢].

قال معاذ بن جبل وثعلب بن غنم الأنصاري في السؤال: مابال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط يتزايد قليلاً قليلاً حتّى يمتلئ ويستوي، ثمّ لايزال ينقص حتّى يعود كما بدأ؟

فأُجيبا ببيان الغرض من هذا الاختلاف وهو أنّ الأهلّة بهذا التغيير تمكّن الناس من معرفة الوقت الذي يتوقّف عليه تدبيرهم شؤونهم، وكذا في مواقيت الصوم والحجّ وما إلى ذلك.

وكان مقتضى الظاهر أن يجابا ببيان السبب، فأُجيبا ببيان الحكمة والغرض، وفي هذا غرض مهمّ من التربية الربّانية التي تعلّم الخلق مايهمّهم، وتصرّفهم عمّا لاشأن لهم به؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ياأيّها الّذينَ آمَنوا لاتسألوا عن أشياء أن تبد لَكُم تسؤكم﴾[٣].

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَاأَنْفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالدينِ والأَقْرَبِينَ وَاليَتَامىٰ وَالمسَاكِين وَابن اَلسَّبيل﴾[٤]؛ إذا أنّهم سألوا عمّا ينفقون، فأُجيبوا ببيان طُرق إنفاق المال؛ توخّياً بذلك التنبيه على أنّ الأليق والأجدر بالسؤال هو المصرف، وأمّا نفس الإنفاق فمن أيّ شيء كان.

● رابعاً: القلب:

وهو نوع من البلاغة من خلاف المقتضى ويسمّى عند علماء المعاني بـ«القلب»،

---

١. و الفرق بينه و بين تلقّي المخاطب أنّ هذا مبنيّ على السؤال بعكس ذلك، و الاوّل قريب من أُسلوب تجاهل العارف و من أُسلوب القول بالموجب.

٢. البقرة: ١٨٩.

٣. المائدة: ١٠١.

٤. البقرة: ٢١٥.

وذلك بأن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، أي يتبدّل مكانهما على وجه يثبت حكم كلّ منهما للآخر[١]، وهو على ضربين:

الضرب الأوّل: مايوجبه تصحيح حكم لفظيّ، والمعنى صحيح من دونه، كقول القطامي:

قِفي قبلَ التـفرّقِ يـاضُباعا ولايكُ موقفٌ منكِ الوداعا[٢]

لمّا جاء بـ«موقف» نكرة وهو في موضع المبتدأ، وبـ«الوداع» معرفة وهو في موضع الخبر، جُعل هذا من باب القلب؛ إذ التقدير: «ولايكُ الوداعُ موقفاً منك؛ لأنّ الأصل أن تكون المعرفة مبتدأ والنكرة خبراً.

الضرب الثاني: مـايوجبه تـصحيح المـعنى، كـقولهم: «عـرضتُ النـاقة عـلى الحوض»، فمقتضى الظاهر أن يقال: «عرضت الحوض على الناقة»؛ لأنّ المعروض عليه يتحتّم أن يكون ذا شعور لكي يقبل مايعرض عليه أو يرفضه، ولكنّه قلّب هذا الوضع على خلاف مقتضى الظاهر، وحلّ كلٌّ من الجزءين محلّ الآخـر، وأُعـطي حكمه، ومبعث هذا القلب مخالفة العادة؛ إذ العادة أن يقدّم المـعروض للـمعروض عليه، أمّا هنا، فتخالف العادة، ويؤتى بالناقة إلى الحوض وهو ثـابت فـي مكـانه، ولذلك نزّل أحدهما منزلة الآخر.

ومن هذا القبيل قولهم: «أدخلت الخاتم في الإصبع» و«أدخلت القـلنسوة فـي الرأس» مع أنّ مقتضى الظاهر أن يقال: «أدخلت الإصبع فـي الخـاتم» و«أدخـلت الرأس في القلنسوة»[٣].

ومن القلب في التنزيل قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الّذينَ كَفَرُوا علىٰ النّارِ﴾[٤]. والأصل: «ويوم تعرض النار على الذين كفروا»؛ لأنّ المعروض عليه ينبغي أن

---

١. الظاهر أنّه من الحقيقة، و ربّما يدّعى أنّه من المجاز العقليّ وهو من مباحث المعاني و البديع بـاعتبارين. انـظر: شروح التلخيص، ج١، ص٤٨٦.

٢. يقول: قفي يا ضباعة ساعة حتى أُودّعكِ قبل التفرّق، فلا جعل الله لنا موقف الوداع موقفاً.

٣. الكافي في علوم البلاغة العربية، ج١، ص١٥٦.

٤. الأحقاف: ٢٠.

يكون ذا إدراك يميّز به ويختار على أساسه، والاعتبار اللطيف أو الغرض البلاغي الذي تحقّقه صياغة الآية الكريمة في هذه الصورة هو الإشارة إلى أنّ الكفّار أذلّاء مقهورون يُفرض عليهم العذاب فرضاً دون إعطائهم حقّ الاختيار، وأنّ النّار هي المتصرّفة فيهم[١].

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[٢]، أي مخلف رسله وعده.

وقوله تعالىٰ: ﴿فإنّهُمْ عَدُوٌّ لى إلّا رَبَّ العالمينَ﴾[٣]، أي فإنّي عدوّ لهم.

ومثله ﴿وَجَاءَتْ سَكْـرَةُ المَـوْتِ بـالحَقِّ﴾[٤]، والأصـل: «وجـاءت سكـرة الحـقّ بالموت».

● خامساً: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فى السَّماواتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ﴾[٥].

ومقتضى الظاهر أن يقول: «فيفزع»؛ لأنّ الحدث لمّا يقع بعدُ، ولكنّه عـبّر عـنه بالماضي إشارةً إلى تحقّق وقوعه.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَتىٰ أَمْرُ اللّهِ فَلاتَسْتَعْجِلُوهُ﴾[٦].

و مقتضى الظاهر أن يقول: «يأتي» لكنّه لمّا كان آتياً حـتماً مـقضياً، عُـدّ كـأنّه قد أتى.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقِّ ذلِكَ مَاكُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُـفِخَ فـى الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الوَعيدِ * وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْكُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ * وَقالَ قَرينُهُ هذَا مَا لَدىَّ عَتيدٌ * أَلْقِيا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفّارٍ عَنِيدٍ﴾[٧].

---

١. الكافي في علوم البلاغة، ص١٥٧.
٢. إبراهيم: ٤٧.
٣. الشعراء: ٧٧.
٤. ق: ١٩.
٥. النمل: ٨٧.
٦. النحل: ١.
٧. ق: ١٩.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُم...﴾[١]، عدل عن المضارع إلى التعبير بلفظ الماضي؛ دلالة على تحقّق وقوع الحشر، وأنّه لتحقّقه والجزم بوقوعه، كان جديراً أن يعبّر عنه بلفظ الماضي الذي يدلّ على تحقّق الوقوع في الزمن الماضي.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا﴾[٢]، أي يقولون: «ولم تشهدون؟!»؛ لأنّ القول والشهادة يقعان في الآخرة، وهما أمران محقّقان، فعبّر عنهما بالماضي.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ جاءَ بالسَيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النّارِ﴾[٣]، أي وتكبّ وجوههم في النار.

وكذلك المعنى الغالب في أفعال الدعاء والرجاء أن يكون في المستقبل، ولكن يعبّر عنه بلفظ الفعل الماضي، نحو: «صحبتك السلامة» و«حفظك اللّه، ورعاك اللّه» ولا يحتاج لنقله من صيغة الماضي إلى صيغة المضارع؛ لأنّ المعنى بالبداهة معلّق بالاستقبال، وفي بقائه على صيغة الماضي ما يشعر بقوّة الأمل في الاستجابة، كأنّ ما يرجىٰ أن يكون قد كان، وأصبح من المحقّق المستجاب، ولاشكّ أنّ هذا المعنى مقصود؛ لأنّه لم يأت عن عجز في اللغة، ولا يمتنع على قائل أن ينقله إلى صيغة المضارع إذا شاء[٤].

● سادساً: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل

كقوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ الّذى أرْسَلَ الرياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إلىٰ بلدٍ مَيّتٍ...﴾[٥].

فحقّ التعبير أن يكون بلفظ الماضي، لكنّه عبّر بالمضارع؛ مبالغةً في استحضار

---

١. الكهف: ٤٧.

٢. فصّلت: ٢١.

٣. النمل: ٩٠.

٤. اللغة الشاعرة، ص٨٢.

٥. فاطر: ٩.

صورة إثارة الرياح للسحاب، لتتصوّرها النفوس، وتستقرّ في القلوب.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإشْراقِ﴾[١].

قال سبحانه ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ ومقضتىٰ السياق أن يقال: «مسبّحات»؛ لأنّ التسبيح قد وقع في عهد داودعليه السلام لكن غرابة صدور التسبيح عن الجبال ودلالة ذلك على قدرة العزيز استدعت التعبير عن ذلك بصيغة المضارع التي نقلت الحدث من الماضي البعيد، وعرضته في مقام المشاهدة؛ ليستيقن منه ولايناقش فيه.

وقوله تعالىٰ: ﴿أفَكُلَّمَا جاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لاتَهْوى أنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُم فَفَرِيقاً كَذَّبْتُم وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[٢].

عبّر بلفظ المضارع؛ لاستحضار تلك الصورة البشعة في قتل الأنبياء؛ لتثبيتها في القلوب، وتنفير النفوس منها؛ لشدّة فظاعتها، ودلالتها على فسادهم وطغيانهم[٣].

● سابعاً: مخالفة السياق في صيغ الأفعال

وقد تتمثّل مخالفة السياق في العدول عن المضارع إلى الأمر، كقوله تعالىٰ: ﴿قالُوا ياهُودُ ماجِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إنْ نَقُولُ إلّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إنّى أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُوا أنّى بَرِىءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ﴾[٤].

قال: ﴿أُشْهِدُ اللّه﴾ فاقتضىٰ السياق أن يقول إثر ذلك «وأُشهدكم»؛ ليحصل التوافق بين الصيغتين في المضارعة، لكنّه عدل عن ذلك إلى الأمر فقال: ﴿وَآشْهَدُوا﴾؛ لأنّ في أمرهم بالشهادة ببراءة من دينهم استخفافاً بهم وبدينهم، وتحدّياً مغيظاً، ويتراءى لنا بون شاسع بين من تؤثر أن يشهد عليك وهو غائب فتقول «أُشهد» وبين من يحضرك فتتوجّه إليه وتأمره بأن يشهد فتقول: «اشهد».

---

١. ص: ١٨.

٢. البقرة: ٨٧.

٣. فن البلاغة، ص ٢٩٠.

٤. هود: ٥٣ ـ ٥٤.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ العدول عن المصدر إلى الأمر، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١]؛ فمقتضىٰ الظاهر أن يقال: «أمر ربّي بالقسط وبإقامة وجوهكم» ولكنّه عدل عن ذلك إلى الأمر؛ لأنّه من جنس الطلب، وهو أدعى إلى الإيقاظ وإثارة الاهتمام بالمطلوب ووجوب تنفيذه، ففي توجيه الأمر إليهم بإقامة الصلاة دليل على مزيد العناية بها.

● ثامناً: التغليب

وهو إعطاء أحد المصطلحين أو المتشاكلين حكم الآخر، وهو باب ذو شعب كثيرة، فمن ذلك:

١. تغليب المذكّر على المؤنّث، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٢].

أُدرجت مريم في القانتين من الرجال تغليباً لهم علىٰ القانتات. وقد جروا على خلاف الغالب في ألفاظ معدودات فغلّبوا المؤنّث علىٰ المذكّر.

ولم يقل اللّه سبحانه: «من القانتات» إيذاناً بأنْ وضَعها في العبّاد جدّاً واجتهاداً، وعلماً وتبصُّراً ورفعة من اللّه؛ لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقهم[٣].

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[٤].

والأصل: «الغابرات»، فقد وضعها اللّه تعالىٰ في الخسّة والدناءة وإيتاء الفاحشة في أوصاف الرجال بما ظهر من مشاركتها قومها في ذلك الذنب العظيم.

٢. تغليب الكثير على القليل، كقوله تعالىٰ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥].

غلّب الملائكة على إبليس وهو ليس منهم وسمّى الجميع: «ملائكة» وفي ذلك

---

١. الأعراف: ٢٩.
٢. التحريم: ١٢.
٣. البرهان، ج٣، ص٣٦٩.
٤. الأعراف: ٨٣.
٥. ص: ٧٣ و٧٤.

تذكير له بما كان عليه من قبل بوصفه ملكاً، ثمّ سلبت عنه الملكية؛ لعصيانه أمر ربّه بالسجود لآدم، فيمتلئ بالحسرة علىٰ طرده من زمرة الملائكة[١].

٣. تغليب المخاطب على الغائب، كقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٢].

بدّل «يجهلون» الذي ضميره للقوم ولفظه غائب مراعاةً للخطاب بـ﴿أَنْتُمْ﴾، فغلّب المخاطب على الغائب، فرمىٰ المخاطبين بالجهل، ومواجهتهم به أنكى وآلمّ لهم ممّا لو جعل هذا الوصف لقوم غائبين، وفي ذلك من التبكيت والزجر مايردُّ المخاطب عن غيّه وضلاله[٣].

٤. تغليب العاقل على غير العاقل، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾[٤].

استعمل ﴿مِنْ﴾ الموضوعة للعاقل، ولم يستعمل «ما» الموضوع لغير العاقل، وذلك على سبيل التغليب؛ إذ أعطى صفة الآدميين لغيرهم من الذين لايعقلون، كأنّه وصفهم بالتميّز والبصر، شأن العاقل المميّز للأُمور، المتبصّر في شؤون حياته.

وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ لَهُ مافي السَّماواتِ والأرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾[٥].

فأوقع ﴿مَا﴾؛ لأنّها تقع على أنواع من يعقل؛ لأنّه إذا اجتمع من يعقل ومالايعقل، فغلّب مالايعقل، كان الأمر بالعكس، ويناقضه: ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾.

وقال الزمخشري: جاء بـ«ما» تحقيراً لشأنهم وتصغيراً، وقال: ﴿له قانتون﴾ تعظيم.

● تاسعاً: وضع المفرد موضع المثنّى والجمع

كما يلي:

أ) وضع المفرد موضع المثنّى، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجنَّةِ فَتَشْقىٰ﴾[٦].

---

١. فن البلاغة، ص٣٢٣.
٢. النمل: ٥٥.
٣. فن البلاغة، ص٣٢٢.
٤. النور: ٤٥.
٥. البقرة: ١١٦.
٦. طه: ١١٧.

والمراد «فتشقيان»، فوضع المفرد موضع المثنّى، وقيل ذلك؛ لأنّ اللّه تعالى جعل الشقاء في معيشة الدنيا في حيّز الرجال، والرجال قوّامون عـلى النسـاء، فـتكون المرأة تابعة في شقاء الرجل، أو أنّ الخروج من الجنّة هو الشقاء الدنـيوي الواحـد الذي يعمّ الجميع.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿عَنِ اليَمينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ﴾[1]. فأراد «عن اليمين قـعيد، وعن الشمال قعيد»، فهما قعيدان، لاقعيد واحد.

وقول تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرضُوهُ﴾[2]، والمعنىٰ «أن يرضوهما».

فالعلّة البلاغية في وضع المـفرد مـوضع المـثنى هـي أنّ الإثـنين مـتلازمان متصاحبان يتّصل أحدهما بالآخر أشدّ الاتّصال، ويرتبط به كلّ الارتـباط، فـصارا كأنّهما شيء واحد، لاشيئين مختلفين، فحقّ عندئذٍ أن يعبّر عنهما بـلفظ المـفرد، وليس بلفظ المثنّى[3].

ب) وضع المفرد موضع الجمع، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ثُـمَّ يُـخرِجُكُمْ طِـفْلاً﴾[4]، أي أطفالاً.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالملائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[5]، أي ظهراء.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فى السَّماواتِ لاتُغْنى شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾[6]، أي ملائكة.

وقوله تعالىٰ: ﴿هؤُلاءِ ضَيْفى فَلا تَفْضَحُونِ﴾[7]، أي ضيوفى.

والعلّة البلاغيّة في وضع المفرد موضع الجمع هي أنّ المتكلّم جعل الجمع كنفس واحدة؛ لشدّة تماسكها واتّصالها، وليست ذوات متعدّدة تنفصل إحداها عن الأُخرىٰ، فيحدث بينها التمايز والافتراق، بل جعلهم كذات واحدة في الاجتماع والترافق[8].

---

١. ق: ١٧.
٢. التوبة: ٦٢.
٣. فن البلاغة، ص٢٩٩.
٤. الحجّ: ٥.
٥. التحريم: ٤.
٦. النجم: ٢٦.
٧. الحجر: ٦٨.
٨. شرح الكافية، ج٢، ص١٧٧.

ففي الآية حسن لفظ الواحد، فيكون إخراجهم إخراج الطفل الواحد.

وفي الآية الثانية أي كلّهم ظهير واحد.

وفي الثالثة لو اجتمع الملائكة في قوّة ملك واحد لما شفع له.

وفي الآية الرابعة يريد أن لايفرّط بأحد من ضيوفه، فجعلهم كالواحد لئلّا يتبادر إلى ذهنهم أن يختاروا أحدهم.

أمّا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا﴾[١]، فقد ذُكِرت جماعة، فهلّا قيل: «إنّما أولياؤكم؟» هذا ماأوضح الزمخشري في كشّافه حيث قال:

قلت: «أصل الكلام: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ﴾، فجعلت الولاية للّه على طريق الأصالة، ثمّ نُظِمَ في سلك إثباتها لرسول اللّهﷺ والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قيل: «إنّما أولياؤكم اللّه ورسوله والذين آمنوا» لم يكن في الكلام أصل وتبع[٢]».

ومن هذا السبيل يفسّر الإفراد والجمع في المقام الواحد بما خُبِرَ من أخلاق الناس، وعُرِف من أحوالهم وعاداتهم، في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[٣]، وأنّ كلمة ﴿الحُجُرات﴾ جمعت إجلالاً لرسول اللّهﷺ، ولمكان حرمَتِهِ، والمستعمل «حجرة»؛ لأنّهم قد أتوا الحجرة التي كان فيها، ونادوه من ورائها.

● عاشراً: وضع المثنّىٰ موضع المفرد والجمع

كما يأتي:

أ) وضع المثنى موضع المفرد، كقوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرجانُ﴾[٤].

اللؤلؤ والمرجان إنّما يخرجان من الماء المالح لا من العذب، وأصل الكلام: «يخرج منه اللؤلؤ والمرجان».

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[٥].

---

١. المائدة: ٥٥.

٢. الكشاف، ج١، ص٦٢٣.

٣. الشعراء: ١٠٠ و١٠١.

٤. الرحمن: ٢٢.

٥. الرحمن: ١٣.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿كِلْتا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾[1].

والعلّة البلاغيّة في وضع المثنى موضع المفرد هي إرادة التوكيد، فيكون ذلك إمّا بمنزلة تقسيم الشيء الواحد إلى شيئين ثمّ الحديث عنهما، وفي ذلك من التـأكـيد مالاتجده إذا عبّرنا عنه بلفظ المفرد.

وإمّا أن يكون بمثابة تكرار الفعل ثمّ امتزاج الفعلين، وصـار حـضور أحـدهما حضوراً للآخر.

فقوله تعالىٰ: ﴿أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفّارٍ عَنِيْدٍ﴾ بمثابة تكرار الفعل، وكأنّه قال: «ألق، ألق» فكأنّ تثنية الفاعل تقوم مقام تكرار الفعل.

وبمثل ذلك فُسِّر قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إذَا جَاءَ أَحَدَهُم المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ﴾[2]، أي «أرجعني، أرجعني، أرجعني» والتكرار يعطي المعنى قوّة وتأكـيداً، ويـزيده فـضلاً وتأثيراً، وهذا هو السرّ البلاغي في العدول عن التعبير بالمفرد إلى المثنّىٰ[3].

ب) وضع المثنّى موضع الجمع، كقوله تعالىٰ: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتانِ﴾[4]، وهو لايقع إلّا بثلاث.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمّ ارْجِعِ البَـصَرَ كَـرَّتَيْنِ﴾[5]، أي كـرّات؛ لأنّ البـصر لايـحسر إلّا بالجمع.

والسرّ البلاغي في وضع المثنى موضع الجمع هو أن يتكرّر الشيء مرّة بعد مرّة، وفي ذلك من التأكيد مالانجده في التعبير بالجمع دفعة واحدة.

وكقوله تعالىٰ: ﴿فأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾؛ فإنّ لفظه لفظ التثنية ومعناه الجماعة، أي أنّ كلّ إثنين فصاعداً من المسلمين اقتتلوا، فأصلحوا بينهما.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ﴾[6].

---

١. الكهف: ٣٣.
٢. المؤمنون: ٩٩.
٣. بلاغة الكلمة و الجملة، ص١٣١، الحجرات: ٤؛ والكشاف، ج٢٧ ص٥٥٨.
٤. البقرة: ٢٢٩.
٥. الملك: ٤.
٦. المائدة: ٦٤.

● **الحادي عشر: وضع الجمع موضع المفرد والمثنّى**

كما يأتي:

أ) وضع الجمع موضع المفرد، كقوله تعالىٰ: ﴿مَاكَانَ للمُشْرِكينَ أنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّهِ﴾[١]، وإنّما أراد: المسجد الحرام.

وقوله تعالىٰ: ﴿عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُم﴾[٢] أراد: وملئه.

والسرّ البلاغي هو إرادة التعظيم، والتقدير لهذا الشيء، فالمسجد الحرام هو أعظم مساجد اللّه منزلةً، وأعلاها قدراً، فعبّر عن هذا الشيء المعنوي الذي يتّسم بالعظمة والروعة بالجمع العددي، وكأنّ المسجد الحرام مساجد متعدّدة وليس مسجداً واحداً، لقيمة شأنه ورفعة مكانته.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى فرعون؛ إذ كان له السلطان والجاه والعظمة بين قومه وأتباعه، ومن كان هذا شأنه فهو يعادل مجموعة من الناس، وليس فرداً واحداً، فالتعبير عنه بالجمع يتناسب مع هذه المكانة.

ب) وضع الجمع موضع المثنى ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[٣]، أي يديهما.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنْ تَتُوبا إلى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾[٤]، أي قلباكما.

والسرّ البلاغي في هذا التعبير إنّما يرجع إلى قصد المبالغة بجعل كلّ واحد من الشيئين عدّة أشياء، أو قصدت المبالغة في واحد من الإثنين المذكورين، فجعلته لكبر شأنه وجلالة قدره كأنّه أشياء، فتسوّغ لنفسك جمع المثنىٰ وبذلك نعود لنفس العلّة البلاغيۃ التي ذكرناها في وضع الجمع موضع المفرد، وهي المبالغة في التعظيم والتقدير[٥].

---

١. التوبة: ١٧.

٢. يونس: ٨٣.

٣. المائدة: ٣٨.

٤. التحريم: ٤.

٥. فن البلاغة: ٣٠٤.

الباب الخامس

المساواة والايجاز والإطناب

القسم الأوّل: المساواة

لاتبتعد الدلالة الاصطلاحية لـ «المساواة» عن دلالتها اللغوية، فـ«المساواة» في اللغة مصدر فعل: «ساوىٰ بين الشيئين»[1]، ومن ثمّ فإنّ «المساواة» ـ من حيث هي أُسلوب ـ حال للكلام يتطابق فيها اللفظ والمعنى من حيث المقدار.

والمساواة معتبرة في قسمي البلاغة معاً، أي الإيجاز، والإطناب، فهي تالية لهما في الغرض والتحديد[2]، وهذا معناه أنّها ذات قيمة جمالية وبلاغية اعتمدها النقد البلاغي مقياساً فنياً ومعياراً نقدياً ويقصد بها التوازن الحاصل بين الفكرة والتعبير عنها، وإنّها ذلك التوسّط والاعتدال الذي يجنّب الشاعر أو الناثر شطط الإيجاز المخلّ والإطناب المعيب.

وتقييد قدامة بن جعفر بهذا المفهوم الاصطلاحي؛ إذ أنّه يعتبر المساواة من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، ويعرّفها بقوله: «أن يكون اللفظ مساوياً للمعنىٰ حتّىٰ لايزيد عليه ولاينقص عنه[3]».

وفي تقديره أنّ المساواة بهذا المعنى المحدّد ترادف البلاغة، أو هي ـ على

١. سواء الشيء: مثله، يقال: «ساويت بينهما و سويت و ساويت الشيء و ساويت به، فساوى الشيء الشيء إذا عادله، و تساوت الأمور و استوت، و تساوى الشيئان و استويا بمعنى واحد. انظر المعاجم المعتمدة، مادّة «سوى».

٢. يقول بدر الدين بن مالك مشيراً إلى أنّ المساواة لا تعرّف إلّا بعد تحديد الإيجاز و الإطناب أمّا المساواة و هو أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصاً عنه بحذف للاختصار، و لا زائداً عليه بمثل الاعتراض و التتميم و التكرار. (المصباح، ص ٣٥) و معنى ذلك أنّ معرفتها رهينة بأساليب الإيجاز و الإطناب.

٣. نقد الشعر، ص ١٧١.

الأقلّ ـ مظهر من مظاهرها، يقول قدامة:

«وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها، لايفضل أحدهما على الآخر[١]».

والمساواة من المعاني التي تردّدت كثيراً عند الجاحظ وإن كـان هـذا الأخـير لم يضع لها اصطلاحاً محدّداً، كما فعل قدامه فيما بعد[٢].

وذكر الرمّاني نوعاً من الإيجاز وهو مطابقة اللفظ للمعنى.

وقال ابن رشيق: «فهم يسمّونه المساواة»[٣].

ويرى أبو هلال العسكري أنّ المساواة هي المـذهب المـتوسّط بـين الإيـجاز والإطناب، وإلى ذلك أشار القائل بقوله: «كأنّ ألفاظه قوالب معانيه، أي لايزيد بعضها على بعض[٤]».

وقال حازم القرطاجني: «لأنّ الكلام المتقطّع الأجزاء المـنبتر التـراكـيب غـير ملذوذ، ولامستحلى، وهو شبه الرشفات المتقطعة التـي لاتـروي غـليلاً، والكـلام المتناهي في الطول يشبه استقصاء الجرع المؤدّي إلى الغصص، فلاشفاء مع التقطيع المخلّ، ولاراحة مع التطويل المملّ، ولكن خير الأُمور أوساطها[٥].

وحينما قسّم السكّاكي البلاغة إلى علومها الثلاثة، أدخل المسـاواة فـي عـلم المعاني[٦]، وتبعه القزويني وشرّاح التلخيص وغيرهم من المتأخّرين، يقول القزويني عنها:

«المراد بالمساواة» أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد، لاناقصاً عنه بـحذف أو

١. ن.م، ص ١٧١ ـ ١٧٣.

٢. البلاغة تطوراً و تاريخاً، ص١٨٩؛ المصطلح النقدي في نقد الشعر، ص٢٤١ و ما بعدها. يقول الجـاحظ: حـقّ المعنى أن يكون الأسم له طبقاً، و تلك الحال لها وفقاً، و يكون الاسم له لا فاضلاً و لا مفضولاً. البيان و التبيين، ج١، ص٩٣.

٣. العمدة، ج١، ص٤٣١؛ النكت في إعجاز القرآن «ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٧٢».

٤. كتاب الصناعتين، ص١٧٧.

٥. منهاج البلغاء، ص٦٥.

٦. مفتاح العلوم: ١٣٣.

غيره، ولازائداً عليه[1].

ولم يخرج المتأخّرون عن هذا التحديد[2].

ووردت المساواة بمعنى آخر، وقد عقد ابن وكيع مبحثاً في وجوه السرقات، وقال:

«القسم الثامن: مساواة الآخذ المأخوذ منه في الكلام حتّى لايزيد نظام على نظام وإن كان الأوّل أحقّ به؛ لأنّه ابتدع، والثاني اتّبع[3].

ومن ذلك قول العَكوك في فرس:

مطرِدٌ يَرْتَجُّ من أقطارِهِ كالماءِ جالَتْ فيهِ ريحٌ فاضْطَرب

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكونه، فأخذه ابن المعتزّ، فقال:

فَكَأنَّهُ موجٌ يَذوبُ إذا أطلقتَه وإذا حَبَسْتَ جَمَدْ

فجمع بين الصفتين.

وتأثّر ابن منقذ بهذا الاتّجاه، فعقد باباً للمساواة، وقال:

«هو مساواة الآخذِ من المأخوذ عنه، والأوّل أحقُّ به؛ لأنّهُ ابتدع والثاني اتّبع، فالأوّل سابق، والثاني لاحق، ومثّل له بقول ديك الجنّ:

مُشعْشَعَةٌ في كفّ ظبيٍ كأنّما تناولها من خدّه فأدارها[4]

فلحقه ابن المعتزّ فقال:

كأنَّ سَديفَ الخمرِ من ماءِ خَدّهِ وعنقودَها من شعرِهِ الجعدِ يُقْطَفُ[5]

ومن أمثلة المساواة قول اللّه تعالىٰ: ﴿وَلايَحيقُ المَكرُ السَّيءُ إلّا بِأَهْلِهِ﴾[6].

يعني لاينزل المكر السيّءُ إلّا بمن يستحقّه بعصيانه وكفره، والمكر السيّء من جانب اللّه تعالىٰ أنْ يفعل بالعبد مايُوبِقُهُ.

---

١. الإيضاح، ص ١٨٠؛ شروح التلخيص، ج٣، ص ١٨٠.
٢. معجم النقد العربي القديم، ج٢، ص٢٨١.
٣. المنصف، ج١، ص١٨.
٤. «مشعشة»: ممزوجة.
٥. «السديف»: الاسود، و«السديف» أيضاً لحم السنام. انظر: البديع في البديع، ص٢٧٩.
٦. فاطر: ٤٣.

وإنّما كانت الآية من قبيل المساواة؛ لأنّ المعنى قد أُدي بما يستحقّه من التركيب وَضْعاً يقتضي ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّ اللّهَ يأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذى القُرْبىٰ وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْى يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ﴾[1].

فاللّه سبحانه أراد أن يأمر بجميع المحاسن الممدوحات، وينهى عن جميع القبائح المذمومات، فأخرج الألفاظ في صور مساوية للمعاني لاتزيد ولاتنقص عنها.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ماأكْفَرَهُ * مِنْ أىّ شَىءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدّرَهُ * ثُمَّ السّبيلَ يَسّرَهُ * ثُمَّ أماتَهُ فَأقْبَرَهُ * ثُمَّ إذا شاءَ أنْشَرَهُ * كَلّا لَمّا يَقْضِ ماأمَرَهُ﴾[2].

فقد حصلت هذه الآيات على نهاية المطابقة لمعانيها والمقصود منها، ولو رمت زيادة عليها لكانت فضلاً وعبثاً، ولو أرادت نقصاناً منها لكانت إخلالاً وضعفاً.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يعْمَلْ مِثْقالَ ذرّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَل مِثْقالَ ذرّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿لاجُناحَ عَلَيْكُم إنْ طَلّقْتُمُ النِّساءَ مالَمْ تَمَسُّوهُنَّ أو تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَريضَةً وَمَتّعُوهُنَّ عَلىٰ المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعلىٰ المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلىٰ المُحْسِنين﴾[4].

فالمساواة بين الغني والفقير في الإنفاق عبء يثقل كاهل الفقير، ولايوجبه الشرع، وفي قوله: ﴿عَلىٰ المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعلىٰ المُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ أسلوب أدّت ألفاظه معانيه من غير زيادة ولانقصان.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ جاءهُ موعِظَةٌ مِنْ رَبّه فانتهىٰ فَلَهُ مَاسَلَفَ﴾[5].

فقوله: ﴿فَلَهُ مَاسَلَفَ﴾ من جوامع الكلم، ومعناه أنّ خطاياه الماضية غفرت له، وتاب اللّه عليه فيها إلّا أنّ قوله ﴿فَلَهُ مَاسَلَفَ﴾ أبلغ، أي أنّ السالف من ذنوبه لايكون

---

١. النحل: ٩٠.

٢. عبس: ١٧ ـ ٢٣.

٣. الزلزلة: ٧ـ٨.

٤. البقرة: ٢٣٦.

٥. البقرة: ٢٧٥.

عليه إثماً هو له.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وإذا رأيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّىٰ يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإحْسَان إلّا الإحْسَانُ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ نُجازِىَ إلّا الكَفُورَ﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّ فِى خَلْقِ السَّماواتِ والأرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيلِ والنّهارِ والفُلْكِ الّتى تجرى فى البَحْرِ بما يَنْفَعُ النّاسَ وَمَا أنْزَلَ اللّهُ مِنَ السّماءِ مِنْ مَاءٍ فَأحْيا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دابّةٍ وَتصريف الرّياحِ والسَّحابِ المُسَخّرِ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ لآياتٍ لقَومٍ يَعقِلونَ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدّمُوا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوْهُ عِنْدَ اللّهِ﴾[٦].

ومنه قول الرسولﷺ: «إنّما الأعمالُ بالنّيات، ولكلّ امرئ مانوىٰ»[٧].

وقولهﷺ: «الحلالُ بيّنٌ، والحرامُ بيّنٌ، وبَينَهُما مُشْتبهات»[٨].

وقولهﷺ: «لاتزال أُمّتي بخير مالَمْ تَرَ الأمانةَ مَغْنَماً، والزكاة مغْرماً».

فالألفاظ هنا مساوية للمعاني تمام المساواة، وكلّ زيادة أو نقص في ألفاظ الحديث إخلال بالمعنى.

ومن أقوال الإمام عليّؑ: «أحْسِنُوا في عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفظُوا في عَقِبِكُم»[٩].

---

١. القلم: ٩.
٢. الانعام: ٦٨.
٣. الرحمن: ٦٠.
٤. سبأ: ١٧.
٥. البقرة: ١٦٤.
٦. البقرة: ١١٠.
٧. صحيح مسلم، ج١٣، ص٥٣.
٨. إرشاد الساري للقسطلاني، ج١، ص١٦٦؛ المنتخب من السنة، ج١، ص٢٩٦؛ الترمذي (بيوع)، ص١؛ أنوار الربيع، ج٢، ص٢٩٩.
٩. نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٤.

وقوله ﷺ: «إنَّ كلامَ الحُكماءِ إذا كانَ صَواباً كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً»[١].

وقوله ﷺ: «يَهلِكُ فيَّ رَجُلان: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ، وَباهِتٌ مُفْتَرٍ»[٢].

وقوله ﷺ: «لاخير في الصّمْتِ عن الحُكْمِ، كما أنّهُ لاخَيْرَ في القول بالجَهْلِ»[٣].

وقوله ﷺ: «أشد الذنوب مااسْتَخفَّ بِهِ صاحِبُهُ»[٤].

وقول امرئ القيس:

فـإن تكـتموا الداء لانُـخْفِه ... وإن تَبعثوا الحـربَ لانـقعد
وإن تـــقتلونا نـــقتلكم ... وإن تــقصِدوا لدم نَــقْصُد[٥]

وقول النابغة الذبياني:

فـإنّكَ كـاللّيْلِ الذي هـو مُـدْركي ... وإن خِلْتُ أنَّ المُنتأىٰ عَنْكَ واسِعُ[٦]

وقول طرفة:

سَتُبْدِي لَكَ الأيّامُ مـاكُـنْتَ جـاهِلاً ... ويـأتيكَ بـالأخبارِ مَـنْ لَـم تُـزَوِّدِ[٧]

وقول زهير:

ومهما تَكُنْ عِنْدَ امـرئٍ مـن خـليقةٍ ... ولو خَالها تخْفىٰ على الناس تُـعْلَمِ[٨]

القسم الثاني: الإيجاز

ينزَع معنى الإيجاز في اللغة الى القلّة والقصر والعجلة، ويستعمل في الاصطلاح للدلالة على المعنى الكثير في لفظٍ قليل لغرض بلاغي، أي إنّه نوع من بناء الكلام

---

١. نهج البلاغة، الحكمة ٢٦٥.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٩.

٣. المصدر، الحكمة ٤٧١.

٤. المصدر، الحكمة ٤٧٧.

٥. ديوانه، ص١٨٦؛ العمدة، ج١، ص٥٨٩.

٦. ديوانه، ص٥٢؛ الإيضاح، ص١٨٤؛ معاهد التنصيص، ج١، ص٣٣٢؛ العمدة، ج٢، ص٩٩٢.

٧. اشعار الشعراء الستة الجاهليين، للاعلم الشنتمري، ص٤٠٩.

٨. ن.م ص٢٨٨؛ اساليب بلاغية، ص٢٤٧.

يعتمد قلّة اللفظ وكثرة المعنى.

وهذا الأُسلوب من أهمّ خصائص اللغة العربية في القديم، فقد كان العرب لايميلون إلى الإطالة والشرح والإسهاب الّذي يؤدّي إلى الهذر، وكانوا يعدّون البلاغة في الإيجاز، وبأنّ «خير الكلام ماقلّ ودلّ».

وكما تحتاج البلاغة إلى الإيجاز، فإنّها تحتاج إلى الإطناب، فوضع الألفاظ في موضعها المناسب من البيان ـ بحسب مقتضيات الخطاب ـ هو البلاغة؛ سواء أكان في تلك الألفاظ تطويل ليعود الكلام مطنباً، أم تقليل ليكون الكلام موجزاً، فكما يحتاج البليغ تأدية المعنى بلفظ موجز، فهو بحاجة إلى تأديته بألفاظ متعدّدة؛ ليبلغ بذلك الكلام كماله على الوجه المراد.

وقد تصدّر القرآن لهذه الفضيلة، واحتلّ ذروتها، وكان النبيّ ﷺ لاينازع في أنّه أفصح العرب بلاغةً، فنجد أنّه قد وصف نفسه فيما يتعلّق ببلاغته «إنّا معشر الأنبياء بِكاء»[١]، أي قليلو الكلام.

كما كان ﷺ يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به، فقد تكلّم رجل عنده فأطال، فقال: «كم دون لسانك من حجاب؟».

قال: شفتاي وأسناني.

فقال له الرسول ﷺ: «إنّ اللّه يكره الانبعاق[٢] في الكلام، فنضّر اللّه وجه رجل أوجز في كلامه، واقتصر على حاجته»[٣].

وقال الإمام علي عليه السلام: «أبلغ البلاغة ماسهل في الصواب مجازه، وحسن إيجازه»[٤].

فهو يحصر أُسلوب البلاغة في مرحلتين: صوغ المعنى المجرّد في صور محسوسة بطريقة المجاز، ومرحلة الإيجاز، فهما يؤدّيان أقصى مايمكن من هدف.

وقال عليه السلام أيضاً: «مارأيت بليغاً قطّ إلّا وَلَهُ في القولِ إيجاز، وفي المعاني إطالة»[٥].

---

١. البيان و التبيين، ج١، ص١١٤.
٢. الانبعاق: الاندفاع.
٣. البيان و التبيين، ج١، ص٩؛ المحاسن و الأضداد، ص٤٨.
٤. غرر الحكم، ح٣٣٠٧ و٣٣٠٤ و٤٩٦٩ و٣٢٤٥.
٥. كتاب الصناعتين، ص١٧٤.

وقال الامام الحسن بن عليّ عليه السلام: «البلاغة تقريب بعيد الحِكْمَةِ بأسهل العبارة»[١].

وقال الإمام الباقر محمّد بن عليّ عليه السلام: «البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الألفاظ»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة فيهنّ البلاغة: التقرّب من معنى البغية، والتبعّد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير»[٣].

وعلى ضوء هذه النصوص فإنّ معياراً عامّاً للفهم البلاغي، يتحدّد من الاهتمام بالألفاظ والعبارات باعتبارها القوالب التي تصاغ فيها مضامين الكلام ومعانيه، وعلى مقدار التأنّق فيها والعناية باختيارها وتجويدها تكون بلاغة الكلام، وشدّة تأثيره ونفاذه إلى النفوس.

وقد فطن إلى هذا ابن جنّي، فقال:

«وذلك أنّ العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذّبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة، والخطب أُخرى، وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها، فإنّ المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدراً في نفوسها، فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها، فإنّها لمّا كانت عنوان معانيها، وطريقاً إلى إظهار أغراضها ومراميها، أصلحوها وزيّنوها، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد، ألا ترى أنّ المثل إذا كان مسجوعاً لذّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديراً باستعماله[٤]».

والإيجاز عدّة أنواع تحدّث عنها المتقدّمون، ولكنّهم أجمعوا على تقسيمه إلى إيجاز حذف، وإيجاز قصر:

١و٢. المصدر نفسه، ص٥٢.

٣. تحف العقول، ص٣٣٤.

٤. و قسّمه ابن الأثير إلى قسمين:

أحدهما: الإيجاز بالحذف و هو ما يحذف منه المفرد و الجملة؛ لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، و لا يكون إلّا فيما زاد معناه على لفظه.

و ثانيهما: ما لا يحذف منه شيء و هو ضربان: أحدهما: ماساوى لفظه معناه و يسمّى «التقدير»، و الآخر مازاد معناه على لفظه و يسمّى «القصر». المثل السائر، ج٢، ص٧٤.

● إيجاز الحذف[١]

وهو التعريف عن المعاني الكثيرة في عبارة أقلّ منها بحذف شيء من تركيبها مع عدم الإخلال بتلك المعاني، ويشترط فيه علم السامع به.

أو هو مايحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر من جملة مع قرينة تعيّن المحذوف، ولايكون إلّا فيما زاد معناه على لفظه.

وعن هذا النوع من الايجاز يقول عبدالقاهر الجرجاني: «هو فنّ عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذاك أنّك ترى الحذف أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتمّ ماتكون مبيّناً إذا لم تبن[٢]».

وذكر ابن الأثير «أنّ الأصل في المحذوفات جميعها ـ على اختلاف ضروبها ـ أن يكون في الكلام مايدلّ على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنّه لغو من الحديث لايجوز بوجه ولاسبب[٣]».

ودلالة المحذوف إمّا مقالية، أو حالية:

فالمقالية قد تحصل من إعراب اللفظ، وذلك كما إذا كان منصوباً، فيعلم أنّه لابدّ له من ناصب، وإذا لم يكن ظاهراً لم يكن بُدّ من أن يكون مقدّراً، نحو: «أهلاً وسهلاً ومرحباً»، أي وجدت أهلاً، وسلكت سهلاً، وصادفت رحباً.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذى تُسَاءَلوُنَ بِهِ والأرْحَامَ﴾[٤]. والتقدير: احفظوا الأرحام.

والحالية قد تحصل من النظر إلى المعنى والعلم، فإنّه لايتمّ إلّا بمحذوف، كقولهم: «فلان يحلّ ويربط»، أي يحلّ الأُمور ويربطها، أي ذو تصرّف.

وقد تدلّ الصناعة النحويّة على التقدير، كقولهم في: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ﴾[٥]؛ فإنّ

---

١. وسيأتي ايجاز القصر في ص.
٢. دلائل الإعجاز، ص٩٥.
٣. المثل السائر، ج٢، ص٧٧؛ البرهان ج٣، ص١٧٧.
٤. النساء: ١.
٥. القيامة: ١.

التقدير: «لأنا أقسم» لأنّ فعل الحال لا يقسم عليه.

وقوله تعالىٰ: ﴿تاللّهِ تَفْتَؤا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[١]، التقدير: «لاتفتأ»؛ لأنّه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون، كقوله: ﴿بَلىٰ وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[٢].

وهذا كلّه عند قيام دليل واحد، وقد يكون هناك أدلّة يتعدّد التقدير بحسبها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أفَمَنْ زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً﴾[٣]؛ فإنّه يحتمل تقدير ثلاثة أمور:

أحدها: «كمن لم يزيّن له سوء عمله» والمعنى: ﴿أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً﴾ من الفريقين اللذين تقدّم ذكرهما، كمن لم يزيّن له.

ثمّ كأنّ النبيّ ﷺ لما قيل له ذلك قال: «لا»، فقيل: ﴿فإنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدى مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسرات﴾[٤].

ثانيها: تقدير «ذهبت نفسُك عليهم حسرات» فحذف الخبر لدلالة: ﴿فَلاتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾.

ثالثها: تقدير: «كمن هداهُ اللّه» فحذف لدلالة: ﴿فَإنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدى مَنْ يَشَاءُ﴾[٥].

واعلم، أنّ هذا الشرط إنّما يحتاج إليه إذا كان المحذوف الجملة بأسرها، نحو: ﴿قالُوا سَلامَاً﴾[٦]. أي سَلّمنا سلاماً،

أو أحد ركنيها نحو: ﴿قَالَ سَلامٌ قَومٌ مُنكرونَ﴾[٧]، أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون، فحذف خبر الأُولى، ومبتدأ الثانية.

وأمّا إذا كان المحذوف فَضْلة فلا يشترط لحذفه دليل، ولكن يشترط ألّا يكون

---

١. يوسف: ٨٥.
٢. التغابن: ٧.
٣. فاطر: ٨.
٤و٥. فاطر: ٨.
٦. هود: ٦٩.
٧. الذاريات، ٢٥.

في حذفه إخلال بالمعنى، كما في حذف العائد المنصوب ونحوه[١].

وقد يدلّ على المحذوف ذكره في مواضع أُخر:

منها: وهو أقواها، كقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا أنْ تَأتيهُمُ الملائِكَةُ أوْ يَأتىَ أمر رَبُّكَ﴾[٢]، أي أمره بدليل قوله: ﴿أوْ يَأتىَ أمْرُ رَبِّكَ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَالأرْضُ﴾[٤]، أي كعرض السماوات والأرض[٥] بدليل التصريح به في آية الحديد: ﴿وَسَابِقُوا إلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ والأرْض﴾[٦].

ومنها: ألّا يكون الفعل طالباً له بنفسه، فإن كان امتنع حذفه كالفاعل، ومفعول مالم يسمّ فاعله، واسم «كان» وأخواتها، وإنّما لم يحذف لما في ذلك من نقض الغرض.

واستخدام الحذف على وجهين:

١. ***أن يُقام مقام المحذوف شيئاً يدلّ عليه***، كقوله تعالىٰ: ﴿وإنْ يُكذّبوكَ فَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبلِكَ﴾[٧].

لاتكون جملة ﴿فَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ﴾ جواب الشرط؛ لأنّ جواب الشرط ينبغي أن يترتّب مضمونه على مضمون الشرط، وليس الأمر كذلك هنا؛ لأنّ تكذيب الرسل سابق على تكذيب النبيّ ﷺ.

وجملة ﴿فَقَدْ كُذّبَتْ﴾ علّة للجواب المحذوف وهو الصبر على الابتلاء.

ويمكن تقدير الكلام هكذا: «وإن يكذّبوكَ فاصْبِر ولاتحزَنْ؛ فَقد كذّبتْ رُسُلٌ من

---

١. أُنظر: البرهان، ج٣، ص١٨٥.
٢و٣. النحل: ٣٣.
٤. آل عمران: ١٣٣.
٥. و فيه إيجاز بليغ؛ فإنّه إذا كان العرض كذلك فما ظنّك بالطول! كقوله تعالى: ﴿بَطائِنُها مِن أسْتَبْرَق﴾ الرحمن: ٥٤، فالبطانة من استبرق، فكيف بظاهرها!!
٦. الآية: ٢١.
٧. فاطر: ٤.

قَبلك، فحالك كحالهم» فهذه إذن دعوة للتأسّي وتعزية النفس[١].

٢. *أن لا يقام مقام المحذوف شيء يدلّ عليه*، بل يترك أمر إدراكـه إلى القـرينة الدالّة، وفي هذه الحال يستدلّ علىٰ الحذف بأدلّة: منها:

أ) أنْ يدلَّ العقل على الحذف، والمقصودُ الأظهر على تعيين المحذوف، كـقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَمُ وَلَحْمُ الخِنْزيرِ﴾[٢].

فالعقل يدلّ على الحذف، والمقصود الأظهر يرشد إلى أنّ التقدير: «حرّم عليكم تناول الميتة والدم ولحم الخنزير»؛ لأنّ الغرض الأظهر منها تناولها؛، ولأنّ الأحكام لاتتعلّق بالأجرام إلّا بتأويل الأفعال[٣].

ب) أن يدلّ العقل على الحذف والتعيين، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ﴾[٤]، أي أمـر ربّك أو عذابه أو بأسه؛ لأنّ العقل دلّ على أصل الحذف، والاستحالة مجيء البارئ عقلاً؛ لأنّ المجيء من سمات المحدث، ودلّ العقل أيضاً على التعيين، وهو الأمـر ونحوه[٥].

٣. أن يدلّ الفعل على الحذف، والعادة على التعيين، كقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿فَذلِكُنَّ الّذى لُمْتُنّنى فِيْهِ﴾[٦].

دلّ العقل على الحذف فيه؛ لأنّ الإنسان إنّما يلام على كسبه، فيحتمل أن يكون التقدير «في حبّه» لقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾[٧]، وأن يكون في مراودته؛ لقوله: ﴿تُـراوِدُ فَتَاهَا عَن نَفْسِه﴾[٨]، وأنْ يكون «في شأنّه وأمره، فيشملهما، والعادة دلّت على تعيين

---

١. الكافي في علوم البلاغة، ج١، ص٣٢٧.
٢. المائدة: ٣.
٣. قيل: إنّ الميتة يعبّر بها عن تناولها فلا حذف، ولو كان ثَمّ حذف لم يؤنّث الفعل، و لأنّ المركّب إنّـما يـحذف إذا كان للكلام دلالة غير الدلالة الإفراديّة، و المفهوم من هذا التركيب التناول من غير تقدير، فيكون اللفظ موضوعاً له، و المشهور في الأُصول أنّه من مجال الحذف. انظر: البرهان، ج٣، ص ٢٢٠.
٤. الفجر: ٢٢.
٥. قد يكون في الآية استعارة تمثيليّة حيث مُثّلت حاله سبحانه تعالى في ذلك الملك إذا حـضره بـنفسه، و عـليه فلا حذف ألبتّة. انظر: البرهان، ج٣، ص١٨١؛ الكشاف، ج٤، ص٢١١.
٦. يوسف: ٣٢.
٧و٨. يوسف: ٣٠.

المراودة؛ لأنّ الحُبّ المفرط لايُلام الإنسان عليه؛ لأنّه يقهره ويغلبه، وإنّما يُلام على المراودة التي تستطيع النفس على دفعها باختيارها وقدرتها[١].

٤. أن تدلّ العادة على الحذف والتعيين، كقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتّبعناكُمْ﴾[٢]؛ لأنّهم كانوا أخبر الناس بالحرب، فكيف يقولون بأنّهم لايعرفونها؟! فلابدّ من حذف، وتقديره: «مكان قتال» أي أنّكم تقاتلون في موضع لايصلح للقتال، ويخشى عليكم منه، ويدلّ عليه أنّهم أشاروا على رسول اللّهﷺ أن لايخرج من المدينة، وأنّ الحزم البقاء فيها[٣].

٥. العقل والشروع في الفعل، كقول المؤمن: «بسم اللّه الرحمن الرحيم» عند الشروع في القراءة، أو أيّ عمل، فإنّه يفيد أنّ المراد: «بسم اللّه أقرأ» كما دلّ العقل على أنّ في الكلام حذفاً؛ لحاجة الجارّ والمجرور إلى التعليق، ودلّ الشروع على تعيينه، وهو الفعل الذي جعلت التسمية في مبدئه.

٦. اقتران الكلام بالفعل، فإنّه يفيد تقديره، كقولنا لمن أعرس: «بالرفاء والبنين»؛ فإنّه يفيد: «بالرفاء والبنين أعرست»، وكقولك لمن أتى من فريضة الحجّ: «حجّاً مبروراً، وسعياً مشكوراً» أي حججت حجّاً مبروراً، وسعيت سعياً مشكوراً.

□ أقسام المحذوف:

والمحذوف للإيجاز إمّا مفرد، أو شبه جملة، أو جملة، أو أكثر من جملة:

أوّلها: المفرد:

١. مايكون المحذوف فيه حرفاً[٤]، كحذف «لا» من الكلام وهي مرادة، كقوله

---

١. البرهان، ج٣، ص١٨٢.

٢. آل عمران: ١٦٧.

٣. قيل: إنّ تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا العادة.

٤. الحرف هو نائب عن الفعل و فاعله، و ذلك حين نقول: «ما قام زيد» فقد نابت «ما» عن «أنفي». كما نابت «إلّا» ←

تعالىٰ: ﴿تَاللّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[١].

والمراد: «تاللّه لاتفتأ»، أي لاتزال، فحذف «لا» من الكلام وهي مرادة؛ لأنّه لو كان الجواب مثبتاً لدخلت اللام والنون، كقوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[٢].

وكقول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يمينَ اللّهِ أبْرَحُ قاعِداً ولو قَطَّعُوا رَأسي لديكِ وأَوْصالي[٣]

أي لا أبرح قاعداً، فحذفت «لا» في هذا الموضع أيضاً وهي مرادة.

وممّا جاء منه قول قيس بن عاصم المنقري لما نُهيَ عن شرب الخمر:

رأيت الخمرَ صالحةً وفيها مناقبُ تُهْلِكُ الرجلَ الحليما

فلا واللّهِ أشربُها حياتي ولا أسْقي بها أبداً نديما

فإنّه يريد: لا أشربها، فحذف «لا» من الكلام وهي مفهومة منه.

وقوله تعالىٰ: ﴿يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلّوا﴾[٤].

أي لئلّا تَضِلّوا.

وقوله تعالىٰ: ﴿أنْ تَحبطَ أعْمَالُكُمْ﴾[٥]. أي لاتحبط أعمالكم.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلمّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ رَأىٰ كَوْكَباً قَالَ هذَا رَبّى﴾[٦]، أي أهذا ربّى؟

قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّها الّذينَ آمَنُوا لاتتَخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لايأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ماعَنِتُّم قدْ بَدَتِ البَغضاءُ مِنْ أفواهِهِمْ وَما تُخْفى صُدُورهُم أَكبَرُ﴾[٧].

تقديره: «ولا يألونكم خبالاً، وودّوا ما عنتّم» وإثباتها يقتضي تغاير المتعاطفين، فإذا حذفت أُشعر بأنّ الكلّ كالواحد.

← عن «أستثني»، و«هل» عن «أستفهم»، وحروف العطف عن «أعطف»، فحذفه هو اختصار المختصر، و قد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوّة الدلالة عليه.

١. يوسف: ٨٥.

٢. التغابن: ٧.

٣. اشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص٤٨، أبرح: لا أزال، والأوصال: جمع وصل، وهو كل عضو ينفصل من آخر.

٤. النساء: ١٧٦.

٥. الحجرات: ٢.

٦. الأنعام: ٧٦.

٧. آل عمران: ١١٨.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِيْنَ إذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيهِ تولّوا﴾[١]، أي «وقلت» فهو معطوف على قوله ﴿أَتَوْكَ﴾؛ لأنّ جواب ﴿إذَا﴾ قوله: ﴿تَوَلَّوْا﴾.

ومنه الفاء في جواب الشرط،كقوله تعالىٰ: ﴿إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ﴾[٢]، أي فالوصيّة.

ومنه حذف ألف «ما» الاستفهاميّة مع حرف الجرّ؛ للفرق بين الاستفهاميّة والخبريّة، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللّهِ﴾[٣].

و ﴿عَمَّ يتساءَلُونَ﴾[٤].

ومنه حذف حرف النداء، كقوله تعالىٰ: ﴿هَا أَنْتُم هؤُلاءِ﴾[٥]، أي ياهؤلاء.

وحذف لام الأمر، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لِعبادِيَ الّذينَ آمَنُوا يُقيمُوا الصَّلوٰةَ﴾[٦]، أي ليقيموا.

وقد جاءت الواو ثابتة في قوله تعالىٰ: ﴿وَما أَهْلَكْنَا مِنْ قَريَةٍ إلّا وَلَهَا كتابٌ معلومٌ﴾[٧].

وجاءت محذوفة في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلّا لَها مُنْذِرُونَ﴾[٨]؛ فإنّ الواو إذا كانت محذوفة فهي في حكم التكملة والتتمّة لما قبلها تُنَزّل منزلة الجزء منها، وإذا كانت الواو موجودة كانت في حكم الاستقلال بنفسها.

٢. مايكون المحذوف فيه فعلاً، نحو قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُم صَبَرُوا حتّى تَخْرُجَ إليهم لكان خَيراً لَهُم﴾[٩]، والتقدير: ولو ثبت أنهم صبروا.

---

١. التوبة: ٩٢.
٢. البقرة: ١٨٠.
٣. البقرة: ٩١.
٤. النبأ: ١.
٥. آل عمران: ٦٦.
٦. إبراهيم: ٣١.
٧. الحجر: ٤.
٨. الشعراء: ٢٠٨.
٩. الحجرات: ٥.

وقد يكون فعلاً وجوابه وهو نوعان:

أحدهما: يظهر بدلالة المفعول عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[١].

أي احذروا، وحذف هنا للتنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأنّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمّ، وجاء من باب التحذير والإغراء، فـ﴿نَاقَةَ اللّهِ﴾ تحذير بتقدير «ذَرُوا» و ﴿سُقْيَاهَا﴾ إغراء بتقدير «الزموا».

ومنه ما جاء في حديث جابرؓ لمّا سأله رسول اللّهﷺ «هل تزوّجت؟»، فقال له: نعم.

فقال: «بكراً أم ثيباً؟».

فقال: بل ثيبٌ.

فقال: «هَلّا بكراً تلاعِبُها وتلاعِبُك؟!»[٢].

وقول المتنبّي:

إذا التودِيعُ أعْرَضَ قالَ قَلبي — عليكَ الصَمْتَ لا صَاحَبْتَ فاكا
وَلولا أَنَّ أكْثَرَ ما تَمنّى — مُعاوَدَةُ لَقُلْتُ ولا مُناكا

أي ولا صاحبت مناكا.

ثانيهما: لايظهر فيه قسم الفعل؛ لأنّه لايكون هناك منصوب يدلّ عليه، وإنّما يظهر بالنظر إلى ملاءمة الكلام، كقوله تعالىٰ: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣].

فقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يحتاج إلى إضمار فعل، أي «فقيل لهم: لقد جئتمونا» أو «فقلنا لهم».

ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شيئين وهو لأحدهما، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَجْمِعُوا

---

١. الشمس: ١٣.
٢. كتاب الطراز، ج ٢، ص ١٠١.
٣. الكهف: ٤٨.

أَمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُم﴾[١].

وهو لـ﴿أَمْرَكُمْ﴾ وحده، وإنّما المراد: «أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم» وكذلك هو في مصحف عبدالله بن مسعود[٢].

قال الشاعر:

تـراهُ كَـأنَّ اللّـهَ يَـجْـدَعُ أنْـفَـهُ وعَـيْنيْهِ إنْ مَـوْلاهُ ثـابَ لَـه وَفْـرُ

أي: ويفقأ عينيه[٣].

وقال الآخر:

إذا ما الغـانياتُ بَـرَزْنَ يـوماً وَزَجَّجْنَ الحـواجِبَ والعُـيُونا

العيون لاتزجّج، وإنّما أراد وكَحّلْنَ العيون.

في قسم حذف الفعل باب يسمّى «باب إقامة المصدر مقام الفعل» ويُؤتى به على سبيل المبالغة والتوكيد، كقوله تعالىٰ: ﴿فَإذا لَقيتُم الّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرّقابِ﴾[٤].

أي فاضربوا الرقاب ضرباً، حذف الفعل وأُقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار وتوكيد[٥].

٣. وقد يكون اسماً، وهذا الاسم قد يكون مبتدأ، كقوله تعالىٰ: ﴿لاٰ تَخَفْ خَصْمَان بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[٦].

أي نحن خصمان، وقد حذف المبتدأ لضيق المقام، فحين تسوروا المحراب دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا: ﴿لاٰ تَخَفْ خَصْمَان﴾ إسراعاً لبثّ الطمأنينة في قلبه.

وقوله تعالى: ﴿بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه﴾[٧]، أي هذه براءة، وقد حذف المبتدأ تفخيماً

---

١. يونس: ٧١.

٢و٣. الصناعتين، ص ١٨١.

٤. محمد: ٤.

٥. أمّا حذف جواب الفعل، فإنّه لا يكون في الأمر المحتوم، كقوله تعالىٰ: ﴿فَذَرْهُم يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا﴾ الزخرف: ٨٣؛ المعارج: ٤٢؛ لأنّها جواب أمر ﴿فَذَرْهُمْ﴾ و حذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الإيجاز.

٦. ص: ٢٢.

٧. التوبة: ١.

لشأن الخبر وتهويلاً لأمر البراءة.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ﴾[١]، والتقدير: ولا تقولوا آلهة ثلاثة، وقد أفاد الحذف توجّه النهي إلى القول بالتعدّد.

ومثله قوله في: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْناها﴾[٢].

إمّا أن يقدّر: «فيما أوحينا إليك سورة» أو «هذه سورة».

وقوله تعالىٰ: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ ومارَبُّ العَالمينَ * قالَ رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ...﴾[٣].

حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الربّ، أي هو ربّ، والله ربّكم، والله ربّ المشرق؛ لأنّ موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال، فأضمر اسم الله تعظيماً وتفخيماً.

وقد يحذف المبتدأ والخبر جميعاً إذا دلّ عليهما دليل، كقوله تعالىٰ ﴿وَاللّائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيْض مِنْ نِسَائِكُمْ وَإِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللّائِى لَمْ يَحِضْنَ﴾[٤].

لأنّ تقديره: «واللائي لم يحضن فعدّتهن ثلاثة أشهر» وهذا لايكون إلّا مع القرينة الدالّة على ذلك[٥].

ومن حذف المبتدأ قول الشاعر:

اعْتَادَ قَلْبُكَ من ليلىٰ عَوائِدَهُ ... وَهاجَ أهواءكَ المكنُونَةَ الطَلَلُ

رَبْعٌ قَواءٌ أذاع المُعْصِراتِ بـه ... وَكُلُّ حَيْرانَ سارٍ ماؤُهُ خَضِلُ[٦]

أي: هو ربعٌ قواء اعتاده قلبك مرّة بعد مرّة.

وقد يكون المحذوف خبراً، كقوله تعالىٰ: ﴿أُكُلُها دائِمٌ وَظِلُّها تِلْكَ عُقْبىٰ الّذين اتّقُوا...﴾[٧]، أي وظلّها دائم.

---

١. النساء: ١٧١.

٢. النور: ١.

٣. الشعراء: ٢٣ـ٢٨.

٤. الطلاق: ٤.

٥. ذلك لدلالة ما قبله عليه، للإيجاز والاحتراز من العبث.

٦. الكتاب سيبويه، ج ١، ص ١٤٢، الربع: المنزل و الموضع الذي أقاموا به. «القواء»: المكان القفر. و«أذاع المعصرات به» وهي الرياح العاصفات ذوات الغبار.

٧. الرعد: ٣٥.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَصَبْرٌ جميلٌ﴾[١]، يحتمل أن يكون المبتدأ محذوفاً، وتقديره: «فأمري صبر جميل» ويحتمل أن يكون من باب حذف الخبر، وتقديره: «فصبر جميل أجمل»، ولكن حذف المبتدأ هنا أبلغ؛ لأنّ الآية وردت في شأن يعقوب، فلابدّ من أن يكون هناك اختصاص به، فإذا كان تقديره: «فأمري صبر جميل» كان أخصّ به وأدخل في احتماله للصبر واختصاصه به[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾[٣]، أي هم عباد.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُم﴾[٤]، أي هذا الحقّ من ربّكم، وليس هذا كما يظنّه بعض الجهّال، أي قل القول الحقّ، فإنّه لو أُريد هذا لنصب ﴿الحقُّ﴾ والمراد إثبات أنّ القرآن حقّ، ولهذا قال: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وقد يكون المحذوف فاعلاً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[٥]، أي: جاء أمرُ ربّك.

وقوله تعالىٰ: ﴿كَلّا إذَا بَلَغتْ التَّراقِي وَقيلَ مَنْ راقٍ﴾[٦].

والضمير في ﴿بَلَغَتْ﴾ للنفس، ولم يجرِ لها ذكر، وليس مضمراً؛ لأنّه لم يتقدّم له ظاهر يفسّره، وإنّما دلّت القرينة الحالية عليه؛ لأنّه في ذكر الموت، ولا يبلغ التراقي عند الموت إلّا النفس[٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿حَتّىٰ تَوارَتْ بالحِجابِ﴾[٨]، أي الشمس.

وقوله تعالىٰ: ﴿فإذا نَزَلَ بِساحَتِهِم...﴾[٩].

---

١. يوسف: ١٨.
٢. من احتمال الأمرين «حذف المبتدأ أو حذف الخبر» قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ النور: ١، و قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ مَعرِفَة﴾ النور: ٥٣. وقوله تعالى: ﴿طاعة وقول معروف﴾ محمد: ٢١. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَة انْتَهُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ النساء: ١٧١. أُنظر هذه الآيات في القسم الثالث من الكتاب (الذكر و الحذف).
٣. الأنبياء: ٢٦.
٤. الكهف: ٢٩.
٥. الفجر: ٢٢.
٦. القيامة: ٢٦ و٢٧.
٧. البرهان، ج٣، ص٢١٧.
٨. ص: ٣٢.
٩. الصافات: ١٧٧.

يعني العذاب؛ لقوله قبله: ﴿أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[١].

وقد يكون المحذوف مفعولاً به، كقوله تعالىٰ: ﴿فَعّالٌ لما يُرِيدُ﴾[٢]، أي يريده.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَغَشّاهَا مَاغَشّى﴾[٣]، أي غشّاها إيّاه.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَا عَاصِمَ الْيومَ مِنْ أمْرِ اللّهِ إلّا مَنْ رَحِمَ﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَلامٌ عَلىٰ عِبادِهِ الّذينَ اصطفىٰ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أينَ شُرَكائِيَ الّذينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٦].

وكلّ هذا على حذف ضمير المفعول وهو المراد وحُذِف تخفيفاً لطـول الكـلام بالصفة، ولولا إرادة المفعول وهو الضمير لخـلت الصـلة مـن ضـمير يـعود عـلى الموصول وذلك لايجوز، وكان في حكم المنطوق به، فالدلالة عليه مـن وجـهين: اقتضاء الفعل له، واقتضاء الصلة إذا كان العائد[٧].

ثانياً: حذف شبه الجملة:

١. *وقد يكون المحذوف مضافاً*، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ الّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الّذى يَنْعِقُ بِمَا لايَسْمَعُ إلّا دُعاءً وَنِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لايَعْقِلُون﴾[٨].

فأصل العبارة «ومثل داعٍ أو واعظ الذين كـفروا كـناعق الأنـعام» ثـمّ حـذف المضاف وهو «داع» أو «واعظ» رفعةً لشأنه في اللفظ عن أن يقرن بهذا الذي ينعق بما لايسمع.

وكقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الّذى اسْتَوْقَدَ نَاراً...﴾[٩]، أي مثلهم كمثل أتـباع الذي

---

١. الصافات: ١٧٦.
٢. البروج: ١٦.
٣. النجم: ٥٤.
٤. هود: ٤٣.
٥. النمل: ٥٩.
٦. القصص: ٦٢.
٧. البرهان، ج ٣، ص٢٣٣. و اقتضاء الصلة إذا كان العائد، أي و اقتضاء الصلة للـضمير المـفعول إذا كـان الضـمير المفعول هو العائد. والصحيح أن يقال: «إذا كان عائداً».
٨. البقرة: ١٧١.
٩. البقرة: ١٧.

استوقد ناراً.

وكقوله تعالىٰ: ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مايُؤْمَرُونَ﴾[١]، أي عذاب ربّهم.

وقوله تعالىٰ على لسان أحد أبناء يعقوبﷺ موجّهاً الكلام إلى أبيه: ﴿وَاسْأَل الْقَرْيَةَ التى كُنّا فِيْهَا...﴾[٢].

أي اسأل أهلها، وهذا التعبير ـ بحدّ ذاته ـ يشير إلى قوّة الاحتجاج بتلك القرية، فكأنّ القرية كلّها ستجيب عن السؤال، وسيتحدّث أهلها، وتشهد بيوتها، وتنطق أرضها، وهو بذلك يحقّق الإيجاز بأُسلوب بلاغي رائع.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَاهِدُوا فِى اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[٣]، أي وجاهدوا في سبيل اللّه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إذاً لأذَقْناكَ ضِعْفَ الحياةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ﴾[٤]، أي ضعف عذابهما.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِم﴾[٥]، أي حُبّه؛ فإنّه في ذكر العجل، تنبيهاً على أنّه لفرط محبّتهم صار صورة العجل في قلوبهم لاتمحى.

وقول ذي الرمة:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبالِ أَذلّةٌ سواسِيةٌ أحْرارُها وَعبِيدُها[٦]

وقد يكون المحذوف مضافاً إليه، كقوله تعالىٰ: ﴿للّهِ الأمرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٧]، فقد حذف فيه المضاف إليه؛ اكتفاءً بالمضاف، والتقدير: من «قبل ذلك ومن بعده».

وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبَارَهَا﴾[٨]، فحذف الجملة المتقدّمة المضاف إليها «إذ» وعُوّض عنها التنوين.

وقوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٩].

---

١. النحل: ٥٠.
٢. يوسف: ٨٢.
٣. الحج: ٧٨.
٤. الإسراء: ٧٥.
٥. البقرة: ٩٣.
٦. ديوانه، ص ٢٩؛ الصناعتين، ص ١٨١.
٧. الروم: ٤.
٨. الزلزلة: ٤.
٩. الأنبياء: ٣٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضّلْنا بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَوَاعَدْنا مُوسَىٰ ثلاثينَ ليلةً وأتْمَمناهَا بِعَشْرٍ﴾[٢]، أي بعشر ليالٍ.

وقد يضاف المضاف إلى مضاف، فيحذف الأوّل والثاني، ويبقىٰ الثالث، كـقوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعلُونَ رِزْقَكُم﴾[٣]، أي بدل شكر رزقكم.

وقوله تعالىٰ: ﴿تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالّذى يُغْشىٰ عليهِ مِنَ الموتِ﴾[٤].

أي كدوران عين الذي يغشىٰ عليه من الموت[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرَّسُولِ﴾[٦].

أي من أثر حافر فرس الرسول.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا أفَاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرىٰ﴾[٧].

أي من أموال كفّار أهل القرىٰ.

وقوله: ﴿فَإنّها مِنْ تَقْوَىٰ القُلُوبِ﴾[٨].

أي من أفعال ذوي تقوى القلوب.

وقوله: ﴿أوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السّماءِ...﴾[٩].

فإنّ التقدير: «كمثل ذوي صيّب»، فحذف المضاف والمضاف إليه.

أمّا حذف المضاف؛ فلقرينة عطفه علىٰ ﴿كَمَثَلِ الّذى اسْتَوْقَدَ ناراً﴾.

وأمّا المضاف إليه، فلدلالة ﴿يَجْعَلُونَ أصابِعَهُمْ فى آذانِهِم﴾ عليه، فأعاد الضـمير عليه مجموعاً، وإنّما صير إلى هذا التقدير؛ لأنّ التشبيه بين صفة المنافقين وصـفة

---

١. البقرة: ٢٥٣.

٢. الأعراف: ١٤٢.

٣. الواقعة: ٨٢.

٤. الأحزاب: ١٩.

٥. إذا كان معنى الرزق في الآية الأُولى الحظّ والنصيب، فلا حاجة إلى تقدير، وكذلك إذا قدّرت في الآيـة الثـانية ﴿كَالّذى﴾ حالاً من الهاء والميم في ﴿أعْيُنَهُمْ﴾ لأنّ المضاف (بعض)، فلا تقدير.

٦. طه: ٩٦.

٧. الحشر: ٧.

٨. الحج: ٣٢.

٩. البقرة: ١٩.

ذوي الصيّب، لا بين صفة المنافقين وذوي الصيّب.

٢. *وقد يكون المحذوف موصوفاً وأُقيمت الصفة مكانه*[١]، كقوله تعالىٰ في وصف أحوال أهل الجنّة: ﴿وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾[٢]، أي: حُورٌ قاصرات الطرف.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلىٰ ذَاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ﴾[٣]، أي سفينة ذات ألواح.

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[٤].

فإنّه لم يرد أنّ الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، وإنّما يريد آية مبصرة، فحذف الموصوف وهو «آية» وأقام الصفة مقامه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[٥]

أي العبد الشكور.

وقوله تعالىٰ: ﴿أن اعْمَلْ سَابغاتٍ﴾[٦]، أي دروعاً سابغات.

وقد يكون المحذوف الصفة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ وَراءَهُم مَلِكٌ يأخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصْباً﴾.

حذفت الصفة بعد ﴿سَفِيْنَةٍ﴾، إذ المراد بها السفينة الصالحة؛ لدلالة الآية علىٰ هذه الصفة ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيْبَهَا﴾ فهو دليل على أنّ الملك كان يأخذ السليمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿اَلّذى أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ وآمَنَهُم مِن خوفٍ﴾[٧]، أي جوعٍ شديدٍ، وخوف عظيم.

---

١. يشترط فيه أمران:

أحدهما: كون الصفة خاصّة بالموصوف حتى يحصل العلم بالموصوف، فمتى كانت الصفة عامّة امتنع حذف الموصوف.

ثانيهما: أن يعتمد على مجرّد الصفة من حيث هي؛ لتعلّق غرض السياق، كقوله تعالى ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ بالمتَّقين﴾ (آل‌عمران: ١١٥) وقوله تعالى: ﴿والله عليم بالظالمين﴾ (البقرة: ٩٥) فإنّ الاعتماد في سياق القول مجرّد الصفة؛ لتعلّق غرض القول من المدح أو الذمّ بها.

٢. الصافات: ٤٨.

٣. القمر: ١٣.

٤. الإسراء: ٥٩.

٥. سبأ: ١٣.

٦. سبأ: ١١.

٧. قريش: ٤.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾[١]،أي جامعاً لأكمل كلّ صفات الرسل.

وقول الرسولﷺ: «لاصلاةَ لجارِ المسجد إلّا في المسجدِ» فإنّه قد علم جـواز صلاة جار المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث، فعلم حينئذٍ أنّ المراد به الفضيلة والكمال، أي لا صلاة أفضل أو أكمل لجار المسجد إلّا في المسجد.

والتفرقة بين الصفة والموصوف من حيث إنّه يحذف الموصوف أكثر من صفته؛ لأنّ الصفة كثير ماتأتي لإيضاح المـوصوف وبـيانه، فـلمّا كـانت الصـفة مـختصّة بالإيضاح والبيان كثُرَ ـ لاشكّ ـ قيامُها مقام الموصوف، بخلاف المـوصوف، فـإنّه يكثر إبهامه من غير ذكر الصفة، فلاجرم كان قيامه مقام الصفة قليلاً نادراً[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَزادَتْهُمْ رِجْسَاً إلىٰ رِجْسِهِم﴾[٣]، أي مضافاً إلى رجسهم.

وأكثر وقوع حذف الموصوف في النداء، وفي المصدر.

أمّا النداء، فنحو قوله تعالىٰ: ﴿ياأَيُّها السّاحِرُ﴾[٤]، أي: ياأيّها الرجلُ الساحر.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا...﴾، أي يا أيّها القوم الّذين آمنوا.

وأمّا المصدر، فكقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ تابَ وَعَمِلَ صالِحَاً فإنّهُ يَتُوبُ إلىٰ اللّهِ مَتَاباً﴾[٥]، وتقديره: «ومن تاب وعمل عملاً صالحاً».

وكقول البحتري:

وإذا مـــارأيتَ صُـــورةَ أنْـــطا … كِـيَّةَ ارتَـعْتَ بَـينَ رُومٍ وَفُـرْسِ
والمَـــنايا مَـــواثِـــلٌ وأنـــو شِـــرْ … وانَ يُزْجي الصُّفُوفَ تَـحتَ الدّرَفْسِ
في اخضِرارٍ مِنَ اللّباسِ عَـلىٰ أصْـ … ـفَر يَـخْتالُ فـي صَبيغةِ وَرْسِ[٦]

فقوله: «علىٰ أصفر» أي على فرس أصفر، وهذا مفهوم من قرينة الحـال؛ لأنّـه

١. النساء: ٧٩.
٢. الطراز، ج٢، ص١٠٨.
٣. التوبة: ١٢٥.
٤. الزخرف: ٤٩.
٥. الفرقان: ٧١.
٦. «الدرفس»: العَلَم الكبير، و«الورس»: نبات يصبغ به، انظر: المثل السائر، ج٢، ص٩٥؛ ديوان البحتري، ج٢، ص١١٥٦ـ١١٥٧.

لمّا قال: «علىٰ أصفر» علم بذلك أنّه أراد فرساً أصفر، كما أنّ «يختال» قرينة لفظية لأنّ الاختيال من صفات الخيل الحسنة.

٣. *وقد يكون المحذوف المعطوف*، كقوله تعالىٰ: ﴿مَاشَهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾[١].

أي ماشهدنا مهلك أهله ومهلكه؛ بدليل قوله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾[٢]، ولما روي من أنّهم كانوا قد عزموا على قتله وقتل أهله.

وعلى هذا، فقولهم: ﴿وَإِنّا لَصَادِقُونَ﴾[٣] كذب في الإخبار، وأوهموا قومهم أنّهم قتلوه وأهله سرّاً ولم يشعر بهم أحد، وقالوا تلك المقالة يوهمون بها أنّهم صادقون، وهم كاذبون.

ويحتمل أن يكون من حذف المعطوف عليه، أي ماشهدنا مهلكه ومهلك أهله[٤].

وقد يحذف المعطوف مع حرف العطف، مثل قوله تعالىٰ: ﴿لايَسْتوى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وقاتَلَ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفيهَا فَفَسَقُوا فِيْهَا﴾[٦].

أي أمرنا مترفيها فخالفوا الأمر ففسقوا، وبهذا التقدير يزول الإشكال من الآية، وأنّه ليس الفسق مأموراً به.

وقيل: فيه استعارة تبعيّة اذ شبّه غاية انحراف المترفين وفسقهم بمنزلة المأمورين المنقادين، وعليه فليس فيه إيجاز.

ويحتمل أن يكون ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا﴾صفة للقرية، لا جواباً لقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾، والتقدير: «وإذا أردنا أن نهلك قرية التي أمرنا مترفيها ففسقوا فيها» ويكون إذن على هذا لم يأت لها جواب ظاهر استغناءً بالسياق، كما في قوله تعالىٰ: ﴿حتّىٰ إذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أبوابُها﴾[٧].

---

١ ـ٣. النمل: ٤٩.

٤. البرهان، ج٣، ص٢٢٧ وقيل: «أصله «ما شهدنا مهلك أهلِك» بالخطاب ثمّ عدل عنه إلى الغيبة، فلا حذف.

٥. الحديد: ١٠.

٦. الإسراء: ١٦.

٧. الزمر: ٧٣.

وقد يكون معطوفاً عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أحَدِهِم مِلءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوْ اَفْتَدَىٰ بِهِ﴾[1]، أي لو مَلَكَهُ ولو افتدىٰ به.

ويجوز حذفه مع حرف العطف، كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدّةٌ مِنْ أيّامٍ أُخَرَ﴾[2]، أي فأفْطَر فعدّة.

٤. *وقد يكون المحذوف القسم*، كقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المنافِقُونَ والّذينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ فِى المدِينةِ لَنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ ثُمَّ لايُجَاورونَكَ فِيهَا إلّا قَلِيلاً﴾[3].

والمعنىٰ لئن لم ينته المنافقون عمّا هم عليه من النفاق، والّذين في قلوبهم شكّ وريبة عمّا هم عليه من الاضطرابات، والمرجفون في المدينة عمّا يصدر منهم من الإرجاف بذكر الأخبار الكاذبة المتضمّنة للأباطيل؛ لتوهين جانب المسلمين، وظهور المشركين عليهم، لنسلّطنك عليهم، أي أنّ المنافقين قد جمعوا بين النفاق، ومرض القلوب، والإرجاف على المسلمين، وذلك بأنّ هؤلاء المرجفين كانوا يخبرون عن سرايا المسلمين بأنّهم هُزِموا، وتارة بأنّهم قُتِلوا، وتارة بأنّهم غُلِبوا، ونحو ذلك ممّا تنكسر له قلوب المسلمين من الأخبار، فتوعّدهم اللّه سبحانه بقوله: ﴿لَنُغْرينَّكَ بِهِمْ﴾ أي لنسلّطنك عليهم، فتستأصلهم بالقتل والتشريد بأمرنا لك بذلك، وجملة ﴿لَنُغْرينَّكَ بِهِمْ﴾ جواب القسم، والقسم محذوف كما ترى.

٥. *وقد يحذف جواب القسم*، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ق والقرآن المجيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الكافِرُونَ هذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[4].

فإنّ معناه: ق والقرآن المجيد لتبعثنّ، والشاهد على ذلك مابعده من ذكر البعث في قوله تعالىٰ: ﴿أئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذلِكَ رَجْعٌ بَعيدٌ﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿والفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * والشّفْعِ وَالوَتْرِ * واللّيلِ إذَا يَسْرِ * هَلْ فى ذلِكَ قَسَمٌ لِذى حِجْرٍ * ألَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إرَمَ ذاتِ العِمَادِ * الّتى

١. آل عمران: ٩١.
٢. البقرة: ١٨٤.
٣. الأحزاب: ٩٠.
٤. ق: ١ و٢.

لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فى البِلادِ﴾[١].

أي ليعذّبن أو نحوه[٢]، ويدلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعلَ رَبُّكَ بِعادٍ إرَمَ ذَات العِمادِ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾[٤].

تقديره: ليُعذّبُنّ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾[٥].

وكقوله تعالىٰ: ﴿وَالنّازِعَاتِ غَرْقاً * وَالنّاشِطَاتِ نَشْطاً * وَالسّابِحَاتِ سَبْحاً * فَالسّابِقَاتِ سَبْقاً * فالمُدَبِّراتِ أَمْراً * يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ * تَتْبَعُها الرادِفَةُ﴾[٦].

والقول الكريم حذف منه جواب القسم؛ لدلالة القرينة عليه[٧] دون إخلال بالمعنى، والمعنى: أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها وهي الملائكة التي تنزع أرواح العباد عن أجسادهم، كما ينزع النازع في القوس، فيبلغ بها غاية المدّ، وكذا المراد بـ﴿النّاشِطَاتِ﴾ و ﴿السّابِحَاتِ﴾ و ﴿السّابِقَاتِ﴾ و ﴿المُدبِّراتِ﴾الملائكة، والجواب المحذوف تقديره: «لتبعثنّ» وحذف لمعرفة السامعين به.

٦. *وقد يكون المحذوف جواب الشرط*، كقوله تعالىٰ: ﴿يَاعِبَادِىَ الّذينَ آمَنُوا إنَّ أرْضِى واسِعَةٌ فَإيّاىَ فَاعْبُدُونِ﴾[٨].

فالفاء في قوله ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ جواب شرط محذوف، والمعنى: أنّ أرضي واسعة، فإن لم تخلصوا لي العبادة في أرض فأخلصوها في غيرها.

ومن هذا قولهم: «الناس مجزيّون بأعمالهم؛ إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌ» والتقدير فيه: «إن كان عمله خيراً فجزاؤهُ خيرٌ».

---

١. الفجر: ١ـ٨.
٢. يحتمل أن يكون موجوداً، وهو قوله ﴿هَل فِى ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذى حِجْرٍ﴾؛ لأنّه قد تمّت به الفائدة.
٣. الفجر: ٧.
٤. الشمس: ١.
٥. يحتمل أن يكون جوابه مذكوراً، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وقد ظهرت به الفائدة.
٦. النازعات: ١ـ٧.
٧. هي ما ذكره من أهوال القيامة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾.
٨. العنكبوت: ٥٦.

ومنه قول العباس بن الأحنف:

قالُوا: خُراسانُ أَقْصىٰ مايُرادُ بِنا ثُمّ القُفُولُ فَقَدْ جِئْنا خُراسانا[١]

كأنّه قال: «إن صَحّ ماقلتم: إنّ خراسان أقصىٰ مايراد بنا، فقد جئنا خراسان».

ومن حذف جواب الشرط قوله تعالىٰ، ﴿قُلْ أَرَأيتُمْ إنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنى إسْرائيلَ عَلىٰ مِثْلِه فآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ إنّ اللّهَ لايَهْدى القَوْمَ الظّالمينَ﴾[٢].

فإنّ جواب الشرط هنا محذوف، تقديره «إن كان القرآن من عنداللّه وكفرتم به، ألستم ظالمين؟!» ويدلّ على المحذوف قوله تعالىٰ: ﴿إنّ اللّهَ لايَهْدى الْقَوْمَ الظّالمينَ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَابَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَاخَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُون﴾[٤].

فهذا شرط حذف جوابه، وهو «أعرضوا» بدليل مابعده، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأتِيهِمْ مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِم إلّا كَانُوا عَنْها مُعْرِضينَ﴾[٥].

ومن حذف جواب «لو» قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾[٦].

وتقدير جواب ﴿لَوْ﴾: «لرايت أمراً عظيماً» أو «حالة منكرة».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلوْ يَرىٰ الّذينَ ظَلَمُوا إذْ يَرَونَ العذابَ أنّ القُوّةَ للّهِ جَمِيعاً﴾[٧].

---

١. ديوانه، ص٣١٢ وبعده:

متىٰ يكون الذي أرجو وآمُله أمّا الذي كنت أخشاه فقد كانا

وفي المقايسة: أنّ الرشيد ألف العباس بن الأحنف، فلمّا خرج إلى خراسان طال مقامه بها ثمّ خرج إلى أرمينيّه والعباس معه، فعارضه في طريقه، فأنشده الأبيات. أُنظر: دلائل الإعجاز، ص١٢٣. والعباس بن الأحنف شاعر عباسي مشهور ينتسب إلى بني حنيفة، نشأ في بغداد، وكان غزلاً يشبه من المتقدّمين عمر بن أبي ربيعة، توفّي سنة ١٨٨ هـ وقيل سنة ١٩٢هق؛ الأغاني، ج٨، ص٣٥٢؛ الوفيات، ج٣، ص ٢٠.

٢. الأحقاف: ١٠.

٣. المثل السائر، ج٢، ٩٨ و٩٩.

٤. يس: ٤٥.

٥. الأنعام: ٤.

٦. سبأ: ٥١.

٧. البقرة: ١٦٥.

أي لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أنّ القدرة كلّها للّه على كلّ شيء من العذاب والثواب، ويعلمون شدّة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم مالايدخل تحت الوصف من اللوم والحسرة، ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم، فحذف الجواب.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لايَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِم النّارَ وَلا عَنْ ظُهُورهم و...﴾[1].

والتقدير فيه: «لو يعلمون هذه الأُمور لما كانوا على تلك الصفات من الكفر والاستهزاء والصدود والانكار».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إذْ وُقِفُوا عَلىٰ النّار﴾[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿ولو تَرَىٰ إذْ وُقِفُوا علىٰ رَبِّهِم﴾[3].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَو تَرىٰ إذْ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِم﴾[4].

وتقديره في هذه المواضع: «لرأيتَ عَجَباً» أو «أمراً عظيماً» و«لرأيت سوء منقلبهم» أو «لرأيت سوء حالهم».

وبلاغة الحذف لقصد المبالغة؛ لأنّ السامع مع أقصى تخيّله يذهب منه الذهن كلّ مذهب، ولو صرّح بالجواب لوقف الذهن عن المصرّح به، فلايكون له ذلك الوقع.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ الّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُم إلىٰ الجنّةِ زُمَراً حتّىٰ إذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَت أبْوابُهَا وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُم فَادْخُلوها خَالِدينَ﴾[5].

حذف الجواب؛ لأنّ وصف مايجدونه ويلقونه عند ذلك لايتناهى، فَجُعِل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف مايشاهدونه، وترك النفوس تقدّر ماشاءته، ولاتبلغ مع ذلك كنه ماهنالك، وهذا مبالغة في التعجّب والتهويل.

---

١. الأنبياء: ٣٩.
٢. الأنعام: ٢٧.
٣. الأنعام: ٣٠.
٤. السجدة: ١٢.
٥. الزمر: ٧٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ مانَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾[1].

جواب لو محذوف، والتقدير: «لنفدت هذه الأشياء وما نفدت كلمات اللّه».

وقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الّذينَ كَفَرُوا حِينَ لايَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِم النّارَ﴾[2].

وتقديره: «لما استعجلوا فقالوا: متىٰ هذا الوعد؟!».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكاءَكُم فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا العَذَابَ لَوْ أَنَّهُم كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾[3].

أي يهتدون في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة، أو لما اتبعوهم.

وقال امرؤ القيس:

فَلَوْ أَنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّة ... ولكنّها نَفْسٌ تُساقِطُ أنْفسا

وجواب «لو» في آخر القصيدة حيث قال:

وَجَدِّكَ لَوْ شَيءٌ أتانا رَسُولُهُ ... سِواكَ ولكِنْ لم نَجدْ لك مَدْفعا

أي لرددناه.

وقول أبي تمّام:

لو يعلم الكُفْرُ كمْ مِن أعصُرٍ كَمَنَتْ ... لَهُ العواقِبُ بين السُّمْرِ والقُضُبِ

والتقدير: «لو يعلم الكفر لأخذ أهبة الحذار».

أمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أنّ قُرْآناً سُيّرتْ بِهِ الجِبَالُ أوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرْضُ أوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتىٰ﴾[4].

فقيل تقديره: «لكان هذا القرآن» وهو مردود؛ لأنّ الآية ماسيقت لتفضيل القرآن، بل سيقت في معرض ذمّ الكفّار؛ بدليل قوله قبلها: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمٰنِ قُلْ هُوَ رَبّى لَا إلهَ إلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإليهِ مَتَابِ﴾[5].

١. لقمان: ٢٧.
٢. الأنبياء: ٣٩.
٣. القصص: ٦٤.
٤. الرعد: ٣١.
٥. الرعد: ٣٠.

فلو قدّر الخبر: «لما آمنوا به» لكان أشدّ.

وحذف جواب «لولا» كقوله تعالىٰ: ﴿إنّ الّذِينَ يُحِبُّونَ أنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِى الّذِينَ آمَنُوا لَهُم عَذَابٌ أليمٌ فى الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ * وَلوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأنّ اللّهَ رؤوفٌ رَحيمٌ﴾[1].

أي ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته، لعجّل لكم العذاب بسبب افتراء الكذب، والتقوّل بما لم يكن، ولهذا قال بعدها: ﴿وَأنّ اللّهَ رؤوفٌ رَحيمٌ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة ﴿رَحِيمٌ﴾ بما ألْهَمَ من المصلحة بالحدّ في القذف.

وقوله تعالىٰ في آخر آية اللعان: ﴿وَلوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأنّ اللّهَ تَوّابٌ حَكيمٌ﴾[2].

فجواب ﴿لَوْلا﴾ هنا محذوف، تقديره: «لما ستر عليكم هذه الفاحشة، ولما هداكم إلى مصلحة اللعان بالحكم فيه بهذا الحدّ» ولهذا عقّبه بقوله: ﴿وَأنّ اللّهَ تَوّابٌ حَكِيْمٌ﴾ بالستر عليكم، حكيم بإعلامكم بما يتوجّه على الملاعن.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أنْ يُضِلُّوكَ﴾[3].

قوله: ﴿لَهَمّتْ﴾ ليس جواب ﴿لَوْ﴾بل هو كلام تقدّم على ﴿لَوْ﴾ وجوابها مقول على طريق القسم، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: «لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك لولا فضل اللّه عليك لأضلّوك».

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أنْ رَأىٰ بُرْهانَ رَبِّهِ﴾[4].

أي همّت بمخالطته، وجواب ﴿لَوْلا﴾ محذوف، أي لولا أن رأى برهان ربّه لخالطها.

ومن حذف جواب «لما» قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمّا أضاءَتْ مَاحَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِم﴾[5].

أي فلمّا أضاءت ماحوله خمدت، فبقوا حابطين في ظلام، متحيّرين متحسّرين

---

١. النور: ١٩ و٢٠.
٢. النور: ١٠.
٣. النساء: ١١٣.
٤. يوسف: ٢٤.
٥. البقرة: ١٧.

على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار، فحذف جواب ﴿لمّا﴾ لاستطالة الكلام مع أمن الالباس عليه.

كما قال أبو ذؤيب:

دعاني إليها القَلْبُ إنّـي لأمـرِهِ مُطِيعٌ فما أَدْرِي أَرُشْـدٌ طِـلابُها

أي أرشد أم غيٌّ طلابها؟

وكقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلجَبينِ * وَنادَيْناهُ أَنْ ياإبْرَاهيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إنّا كَذلِكَ نَجْزِى المُحْسِنين﴾[1].

أي فلمّا أسلما وتلّه للجبين، وناديناه: أن ياإبراهيم قد صدّقت الرؤيا، كان ماكان ممّا ينطِقُ به الحال، ولايحيط به الوصف من رفع البـلاء، وكشـف الكـربة، وإزالة المحنة العظيمة، والغبطة والسرور بامتثال أمر اللّه، والزلفة عنده،والفوز برضوان اللّه بدليل ﴿إنّا كَذلِكَ نَجْزِى المُحْسِنينَ﴾[2].

ومن حذف جواب «أمّا» قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهمْ أَكَفَرْتُم بَـعْدَ إيمانِكُمْ﴾[3].

التقدير فيه: «فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟! فجذف القول وأقام المقول مقامه.

ومن حذف جواب «إذا» قوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا قِيْلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَابَيْنَ أَيْديكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِم إلّا كَانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾[4].

أي وإذا قيل لهم: اتّقوا، أعرضوا وأصرّوا علىٰ تكذيبهم.

ثالثها: مايكون جملة تامّة:

١. *إمّا أن تكون مُسبّبة عن سبب مـذكور،* كـقوله تـعالىٰ: ﴿ليُـحِقَّ الحَـقَّ ويُـبْطِلَ الباطِلَ﴾[5].

١. الصافات: ١٠٣ـ١٠٥.

٢. الطراز، ج ٢، ص ١١٤، و سرّ بلاغة حذف جواب ﴿لمّا﴾ ذهاب النفس منه كلّ مذهب.

٣. آل عمران: ١٠٦.

٤. يس: ١٥ و٤٦.

٥. الأنفال: ٨.

فهذا سبب مذكور حُذِف مُسبَّبه بدليل أنّ اللام فيها للتعليل، والتقدير: فعل اللّه مافعل من دحر الكفّار في غزوة بدر مع وفرتهم، وإظهار المسلمين عليهم مع قلّتهم؛ ليحقّ الحقّ، ويبطل الباطل[١].

ونحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنْتَ بجانِبِ الطُورِ إذْ نادَيْنا وَلكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَاأَتاهُمْ مِنْ نَذيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلّهُم يَتَذكّرُونَ﴾[٢].

والتقدير: «ولكن أرسلناك رحمة من ربّك».

فجملة «أرسلناك» المحذوفة مسبّبة عن سبب مذكور وهو ﴿رَحْمَةً مِن رَبّكَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنْتَ بجانِبِ الغَرْبيّ إذْ قَضَينا إلىٰ مُوسَىٰ الأمْرَ وَمَا كُنْتَ مِن الشّاهِدينَ * وَلكِنّا أنْشَأنَا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِم العُمُرُ...﴾[٣].

أي ماكنت شاهداً حال موسىٰ في إرساله، وماجرى له وعليه، ولكنّا أوحينا إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة، ودلّ به علىٰ المسبّب وهو الوحي إلى الرسولﷺ كما هو الجاري في أساليب التنزيل في الاختصار.

فعلى هذا يكون التقدير: ولكنّا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى موسى إلى زمانك قُروناً كثيرة، فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم، وفترة النبوّة، فحملهم ذلك على الاغترار، وأنكروا بعثة اللّه بجهلهم بأمر الرسل، فأرسلناك للناس رسولاً، أي طال أمد انقطاع الوحي، فاندرست أعلام النبوّة، فوجب من أجل ذلك إرسالك إليهم، فأرسلناك وعرّفناك أحكام التحليل والتحريم، وأخبرناك بقصص الأنبياء، فالمحذوف هذه الجملة الطويلة بدلالة السبب عليها[٤].

وعليه قول المتنبّي:

أتى الزمانَ بَنُوهُ في شَبيبَتِهِ فَسَرَّهُم وَأَتَيناهُ عَلىٰ الهَرَمِ

---

١. إنّ اللام الداخلة على الفعل لابدّ لها من متعلّق يكون سبباً عن مدخول اللام، فلمّا لم يوجد لها متعلّق في الظاهر وجب تقديره ضرورة، فيقدّر: «فعل مافعل؛ ليحقّ الحقّ» البرهان، ج٣، ص٢٦٤.

٢. القصص: ٤٦.

٣. القصص: ٤٤.

٤. الطراز، ج٢، ص٩٦؛ المثل السائر، ج٢، ص٧٩؛ العرف الطيب، ج٢، ص٣٨٧.

ومعناه أنّ من قبلنا أدركوا الزمان في نضارته وغضارته، فأدركوا ما أمّلوا، ونحن أدركناه في شيخوخته وهرمه، فما رأينا منه خيراً، والشاهد فيه قوله: «وأتيناه على الهرم» حيث حذفت الجملة المسبّبة عن المذكورة وهي قوله: «فساءَنا».

وأمّا حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب، فكقوله تعالىٰ حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿قالَتْ أنّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أكُ بَغيّاً * قالَ كذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً للنّاسِ وَرَحْمَةً مِنّا وَكَانَ أمْرَاً مَقْضِيّاً﴾[١].

تعليل معلّله محذوف، أي وإنّما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس، فذكر السبب الذي صدّر الفعل من أجله؛ وهو جعله آية للناس، ودلّ به على المسبّب الذي هو الفعل[٢].

٢. *وإمّا أن تكون سبباً لمسبّب مذكور*، قوله تعالىٰ:

﴿وَإذْ اسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[٣].

أي فضربه بها فانفجرت، فقوله: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ مُسبّبٌ مذكور سببه الجملة المحذوفة «نضربه بها».

ويجوز أن يكون التقدير «فإن ضربت بها فقد انفجرت»، فيكون المحذوف شرطاً، وعلى ذلك لا يكون ممّا نحن فيه الآن من حذف الجملة التامّة.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإذا قَرَأْتَ القُرآن فَاسْتَعِذْ باللّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ﴾[٤].

أي إذا أردت قراءة القرآن فاكتف بالمسبّب الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الإرادة، والدليل على ذلك أنّ الاستعاذة قبل القراءة، والذي دلّت عليه أنّها بعد القراءة[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُمْ إلىٰ الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[٦].

---

١. مريم: ٢٠ـ٢١.
٢. المثل السائر، ج٢، ص٨٠.
٣. البقرة: ٦٠.
٤. النحل: ٩٨.
٥. المثل السائر، ج٢، ص٨٠.
٦. المائدة: ٦.

والمعنى إذا أردتم القيام، فوضع مُسبّبها مكانها، ودلّ به عليها.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَتُوبُوا إِلىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[١]، أي فامتثلتم فتاب عليكم.

وقول الرسولﷺ: «إذا قامَ أحَدُكُم إلىٰ الصَّلاةِ فَليَتَوضَأ»، أي إذا أراد أحدكم؛ لأنّ الفعل مسبّب عن الإرادة[٢].

٣. *وإمّا أن تكون سؤالاً مقدّراً*، وذلك مايكون في الاستئناف، وهو علىٰ وجهين:

الوجه الأوّل: إعادة الأسماء والصفات، وهذا يجيء تارة بإعادة اسم مااستؤنِفَ عنه الحديث، كقولك: «أحسنتُ إلى سعيد؛ سعيد حقيقٌ بالإحسان» وتقدير المحذوف وهو السؤال المقدّر «لماذا أحسنت إلىٰ سعيد؟».

وتارة بإعادة صفة مااستؤنف عنه الحديث، كقولك: «أكرمت محمّداً؛ صديقي القديم أهل للإكرام».

وتقدير المحذوف وهو السؤال المقدّر: «هل هو حقيق بالإكرام؟» وهذا النوع الأخير أبلغ؛ لاشتماله على بيان السبب الموجود للحكم، كالصداقة في المثال المذكور.

فممّا ورد من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ألم * ذلك الكِتابُ لارَيْبَ فيهِ هُدىً للمُتَّقينَ * الّذينَ يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ وَيُقيمُونَ الصَّلٰوةَ ومِمّا رَزَقْناهُم يُنْفِقُونَ * وَالّذينَ يُؤْمِنُونَ بما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولئِكَ عَلىٰ هُدىً مِن رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٣].

والاستئناف واقع في هذا الكلام على ﴿أُولئِكَ﴾؛ لأنّه لمّا قال: ﴿ألم * ذٰلِكَ الْكِتَابُ...﴾ إلى قوله: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُونَ﴾ اتّجه لسائل أن يقول: «مابال المستقلّين بهذه الصفات قد اختصّوا بالهدىٰ؟» فأُجيب بأنّ أولئك الموصوفين غير مستبعد أن

---

١. البقرة: ٥٤.

٢. الطراز، ج ٢، ص٩٦؛ المثل السائر، ج ٢، ص ٨٠.

٣. البقرة: ١ـ٥.

يفوزوا دون الناس بالهدىٰ عاجلاً، وبالفلاح آجلاً[١].

الوجه الثاني: الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِـىَ لا أعْبُدُ الّذى فَطَرَنى وَإلَيْهِ تُرْجَعُون * أأتّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إن يُرِدْنِ الرحمنُ بِضُرٍ لاتُغْنِ عَنّى شَفاعَتُهُمْ شَيئاً وَلايُنْقِذُونِ * إنّى إذاً لَفِى ضَلالٍ مُبينٍ * إنّى آمَنْتُ بِرَبّكُمْ فاسْمَعُونِ * قِيلَ ادخُلِ الجَنّةَ قالَ يـالَيْتَ قَـوْمى يَـعْلَمُونَ * بِـما غَـفَرَ لى رَبّـى وَجَـعَلنى مِـنَ المُكْرَمِينَ﴾[٢].

فمخرج هذا القول مخرج الاستئناف؛ لأنّ ذلك من مظانّ المسألة عن حاله عند لقاء ربّه، وكأنّ قائلاً قال: «كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربّه بعد ذلك التصلّب في دينه والتسخّي لوجهه بروحه؟» فقيل: ﴿قِيلَ ادخُـلِ الجَـنّةَ﴾ ولم يـقل: «قـيل له»؛ لانصباب الغرض إلى المقول لا إلى المقول له مع كونه معلوماً[٣].

وكذلك قوله: ﴿ياليْتَ قَوْمى يَعْلَمُونَ﴾ مُرَتّب على تقدير سؤال سائل عمّا وجد.

ومن هذا النحو قوله عزّوجلّ: ﴿ياقَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكانَتِكُمْ إنّـى عـامِلٌ فسَـوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إنّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٤].

والفرق بين إثبات الفاء في «سوف» كقوله تعالىٰ: ﴿قُل ياقَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكانَتِكُمْ إنّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ إنّـهُ لا يُـفْلِحُ الظـالِمُونَ﴾[٥] وبـين حذف الفاء هنا في هذه الآية أنّ إثباتها وصـل ظـاهر بـحرف مـوضوع للـوصل، وحذفها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدّر، كأنّهم قالوا: «فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟» فقال: ﴿سَـوْفَ تَـعْلَمُوْنَ﴾ فوصل تارة بالفاء، وتارة بالاستئناف؛ للتفنّن في البلاغة، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف[٦].

١. الطراز، ج ٢، ص ٩٤؛ المثل السائر، ج ٢، ص ٧٨.
٢. يس: ٢٢ـ٢٧.
٣. الطراز، ج ٢، ص ٩٤؛ المثل السائر، ج ٢، ص ٧٨.
٤. هود: ٩٣.
٥. الأنعام: ١٣٥.
٦. المثل السائر، ج ٢، ص ٧٨ و ٧٩.

٤. ***الإضمار على شريطة التفسير***، وهو أن يحذف من صدر الكلام مايؤتى به في آخره، فيكون الآخر دليلاً علىٰ الأوّل، وله ثلاثة أوجه:

١. أن يأتي علىٰ طريق الاستفهام، فتذكر الجملة الأُولىٰ دون الثانية، كقوله تعالىٰ: ﴿أفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسْلامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبّهِ فَوَيلٌ للقاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِنْ ذِكْرِ اللّهِ أُولئِكَ فى ضَلالٍ مُبينٍ﴾[١].

تقدير الآية «أفمن شرح اللّه صدره للإسلام كَمَن أقسىٰ قلبه؟» ويدلّ على المحذوف قوله: ﴿فويلٌ لِلْقَاسِيةِ قُلُوبِهِمْ﴾[٢].

٢. أن يرد على حدّ النفي والإثبات، كقوله تعالىٰ: ﴿لايَسْتَوى مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الّذينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا﴾[٣].

تقديره: «لايستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل ومن أنفق بعده وقاتل» ويدلّ على المحذوف قوله: ﴿أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الّذينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وقاتَلُوا﴾[٤].

٣. أن يرد على غير هذين الوجهين، فلايكون استفهاماً، ولانفياً، وإثباتاً، كقوله تعالىٰ: ﴿وَالّذينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُم إلىٰ رَبِّهِمْ راجِعُونَ﴾[٥].

فالمعنى في الآية: والّذين يعطون ماأعطوا من الصدقات وسائر القرب الخالصة لوجه اللّه تعالىٰ، وقلوبهم وجلة، أي خائفة من أن تردّ عليهم صدقاتهم، فحذف قوله: «ويخافون أن تردّ عليهم هذه النفقات» ودلّ عليه بقوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

فظاهر الآية أنّهم وجلون من الصدقة، وليس وجلهم لأجل الصدقة، وإنّما وجلهم لأجل خوف الردّ المتّصل بالصدقة.

ومنه قول أبي تمّام:

يَتَجَنَّبُ الآثـامَ ثُـمَّ يـخافُها فَكَـأنَّما حَسَـناتُهُ آثـامُ

والتقدير «أنّه يتجنّب الآثام، فإذا تجنّبها فقد أتىٰ بحسنه»، ثمّ يخاف أن لاتكون تلك الحسنة مقبولة، فكأنّما حسناته آثام، فلم يخف الحسنة لكونها حسنة، وإنّما

١و٢. الزمر: ٢٢.

٣و٤. الحديد: ١٠.

٥. المؤمنون: ٦٠.

خاف مايتّصل بها من الردّ، فكأنّها مخوفة كما تخاف الآثام.

ومنه قول أبي نواس:

سُنَّة العشّاقِ واحِدةٌ فإذا أحْبَبْتَ فاسْتَكن

فحذف الاستكانة من الأوّل، وذكرها في المصراع الثاني؛ لأنّ التقدير: سُنّةُ العاشقين واحدة؛ وهي أن يستكينوا ويتضرّعوا، فإذا أحببت فاستكن.

٥. *ماليس بسبب ولامسبّب، ولا إضمار على شريطة التفسير، ولااستئناف.*

فمن حذف الجمل المفيدة قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأباً فَمَا حَصَدتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إلّا قَلِيْلاً ممّا تَأكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتى مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يأكُلْنَّ ماقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلّا قَليلاً مِمّا تُحصِنُونَ * ثُمّ يَأْتى مِنْ بَعدِ ذٰلِكَ عَامٌ فيهِ يُغاثُ النّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقالَ المَلِكُ ائتُونِى بِهِ﴾[١].

فإنّه حذف من هذا الكلام جملة مفيدة، تقديرها: فرجع الرسول إليهم فأخبرهم بمقالة يوسف، فعجبوا لها، أو فصدّقوه عليها وقال الملك: ﴿وَقالَ المَلِكُ ائتُونِى بِهِ﴾[٢].

ومن حذف الجمل غير المفيدة قوله تعالىٰ: ﴿يازَكريّا إنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً * قالَ ربِّ أنّىٰ يَكُونُ لِى غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأتى عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّاً * قَالَ كذٰلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِى آيةً قَالَ آيَتُكَ ألّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ ليالٍ سَوِيّاً * فَخَرَجَ علىٰ قَوْمِه مِن المِحْرابِ فأَوْحىٰ إليْهِم أنْ سَبّحوا بُكرَةً وَعَشِيّاً * يَايَحْيىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوّةٍ وَآتيناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾[٣].

هذا الكلام قد حذف منه جملة دلّ عليها صدره وهو البشرى بالغلام، وتقديرها: ولمّا جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له: ﴿يَايَحْيىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوّةٍ﴾، فالجملة المحذوفة ليس من الجمل المفيدة.

---

١. يوسف: ٤٧ـ٥٠.

٢. التبيان، ص١٤٨أ؛ الطراز، ج٢، ص٩٩.

٣. مريم: ٧ـ١٢.

ومن ذلك قول المتنبّي:

لا أُبْغِضُ العِيسَ لكنّي وَقَيتُ بِها قَلْبي مِنَ الهَمّ أو جِسْمي مِنَ السّقَمِ

وفي هذا البيت حذف، والتقدير: لا أبغض العيسَ لإنضائي إيّاها في الأسفار، ولكنّي وقيت بها كذا وكذا، فالثاني دليل علىٰ حذف الأوّل[١].

وممّا يتّصل بهذا الضرب حذف مايجيء بعد «أفعل» مثل: «اللّه أكبر»، أي أكبر من كلّ كبير.

وعليه ورد قول البحتري:

اللّهُ أعْطاكَ المَحَبَّةَ في الوَرَىٰ وَحَباكَ بالفَضْلِ الذي لايُنْكَرُ

وَلأنْتَ أمْلأُ في العُيُونِ لَدَيْهِمُ وَأَجَلُّ قَدْراً في الصُّدُورِ وَأكْبَرُ

أي أنت أملأ في العيون من غيرك، وأجلُّ وأكبر ممّن سواك[٢].

خامساً: مايكون أكثر من جملة

نحو قوله تعالىٰ: ﴿أنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأرْسِلُونِ * يُوسُفَ أيُّها الصدِّيقُ أفْتِنا فى سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ لَعَلّى أرْجِعُ إلىٰ النّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

أي فأرسلوني إلى يوسف لاستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه، فقال له: ﴿يُوسُفَ أيُّها الصِدّيقُ﴾.

ونحو قصّة سليمانعليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إذْهَبْ بِكِتابِى هذَا فَألقِهِ إلَيْهِمْ ثُمّ تَوَلَّ عَنهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجعُونَ * قالَتْ ياأيُّهَا الملأُ إنّى أُلْقِىَ إلىّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[٤]، وفيه إيجازان:

أحدهما: ﴿ثُمّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، أي تَنَحّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجعُونَ﴾.

---

١. المثل السائر، ج٢، ص٨٥.

٢. التبيان، ص١٥١؛ ديوان البحتري، ج١، ص٢٥.

٣. يوسف: ٤٥ و٤٦.

٤. النمل: ٢٨ و٢٩.

وثانيهما: فأخذ الكتاب وذهب به، فلمّا ألقاه إليها فتناولته ثمّ قرأته قالت: ﴿ياأيُّهَا الْمَلأُ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْنا اذْهَبَا إلىٰ الْقَومِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرَاً﴾[٢].

المحذوف ثلاث جمل، تقديرها: فأتياهم، فأبلغاهم الرسالة، فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿أفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسلامِ﴾[٣].

أي كمن قسا قلبه، وترك علىٰ ظلمه وكفره، ودلّ على المحذوف قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيلٌ للقاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِنْ ذِكْرِ اللّهِ﴾[٤].

وهناك أنواع من الحذف نذكر منها:

١. *الحذف المتقابل* وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كلّ واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إن افتريْتُهُ فَعَلَيَّ إجْرَامِي وَأنا بريءٌ مِمّا تُجْرِمُونَ﴾[٥].

الأصل: فإن افتريته فعليّ إجرامي، وأنتم براء منه، وعليكم إجرامكم، وأنا بريء ممّا تجرمون، فنسبة قوله تعالىٰ: ﴿إجْرَامِي﴾ ـ وهوَ الأوّل ـ إلى قوله: «وعليكم إجرامكم» ـ وهو الثالث ـ كنسبة قوله: «وأنتم براء منه» ـ وهو الثاني ـ إلى قوله تعالىٰ: ﴿وَأنا بريءٌ مِمّا تُجْرِمُونَ﴾ وهو الرابع، واكتفىٰ من كلّ متناسبين بأحدهما[٦].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَأتِنا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأوّلُونَ﴾[٧].

تقديره: إن أُرسل فليأتنا بآية كما أُرسل الأوّلون، فأتوا بآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإمّا يأتِيَنّكُمْ مِنّي هُدىً فَمَنْ اتّبَعَ هُدَايَ﴾[٨].

---

١. التبيان: ١٤٨.
٢. الفرقان: ٣٦.
٣و٤. الزمر: ٢٢.
٥. هود: ٣٥.
٦. البرهان، ج٣، ص٢٠٠.
٧. الأنبياء: ٥.
٨. طه: ١٢٣.

فإنّ مقتضى التقسيم اللفظي: من اتّبع الهدى فلاخوف ولاحزن يلحقه، وهو صاحب الجنّة، ومن كذّب يلحقه الخوف والحزن، وهو صاحب النار، فحذف من كلّ ماأثبت نظيره في الأُخرىٰ.

وقد يحذف من الأوّل لدلالة الثاني عليه، وقد يعكس، وقد يحتمل اللفظ الأمرين:

فالأوّل: كقوله تعالىٰ: ﴿إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتُهُ يُصَلُّونَ علىٰ النّبيِّ﴾[1]، في قراءة من رفع ﴿مَلائِكَتُهُ﴾، أي أنّ اللّه يصلّي، فحذف من الأوّل لدلالة الثاني عليه، وليس عطفاً عليه.

والثاني: كقوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَايَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[2]، أي: ويثبت مايشاء.

وقوله تعالى: ﴿ويُعَذِّبَ المُنافِقينَ إنْ شاءَ أو يَتُوبَ عَلَيْهِم﴾[3].

والتقدير: ويعذب المنافقين فلا يتوب عليهم، أو يتوب عليهم فلايعذّبهم.

والثالث: كقوله تعالىٰ: ﴿وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أحَقُّ أنْ يُرْضُوهُ﴾[4].

فقد قيل: إنّ ﴿أحَقُّ﴾ خبر عن اسم اللّه تعالىٰ، وقيل بالعكس.

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَقَد نَزّلَ عَلَيْكُم فِى الكِتَابِ أَنْ إذَا سَمِعْتُمْ آياتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزأُ بِهَا﴾[5].

فالفائدة في إعادة الجارّ والمجرور إبهام؛ لأنّه لو حذف من الثاني لم يحصل الربط، لوجوب الضمير فيما وقع مفعولاً ثانياً، أو كالمفعول الثاني لـ﴿سَمِعْتُمْ﴾، ولو حذف من الأوّل لم يكن نصّاً على أنّ الكفر يتعلّق بالإثبات؛ لجواز أن يكون متعلّق الأوّل غير متعلّق الثانى.

٢. ***الحذف المناسب وغير المناسب***، كقوله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَواكِهُ كَثِيرةٌ

---

١. الأحزاب: ٥٦.

٢. الرعد: ٣٩.

٣. الأحزاب: ٢٤.

٤. التوبة: ٦٢.

٥. النساء: ١٤٠.

وَمِنْهَا تأكُلُونَ﴾[١].

وقوله تعالىٰ: ﴿لَكُمْ فِيهَا فاكِهَةٌ كَثِيرةٌ مِنْهَا تأكُلُونَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿أُولئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿أُولئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ أُولئِكَ هُمْ الغافِلُونَ﴾[٤].

وحكمته أنّه قد اختلف الخبران في سورة البقرة، فلذلك دخل العاطف بـخلاف الخبرين في الأعراف، فإنّهما متّفقان؛ لأنّ التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم واحد، فكانت الجملة الثالثة مقرّرة لما في الأُولىٰ، فهي من العطف بمعزل.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إنّ الّذينَ كَفَروا سَواءٌ عَلَيْهِمْ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أأَنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُم﴾[٦]، مع العاطف.

وحكمته أنّ مافي سورة يس ومـابعده جـملة مـعطوفة عـلىٰ جـملة أُخـرىٰ، فاحتاجت إلى العاطف، والجملة هنا ليست معطوفة، فهي من العطف بمعزل.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاتَكُ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ﴾[٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلاتَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾[٨] بإثبات النون، وحكمته أنّ القصّة لمّا طالت في سورة النحل ناسب التخفيف بحذف النون، بخلافه في سورة النمل، فـإنّ الواو استئنافية، ولاتعلّق لها بما قبلها.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلاتَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾[٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿فلاتَكُنْ مِن المُمْتَرينَ﴾[١٠].

---

١. المؤمنون: ١٩.
٢. الزخرف: ٧٣.
٣. البقرة: ٥.
٤. الأعراف: ١٧٩.
٥. البقرة: ٦.
٦. يس: ١٠.
٧. النحل: ١٢٧.
٨. النمل: ٧٠.
٩. البقرة: ١٤٧.
١٠. آل عمران: ٦٠.

وحكمته أنّ الخطاب في البقرة لليهود، وهم أشدّ جدالاً.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجَارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليمٍ...﴾ إلىٰ أن قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[١].

وقال في خطاب الكافرين: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[٢].

والفرق واضح بين مغفرة بعض الذنوب من الكافر إذا هو آمن، وإن آمن فسوف تغفر كلّ ذنوبه.

أمثلة أُخرىٰ حول مجاز الحذف كما تلي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيْسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الكَافِرينَ﴾[٣].

في الآية إيجاز بالحذف، أي فسجدوا له، وكذلك ﴿أَبَىٰ﴾ مفعوله محذوف، أي أبى السجود، وفي ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾استئناف جواب لمن قال: «مافعل؟»، وأفادت الفاء في قوله ﴿فَسَجَدُوا﴾ أنّهم سارعوا في الامتثال، ولم يتثبّطوا فيه.

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمامَ وَأَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوىٰ كُلُوا مِن طَيِّباتِ مَارَزَقْناكُمْ وَمَاظَلَمُونَا وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤].

في الآية الكريمة إيجاز بالحذف في قوله: ﴿كُلُوا﴾، أي قلنا لهم: كلوا، وفي قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ تقديره: فظلموا أنفسهم بأن كفروا، وماظلمونا بذلك، دلّ علىٰ هذا الحذف قوله: ﴿وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٣. قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّميعُ العَلِيمُ﴾[٥].

أي يكفيك اللّه شرّهم، وتصدير الفعل بالسين دون «سوف» مشعر بأنّ ظهوره

---

١. الصف: ١٢.
٢. إبراهيم: ١٠.
٣. البقرة: ٣٤.
٤. البقرة: ٥٧.
٥. البقرة: ١٣٧.

عليهم واقع في زمن قريب، والآية معترضة بين الآيتين السابقة واللاحقة.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي الرِّقَابِ...﴾[١].

أي وفي فكّ الرقاب، يعني فداء الأسرى، وفي لفظ ﴿الرِّقَابِ﴾ مجاز مرسل حيث أطلق الرقبة وأراد به النفس، وهو من إطلاق الجزء وإرادة الكلّ.

٥. قوله تعالىٰ: ﴿الشَهْرُ الحَرامُ بالشَهْرِ الحَرَامِ...﴾[٢]، فيه إيجاز بالحذف، تـقديره: هتك حرمة الشهر الحرام تقابل بهتك حرمة الشهر الحرام؛ إذ قاتلهم المشركون عام الحديبيّة في ذي القعدة، واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه، وكرهوا أن يقاتلوهم فيه لحرمته، فقيل لهم: هذا الشهر بذاك، وهتكه بهتكه، فلاتبالوا به، وجاز للمؤمنين أن يقاتلوهم فيه، وليس بهتك؛ لكونهم يجاهدون في سبيل اللّه، وإعلاء كلمته، فـجاز للمؤمنين معاملتهم بالمثل.

٧. قوله تعالىٰ: ﴿كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النبيّينَ مُبَشّرينَ وَمُنْذِرينَ وَأنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بالحقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوا فيهِ...﴾[٣]، أي كانوا أُمّة واحدة على الإيمان متمسّكين بالحقّ، فاختلفوا، فبعث اللّه النبيّين، ودلّ على المحذوف قـوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ الناسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوا فيهِ﴾.

٨. قوله تعالىٰ: ﴿وَإنْ أرَدْتُمْ أنْ تَسْتَرْضِعُوا أوْلادكُم فَلاَ جُناحَ عَـلَيْكُمْ...﴾[٤]، أي أن تسترضعوا المراضع لأولادكم، وفيه حذف أحد المفعولين، كما أنّ فيه التـفاتاً مـن الغيبة إلى الخطاب؛ لأنّ ماقبله: ﴿فَإنْ أرَادَا فِصَالاً﴾ وفائده هذا الالتفات هزّ مشاعر الآباء نحو الأبناء.

٩. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الّذى عَلَيْهِنَّ بالمَعْروفِ...﴾[٥].

أي ولهنّ على الرجال من الحقوق مثل الذي للـرجـال عـليهنّ مـن الحـقوق،

---

١. البقرة: ١٧٧.
٢. البقرة: ١٩٤.
٣. البقرة: ٢١٣.
٤. البقرة: ٢٣٣.
٥. البقرة: ٢٢٨.

فقدحذف من الأوّل بقرينة الثاني، ومن الثاني بقرينة الأوّل، وفيه من المحسّنات البديعيّة ـ أيضاً ـ الطباق بين ﴿لَهُنَّ﴾ و ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ وهو طباق بين حرفين.

١٠. قوله تعالىٰ: ﴿ذٰلِكَ بأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فى الأُمِّيِّنَ سَبيلٌ...﴾[١]، أي ليس علينا في أكل أموال الأمّيين سبيل.

١١. قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتى المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ ممَّنْ تَشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ...﴾[٢]، أي من تشاء أن تؤتيه. ومثلها و ﴿تَنْزِعُ﴾ و ﴿تُعِزُّ﴾ و ﴿تُذِلُّ﴾.

١٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَقالُوا كُونوا هُوداً أوْ نَصارَىٰ﴾[٣]، أي قال اليهود: كُونوا يهودَ، وقال النصارىٰ: كونوا نصارىٰ، وليس المعنىٰ أنّ الفريقين قالوا ذلك؛ لأنّ كل فريق يعدُّ دين الآخر باطلاً.

١٣. قوله تعالىٰ: ﴿كذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الحقَّ والباطِل﴾[٤]، أي أمثال الحقّ، وأمثال الباطل.

١٤. قوله تعالىٰ: ﴿خُذُوا مَاآتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[٥]، أي قلنا لهم: خذوا... فهو على إرادة القول.

١٥. قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ وَالسَّماواتُ وَبَرَزُوا للّهِ الواحِدِ القَهَّارِ﴾[٦]، حذف منه والسماوات تبدّل غير السماوات؛ لدلالة السياق.

١٦. قوله تعالىٰ: ﴿وَالحافِظينَ فُرُوجَهُمْ وَالحافِظاتِ﴾[٧]، حذف المفعول؛ به لدلالة السابق عليه، أي والحافظات فروجهنّ.

١٧. قوله تعالىٰ: ﴿إنَّ الصَّفا والمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ﴾[٨]، أي من شعائر دين اللّه.

---

١. آل عمران: ٧٥.
٢. آل عمران: ٢٦.
٣. البقرة: ١٣٥.
٤. الرعد: ١٧.
٥. البقرة: ٦٣.
٦. إبراهيم: ٤٨.
٧. الأحزاب: ٣٥.
٨. البقرة: ١٥٨.

١٨. قوله تعالىٰ: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كبيرٌ...﴾[١]، أي عن شرب الخمر، وتعاطي الميسر.

١٩. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفىٰ﴾[٢].

حذف خبر الأوّل لدلالة الثاني عليه، أي ما أموالكم بالتي تقرّبكم، ولا أولادكم بالّذين يقرّبونكم عندنا.

٢٠. قوله تعالىٰ: ﴿ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَايْديكُمْ إلى المرافِقِ...﴾[٣]، أي إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون.

٢١. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إذ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عَنْدَ رَبِّهِم يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إلىٰ بَعضٍ﴾[٤].

حذف الجواب للتهويل والتفزيع، أي لو ترىٰ حالهم لرأيت أمراً فظيعاً مهولاً.

٢٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُهَا شَهْرٌ...﴾[٥]، أي غدوّها مسيرة شهر، ورواحها مسيرة شهر.

٢٣. قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَماواتِ والأرْضِ قُلِ اللّهُ وإنّا أوْ إيّاكُمْ لَعَلىٰ هُدىً أوْ فى ضَلالٍ مُبينٍ﴾[٦]، أي قل: اللّه الخالق الرازق للعباد، ودلّ على المحذوف سياق الآية.

٢٤. قوله تعالىٰ: ﴿إذْ يَتَلَقَّىٰ المُتَلَقّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِمالِ قَعِيدٌ﴾[٧].

أصله: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه، وبين اليمين والشمال طباق.

٢٥. قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا مِن طَيّباتِ مَارَزَقْناكُمْ وَما ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أنْفُسَهُمْ

---

١. البقرة: ٢١٩.
٢. سبأ: ٣٧.
٣. المائدة: ٦.
٤. سبأ: ٣١.
٥. سبأ: ١٢.
٦. سبأ: ٢٤.
٧. ق: ١٧.

﴿يَظْلِمُونَ﴾[١]، أي قلنا لهم: كلوا، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ تقديره: فظلموا أنفسهم بأن كفروا، وماظلمونا بذلك، ودلّ على هذا الحذف قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ والجمع بين صيغتي الماضي والمضارع: ﴿ظَلَمُونَا﴾ و ﴿يَظْلِمُونَ﴾؛ للدلالة على تماديهم في الظلم، واستمرارهم على الكفر.

٢٦. قوله تعالىٰ: ﴿لايَسْتوى مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقاتَلَ...﴾[٢].

حذف منه جملة: «ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل...»؛ وذلك لدلالة الكلام عليه.

٢٧. قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[٣]، أي نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لاينظرن إلى غيرهم.

٢٨. قوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنا إلىٰ مُوسىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فانْفَلَقَ...﴾[٤]، أي: فضرب البحر فانفلق.

٢٩. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٥].

حذف مضاف ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، أي وما تسألهم على تبليغ القرآن من أجر.

٣٠ـ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ...﴾[٦].

حذف جواب قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً﴾ وهو «كمن لم يزيّن له سوء عمله»، ودلّ على المحذوف قوله تعالىٰ: ﴿فإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

٣١. قوله تعالىٰ: ﴿يَامَعْشَرَ الجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وقالَ أَوْلياؤُهُمْ مِنَ الإِنسِ

---

١. البقرة: ٥٧.
٢. الحديد: ١٠.
٣. الرحمن: ٥٦.
٤. الشعراء: ٦٣.
٥. يوسف: ١٠٤.
٦. فاطر: ٨.

رَبَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ...﴾[١].

قوله: ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾، أي أفرطتم في إضلال وإغواء الإنس، ومـثله ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾، أي استمتع بعض الإنس ببعض الجنّ، وبعضُ الجنّ ببعض الإنس.

٣٢. قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لِلمُؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِم وَيَحْفَظُوا فُروُجَهُمْ ذٰلِكَ أزْكىٰ لهم...﴾[٢]، فقوله: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِم﴾ المراد به غضّ البصر عمّا حرّم اللّه، لا عن كلّ شيء، فحذف ذلك اكتفاء بفهم المخاطبين.

٣٣. قوله تعالىٰ: ﴿أفَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ للإسْلامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبّهِ﴾[٣]، حذف خبره، وتقديره: «كمن طبع اللّه على قلبه»؛ لدلالة السياق عليه.

ومثله: ﴿أمَّن هُوَ قَانِتٌ آناءَ اللّيلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ...﴾[٤]، أي كمن هو كافر جاحد لربّه.

٣٤. قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ وَسَرابِيلَ تَقِيكُمْ بأسَكُم...﴾[٥]، في قوله: ﴿سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ (أي والبرد) حذف الثاني استغناءً بذكر الأوّل.

٣٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا أرَدْنا أنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمَرْنا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوا فِيْهَا فَحَقَّ عَـلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيْرَاً﴾[٦]، أي أمرناهم بطاعة اللّه، فعصوا وفسقوا فيها.

٣٦. قوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلاتَجِد لِسُنَّتِنا تَحْويلاً﴾[٧]، اي ولاتحويل الضرّ عنكم، حذف لدلالة ماسبق.

٣٧. في قوله تعالىٰ: ﴿سَبِّح اسْمَ رَبّكَ الأعْلىٰ * الّذى خَلَقَ فَسَوّىٰ * وَالّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ...﴾[٨]، حذف المفعول ليفيد العموم في قوله ﴿خَلَقَ فَسَوّىٰ﴾ وفي ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾؛

---

١. الأنعام: ١٢٨.
٢. النور: ٣٠.
٣. الزمر: ٢٢.
٤. الزمر: ٩.
٥. النحل: ٨١.
٦. الإسراء: ١٦.
٧. الإسراء: ٧٧.
٨. الأعلى: ١ـ٣.

لأنّ المراد: خلَق كلّ شيء فسوّاه، وقدّر كلّ شيء فهداه.

٣٨. قوله تعالىٰ: ﴿أرَضِيتُمْ بِالحياةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ...﴾[1]، أي أرضيتم بنعيم الدنيا ولذائذها بدل نعيم الآخرة.

٣٩. قوله تعالى: ﴿فما اسْطاعُوا أن يَظْهَرُوهُ وما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبا﴾[2].

﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾، أي: يصعدوا عليه فحذف التاء، والأصل «استطاعوا»،ثمّ قال: ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ بإبقاء التاء؛ وذلك أنّه لمّا كان صعود السدّ الذي أيسر من نقبه وأخفّ عملاً خفف الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء.

● إيجاز القصر

وهو يأتي إذا تضمّنت العبارة القليلة معاني كثيرة دون أن يكون في تركيبها لفظ محذوف، كما في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلينَ﴾[3].

فهذه الكلمات ـ على قصرها ـ احتوت جميع مكارم الأخلاق وشريف الخصال؛ لأنّ فيها العفو عمّن أساء والمسامحة والإغضاء.

وفي قوله: ﴿وَامُرْ بِالْعُرْفِ﴾ تقوى اللّه وصلة الأرحام، ومنع اللسان عن الكذب والغيبة، وغضّ الطرف عن المحرّمات.

وفي قوله: ﴿وأَعْرِضْ عَنِ الجاهِلينَ﴾ الصبر والحلم وكظم الغيط، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه، فهذه الألفاظ وفت بالمعنى غاية الوفاء، ولم تقف عند حدّ أو نهاية.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ﴾[4].

معناه كثير، ولفظه قليل، ولاحذف فيه، وإنّ هاتين الكلمتين لتوحيان إلينا بصور متعدّدة متتابعة من باعث القتل والتعدّي ثمّ القتل ثمّ القصاص ثمّ خوف المعتدين بعد

---

١. التوبة: ٣٨.
٢. الكهف: ٩٧.
٣. الأعراف: ١٩٩.
٤. البقرة: ١٧٩.

ذلك من أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم، ثمّ الإحجام عن القتل بغير الحقّ، ثمّ حقن الدماء وحفظ حياة الإنسان.

وقد كان للعرب كلمات يعجبون بها، ويعدّونها من أوابد كلامهم، وهي: «القَتلُ أنفىٰ للقَتْلِ» فلمّا نزلت آية القرآن الكريم، تضاءلت أمامها حكمة العرب، وظهر فيها ضعف المخلوق أمام جبروت الخالق، فقد تميّزت الآية الكريمة على القول المأثور بمايلي:

١. أنّها أخطر لفظاً، وأقلّ حروفاً، فإنّ عدة حروف ما يناظره منه وهو القصاص حياة عشرة في التلفّظ، وعدّة حروفه أربعة عشر.

٢. جعلت التفويت والقتل ظرفاً للحياة.

٣. دلالة التنكير، وكلمة ﴿حَيَاةٌ﴾ النكرة في النصّ القرآني تدلّ على كونها حياة عظيمة؛ إذ هي حياة للجميع، وليس ذلك في النصّ العربى.

٤. ليس فيها تكرير اللفظ.

٥. سلامة ألفاظها.

٦. تخصيصها بالحياة المرغوب فيها.

٧. بعدها عن تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدّة.

٨. مشتملة على فنّ بديع وهو جعل أحد الضدّين ـ الذي هو الفناء والموت ـ محلّاً ومكاناً لضدّه الذي هو الحياة، واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة.

٩. إدخال حرف ﴿فِي﴾ على لفظ ﴿القِصَاصِ﴾ جعل له اعتباراً لطيفاً وهو أنّه كالمنبع والمعدن للحياة.

١٠. غنيّة عن تقدير محذوف، بينما النصّ العربي في احتياج إليه، فيقال: «القتل أنفىٰ للقتل من تركه».

١١. إبانة العدل بلفظ ﴿القِصَاصِ﴾ وتنكير ﴿حَيَاةٌ﴾ مايفيد التعظيم والتنويع.

١٢. أنّ في الآية طباقاً؛ لأنّ القصاص مشعر بضدّ الحياة، بخلاف النصّ العربى.

١٣. يفوح من النصّ القرآني عبير عدالة السماء؛ إذ مؤدّى الأثر الكريم هكذا:

في نوعٍ من القتل حياة عظيمة، ففيه من ثمّ وعي الأشياء بكلّ أبعادها، أمّا النصّ العربي، فتفوح منه رائحة ظلم الجاهليّة وتعميماتها التي لاتُبقي ولاتذر.

وقوله تعالىٰ: ﴿ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأمْرُ﴾[١].

فهذه العبارة القصيرة قد أحاطت بجميع الأشياء والشؤون على وجه الاستقصاء.

وقوله تعالىٰ: ﴿أخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعاهَا﴾[٢].

فقد دلّ سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للنّاس.

وقوله تعالىٰ: ﴿أُولئِكَ لَهُمُ الأمْنُ﴾[٣]، ففي كلمة ﴿الأمْنُ﴾ يدخل تحتها كلّ أمر محبوب، وينتفي بها كلّ أصناف المكاره من خوف، أو فقر، أو جور، أو زوال نعمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإمّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إلَيْهِم عَلىٰ سَواءٍ﴾[٤].

أي قاتلهم بنبذ العهد وقطعه، كما نبذوا عهدك وقطعوك، والمساواة في الفعل من خصائص العدل.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَفِيْهَا مَاتَشْتَهِيهِ الأنْفُسُ وتَلَذُّ الأعْيُنُ﴾[٥].

نجد في الآية كلّ ماتشتهيه النفوس، وتميل إليه القلوب، وتلتذّ به العيون ممّا تشاهده وتبصره من ألوان الجمال والحسن، فهذا اللفظ الموجز غاية الإيجاز يدلّ علىٰ معانٍ لاتنحصر عدّاً.

وقوله تعالىٰ: ﴿لايُصَدَّعُونَ عَنْها ولايُنْزِفُونَ﴾[٦].

جمع في الآية عيوب خمر الدنيا من الصداع، وذهاب العقل، وضياع المال، ونفاد الشراب، ونفاها عن خمر الآخرة.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأعْرِضْ عن المُشْرِكينَ﴾[٧].

---

١. الأعراف: ٥٤.
٢. النازعات: ٣١.
٣. الأنعام: ٨٢.
٤. الأنفال: ٥٨.
٥. الزخرف: ٧١.
٦. الواقعة: ١٩.
٧. الحجر: ٩٤.

فهاتان الكلمتان قد جمعتا معاني الرسالة كلّها، واشتملت على النبوّة في عمومها وخصوصها، واستوعبت كلّياتها وجزئياتها، ولما في قوله: ﴿فَاصْدَعْ﴾ من الدلالة على التأثير كتأثير الصدع.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلىٰ مُوسىٰ الأَمْرَ﴾[١].

فكلمة ﴿الأمْرَ﴾ وحدها يندرج تحتها معانٍ عديدة من ابتداء نبوّة موسىٰ عليه السلام، ومخاطبة اللّه تعالىٰ له، وإعطائه دلائل النبوّة وعلاماتها، ومن إلقاء العصا لتصير ثعباناً، وإخراج يده بيضاء، وبعثه إلى فرعون، وسؤاله أن يشدّ اللّه عضده بأخيه هارون... إلى غير ذلك ممّا جرى في هذا المقام.

وقوله تعالىٰ: ﴿ياأَيُّها النَّمْلُ ادْخُلوا مَسَاكِنَكُمْ لايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لايَشْعُرونَ﴾[٢].

فجمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام: نادت، وَكَنّتْ، ونبّهت، وسمّت، وأمرت، وقصَّت، وحذّرت، وخصَّت، وعمّت، وأشارت، وعذرت:

فالنداء ﴿يَا﴾، والكناية ﴿أيُّ﴾ والتنبيه ﴿هَا﴾، والتسمية ﴿النَّمْلُ﴾، والأمر ﴿ادْخُلُوا﴾، والقصص ﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾ والتحذير ﴿لاٰ يَحْطِمَنَّكُمْ﴾، والتخصيص ﴿سُلَيْمَانُ﴾، والتعميم ﴿جُنُودُهُ﴾، والإشارة ﴿هُمْ﴾، والعذر ﴿لاٰ يَشْعُرُونَ﴾.

فأدّت خمسة حقوق: حقّ اللّه، وحقّ رسوله، وحقّها، وحقّ رعيتها، وحقّ جنود سليمان.

فحقّ اللّه أنّها استرعيت على النمل فقامت بحقّهم، وحقّ سليمان أنّها نبّهته على النمل، وحقّها إسقاطها حقّ اللّه عن الجنود في نصحهم، وحقّ الجنود بنصحها لهم ليدخلوا مساكنهم، وحقّ الجنود إعلامها إيّاهم وجميع الخلق أنّ من استرعى رعيّة فواجب عليه حفظها والذبّ عنها...إلى غير ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقيلَ ياأَرْضُ ابْلَعى مَاءَكِ وَياسَماءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الماءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ

---

١. القصص: ٤٤.
٢. النمل: ١٨.

واسْتَوَتْ علىٰ الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعداً للقَوْمِ الظّالمينَ﴾[١].

كيف أمر ونهى، وأخبر ونادىٰ، ونعت وسمّىٰ، وأهلك وأبقىٰ، وأسعد وأشقىٰ، قصّ من الأنباء مالو شُرح مااندرج في هذه الجملة ـ من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان ـ لجفّت الأقلام، وانحسرت الأيدى.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم من يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ أفأنت تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لايَعْقِلُونَ * ومنْهُمْ من يَنْظُرُ إليْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدى العُمْىَ وَلوْ كانُوا لايُبْصِرُونَ﴾[٢].

فدلّ على فضل السمع على البصر حيث جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلّا فقدان البصر وحده.

وقوله تعالىٰ: ﴿يُسْقىٰ بماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها علىٰ بَعضٍ فِى الأُكُلِ﴾[٣].

فدلّ علىٰ نفسه ولطفه ووحدانيّته وقدرته، وهدى للحجّة من ضلّ عـنه؛ لأنّـه لوكان ظهور الثمرة بالماء والتربة لوجب في القياس أن لا تختلف الطعوم والروائح، ولايقع التفاضل في الجنس الواحد إذا نبت في مغرس واحد، ولكنّه صنع اللطيف الخبير.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَوكَّلْ علىٰ اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٤].

فألفاظه أقلّ من معانيه، فقد دخل تحت قوله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ من المعاني مايطول شرحه من إيتاء مايرجى، وكفاية مايخشى.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيى العِظامَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيْها الّذى أنْشَأَهَا أوّلَ مَرّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٥].

وهذا أشدّ مايكون من الاحتجاج.

وقوله تعالىٰ: ﴿أنْ تَقُولَ نَفْسٌ ياحَسْرَتَىٰ عَلىٰ مَا فَرَّطْتُ فى جَنْبِ اللّهِ﴾[٦].

---

١. هود: ٤٤.
٢. يونس: ٤٢ و٤٣.
٣. الرعد: ٤.
٤. الطلاق: ٣.
٥. يس: ٧٨ و٧٩.
٦. الزمر: ٥٦.

وهذا أشدّ مايكون من التحذير من التفريط.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...﴾[١].

جمعت الآية أُصول الكلام: النداء،والعموم، والخصوص، والأمر، والإباحة، والنهي، والخبر.

وقوله تعالىٰ: ﴿هذِهِ جَهَنّمُ الّتي يُكَذِّبُ بِهَا المُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[٢].

وهذا أشدُّ مايكون من التقريع.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ﴾[٣].

وهذا أشدّ مايكون من الخوف.

وقوله تعالى: ﴿لايُكَلّفُ اللّهُ نَفْساً إلّا وُسْعَهَا لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَااكْتَسَبَتْ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿إنّمَا بَغْيُكُمْ عَلىٰ أنْفُسِكُمْ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلايَحيقُ المَكْرُ السَّيّءُ إلّا بأهْلِهِ﴾[٦].

وإنّما كان سوء عاقبة المكر والبغي راجعاً عليهم، وحاقّاً بهم، فجعله للبغي والمكر اللذين هما من فعلهم إيجازاً واختصاراً.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إذْ فَزِعُوا فَلا فَوتَ وَأُخِذوا مِنْ مَكانٍ قَريبٍ﴾[٧].

كلام مسوق لتقرير حال الكفّار عند نزول الموت، واضطرارهم إلى الإخلاد للحقّ والرجوع إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الحَياةُ الدُّنْيا إلّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[٨].

---

١. الأعراف: ٣١.
٢. الرحمن: ٤٣ و ٤٤.
٣. المنافقون: ٤.
٤. البقرة: ٢٨٦.
٥. يونس: ٢٣.
٦. فاطر: ٤٣.
٧. سبأ: ٥١.
٨. آل عمران: ١٨٥.

وهذا غاية الترهيب.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إلّا اللّهُ لَفَسَدتَا﴾[١].

وهذا أبلغ مايكون من الاحتجاج وهو الأصل الذي عليه أُثبتت دلالة التمانع في علم الكلام.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَااتّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كانَ مَعهُ مِنْ إلهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾[٢].

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَلكِنَّ البِرَّ مَن اتَّقىٰ وَأتوا البُيُوتَ مِنْ أبْوابِهَا﴾[٣].

ففي الجملة الأُولى إيجاز حذف، أي ولكن البرّ برَّ من اتقى، وفي كلتا الجملتين إيجاز قصر حيث أمر المؤمنين أن لا يشغلوا نفوسهم بما ليس لهم به شأن، بل يجب عليهم أن ينظروا مافيه خيرهم ومصلحتهم، وأن يفكّروا في واقعهم حتّى لا يضلّوا الطريق، فالذي ينشغل بما ليس فيه مصلحة، ويترك ما هو أولىٰ كالذي يأتي البيت من ظهره، والبيوت إنما تؤتىٰ من أبوابها.

وقول الرسولﷺ: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعوّدوا كلّ جسم ماعتاد».

فهذه الجمل الثلاث قد جمعت من المعاني الحكمية والأسرار الطبّية مالايحيط بوصفه إلّا اللّه.

وقول الرسولﷺ: «لاضرر ولاضِرارَ في الإسلام».

فإنّ هذه الكلمة مشتملة على معانٍ شرعية، وآداب حكمية تزيد على الحدّ، وتفوت على العدّ.

وقولهﷺ: «إذا أعطاكَ اللّه خيراً فليبن عليك، وابدأ بمن تعول، وارتضخ من الفضل، ولا تلم على الكفاف، ولا تعجز عن نفسك».

فقوله: «فليبن عليك» أي فليظهر أثرُه عليك بالصدقة والمعروف، ودلّ على ذلك

---

١. الأنبياء: ٢٢.

٢. المؤمنون: ٩١.

٣. البقرة: ١٨٩.

بقوله ﷺ: «وابدأ بمن تعول، وارتضخ من الفضل»، أي اكسر من مالك وأعْطِ وقوله ﷺ: «ولا تعجز عن نفسك»، أي لا تجمع لغيرك وتبخل عن نفسك، فلا تقدّم خيراً[1].

وقوله ﷺ: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله».

وقوله ﷺ: «الضعيف أميرُ الركب».

وقوله ﷺ: «إيّاكم وخضراء الدّمن».

أي إيّاكم أخصُّ بنصحي، وأُحذّركم خضراء الدمن[2].

وقوله ﷺ: «اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلىٰ».

وقوله ﷺ: «ماهَلَكَ امروٌ عَرَفَ قَدْرَه».

وقوله ﷺ: «حبّكَ الشيء يُعْمِي ويصم».

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «ثمرة التفريط الندامة».

- «لكلّ مقبل إدبار وماأدبر كان كأن لم يكن».
- «لابدّ من الصبور الظفر وإن طال به الزمان».
- «من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ».
- «من أحدّ سنان الغضب للّه قوي على قتل أسد الباطل».

ومن كلام العرب قول أعرابيّ: «أُولئك قومٌ جعلوا أموالَهم مناديل لأعراضهم، فالخيرُ بهم زائد، والمعروف لهم شاهد»، أي يَقُونَ أعراضهم بأموالهم.

وقول الآخر: «اللهم هب لي حقّك، وارض على خلقك».

ومنه قول الشاعر:

وإنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَنْ النَّفْسِ ضَيْمَها

فَلَيْسَ إلىٰ حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ[3]

---

١. الصناعتين، ص١٧٨.

٢. و قيل[للرسول ﷺ]: وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء». انظر: العمدة لابن رشيد القيرواني، ج١، ص٤٨١؛ مجمع الأمثال، ج١، ص٣٢، و«الدمن» جمع دِمنة، وهي ماتدمنه الإبل من أبعارها و أبوالها، شبّه به المرأة الحسناء في المنبت السوء.

٣. البيت منسوب للسموأل في ديوانه، ص١٠؛ المثل السائر؛ أنوار الربيع، ج٦، ص٢٤٢.

فالشاعر قد جمع في هذا البيت جميع مكارم الأخلاق من سماحة، وشجاعة، وكرم، ومروءة، ونجدة، وإغاثة ملهوف... وغير ذلك، فإنّ هذه الأخلاق من ضيم النفس؛ لأنّها تجد من يحملها مشقّة وعناء.

ومنه قول الشريف الرضي:

مـالوا إلىٰ شُـعَبِ الرِحـالِ وأَسـندُوا   أيـدي الطّـعانِ إلى قـلوبٍ تَـخْفِقُ

فإنّه لمّا أراد أنْ يصفهم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام عبّر عن ذلك بقوله: «أيدي الطعان».

القسم الثالث: الإطناب

الإطناب في اللغة: مصدر الفعل «أطنب» وهو يعني المبالغة والزيادة. يُقال: أطنب في الكلام، أو الوصف، أو الأمر: بالغ فيه وأكثر منه.

والإطناب اصطلاحاً: هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عليه بأن يعبّر عنه بأكثر ممّا وضع لأجزائه مطابقةً على أن يكون الزائد لفائدة، فإن لم يكن لفائدة فلايخلو الحال من أحد أمرين:

الأمر الأوّل: أن يكون الزائد غير متعيّن، وحينئذٍ لايكون الكلام إطناباً، كما في قول عدي بن زيد من قصيدة يخاطب فيها النعمان بن المنذر يذكّره فيها بأحداث الدهر، وماوقع لجذيمة الأبرش والزبّاء من خطوب جسام:

وَقَدَّدَتِ الأديمَ لِراهشـيهِ   وَألفىٰ قَوْلَها كَذِباً وَمَـيْنا

يريد أنّها قطعت الجلد حتّى وصل القطع إلى الراهشين، وأنّه وجد ماوعدت به من زواجها منه كذباً ومينا، ففيه تطويل؛ لأنّ الكذب والمين واحد، ولا فائدة من الجمع بينهما، ولم يتعيّن الزائد منهما.

ومثل بيت عَدِيّ قول الشاعر:

ألا حبّذا هِـنْدٌ وَأرْضٌ بِـها هِـنْدُ وَهِنْدٌ أتىٰ مِنْ دُونِها النَّأْيُ والبُعْدُ

ففي قوله: «النأيُ والبُعدُ» تطويل؛ لأنّ اللفظين بمعنى واحد، ولافائدة في الجمع بينهما، ولم يتعيّن أحدهما للزيادة.

وقول عنترة:

حييت من طَـلَلٍ تـقادَمَ عـهده أقـوىٰ وأقـفر بـعد أُمّ الهـيثم

فقد عاب النقّاد عليه ذكر كلمتين بمعنى واحد وهما: «أقوىٰ» و«أقفر»؛ إذ المعنى لكلّ منهما خلا، وإحدى الكلمتين زائدة، فلايتغيّر المعنى بإسقاط أيّهما شئت.

الأمر الثاني: أن يكون الزائد متعيّناً وحينئذٍ يكون الكلام حَشْواً، وهو نوعان:

أ) مفسد للمعنى، وذلك كلفظ «الندىٰ»، فيقول أبي الطيّب:

ولا فَضْلَ فيها للشـجاعَةِ والنَّـدَىٰ وَصَـبْرِ الفـتىٰ لَـوْلا لقـاءُ شَـعُوبِ

والمعنى: لولا تيقّن لقاء الموت، ماكان هناك فـضل للـصفات المـذكورة عـلىٰ أضدادها، والشاهد قوله: «والندىٰ» فهو حشو مفسد للمعنى:

أمّا أنّه حشو؛ فلأنّه زيادة متعيّنة لافائدة منها.

وأمّا أنّه مفسد للمعنى؛ فلأنّ معنى البيت: أنّه لافضيلة في الدنيا للشجاعة والعطاء والصبر علىٰ الشدائد علىٰ تقدير عدم الموت، وهذا إنّما يصلح في الشجاعة والصبر دون العطاء؛ لأنّ الإنسان إذا تيقّن الخلود فإنّه لايبالي بـالمغامرات، ويـهون عـليه اقتحام المعارك حرصاً على فضيلة الشجاعة، وهذا المـعنى يسـتوي فـيه النـاس جميعاً، فلا فضل فيه لأحد على أحد، وأمّا من علم أنّـه سـيموت وهـو مـع ذلك يخوض غمار الحروب، فهذا هو البطل، وهو قليل؛ لاختصاصه بما لاطاقة لكلّ أحد عليه.

وكذلك الشأن في الصبر على شدائـد الدنـيا، فـإنّ مـن تـيقّن زوال الأحـداث والشدائد وبقاء العمر، هان عليه صبره على المكروه؛ لوثوقه بالخلاص منه.

أمّا العطاء؛ فإنّ الباذل ماله إذا أيقن بالخلود وهو مع ذلك يسخو بماله، ثبت له

فضل الكرم؛ لاختصاصه بما لايستطيعه كلّ أحد؛ لأنّ الخلود يوجب الحاجة إلى المال، فيندر في الناس من يوجد على هذه الحال، ومتى أيقن أنّه سيموت ويترك المال لغيره استخفّ به، وهان عليه بذله، فلافضل فيه، ولهذا لم يستقم نظم «الندى» في سياق الحديث عن الشجاعة والصبر، إذ هو حشو مفسد للمعنى.

وكقول طرفة بن العبد:

كُـنْت لاتَسْـتطيع دَفْـعَ مـنيّتي   فذرني أُبادرها بما ملَكَتْ يَدي

فهو حشو مفسد، وقد اعتذر له بعض الأُدباء بما فيه تكلّف وتعسّف.

ب) *غير مفسد للمعنى*، ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

وأعْـلَمُ عِـلْمَ اليـومِ والأَمْسِ قَـبْلَهُ   ولكنّني عَنْ عِلْمِ مافي غَـدٍ عَـمِي

والشاهد فيه قوله: «قبله» فهو حشو، ولكنّه غير مفسد للمعنى: أمّا أنّه حشو، فلأنّه زيادة متعيّنة لغير فائدة؛ لأنّ الأمس مفيد للقبليّة؛ إذ هو اليوم الذي قبل يومك، وأمّا أنّه غير مفسد، فلأنّ المعنى لايبطل بذكره.

ومنه قول الشاعر:

ذَكَرْتُ أخِـي فـعاودِني   صُـداعُ الرأسِ والوَصَبُ

فذكر «الرأس» مع الصداع حشو؛ لأنّ الصداع لايكون إلّا للرأس، ولكنّه غير مفسد.

هذا، وقد يحسن الحشو إذا تضمّن نكتة لطيفة، كقول أبي الطيّب المتنبّي:

وَخُفُوقِ قَـلْبٍ لَـوْ رأيتِ لهِـيبَهُ   ـ ياجَنّتي ـ لرأيتِ فـيهِ جَـهَنّما

إذْ قَوْلَهُ: «ياجنّتي» حشوٌ غير أنّه حسنٌ بديع؛ لمقابلته بقوله: «جهنّما».

والحكم بزيادة كلمة من الكلمات وخلوّها عن الفائدة مرتبط بالمقام، والحال التي قيلت في وجوه الكلمة. فمثلاً قولنا: «رأيته بعيني» و«قبضته بيدي» و«وطأته بقدمي» و«ذقته بفمي» كلّ هذا قد يقال فيه: إنّ فيه زيادة لا حاجة إليها؛ لأنّ الرؤية لاتكون إلّا بالعين، والقبض لايكون إلّا باليد، والوطء لايكون إلّا بالقدم، والذوق لايكون إلّا بالفم، وليس الأمر كذلك؛ لأنّ هذه الجمل إنّما تقال في كلّ شيء يعظم

مناله، ويعزّ الوصول إليه، فيؤتى بذكر هذه الأدوات على جهة الإطناب دلالة على نبله، وأنّ حصوله غير متعذّر.

وعلى هذا ورد قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقُولُونَ بِأفواهِكُمْ مَالَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيمٌ﴾[1].

معلوم أنّ القول لايكون إلّا عن طريق الفم، ومن هنا قد يظنّ بادئ ذي بدء أنّ كلمة ﴿بِأفْوَاهِكُمْ﴾ مزيدة بدون فائدة، ولكن حينما نعلم أنّ الآية الكريمة نزلت للردّ والإنكار على أهل الإفك في الرمي بفاحشة الزنا، وكان هذا القول فيه افتراء وإثم عظيم، سجّل اللّه على قائله هذا التسجيل مبالغةً في الإنكار.

وعليه قوله تعالىٰ: ﴿مَاجَعَلَ اللّه لِرَجلٍ مِنْ قَلْبين فِى جَوْفِهِ وَما جَعَلَ أزْواجَكُمْ اللاّئى تُظَاهِرونَ مِنْهُنَّ أُمّهاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكمْ بأفْواهِكُمْ وَاللّهُ يَقولُ الحقّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[2].

ألا ترىٰ أنّ مساق الكلام أنّ الإنسان يقول لزوجته: «أنتِ عليّ كظهر أُمّي» ويقول لمملوكه: «يابنيّ» فضرب اللّه لذلك مثالاً فقال: كيف تكون الزوجة أُمّاً؟! وكيف يكون المملوك إبناً؟! والجمع بين الزوجة والأُمومة وبين العبوديّة والبنوّة ـ في حالة واحدة ـ كالجمع بين القلبين في الجوف، وهذا تعظيم لما قالوه، وإنكار له، ولمّا كان الكلام في حال الإنكار والتعظيم أتىٰ بذكر الجوف، وإلّا فقد علم أنّ القلب لايكون إلّا في الجوف.

والتمثيل يصحّ بقوله: «ماجعل اللّه لرجل من قلبين» وهو تامّ، لكن في ذكر الجوف فائدة وهي ـ إضافة إلى ماذكر ـ زيادة تصوير للمعنى المقصود؛ لأنّه إذا سمعه المخاطب به صوّر لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين، فكان ذلك أسرع إلى إنكاره[3].

---

١. النور: ١٥.
٢. الأحزاب: ٤.
٣. المثل السائر، ج٢، ص١٢٢.

ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوقِهِم﴾[١].

فإنّ المعلوم من حال السقف أنّه لايكون إلّا من فوق، ومن ثمّ قد يظنّ أنّها زائدة، ولكن إذا علم أنّ الغرض المبالغة في الترهيب والتخويف والإنكار والردّ زال هـذا الظنّ، وتحقّق لنا أنّها واقعة في موقعها، وأنّ لها فائدة لاتوجد مع إسقاطها من هذا الكلام.

وأنت تحسّ هذا من نفسك؛ فإنّك إذا تلوت هذه الآية يخيّل إليك أنّ سقفاً خرّ على أُولئك من فوقهم، وحصل في نفسك من الرعب مالايحصل مع إسقاط تـلك اللفظة[٢].

● أنواع الإطناب

للإطناب عند البلاغيين أنواع مختلفة: منها:

□ ١. الإيضاح بعد الإبهام

وذلك ليبدو المعنى في صورتين مختلفتين: إحداهما: مبهمة، والأُخرى: موضحة، فيزداد بذلك تقريراً وتمكّناً في النفس، وتكمل لذّة العلم به، ويفخم الأمر في ذهن السامع ويعظم؛ إذا كان المقام يقتضي هذا التفخيم والتعظيم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوْسَىٰ * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرىٰ * إذْ أَوْحَيْنَا إلىٰ أُمّكَ مَايُوحىٰ أن اقْذِفيهِ فِى التّابُوتِ فَاقْذِفيهِ فِى اليَمِّ﴾[٣].

فقوله: ﴿مَايُوحَىٰ﴾ مبهم فسّر بقوله: ﴿أنْ اقْذِفِيْهِ فِى التّابُوتِ﴾.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَا إلَيْهِ ذٰلِكَ الأمْرَ أنَّ دابِرَ هؤلاءِ مَقْطُوْعٌ مُصْبِحِيْنَ﴾[٤].

فقوله: ﴿أنَّ دابِرَ هؤلاءِ﴾ تفسير لذلك الأمر، تفخيماً لشأنه، ولو قيل: «وقضينا إليه

---

١. النحل: ٢٦.
٢. المثل السائر، ج٢، ص١٢٢.
٣. طه: ٣٦ـ٣٩.
٤. الحجر: ٦٦.

أنّ دابر هؤلاء...» لم يكن له من الروعة مثل ماكان له من الإبهام يرشد إلى ذلك أنّك لو قلت: «هل أدلّكم على أكرم الناس أباً، وأفضلهم حسباً، وأمضاهم عزيمة، وأنفذهم رأياً» ثمّ قلت: «فلان» كان أدخل في مدحه وأنبل وأفخم ممّا لو قلت: «فلان الأكرم الأفضل».

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تعلَمُونَ * أَمَدّكُمْ بأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[١].

ففي الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام، فقد ذكر الأنعام مجملة في قوله تعالىٰ ﴿بِمَا تعلَمُونَ﴾ ثمّ ذكرها مفصّلة في قوله: ﴿بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ وذلك تشويقاً إلى معرفتها، وتنبيهاً إلى شرفها ونبلها.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ياآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلىٰ شَجَرةِ الخُـلْدِ وَمُلْكٍ لايَبْلىٰ﴾[٢].

فقوله سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ كلام مجمل، فصّل وبيّن ووضّح بما جاء بعده.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّها الّذينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُم عَلىٰ تِجَارةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتجاهِدُونَ فِى سَبيلِ اللّهِ بأموالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[٣].

فقد أبهم التجارة إبهاماً يدعو إلى الشوق إلى معرفتها، ثمّ فسّرها بقوله ﴿تُؤْمِنونَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرى وَيَسّرْ لِى أَمْرِى﴾[٤].

فإنّ قوله: ﴿اشْرَحْ لِى﴾ يفيد طلب شيء لشيء ما، وقوله: ﴿صَدْرِى﴾ يفيد تفسيره وبيانه، وكذلك: ﴿يَسِّرْ لِى أَمْرِى﴾ والمقام مقتضٍ للتأكيد.

ومنه قول الشاعر:

يُـــذكرُ فـــيكَ الخيرُ والشـرُّ كُـلُّهُ ... وَقِيلُ الخَنا والعِلْمُ والحِلْمُ والجَـهْلُ
فَـــأَلْقاكَ عـــن مَكْـرُوهِها مُـتَنَزِّهاً ... وأَلْقاكَ فـى مَـحْبُوبِها وَلَكَ الفَـضْلُ

١. الشعراء: ١٣٢ـ١٣٤.
٢. طه: ١٢٠.
٣. الصف: ١٠ و١١.
٤. طه: ٢٥ و٢٦.

فقد جمع الشاعر في البيت الأوّل بين المدح والهجاء، ولذلك وضّح المعنىٰ المراد في البيت التالي، فثبت المعنى للمدح، وارتفع اللبس والشكّ.

ويدخل في الإيضاح بعد الإبهام أمران:

الأمر الأوّل: باب «نعم» و«بئس» على رأي من يجعل المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف، أو العكس؛ لأنّ الكلام في هذه الحال يكون مركّباً من جملتين: إحداهما: مبهمة وهي جملة الفعل الدالّة على المدح أو الذمّ، والأُخرىٰ: موضّحة، وهي جملة المخصوصة بالمدح أو الذمّ.

ووجه حُسْن باب «نعم» و«بئس» ـ سوى ماذكر من الإيضاح بعد الإبهام ـ: هو إبراز الكلام في معرض التوسّط بين الإيجاز الخالص، والإطناب الخالص؛ إذ هو ليس إيجازاً خالِصاً؛ لما فيه من الإيضاح بعد الإبهام، وليس إطناباً خالصاً؛ لما فيه من حذف المبتدأ.

الأمر الثاني: **التوشيع** وهو في اللغة: لفّ القطن المندوف، وفي الاصطلاح: أن يؤتى في عجز الكلام غالباً بمثنّى مفسّر باسمين ثانيهما معطوف على الأوّل، كقوله ﷺ: «خصلتانِ لاتجتمعانِ في مؤمن: البخلُ، وسوء الخُلُقُ»[1].

وقوله ﷺ: «يشبّ ابن آدم وتشبّ معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»[2].

وقول ابن المستوفي:

أَبِـيتُ واللّـيْلُ يَـطْوِينى وَيَـنْشُرُنى ... وَعِـنْدى القـاتِلانِ الخَـوْفُ والحَـذَرُ
إذا الكَرَىٰ اغْتالَ عَـيْنى أنْ يُـلِمَّ بـها ... أَلْـوَىٰ بـه المُـلْوِيانِ الدمـعُ والسَّـهَرُ

وقول ابن الرومي يمدح عبداللّه بن وهب:

إذا أبـو قـاسِمٍ جـادَتْ لنـا يَـدُهُ ... لم يُحْمَدِ الأَجْوَدانِ البحرُ والمطرُ
وإن أضـاءت لنـا أنـوارُ غُـرّته ... تضاءَلَ النـيّرانِ الشـمسُ والقـمرُ

---

١. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ج١، ص١٤٧.

٢. روى الحديث بعبارات مختلفة. اُنظر: شروح التخليص، ج٣، ص٢١٦؛ صحيح البخاري، ج٩، ص٢٦٨؛ المجازات النبوية، ص٣٥١؛ صحيح مسلم، ج٤، ص٥٠٦.

ومثاله في الجمع قول محمّد بن وهيب:

ثــلاثةٌ تُشْــرِقُ الدُّنــيا بِـبَهْجَتِها   شَمْسُ الضّحىٰ وأبو إسحاقَ والقَمَرُ

وقول البحتري:

لمّا مَشَــيْنَ بِـذي الأَراكِ تَشـابَهَتْ   أعــــطافُ قُــضْبانٍ بِــهِ وَقُــدُودِ
فــي حُــلَّتَيْ حَـبْرٍ وَرَوْضٍ فـالْتَقىٰ   وَشْيانِ وَشْــيُ رُبــىً وَوَشْــيُ بُـرُودِ
وَسَــفَرْنَ فـامْتَلأتْ عُـيُونٌ راقَـها   وَرْدانِ وَرْدُ جَــنىً وَوَرْدُ خُـدُودِ[1]

□ ٢. عطف الخاصّ علىٰ العامّ

وهو أن يذكر الخاصّ أوّلاً داخلاً في عموم جنسه، ثمّ يذكر ثانياً وحده تعظيماً له وتنويهاً بشأنه، كقوله تعالىٰ: ﴿حَافِظُوا علىٰ الصَلَواتِ وَالصَّلوٰةِ الوُسْطىٰ﴾[2].

فقد خصّت الصلاة الوسطىٰ ـ وهي صلاة العصر ـ بالذكر؛ لزيادة فضلها.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً للّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْريلَ وَميكائيلَ﴾[3].

خصّ جبريل وميكائيل من الملائكة للتنبيه على زيادة فضلهما.

وقوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلَ الملائِكَةُ والرُّوحُ فيها﴾[4].

خصّ الروح ـ وهو جبريل الأمينعليه السلام ـ بالذكر؛ تكريماً له، وتعظيماً لشأنه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلتَكُنْ مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إلىٰ الخيْرِ وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ﴾[5].

فالأمر بالمعروف داخل في عموم الدعوة إلى الخير، ولكنّه خصّ بالذكر للإشارة إلىٰ مكانه من الشرف والفضل.

وقول ابن الرومي:

كم من أبٍ قد عـلا بـابنٍ ذا شـرفٍ   كــما عــلت بـرسول اللّـه عـدنان

١. «الحِبَر» ضرب من الثياب اليمانية المنمقة «الوشي»: النقش. «البرود»: جمع برد وهو الثوب الموشّىٰ. «الجنىٰ»: ما يجنىٰ من الشجر مادام غصناً طريّاً.
٢. البقرة: ٢٣٨.
٣. البقرة: ٩٨.
٤. القدر: ٤.
٥. آل عمران: ١٠٤.

▫ ٣. ذكر العامّ بعد الخاصّ

وذلك لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاصّ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ اغْفِر لِي وَلوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَللمُؤْمِنين وَالمُؤْمِناتِ﴾[١].

فقد ذكر اللّه تعالىٰ: ﴿المُؤْمِنين وَالمُؤْمِناتِ﴾ وهما لفظان عامّان يدخل فيهما من ذُكِرَ قبلهما؛ لإفادة العموم مع العناية بالخاصّ؛ لذكره مرّتين: مـرّة واحـدة، ومـرّة مندرجاً تحت العامّ.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنَّ صَلاتى وَنُسُكى﴾[٢].

و«النسك» العبادة، فهو أعمّ من الصلاة.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُم وَأنَّ اللّهَ عَلّامُ الغُيُوبِ﴾[٣].

أمثلة قرآنية أُخرىٰ حول عطف العامّ على الخاصّ:

١. قوله تعالىٰ: ﴿وَذَلَّلْناهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأكُـلُونَ * وَلَـهُمْ فِـيهَا مَـنَافِعُ وَمَشارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾[٤].

ذكر العامّ بعد الخاصّ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشارِبُ﴾ بعد قوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ وفائدته تفخيم النعمة، وتعظيم المنّة.

٢. قوله تعالىٰ: ﴿الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبيلِ اللّهِ ثُمَّ لايُتْبِعُونَ مَا أنْفَقُوا مَنّاً وَلا أذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٥].

وذلك لإفادة الشمول؛ لأنّ الأذى يشمل المنّ.

٣. قوله تعالىٰ: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ﴾[٦].

---

١. نوح: ٢٨.
٢. الأنعام: ١٦٢.
٣. التوبة: ٧٨.
٤. يس: ٧٢ و٧٣.
٥. البقرة: ٢٦٢.
٦. الحج: ٧٧.

بدأ بخاصّ ثم بعامّ ثمّ بأعمّ، فذكر العامّ بعد الخاصّ لإفادة العموم مـع العـناية بشأن الخاصّ.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً﴾[١].

الروح ـ وهو جبريل ـ داخل في الملائكة، فقد ذكر مرّتين: مرّة استقلالاً، ومرّة ضمن الملائكة؛ تنبيهاً على جلاله وقدره.

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾[٢].

عمّم بعد ذكر الصلاة والزكاة والإنفاق؛ ليعمّ جميع الصالحات.

٦. وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ بعد قـوله تـعالى: ﴿وَيُـعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣].

من باب ذكر العامّ بعد الخاصّ لإفادة الشمول.

٧. قوله تعالىٰ: ﴿فإنّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وجِبريلُ وصالحُ المُؤْمنينَ والملائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[٤].

فقد خصّ جبريل بالذكر تشريفاً بشأن الرسولﷺ، ووسّط صالح المؤمنين بين الملائكة المقرّبين.

أمثلة قرآنية أُخرىٰ حول عطف الخاصّ على العامّ:

١. قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ الملائِكَةُ وَالرُّوحُ إليهِ﴾[٥].

فقد خصّ الروح ـ وهو جبريل الأمينعليه السلام ـ بالذكر تنبيهاً لفضله، وتشريفاً له.

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لاتَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاسُوَاعاً...﴾[٦].

٣. قوله تعالىٰ: ﴿ماسَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلّينَ * وَلَمْ نَكُ نُـطْعِمُ

---

١. النبأ: ٣٨.
٢. المزمل: ٢٠.
٣. البقرة: ١٥١.
٤. التحريم: ٤.
٥. المعارج: ٤.
٦. نوح: ٢٣.

المِسْكينَ * وَكُنّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضينَ * وَكُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّيْنِ﴾[١].

خصّ بالذكر ﴿وَكُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّيْنِ﴾ مع أنّه داخل في الخوض بالباطل مع الخائضين؛ لبيان تعظيم الذنب.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ﴾[٢].

فـ ﴿نَصْرُ اللّهِ﴾ يشمل جميع الفتوحات، فعطف عليه فتح مكّة تعظيماً لشأن هذا الفتح، واعتناءً بأمره.

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ علىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ...﴾[٣].

والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه ومانزّل عليه؛ إذ لايتمّ الإيمان إلّا به.

٦. قوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ﴾[٤].

ذكر الخاصّ بعد العامّ ﴿بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ وذلك لزيادة العناية والاهتمام بالخاصّ.

٧. قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المنَافِقُونَ وَالّذينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِى المدِيْنَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ...﴾[٥].

والمرجفون هم من المنافقين، فعمّم ثمّ خصّص؛ زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم.

٨. قوله تعالىٰ: ﴿وللّهِ يَسْجُدُ مَافِى السَّماواتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلائِكَةُ وَهُمْ لايَسْتَكْبِرُونَ﴾[٦].

ذكر الخاصّ بعد العامّ زيادة في التعظيم والتكريم للملائكة الأطهار.

٩. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ...﴾[٧].

---

١. المدثر: ٤٢ـ٤٦.
٢. النصر: ١.
٣. محمّد: ٢.
٤. لقمان: ١٤.
٥. الأحزاب: ٦٠.
٦. النحل: ٤٩.
٧. الأحزاب: ٧.

فقد دخل هؤلاء المذكورون في جملة النبيين، ولكنّه خصّهم بالذكر تنويهاً بشأنهم، وتشريفاً لهم.

١٠. ﴿يَابنى إسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتى الّتى أنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأنّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى العَالَمِينَ﴾[١].

من باب عطف الخاصّ على العامّ لبيان الكمال؛ لأنّ النعمة اندرج تحتها التفصيل المذكور، فلمّا قال: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِى﴾ عمّ جميع النعم، فلمّا عطف ﴿وَأنّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ كان من باب عطف الخاصّ على العامّ.

١١. قوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ...﴾[٢].

فذكر الخاصّ بعد العامّ ﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ ثمّ قال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً﴾ لزيادة العناية والاهتمام بشأن الأُمّ، ولحقّها العظيم.

١٢. قوله تعالىٰ: ﴿إلّا الّذِينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ...﴾[٣].

ذكر الخاصّ بعد العامّ ﴿وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ بعد قوله: ﴿بِالحَقِّ﴾ فإنّ الصبر داخل في العموم، إلّا أنّه أفرده بالذكر إشادة بفضيلة الصبر.

١٣. قوله تعالىٰ: ﴿إذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ...﴾[٤].

أُطلق الملائكة وأُريد بهم جبرئيل.

١٤. قوله تعالىٰ: ﴿الحَمْدُ للّهِ الّذى أنْزَلَ عَلىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عوَجَا * قَيِّماً لِيُنْذرَ بأساً شَدِيْداً منْ لَدُنْهُ وَيُبَشّرَ الْمُؤْمنينَ... وَيُنْذرَ الّذيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً﴾[٥].

فإنّ بذكر الخاصّ بعد العامّ ﴿لِيُنْذرَ بأساً شَدِيْداً﴾ ﴿وَيُنْذرَ الّذيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللّهُ

---

١. البقرة: ٤٧.
٢. الأحقاف: ١٥.
٣. العصر: ٣.
٤. آل عمران: ٤٥.
٥. الكهف: ١ـ٤.

وَلَداً﴾ لشناعة دعوى الولد للّه.

وفيه من بديع الحذف حذف المفعول الأوّل، أي لينذر الكافرين بأساً شديداً، ثمّ ذكر المفعول الأوّل وحذف الثاني في قوله: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذيْنَ قَالُوا اتَّخَذَ اللّـهُ وَلَـداً﴾ «عذاباً شديداً» فحذف العذاب لدلالة الأوّل عليه، وحذف من الأوّل «المـنذرين» لدلالة الثاني عليه.

□ ٤. التكرير

هو أن يأتي المتكلّم بلفظ ثمّ يعيده بعينه؛ سـواء أكـان اللـفظ مـتّفق المـعنى، أم مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثمّ يعيده.

قال ابن الأثير:

«والذي يحدّه أن يقال: هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة، فهذا حدُّه الذي يميّزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأمّا التكرير، فإنّه دلالة اللفظ على المعنى مردّداً، كقولك لمن تستدعيه: «أسْرِع أسْرِع»؛ فإنّ المـعنى مردّد، واللفظ واحد...

وإذا كان التكرير هو إيراد المعنى مردّداً فمنه مايأتي لفائدة، ومنه مايأتي لغـير فائدة:

فأمّا الذي يأتي لفائدة، فإنّه جزء من الإطناب وهو أخصّ منه، فيقال حينئذٍ: إنّ كلّ تكرير يأتي لفائدة فهو إطناب، وليس كلّ إطناب تكريراً يأتي لفائدة.

وأمّا الذي يأتي من التكرير لغير فائدة، فإنّه جزء من التطويل وهو أخصّ منه، فيقال حينئذٍ: إنّ كلّ تكرير يأتي لغير فائدة تطويل، وليس كلّ تطويل تكريراً يأتي لغير فائدة[1]».

وقسّم ابن الأثير الحلبي التكرير قسمين[2]:

القسم الأوّل: يوجد في اللفظ والمعنى، مثل: «أسرِع أسرِع».

---

١. المثل السائر، ج٢، ص١٢١.

٢. المصدر، ص١٤٦ وما بعدها.

القسم الثاني: يوجد في المعنى دون اللفظ، مثل: «أطعني ولاتعصني»؛ فإنّ الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية.

وكلّ قسم من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد، وغير مفيد، فالمفيد الذي يأتي في الكلام توكيداً له، وتسديداً من أمره، وإشعاراً بعظم شـأنه، وهـو يـأتي فـي اللـفظ والمعنى، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إنّى أُمِرْتُ أنْ أعْبُدَ اللّهَ مُخْلِصاً لهُ الدّينَ * وأُمِـرْتُ لأنْ أكُونَ أوّلَ المسلمينَ * قُلْ إنّى أخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبّى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

ثمّ قال بعد ذلك: ﴿قُلْ اللّهَ أعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينى﴾[2].

والمقصود في هذا التكرير غرضان مختلفان وذلك أنّ الأوّل إخبار بأنّه مأمور من جهة اللّه بالعبادة والإخلاص في دينه، والثاني إخبار بأنّه يخصّ اللّه وحـده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدّم المعبود على فعل العبادة في الثاني، وأخّره في الأوّل؛ لأنّ الكلام أوّلاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل من أجله، ولذلك رتّب عليه ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾.

وأمّا ماجاء في اللفظ والمعنى والمراد به غرض واحد، فكقوله تعالىٰ: ﴿اللّهُ الّذى يُرْسِلُ الرّياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فى السّماءِ كيْفَ يَشَاءُ وَيَـجْعَلُهُ كِسَـفاً فَـتَرىٰ الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فإذَا أصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهِ إذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسينَ﴾[3].

فقوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ بعد قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ فيه دلالة على أنّ عهدهم بالمطر قد بَعُدَ وتطاول، فاستحكم بأسهم، وتمادى إبلاسهم، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك.

وأمّا القسم الذي هو غير مفيد، فهو الذي يأتي فـي الكـلام تـوكيداً له، كـقول المتنبّي:

---

١. الزمر: ١١ـ١٣.

٢. الزمر: ١٤.

٣. الروم: ٤٨ و٤٩.

وَلَمْ أرَ مِثْلَ جيراني وَمِثْلي لمثلي عِنْدَ مِثْلِهِمُ مَقامُ[١]

أغراض التكرير

وللتكرير أغراض عديدة، وأشكال مختلفة في صياغة الجملة، والغرض من التكرير يُشتقى من السياق، ولايفرض عليه من الخارج.

فمن أغراضه التأكيد وتقرير المعنى في النفس، أو في مقام الوعيد والتهديد،كقوله تعالىٰ: ﴿كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٢]؛ فإنّ التكرير يتركّز في ﴿ثُمَّ﴾ العاطفة الدالّة علىٰ أنّ الإنذار الثاني يعلو الأوّل؛ تنزيلاً لبعد المرتبة بعد الزمان، ويتركّز في الجملة كلّها حين كرّرت مرّة ثانية، وكأنّ مجيئها مرّة ثانية جعلها تبرز معانيها كلّها، وتأثيراتها كلّها، وتؤكّد أنّهم سوف يعلمون لامحالة، وأنّ ماسوف يعلمونه لايخطر لهم على بال، ولايدخل في إطار أيّ تصوّر تصوّروه له، وأنّ من فاته أن يعطي عقله وعواطفه للجملة الأُولىٰ، فلامفرّ له من أن يفعل وقد جاءت الجملة ثانية، وأنّها حينما جاءت مرّتين فستحمّل الكفّار تبعة مجيئها هكذا، فقد أقدموا على ماجعل اللّه تعالىٰ يكرّر الوعيد، ويكرّر التهديد، وكأنّ مرّة واحدة لاتكفي[٣]، فهو يتكرّر مرّة بعد أُخرىٰ وإن تعاقبت عليه الأزمنة لايتطرّق إليه تغيير، بل هو مستمرّ دائماً.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أدْراكَ مَايَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْراكَ مَايَوْمُ الدِّينِ﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿أولئِكَ الّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولئِكَ الأغْلالُ فِى أعْناقِهِم وَأُولئِكَ أصْحابُ النارِ﴾[٥].

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَقالَ الّذى آمَنَ ياقَومِ اتّبِعُونِ أهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَاقَوْمِ إنّمَا

---

١. المثل السائر، ج٢، ص١٤٦؛ جوهر الكنز، ص٢٥٧.
٢. التكاثر: ٣ و٤.
٣. بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ص٢٣٧.
٤. الانفطار: ١٧ و١٨.
٥. الرعد: ٥.

هذِهِ الحياةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ...﴾[١].

فقد كرّرت ﴿يَاقَوْمِ﴾ استمالة لأنفسهم وقلوبهم، وحملهم على قبول الرشاد حتّى لايشكّوا ولايرتابوا في إخلاصه لهم في نصحه.

وقد يرد التكرير في مقام التعظيم والتهويل، كقوله تعالىٰ: ﴿الحاقّةُ * ماالحاقّةُ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿القارِعَةُ * مَا القارِعَةُ﴾[٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿إنَّا أنْزلناهُ فِى لَيْلَةِ القَدْرِ * وَمَا أدْراكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ﴾[٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأصحابُ اليَمينِ مَا أصْحابُ اليَمينِ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فـأَصْحَابُ المَـيمَنَةِ مَـا أصْـحابُ المَـيْمَنَةِ * وَأصْـحابُ المَشْـئَمَةِ ماأصْحابُ المَشْئَمَةِ﴾[٦].

وقد يكرّر الكلام خشية تناسي الأوّل، فيعاد ثانياً تطرية له وتجديداً لعهده، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ للَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَأصْلَحُوا إنّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحيمٌ﴾[٧].

حيث كرّرت «إنّ» واسمها لطول الكلام خشية أن يكون الذهن قد ذهل عمّا ذكر أوّلاً.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّى رَأيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَباً وَالشَّمْسَ والقَمَرَ رأيْتُهُمْ لِى سَاجِدينَ﴾[٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّا كَذٰلِكَ نَجْزِى المُحْسِنينَ * إنَّ هذَا لَهُوَ البَلاءُ المُبينُ * وَفَـدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ... كذلِكَ نَجْزِى المُحْسنينَ﴾[٩،١٠].

---

١. غافر: ٣٨ و٣٩.
٢. الحاقة: ١ و٢.
٣. القارعة: ١ و٢.
٤. القدر: ١ و٢.
٥. الواقعة: ٢٧.
٦. الواقعة: ٨ و٩.
٧. النحل: ١١٩.
٨. يوسف: ٤.
٩. الصافّات: ١٠٥ـ١١٠.

ومنه قول الشاعر:

وإنَّ امرأً دامَتْ مواثِيقُ عَهْدِهِ عَلىٰ مِثْلِ هذا إنَّهُ لكريمُ

وقد يكرّر لتعدّد المتعلّق ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾[١]. فإنّها وإن تعدّدت فكلّ واحد منها متعلّق بما قبله، وانّ اللّه تعالىٰ خاطب بها الثقلين من الإنس والجنّ، وعدّد عليهم نعمه، وأتبع كلّ نعمة بهذه العبارة إجلالاً لها وإكباراً [٢].

ومن هذا النوع قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ﴾[٣] في سورة المرسلات عشر مرّات؛ لأنّه سبحانه ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كلّ قصّة بهذا القول، فصار كأنّه قال عقب كلّ قصّة، فأثبت الويل لمن كذّب بها.

وتتكرّر الجملة وهي تحمل معنى التعجّب من جهالة الإنسان، كقوله تعالىٰ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّر * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[٤].

فأُعيد تعجّباً من تقديره وإصابته الغرض، علىٰ حدّ: «قاتله اللّه ماأشجعه!».

وكذلك لقصد الاستيعاب، نحو قولك: «قرأت الكتاب باباً باباً وفهمته كلمةً كلمةً» فالغرض من هذا التكرار هو الدلالة علىٰ أنّ الكتاب قد استوعب قراءةً وفهماً؛ بحيث لم يترك فيه باب واحد أو كلمة واحدة بدون قراءة أو فهم.

وكالتلذّذ بذكر المكرّر، كما في قول مروان بن أبي حفصة:

سَقىٰ اللّهُ نجداً والسلامُ علىٰ نَجْدِ وياحَبَّذا نَجْدٌ علىٰ القُرْبِ والبُعدِ

وكإظهار التحسّر، كما في قول الشاعر يرثي معن بن زائدة:

فياقَبْرَ مَعْنٍ أنتَ أوّلُ حُفْرَةٍ من الأرضِ خُطَّتْ للسماحَةِ مَوْضِعا

---

١. الرحمن: ١٣.

٢. جاءت الآية مكرّرة «٣١» مرّة، «١٦» راجعة إلى الجنان، «١٤» راجعة إلى النعم و النقم، «٧» عقب كلّ نعمة ذكرها للثقلين.
قيل: «٧» مرّة على ما خلقه الله للعباد من نقم الدنيا المختلفة على عدد أُمّهات النعم، «٧» مرّة للتخويف، و فصّل بين الأوّل و السبع الثواني بواحدة سوّى فيها بين الخلق كلّهم فيما كتبه عليهم من الفناء، فكانت «١٥» وأُتبعت«٨» في وصف الجنان وأهلها، ثمّ «٨» في وصف الجنّتين اللتين من دون الأُوليين لذلك أيضاً، فاستكملت«١٣».

٣. المرسلات: ١٥.

٤. المدّثر: ١٩ و ٢٠.

ويــاقَبْرَ مَـعْنٍ كَـيفَ واريْتَ جُـودَهُ وَقَدْ كـان مِـنْهُ البَـرُّ والبَـحْرُ مُـتْرَعا

◻ ٥. الإيغال

وهو في اللغة: السير السريع، والإمعان فيه، وتوغّل الأرض إذا سار فيها وأبعد.

وهو في اصطلاح البلاغيّين: ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها.

فالإيغال قريب من التكميل، بعيد عن التتميم؛ لأنّ التتميم تكـون الزيـادة فـيه ضروريّة للمعنى، قال اللّه تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ الجاهِلِيّةِ يَبْغُون وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ﴾[١].

وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ﴾ إيغال؛ لأنّ المعنى تمّ بدونها عند قوله تعالىٰ: ﴿حُكْـمَاً﴾ وجاءت ﴿يُوْقِنُونَ﴾ مناسبة لـ﴿يَبْغُونَ﴾.

وكقوله تعالىٰ: ﴿إنّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[٢].

فقوله: ﴿مِثْلَ مَا...﴾ إيغال زائد على المعنى؛ لتحقيق هذا الوعد، وأنّه واقع معلوم ضرورة لايرتاب فيه أحد.

وهناك أغراض للإيغال:

أ) *لزيادة المبالغة في التشبيه*، كما في قول الخنساء:

وإنّ صَـخْراً لتَـأتمُّ الهُـداةُ بـهِ كـأنّهُ عَـلَمٌ فـي رَأسِـهِ نـارُ[٣]

فقولها: «في رأسه نارُ» إيغال؛ لأنّ فيه زيادة مبالغة في التشبية؛ ذلك لأنّ قولها: «كأنّه عَلَمٌ» وافٍ بالمقصود، وهو التشبيه بما يهتدى به، ولكـنّها لم تكـتفِ بكـون المشبّه به جبلاً عالياً ظاهراً، بل زادت على ذلك أن جعلت في رأسه ناراً؛ لما فـي ذلك من زيادة الظهور والانكشاف.

ب) *ولتحقيق التشبيه*، أي بيان التساوي بين الطرفين في وجه الشبه، كما فـي

---

١. المائدة: ٥٠.

٢. الذاريات: ٢٣.

٣. المصباح، ص ١٠٥؛ الطراز، ج ٣، ص ١٣١؛ الصناعتين، ص ٤٠٦؛ طبقات الشعراء، ص ٨٢.

قول امرئ القيس:

كأنّ عُيُونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِنا وَأَرْحُلِنا الجـزْعُ الذي لمْ يُـثْقَبِ[١]

شبّه عيون الوحش بالجزع، ولمّا كانت عيون الوحش لاثقوب بها كانت أكثر شبهاً بالخرز الذي لم يثقب، ولهذا زاد الشاعر قوله: «لم يـثقب» ليـتحقّق التشـابه الكامل بين الطرفين.

ج) *ولزيادة الحثّ والترغيب*، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِيْنَ * اتَّبِعُوا مَنْ لاٰ يَسْأَلُكُمْ أجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٢].

فقوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إيغال؛ لأنّ المعنى يتمّ بدونه، إذ أنّ الرسل مهتدون قطعاً، فذكره تصريح بما هو معلوم الّا أنّ في التصريح بوصف الاهتداء فيه زيادة مبالغة في الحثّ على اتّباع الرسل والترغيب فيهم.

□ ٦. التذييل

وهو تعقيب الجملة بجملة أُخرىٰ لامحلّ لها من الإعـراب، دالّـةٍ عـلى مـعنى الأُولىٰ بالفحوى؛ لقصد التأكيد والتقوّي.

فالتذييل أعمّ من الإيغال من جهة أنّ التوكيد يكون في آخر الكلام، وفي أثنائه، أمّا الإيغال فلايكون إلّا في آخر الكلام، وهو أخصّ من الإيغال من جهة أنّ الإيغال قد يكون بغير الجملة، وقد يكون لغرض غير التوكيد. والتذييل نوعان:

١. *نوع يجري مجرى المثل* بأن يقصد بالجملة الثانية حُكمٌ كُلّي منفصل عمّا قبله، جارٍ مجرى الأمثال في الاستقلال بنفسه.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿قُلْ جَاءَ الحقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوْقَاً﴾[٣].

---

١. «الوحش»: الظباء وبقر الوحش التي يصيدونها، و يرمون عيونها حول خبائهم، و«الخباء»: ماكـان مـن وبـر أو صوف، و«الأرحل»: جمع رحل، وهو المنزل والمأوى، و«الجزع»: خرز فيه سواد وبياض شكـل دوائـر. روي البيت في معاهدالتنصيص، وشروح التلخيص كأن عيون المها، والشاهد في قوله: «لم يثقب» حيث يـتحقّق بـها التشبيه مبالغة، وقيل: لا مبالغة فيها؛ لأنّ بها يتمّ التشبيه و يتحقّق.

٢. يس: ٢٠ و٢١.

٣. الإسراء: ٨١.

فقوله تعالىٰ: ﴿إنّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوْقَاً﴾ تذييل أُتي به لتأكيد الجملة قبله، وهو جارٍ مجرى الأمثال؛ لاستقلاله عمّا قبله، وذلك لتضمّنه معنىً كلّياً وهو أنّ الباطل لاتقوم له قائمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إلّا الكَفُورَ﴾[1].

فمعنى الجملة الأُولىٰ أنّ اللّه قد جازاهم على كفرهم، فجاء قوله: ﴿وَهَلْ نُجازي إلّا الكَفُوْرَ﴾تذييل للجملة السابقة خرج مخرج الأمثال.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُ مايَشاءُ وَاللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَديرٌ﴾[2].

فقوله: ﴿وَاللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَديرٌ﴾ جملة ثانية تؤكّد معنى الجملة السابقة؛ لأنّ الذي يخلق مايشاء يكون قادراً على كلّ شيء، فكانت تذييلاً، وهي من النوع الذي يجري على ألسنة الناس، فخرج مخرج الأمثال.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَالّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطميرٍ * إنْ تَدْعُوهُمْ لايَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلو سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ وَيَومَ القيامَةِ يَكْفُرونَ بشِرْكِكُمْ ولايُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبيرٍ﴾[3].

فالأصنام التي يدعونها ويتوسّلون إليها لاتملك شيئاً، ولاتسمع شيئاً، ولاتستجيب لشيء، واللّه يعلم ذلك، ويخبر المشركين به، فإذا قال: ﴿وَلايُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبيرٍ﴾ كان مؤكّداً للمفهوم من معنى الكلام السابق، وهو خارج مخرج المثل[4].

ومنه قول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لاتَلُمُّهُ عَلىٰ شَعَثٍ أيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ[5]؟!

فقوله: «أيّ الرجال المهذّبُ؟» تذييل أكّد الجملة الأُولىٰ، وهي «ولست بمستبق أخاً لاتلمّه على شعث»؛ لأنّ معناها: لن تدوم لك صداقة الصديق، مالم توطّن نفسك

---

١. سبأ: ١٧.

٢. المائدة: ١٧.

٣. فاطر: ١٣ و١٤.

٤. فنّ البلاغة: ٢٠٣ و٢٠٤.

٥. الشاهد أنّ «أي الرجال المهذّب؟» أكّدت مافهم من صدر البيت؛ لأنّها استفهام إنكاري، ومعناه النفي و قد فهم نفي الكامل من الرجال من صدر البيت. أنظر: حاشية شرح التلخيص، ص٤٤٩. دلائل الاعجاز، ص٥٩٣.

على أنّه بشر يخطئ ويصيب؛ لأنّ الإنسان الكامل الخالي من العيوب غير موجود.

ومعنى جملة التذييل «أيّ الرجال المهذّب؟!» ليس هناك رجل كملت فيه الفضائل، فهي إذن مؤكّدة لما فُهِم من الجملة الأُولىٰ، وهذا التذييل جارٍ مجرى المثل؛ وذلك لتضمّنه معنىً كلّياً وهو أنّ الرجل الذي كَمُلَت أخلاقه غير موجود في هذه الحياة.

قال الرسولﷺ: «من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر، ومن هم بسّيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيّئة واحدة، ولا يهلك على اللّه إلّا هالك».

فقوله: «لا يهلك على اللّه إلّا هالك» تذييل خرج مخرج الأمثال.

ومن ذلك قول الحطيئة:

نَزُورُ فتىً يُعْطي على الحَمْدِ مالَهُ ... وَمَنْ يُعْطِ أثْمانَ المَحامِدِ يُحْمَدُ

فنرىٰ أن الشطر الثاني يصلح أن يكون مثلاً.

٢. نوع *لا يجري مجرى المثل*؛ وذلك لأنّه لا يستقلّ بمعناه، وإنّما يتوقّف على ماقبله، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ نُجازِى إلّا الكَفُورَ﴾[١] فهو تذييل غير جارٍ مجرى المثل؛ لأنّه جزاء على ماتقدّم في آيات سابقة من إرسال سيل العرم، وتبديل جنّتهم جنّتين ذواتي أُكل خَمْط، وأمّا إذا أُريد مُطلق الجزاء على معنى «وهل نجازي بالشرّ مطلقاً إلّا الكفور؟!» كان المعنى قائماً بذاته، وعلى ذلك يكون التذييل جارياً مجرى المثل.

ومن أمثلة التذييل التي لا تجري مجرى المثل: قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً عَالِينَ﴾[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانوا قَوْماً مُجْرِمينَ﴾[٣].

---

١. سبأ: ١٧.
٢. المؤمنون: ٤٦.
٣. الأعراف: ١٣٣.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً إنَّ فِرْعَونَ وهامانَ وَجُنُودَهُمَا كانُوا خَاطِئِينَ﴾[١].

ويحتمل أن يكون من التعليل.

وقوله تعالى: ﴿إنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلىٰ أُمّةٍ وإنّا عَلىٰ آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[٢].

فقوله: ﴿وَكَذٰلِكَ﴾[٣] تذييل، أي فذلك شأن الأُمم مع الرسل، وقوله: ﴿مَا أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فى قَرْيَةٍ مِنْ نذير﴾[٤] تفسير للتذييل، جعل التذييل هنا من التفسير[٥].

وكقول ابن نباتة السعدي:

لم يُبْقِ جودُك لي شيئاً أؤمّلَهُ ... تركْتني أصْحَبُ الدنيا بلا أَمَلِ[٦]

فجملة «تركتني أصحب الدنيا بلا أمل» لايفهم معناها مستقلاً عمّا قبلها.

وقد اجتمع النوعان في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ﴾[٧].

فقوله تعالىٰ: ﴿أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[٨] تذييل لايجري مجرى المثل، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ تذييل جارٍ مجرى المثل.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ اللّه اشْتَرىٰ مِنَ المُؤْمِنِينَ أنْفُسَهُمْ وَأَموالَهُمْ بأنَّ لَهُمُ الجَنّةَ يُقاتِلُونَ فِى سَبيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوْرَاةِ وَالإنْجيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ﴾[٩].

فـ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾ تذييل لم يجرِ مجرى المثل؛ فإنّ الكلام قبلها قد تمّ، وحسن السكوت عليه، وهو يحمل في طيّاته معنى الوعد من اللّه سبحانه، ووعده حقّ، فهو تأكيد لمعنى الجملة السابقة، و ﴿وَمَنْ أوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ﴾ تذييل جرى مجرى

١. القصص: ٨.
٢. الزخرف: ٢٢.
٣و٤. الزخرف: ٢٣.
٥. البرهان، ج٣، ص١٤٦ و١٤٧.
٦. المعنى: أنّ كثرة جودك وبرّك وإحسانك لم تبق لي شيئاً أرجوه في هذه الدنيا، فلقد أعطيتني فبلغت من عطائك كلّ ما أؤمّله، فليس لي بعد عطائك شيء أرجوه.
٧. الأنبياء: ٣٤ و٣٥.
٨. الأنبياء: ٣٤.
٩. التوبة: ١١١.

المثل، فكأنّه تذييل بعد تذييل.

□ ٧. التكميل

وهو أن يؤتىٰ في الكلام بما يوهم خلاف المقصود، فيتمّ بكلام آخر يدفع ذلك الإيهام، وهذا الدفع قد يكون في أوّل الكلام، وقد يكون في وسطه، وقد يكون في آخره.

فمثال الأول قول المتنبّي:

غَيْرَ اخْـتيارٍ، قَـبلْتُ بِـرَّكَ بـي والجُوعُ يُرْضي الأُسُودَ بالجِيَفِ

فقوله: «غير اختيار» تكميل أتىٰ به دفعاً لأن يكون قبول البرّ به كان عن رضىً واشتهاء له، وقد جيء به في أوّل الكلام.

ومثال الثاني قول أبو دهبل الجمحي يمدح النبيّ ﷺ:

نزرُ الكلامِ مـنَ الحـياءِ تَـخالُهُ ضـمناً وليسَ بـجسمِهِ سَـقَمُ

فذكر «من الحياء» دفعاً لتوهّم أنّ ذلك من وعى.

وقول نافع بن خليفة:

رجالٌ إذا لم يَـقْبَلُوا الحـقَّ مِـنْهُم وَيُعْطَوْهُ عادُوا بالسُّيوفِ القَوَاطـعِ

وإنّما تمّ جودة المعنىٰ بقوله: «ويعطوه».

ومثال الثالث قول السموأل بن عادياء:

وَما ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ فـي فِـراشِـهِ وَلا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كـانَ قَـتِيلُ[١]

فإنّه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إيّاهم، فربّما علّق الوهم أنّ ذلك لضعفهم وقلّتهم، فأزال هذا الوهم بالانتصار من قاتليهم.

ويرى البلاغيون أنّ التكميل هو الاحتراس، ولكن يوجد فرق بـينهما وهـو أنّ الاحتراس يزيل الالتباس والغموض عن المعنى، أمّا التكميل، فيجمّله إمّا بفنّ زائد، أو بمعنى، غير أنّ بدر الدين بن مالك يذكر في كتابه المصباح نوعين، هما:

الأوّل الاحتراس وهو أن تأتي في المدح أو غيره بكلام، فتراه مدخولاً بعيب من

---

١. الايضاح، ص٢٠٤.

جهة دلالة منطوقه أو فحواه، فتردفه بكلام آخر لتصونه عن احتمال الخطأ، ومـنه قول الخنساء:

ولولا كثرةُ الباكـين حـولي على إخوانهم لقتلتُ نَـفْسي

ففطنت لتوجّه أن يقال لها: قد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس، فـلم فرّطت في الجزع عليه؟! فاحترست بقولها:

ومايبكون مثل أخي ولكـن أُعزّي النفسَ عنهُ بـالتأسّي

الثاني التكميل وهو أن تأتي في شيءمن الفنون بكلام تراه ناقصاً؛ لكونه مدخولاً بعيب من جهة دلالة مفهومه، فتكمله بجملة ترفع عنه النقص، كقول كعب الغنوي:

حَلِيمٌ إذا ما الحِـلْمُ زَيَّـنَ أهْـلَهُ مع الحَلْمِ في عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ[1]

فرأى أنّ وصفه الممدوح بمجرّد الحلم غير وافٍ بالغرض؛ لأنّ من لايعرف منه إلّا الحلم ربّما طمع فيه عدوّه، فينال منه مايذمّ به، فكمّله بقوله: «مع الحلم في عين العدوّ مهيب».

وجمع معظم البلاغيين المصطلحين، فقال القزويني: وأمّـا التكـميل ـ ويسـمّى الاحتراس أيضاً ـ، فهو أن يؤتىٰ في كلام يوهم خلافَ المقصود بما يـدفعه، وهـو ضربان:

الضرب الأوّل: ضرب يتوسّط الكلام، كقول طرفة:

فَسقىٰ دِيارَكِ غَـيْرَ مُـفْسِدِها صَـوْبَ الربـيعِوَدَيْمَةٌ تَـهْمي[2]

فقوله: «غير مفسدها» احتراس عن أن تذهب معالمها.

وقول كثير عزّة:

لو أنَّ عَزّةَ خاصَمَتْ شَـمْسَ الضُـحى في الحُسْنِ عِـنْدَ مُـوَفَّقٍ لقَـضىٰ لَـها[3]

---

١. المصباح، ص٢١٦؛ الطراز، ج٣، ص١٠٩؛ نهاية الارب، ج٧، ص١٥٧؛ تحرير التحبير، ص٣٥٨؛ الإيضاح، ص٢٠٤.

٢. الإيضاح، ص٢٠٣؛ التبيان، ص٣٧٩؛ الطراز، ج٣، ص١٠٥؛ جواهر الكنز، ص١٢٣؛ الوساطة، ص٣٩٨؛ والبيت من قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفي بالبذل و العطاء حين أصاب قومه الجدب. «صوب الربيع»: نزول المطر في الربيع. «الديمة»: مطر مستمرّ لبعض الوقت. «تهمي»: تسيل.

٣. الايضاح، ص٢٠٣.

فقوله: «عند موفّق» تكميل واحتراس من أنّها تقاضي الشمس عند حاكم غير موفّق.

الضرب الثاني: ضرب يقع في آخر الكلام، كقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يأتى اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ أذِلَّةٍ علىٰ المُؤْمِنِينَ أعِزَّةٍ علىٰ الكافِرِينَ﴾[1].

فإنّه لو اقتصر على وصفهم بالذلّة علىٰ المؤمنين، لتوهّم أنّ ذلّتهم لضعفهم، فلمّا قال: ﴿أعِزَّةٍ علىٰ الكافِرِينَ﴾

علم أنّها منهم تواضع لهم.

ومنه قول عنترة:

أثنى عَليَّ بما عَلِمْتِ فإنّني سَهْلٌ مُخالَفَتي إذا لَمْ أُظْلَمِ

فقوله:«إذا لم أظلم» احتراس دلّ به على أنّه قد يخالف فيرجع إلى الحقّ راضياً، ولكنّه لايقبل الظلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿لايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لايَشعُرُون﴾[2].

احتراس لئلّا يتوهّم نسبة الظلم إلى سليمان.

وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهِ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إنَّ المنافِقينَ لَكَاذِبُونَ﴾[3].

فالجملة الوسطى احتراس لئلّا يتوهّم أنّ التكذيب في نفس الأمر.

وأعجب احتراس وقع في القرآن قوله تعالىٰ مخاطباً لنبيّه ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ بجانِبِ الغَرْبِيِّ إذْ قَضَيْنَا إلىٰ مُوسَىٰ الأمْرَ...﴾[4].

وقال حكاية عن موسىٰ: ﴿وَنادَيْنَاهُ مِنْ جَانبِ الطُّورِ الأيْمنِ﴾[5].

فلمّا نَفَىٰ سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الّذي قضى لموسى فيه الأمر، عرّف المكان بالغربي، ولم يقل في هذا الموضع: «الأيمن» كما قال: ﴿وَنادَيْنَاهُ مِنْ

---

١. المائدة: ٥٤.
٢. النمل: ١٨.
٣. المنافقون: ١.
٤. القصص: ٤٤.
٥. مريم: ٥٢.

جَانِبِ الطُّورِ الأيْمَنِ﴾[١] أدباً مع النبيّ ﷺ أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن، أو يسلب عنه لفظاًمشتقّاً من اليُمْن، أو مشاركاً لمادّته. ولمّا أخبر عن موسى ﷺ ذكر الجانب الأيمن تشريفاً لموسى، فراعى في المقامين حسن الأدب معهما، تعليماً للأُمّة، وهو أصل عظيم في أدب فنّ الخطاب[٢].

ومن أمثلة الاحتراس قوله تعالىٰ: ﴿فأْتُوا حَرْثَكُمْ أنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[٣].

لأنّه لمّا كان يحتمل معنى كيف؟و أين؟ احترس بقوله: ﴿حَرْثَكُمْ﴾ لأنّ الحرث لايكون إلّا حيث تنبت البذور، وينبت الزرع، وهو المحلّ المخصوص.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُم الْيَوْمَ إذْ ظَلَمْتُم أنَّكُمْ فِي العَذابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[٤].

وذلك لأنّ الاشتراك في المصيبة يخفّف منها، ويسلّي عنها، فأعلم سبحانه أنّه لاينفعَهم ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِيْلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمينَ﴾[٥].

فإنّه سبحانه لمّا أخبر بهلاك من هلك بالطوفان، عقّبهم بالدعاء عليهم، ووصفهم بالظلم، ليعلم أنّ جميعهم كان مستحقّاً للعذاب، احتراس من ضعف يُوهم أنّ الهلاك بعمومه ربّما شمل من لايستحقّ العذاب، فلمّا دعا على الهالكين، ووصفهم بالظلم على استحقاقهم لما نزل بهم وحلّ بساحتهم، مع قوله أوّلاً: ﴿وَلا تُخاطِبْنى فِي الّذِيْنَ ظَلَمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٦،٧].

□ ٨. الاعتراض

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر

---

١. مريم: ٥٢.
٢. البرهان، ج٣، ص١٤٤.
٣. البقرة: ٢٢٣.
٤. الزخرف: ٣٩.
٥. هود: ٤٤.
٦. هود: ٣٧.
٧. البرهان: ج٣، ص١٤٣.

لامحلّ لها من الإعراب[١]، لغرض من الأغراض، وأهمّ هذه الأغراض:

١. *التنزيه*، كما في قوله سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ البَنَاتِ سُبحانَهُ[٢] وَلَهُمْ مَايَشْتَهُونَ﴾[٣].

فقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ كلمة تنزيه أوردها اعتراضاً بين الجملتين؛ مبالغةً في التنزيه عمّا نسبوه إلى اللّه سبحانه من اتّخاذ البنات، ومبالغة في الإنكار عليهم لهذه المقالة.

وقول الإمام عليّ‏‏ﷺ: «فقال سبحانَهُ ـ وهَو العالِمُ بمضمراتِ القلوبِ، ومحجوباتِ الغيوبِ: ﴿إِنّى خَالِقٌ بَشَرَاً﴾».

فجملة «وهو العالم...» معترضة بين «قال» ومقوله ﴿إِنّي خَالِقٌ﴾ جيء بها لقصد التنزيه.

٢. *التوكيد*، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيْناً ممّنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ للّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتّبَعَ مِلَّةَ إبْراهيمَ حَنِيْفاً وَاتّخَذَ اللّهُ إبْراهِيْمَ خَلِيْلاً * وَللّهِ مَا فِي السّماواتِ وَمَا فِى الأرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَىءٍ مُحِيطَاً﴾[٤].

وهذا الاعتراض أفاد التأكيد على وجوب اتّباع ملّة إبراهيم؛ لأنّ من بلغت به الرتبة والزلفى عند اللّه أن اتّخذه خليلاً في الخلّال كان جديراً بأن تتّبع ملّته.

وقوله تعالىٰ: ﴿إنّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إنّا لانُضِيعُ أجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولئِكَ لَهُمْ جَنّاتِ عَدْنٍ﴾[٥].

فـ ﴿إِنّا لا نُضِيْعُ﴾ اعتراض.

٣. *التعظيم*، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجومِ * وَإِنّـهُ لَـقَسَمٌ لَـوْ تَـعْلَمُونَ عَظِيْمٌ﴾[٦].

---

١. احتراز عمّا يكون له اعراب؛ لأنّه له اعراب ـ وهو إنّما يكون للمركّبات ـ كان جزءاً للمركّب أو متعلّقاً به وذلك لا يسمّىٰ «اعتراضاً». شرح التلخيص، ص٤٥٢.

٢. إنّما قيل إنّ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ اعتراض مع أنّه مفرد، وقد اشترط كونه جملة؛ لأنّ تقديره: سبّحت الله تسبيحاً، أو قلت: سبحان الله. فإنّه من المصادر التي لا يستعمل إظهار فعله أصلاً. المصدر، ص٤٥٣.

٣. النحل: ٥٧.

٤. النساء: ١٢٥ و١٢٦.

٥. الكهف: ٣٠ و٣١.

٦. الواقعة: ٧٥ ـ ٧٧.

ففي قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ اعتراضان: أحدهما: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ... عَظِيمٌ﴾، والآخر: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ أُريد منهما تعظيم القسم وتفخيم أمره، وفي ذلك تعظيم للمقسم عليه، وهو القرآن الكريم، وتنويه برفعة شأنه، فيكون أوقع في النفوس، وأدخل في البلاغة.

٤. *التنبيه*، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّينا الإنْسانَ بوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ وَفِصالُهُ فى عامَيْنِ أنْ اشْكُرْ لِى وَلِوالِدَيْكَ﴾[1].

فقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ...﴾ الى قوله: ﴿عَامَيْنِ﴾ وارد على سبيل الاعتراض، وسرّ ذلك هو أنّه ذكر توصية الوالدين عقبه بما يؤكّد أمر الوصيّة، ويؤذن باستحقاقها من أجل ماتكابده الأُمّ من المشاقّ في حمل الولد وفصاله، ومافي أثناء ذلك من مشقّة التربية وغيرها، وخصّ الأُمّ بالذكر تأكيداً لحقّها، وتنبيهاً على اختصاصها بمزيد المشقّة.

وقول الإمام عليّ عليه السلام: «فياعَجباً ـ واللّه يميتُ القلبَ، وَيَجْلِبُ الهَمَّ ـ من اجتماعِ هؤلاءِ القومِ على باطِلِهم، وتَفَرّقِكُم عَنْ حَقِّكُم».

نبّه على عظم الرزيّة من خلال الجملة المعترضة.

وقول الشاعر:

واعْلَم فَعِلْمُ المرءِ يَنْفَعُهُ أنْ سَوْفَ يأتي كُلُّ ماقُدِرا[2]

فجملة: «فعلم المرء ينفعه» اعتراضيّة أتى بها الشاعر لينبّه على فضل العلم ومنزلته ممّا يزيد المخاطب إقبالاً عليه.

٥. *التقرير*، كقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئْنا لِنُفْسِدَ فِى الأرْضِ﴾[3].

فقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ اعتراض بين القسم وجوابه، وفائدته تقرير البراءة من تهمة السرقة، ثمّ إنّهم مع إثبات علمهم بذلك أكّدوا ذلك بالقسم؛ مبالغةً في الأمر.

٦. *التوبيخ*، كقول الإمام عليّ عليه السلام: «ياأشباهَ الرجالِ... لوِدَدْتُ أنّي لَمْ أرَكُم

---

١. لقمان: ١٤.

٢. أنشده أبوعلي الفارسي، ولم يعزّه إلى أحد، ومعنى البيت: أنّ المقدور آتٍ لامحالة وإن وقع فيه تأخير، وفي هذا تسلية و تسهيل للأمر.

٣. يوسف: ٧٣.

وَلم أعْرِفْكُم مَعْرِفَةً ـ واللّهِ ـ جرَتْ نَدماً...»[١].

وجملة القسم لتوكيد التوبيخ.

٧. *التتميم* وهو أن يؤتى في كلام ما يوهِمُ خِلافَ المقصود بزيادة، كمفعول، أو حال، أو تمييز، أو جارّ ومجرور، أو نحو ذلك؛ لغرض بلاغي، كالمبالغة في المدح في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيْرَاً﴾[٢]، أي مع حبّه.

وقد زيد قوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ للتدليل على فرط سخائهم؛ لأنّ الجود الحقيقي لايكون حتّى تجود بمالديك مع احتياجك له.

٨. *التبريك*، كقوله تعالىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللّهُ آمنينَ﴾[٣].

٩. *البيان*، كقوله تعالىٰ: ﴿إنَّ اللّهَ يُحِبُّ التوّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ﴾[٤].

فإنّه اعتراض وقع بين قوله: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ وبين قوله: ﴿نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ وهما متّصلان معنى؛ لأنّ الثاني بيان للأوّل، كأنّه قيل: «فأتوهنّ من حيث يحصل منه الحرث» وفيه اعتراض بأكثر من جملة.

١٠. *زيادة الردّ على الخصم*، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإذَا بَدَّلْنا آيةً مَكانَ آيةٍ وَاللّهُ أعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قالُوا إنّمَا أنْتَ مُفْتَرٍ﴾[٥].

فاعترض بين ﴿إذَا﴾ وجوابها بقوله: ﴿وَاللّهُ أعْلَمُ بما ينزّلُ﴾ فكأنّه أراد أن يجيبهم عن دعواهم، فجعل الجواب اعتراضاً.

١١. *الإدلاء بالحجّة*، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلّا رِجَالاً نُوحي إلَيْهِمْ فَاسْألُوا أهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُم لاتَعْلَمُونَ بالبيّنَاتِ والزُّبُرِ﴾[٦].

فاعترض بقوله: ﴿فاسْألُوا﴾ بين قوله: ﴿نُوْحِي إلَيْهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿بِالبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ إظهاراً لقوّة الحجّة عليهم.

---

١. الخطبة /٢٧ـ١٣.
٢. الإنسان: ٨.
٣. الفتح: ٢٧.
٤. البقرة: ٢٢٢.
٥. النحل: ١٠١.
٦. النحل: ٤٣ و٤٤.

وقد يكون الغرض البلاغي تقليل المدّة، كما في قوله سبحانه: ﴿سُبْحانَ الّذى أسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾[١].

الإسراء في الليل دائماً، فزيدت ﴿لَيْلاً﴾ للدلالة على تقليل مدّة الإسراء، وأنّه كان في بعض الليل، والتنكير فيه يدلّ على معنى البعضيّة، أو الصيانة عن احتمال الخطأ، فترد رافعة له.

ومنه قول الشاعر:

لئن كان باقي عيشنا مثل مامضى فللحبُّ إن لم يُدخل النارَ أرْواحُ

فقوله: «إن لم يدخل النار» معناه سلامة العاقبة، وقد أتمّ به المعنى صيانة عن احتمال الخطأ، فقد أراد أنّ أوّل الحبّ لذّة وراحة، وإن كان آخره مثل أوّله فهو لامحالة أحمد عاقبة، لكن على أن تكون العاقبة سليمة.

أمثلة قرآنية أُخرىٰ حول الاعتراض:

١. قوله تعالىٰ: ﴿فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ...﴾[٢].

الجملة الاعتراضيّة ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ لبيان التحدّي في الماضي والمستقبل، وبيان العجز التامّ في جميع العصور والأزمان.

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَقالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجنّةَ إلّا مَنْ كَانَ هُوداً أو نَصارىٰ تِلْكَ أمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهانَكُمْ...﴾[٣].

﴿تِلْكَ أمَانِيُّهُمْ﴾ جملة اعتراضية، وفائدتها بيان بطلان الدعوى؛ وأنّها دعوى كاذبة.

٣. قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأنبياءَ بِغَيْر حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إلّا قَلِيْلاً﴾[٤].

---

١. الإسراء: ١.
٢. البقرة: ٢٤.
٣. البقرة: ١١١.
٤. النساء: ١٥٥.

﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ اعتراض ردّاً لمزاعمهم الفاسدة.

٤. قوله تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِى اللّهُ الصّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المنَافِقِينَ إنْ شَاءَ أو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنَّ اللّهَ كَانَ غفُوراً رَحِيمَاً﴾[١].

الجملة الاعتراضيّة ﴿إنْ شَاءَ﴾ للتنبيه على أنّ أمر العذاب أو الرحمة موكول لمشيئة اللّه تعالى.

٥. وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّهِ لَيَقولَنَّ كأنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يالَيْتَنى كُنْتُ مَعَهُمْ فأفُوزَ فَوْزاً عَظِيْمَاً﴾[٢].

الاعتراض في ﴿كأنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ للتنبيه على ضعف إيمانهم، وهذه المودّة في ظاهر المنافق، لا في اعتقاده، فهو يتمنّى أن لو كان مع المؤمنين، لا من أجل عزّة الإسلام، بل طلباً للمال، وتحصيلاً للحطام.

٦. قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ الّذينَ يخافُونَ أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البابَ...﴾[٣].

﴿أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا﴾ جملة اعتراضيّة لبيان فضل اللّه على عباده الصالحين.

٧. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أكْثَرُ النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمنين﴾[٤].

جملة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراضية بين اسم ﴿مَا﴾ الحجازية وخبرها، وجيء بهذا الاعتراض لإفادة أنّ الهداية بيد اللّه جلّ وعلا وحده.

٨. قوله تعالىٰ: ﴿إذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهَاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللّهُ أعْلَمُ بإيمانِهِنَّ﴾[٥].

﴿اللّهُ أعْلَمُ بإيمانِهِنَّ﴾ جملة اعتراضيّة للإشارة إلى أنّ للإنسان الظاهر، واللّه يتولّىٰ السرائر.

٩. قوله تعالىٰ: ﴿إذَا جَاءَكَ المنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ وَاللّهُ يَعْلَمُ إنّكَ

---

١. الأحزاب: ٢٤.
٢. النساء: ٧٣.
٣. المائدة: ٢٣.
٤. يوسف: ١٠٣.
٥. الممتحنة: ١٠.

لَرَسُولُهُ وَاللّهُ يَشْهَدُ إنّ المنافِقِينَ لَكَاذِبونَ﴾[١].

﴿وَاللّهُ يَعْلَمُ إنّكَ لَرَسُولُهُ﴾ جملة اعتراضيّة جاءت بين الشرط وجوابه؛ لبيان أنّهم ماقالوا ذلك عن اعتقاد، ولدفع توهّم تكذيبم في دعواهم الشهادة بالرسالة، والأصل: «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول اللّه، واللّه يشهد إنّ المنافقين لكاذبون».

أمثلة قرآنية حول الإطناب:

١. قوله تعالىٰ: ﴿وَلاتَلْبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون﴾[٢].

تكرير الحقّ لزيادة تقبيح المنهيّ عنه؛ إذ في التصريح ماليس في الضمير من التأكيد.

٢. قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِلّذينَ يَكْتُبُونَ الكِتابَ بِأَيْديهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذَا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

تكرير الويل ثلاث مرّات للتوبيخ والتقريع، ولبيان أنّ جريمتهم بلغت من القبح والشناعة الغاية القصوىٰ وهي التحريف.

٣. قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّها الّذينَ آمَنُوا إذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بالعَدْلِ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَلْيُمْلِل الّذى عَلَيْهِ الحَقُّ... فإنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الحَقُّ﴾[٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿أنْ تَضِلَّ إحْداهُما فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخرىٰ﴾[٦].

٤. قوله تعالىٰ: ﴿أوْفُوا الكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ المُخْسِرينَ﴾[٧].

في الآية إطناب؛ لأنّ وفاء الكيل هو نفسه نهي عن الخسران، وفائدته زيادة التحذير من العدوان.

---

١. المنافقون: ١.
٢. البقرة: ٤٢.
٣. البقرة: ٧٩.
٣ـ٦. البقرة: ٢٨٢.
٧. الشعراء: ١٨١.

٥. قوله تعالىٰ: ﴿وقالَ يابَنيَّ لاتَدْخُلُوا مِنْ بابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أبوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغْنى عَنْكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[١].

فيه إطناب، وهو زيادة اللفظ على المعنى، وفائدته تمكين المعنى في النفس.

٦. قوله تعالى: ﴿الّذينَ يُقيمونَ الصَّلوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أولئِكَ عَلىٰ هُدىً مِنْ رَبّهِم وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٢].

الإطناب بتكرار الضمير واسم الإشارة؛ لزيادة الثناء عليهم، والتكريم لهم، كما أنّ الجملة تفيد الحصر؛ أي هم المفلحون، لاغيرهم.

٧. قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنا مَاخَلَقْتَ هذَا باطِلاً... رَبّنا إنّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أخزَيْتَهُ... رَبّنا إنّنا سَمِعنَا مُنادِياً يُنَادِي لِلإيْمَانِ... رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا... رَبّنا وآتِنا مَاوَعْدتَنا﴾[٣].

الإطناب في قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنا﴾ حيث كرّر خمس مرّات، والغرض منه المبالغة في التضرّع.

٨. قوله تعالى: ﴿وَإذْ قالَتِ الملائِكَةُ يامَرْيَمُ إنّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَطهَّركِ وَاصْطَفاكِ عَلىٰ نِسَاءِ العَالمينَ * يامَرْيَمُ اقْنُتى لِرَبّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعى مَعَ الرّاكِعينَ﴾[٤].

التكرار في لفظ ﴿اصْطَفَاكِ﴾، كما تكرّر لفظ ﴿مَرْيَم﴾.

والاصطفاء الأوّل تقبّلها من أُمّها، ولم تقبّل قبلها أُنثىٰ، وتفريغها للعبادة، وإغناؤها برزق الجنّة عن الكسب، وتطهيرها تطهيراً عمّا يستقذر من النساء.

والثاني هدايتها، وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنيّة، كالولد من غير أب، وتبرئتها ممّا قذفته اليهود بانطاق الطفل، وجعلها آية للعالمين.

٩. قوله تعالى: ﴿قُلِ اللّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتى المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ...﴾[٥].

---

١. يوسف: ٦٧.
٢. لقمان: ٤ و٥.
٣. آل عمران: ١٩١ـ١٩٤.
٤. آل عمران: ٤٢ و٤٣.
٥. آل عمران: ٢٦.

التكرار للتفخيم والتعظيم[١].

١٠. قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَافِى الأَرْضِ جَمِيْعَاً مَاأَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

تكرار تأليف القلوب فائدته التذكير بالمنّة الكبرى، والنعمة العظمى على الرسول والمؤمنين.

١١. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إفكاً إنَّ الّذينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لايَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً...﴾[٣].

التكرار لغرض التشنيع عليهم في عبادة الأوثان.

١٢. قوله تعالى: ﴿ولاتَتبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّهِ إنّ الّذينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ...﴾[٤].

١٣. قوله تعالى: ﴿الّذينَ كَفَرُوا وَكذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأتْرَفْناهُمْ فِى الحَياةِ الدُّنيا مَاهذَا إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾[٥].

جاء أُسلوب الإطناب ذمّاً لهم، وتسجيلاً عليهم القبائح والشناعات.

١٤. قوله تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ [إلى قوله تعالىٰ] وَسَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّماواتِ وَما فِى الأَرْضِ﴾[٦].

الإطناب بتكرار لفظ ﴿سَخَّرَ﴾ لإظهار الامتنان.

١٥. قوله تعالىٰ: ﴿لايَمَسُّنا فِيْهَا نَصَبٌ وَلايَمَسُّنا فِيْهَا لُغُوبٌ...﴾[٧].

الإطناب بتكرار الفعل ﴿لايَمَسُّنَا﴾ للمبالغة في انتقاء كلّ منهما استقلالاً.

١٦. قوله تعالى: ﴿وَلايَزيدُ الكَافِرِيْنَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إلّا مَقْتاً وَلايَزيدُ الكَافِرينَ

---

١. وفيه إيجاز بالحذف، أي تؤتي المُلك من تشاء أن تؤتيه، وكذا في قوله ﴿تَنْزِعُ﴾ و ﴿تُعِزُّ﴾ و ﴿تُذِلُّ﴾.
٢. الأنفال: ٦٣.
٣. العنكبوت: ١٧.
٤. ص: ٢٦.
٥. المؤمنون: ٣٣.
٦. الجاثية: ١٢و١٣.
٧. فاطر: ٣٥.

كُفْرُهُم إلّا خَسَاراً﴾[١].

الإطناب بتكرار الفعل ﴿لا يَزيدُ﴾ لزيادة تشنيع وتقبيح مَن كفر باللّه.

١٧. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾[٢].

الإطناب بتكرار الألفاظ في الآية الكريمة لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم.

١٨. قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُون...﴾[٣].

تكرير الضمير ﴿هُمْ﴾ لإفادة الحصر، وورودها اسميّة للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها.

١٩. قوله تعالى: ﴿وَمِن آياتِهِ أنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَلِيُذيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ...﴾[٤].

أُسلوب الإطناب في الآية لتعداد النعم الكثيرة، وكان يكفي أن يقول: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ ولكنّه أسهب تذكيراً للعباد بالنعم.

٢٠. قوله تعالى: ﴿وَلَمّا جَاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا هُوداً وَالّذينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمةٍ مِنّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَليظٍ﴾[٥].

التكرار في ﴿نَجَّيْنَا﴾ لبيان أنّ الأمر شديد عظيم، لاسهل يسير.

٢١. قوله تعالى: ﴿وَلَمّا رَءَا المؤمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذَا مَاوَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ...﴾[٦].

كرّر الاسم الكريم للتشريف والتعظيم.

٢٢. قوله تعالى: ﴿يابُنَيَّ إنّهَا إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أوْ فِي السَّماواتِ أوْ فِى الأَرْضِ يأتِ بِها اللّهُ...﴾[٧].

---

١. فاطر: ٣٩.
٢. الأحقاف: ٢٦.
٣. الروم: ٧.
٤. الروم: ٤٦.
٥. هود: ٥٨.
٦. الأحزاب: ٢٢.
٧. لقمان: ١٦.

﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ تمّم خفاءها في نفسها.

٢٣. قوله تعالى: ﴿والعَصْرِ * إنّ الإنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ...﴾[1].

تكرار الفعل ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ لإبراز كمال العناية به.

٢٤. قوله تعالى: ﴿الّذينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِنْ نِسَائِهِمْ مَاهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إنْ أُمّهَاتُهُم إلّا اللّائى وَلَدْنَهُمْ...﴾[2].

ذكر تكرار الأُمّهات زيادة في التقرير والبيان.

٢٥. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الكِتابِ والحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَليمٌ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلّ شَىْءٍ عَليمٌ﴾[4].

وفي الآية الأُولىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ﴾ تأكيد وتهديد[5] وتعظيم لما ذكره، وجملة: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ معترضة للترغيب والتعليل.

وفي الآية الثانية أظهر الاسم أوّلاً وثانياً؛ لوقوعه في كلامين مستقلّين، وأظهر ثالثاً ليدلّ به على التعليل، كأنّه قيل: «هو بكل شيء عليم؛ لأنّه اللّه».

ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَاَتَّقُوا اللّهَ﴾ حثّ على تقوىٰ اللّه، و ﴿يُعَلِّمُكُمْ اللّهُ﴾ ذكر بنعمته، و ﴿اللّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيْمٌ﴾ متضمّن للوعد والوعيد، فلمّا قصد تعظيم كلّ واحد من هذه الأحكام أُعيد لفظ ﴿اللّه﴾ وتكرار لفظ الجلالة لتربية المهابة في النفس، وتعظيم الأمر.

٢٧. وقوله تعالى: ﴿وَالّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِى لَهُمْ إنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[6].

---

١. العصر: ١ـ٣.
٢. المجادلة: ٢.
٣. البقرة: ٢٣١.
٤. البقرة: ٢٨٢.
٥. ليس هذا من التأكيد المقتضي للمفصل؛ لأنّه ليس إعادة لمفهوم المؤكّد، ولا متّحداً معه، فكثيراً ما يجعلون المعطوف تأكيداً.
٦. الأعراف: ١٨٢ و١٨٣.

وفيه خروج من ضمير المتكلّم مع الغير المعظّم نفسه إلى ضمير المتكلّم المفرد؛ ليؤكّد أنّ الإملاء الكيد من اللّه تعالى وحده.

٢٨. و قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلىٰ قُلُوبِهمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أبْصَارِهِم غشاوَةٌ﴾[١].

كرّر الجارّ، ولو لم يكرّر لكان انتظاماً للقلوب والأسماع في تعدية واحدة، وحين استجدّ للأسماع تعدية على حِدة، كان أدلّ على شدّة الختم في الموضعين؛ واستقلال كلّ منهما بالحكم.

٢٩. قوله تعالى: ﴿مَاأُريدُ مِنهُمْ من رِزْقٍ وَمَا أُريدُ أنْ يُطْعِمُونِ﴾[٢].

كرّر فعل ﴿أُرِيْدُ﴾ للمبالغة والتأكيد.

٣٠. قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ﴾[٣].

﴿لَتَرَوُنَّ﴾، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ إطناب بتكرار الفعل لبيان شدّة الهول.

٣١. قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ﴾[٤].

تكرار الجملتين زيادة في التوبيخ والتشنيع.

٣٢. قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسّاعَةُ أدْهىٰ وأمَرُّ﴾[٥].

كرّر لفظ ﴿السّاعَةُ﴾ لزيادة التخويف والتهويل.

٣٣. قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتينِ﴾[٦].

تكرار الجملة مرّتين زيادة في التذكير والتنبيه.

وكذلك قوله: ﴿مَاكُنَّا فِي أصْحَابِ السَعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٧].

---

١. البقرة: ٧.

٢. الذاريات: ٥٧.

٣. التكاثر: ٦ و٧.

٤. المدثر: ١٩ و٢٠.

٥. القمر: ٤٦.

٦. الملك: ٣ و٤.

٧. الملك: ١٠ و١١.

٣٤. قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدَاً﴾[١].

الإطناب بتكرار الفعل مبالغة في الوعيد.

٣٥. قوله تعالى: ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَفَّاثَاتِ فِى العُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾[٢].

الاطناب بتكرار الاسم ﴿شَرّ﴾ ثلاث مرّات في السورة الكـريمة؛ تـنبيهاً عـلىٰ شناعة هذه الأوصاف.

٣٦. قوله تعالى: ﴿إنّا أنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ القَدْرِ * وَمَا أدْراكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ * لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣].

الإطناب بذكر ليلة القدر ثلاث مرّات زيادةً في الاعتناء بشأنها، وتفخيماً لأمرها.

٣٧. قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الجَنّةِ الّتِى وُعِدَ المُتّقُونَ فِيْهَا أنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ... وَأنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذّةٍ لِلشّـارِبِينَ وَأنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىٰ...﴾[٤].

كرّر ذكر الأنهار لزيادة التشويق إلى نعيم الجنّة.

---

١. الطارق: ١٧.

٢. الفلق: ١ـ٥.

٣. القدر: ١ـ٣.

٤. محمّد: ١٥.

الفهارس

فهرس الآيـات

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس أقوال الإمام علي عليه السلام

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ***آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب***. أحمد أحمد فشل (الاسكندرية: ١٩٧٩م).

٢. ***الابتداء بالنكرة في القرآن الكريم***. الراجحي شرف الدين علي ، (الاسكندرية: ١٩٩١م)

٣. ***ابيات النحو في تفسير البحر المحيط***. المنصور ، شعاع ابراهيم ، (مكة: ١٩٩٤م)

٤. ***الاتقان في علوم القرآن***. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، (القاهرة: ١٩٧٥).

٥. ***أثر القرآن في اللغة العربية*** . الباقوري ، احمد حسن ، (القاهرة: بلا.ت)

٦. ***أثر القرآن في اللغة العربية*** . حجازي ، محمد عبد الواحد ، (مصر: ١٩٧١م)

٧. ***أثر القرآن في تطور النقد العربي***. محمد زغلول سلام (القاهرة: ١٩٦٨م).

٨. ***أثر النحاة في البحث البلاغي***. عبد القاهر حسين (القاهرة: ١٩٧٥م).

٩. ***أثر القرآن في تطوير البلاغة العربية حتى نهاية القرن الخامس الهجري***. الخولي، كامل (القاهرة: ١٩٦٢م).

١٠. ***الاجماع في التفسير*** . الخضيري ، محمد بن عبد العزيز ، (الرياض: ١٩٩٩م)

١١. ***أحكام القرآن*** . الجصاص ، أحمد بن علي الرازي ، (بيروت: ١٩٨٦م)

١٢. ***اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره*** . سعود بن عبد الله ، (الرياض: ١٩٩٧م)

١٣. ***إرشاد الاذهان الى تفسير القرآن*** . السبزواري النجفي ، محمد ، (بيروت: ١٩٨٩م)

١٤. ***ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم***. أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، (بيروت: دت)

١٥. ***الازهرية في علم الحروف*** . علي بن محمد الهروي ، (مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨١م)

١٦. ***أساس البلاغة***. الزمخشري، جار الله، تحقيق: عبد الرحيم محمود (بيروت: ١٩٨١م).

١٧. ***اساليب الاستفهام في القرآن*** . عبد العلي السيد فودة ، (القاهرة: بلا.ت)

١٨. ***الاساليب الانشائية واسرارها البلاغية في القرآن الكريم*** . دراز ، صباح عبيد ، (مصر: ١٩٨٦م)

١٩. ***أساليب البيان في القرآن*** . الحسيني ، السيد جعفر ، (طهران: ١٤١٣هـ)

٢٠. ***أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم*** . الحسين محمود جلو ، (بيروت: ١٩٩٤م)

٢١. ***أساليب السخرية في القرآن الكريم*** . حفني : عبد الحليم ، (القاهرة: ١٩٧٨م)

٢٢. ***اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين*** . الاوسي : قيس اسماعيل

٢٣. *أساليب القسم فى اللغة العربية* ،كاظم فتحى الراوي،(بغداد :)١٩٧٧

٢٤. *أساليب النفى فى القرآن الكريم* . البقري ، احمد ماهر ، (دار المعارف: ١٩٧٧م)

٢٥. *أساليب بلاغية*. أحمد مطلوب (الكويت: ١٩٨٠م).

٢٦. *أسباب الاختلاف المفسرين* . الشايع ، محمد بن عبد الرحمن ، (الرياض: ١٩٨٠م)

٢٧. *اسباب النزول* ،على بن احمد الواحدي، (مصر:١٣٤٥هـ)

٢٨. *اسرار البلاغة* . البهائى : محمد بن الحسين ، (القاهرة: ١٩٥٧م)

٢٩. *أسرار البلاغة* . الجرجانى : عبد القاهربن عبد الرحمن بن محمد(ت ٤٧١هـ) ، (استانبول: ١٩٥٤م)

٣٠. *أسرار البلاغة فى علم البيان*. الجرجانى، عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م)، (بيروت: ١٩٨٣م).

٣١. *أسرار التقديم والتأخير فى لغة القرآن*. محمود السيد شيخون ، (القاهرة: ١٩٧٨م)

٣٢. *أسرار التكرار فى القرآن الكريم* . الكرمانى : محمود بن حمزة ، (القاهرة: بلا.ت)

٣٣. *أسرار ترتيب القرآن*. السيوطى، جلال الدين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا (القاهرة: ١٩٧٨م).

٣٤. *أسس النقد الادبى عند العرب*. أحمد أحمد بدوي (القاهرة: ١٩٧٩م).

٣٥. *أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية*. حسن طبل ،

٣٦. *أسلوب التعقيب فى القرآن الكريم*. الكواز : محمد كريم ، (ليبيا: ١٤٢٥هـ)

٣٧. *اسلوب السخرية فى القرآن الكريم* . حفنى : عبد الحليم ، (القاهرة: ١٩٩٥م)

٣٨. *اسلوب المحاورة فى القرآن الكريم*. حفنى : عبد الحليم ، (القاهرة: ١٩٢٥م)

٣٩. *أسماء الله الحسنى* . ابن قيم الجوزية ، (بيروت: ١٩٩٧م)

٤٠. *أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها* . محمد بكر اسماعيل ، (القاهرة: ٢٠٠٠م)

٤١. *الاسماء والصفات* . البيهقى : أبوبكر أحمد بن الحسين ، (بيروت: ١٤٠٥هـ)

٤٢. *الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز*. عزالدين بن عبد السلام(ت ٦٦٠هـ) (طبعة القسطنطنية: ١٣١٣هـ).

٤٣. *الاشباء والنظائر فى النحو*. السيوطى، جلال الدين (بيروت: ١٩٨٤م).

٤٤. *الاشباه والنظائر* . للخالديين ، (القاهرة: ١٩٥٨م)

٤٥. *الاشباه والنظائر فى القرآن الكريم* . مقاتل بن سليمان ، (القاهرة: ٢٠٠١م)

٤٦. *الاشتراك اللفظى فى القرآن الكريم* . مسعود بوبو ، (بيروت: ١٩٩٤م)

٤٧. *الاشتقاق* ، ابن دريد . (القاهرة: ١٦٧٨هـ)

٤٨. *اشتقاق الاسماء* . الاصمعى ، (القاهرة: ١٤٠٠هـ)

٤٩. *أشعار الشعراء الستة الجاهليين*. (اختيار) الاعلم الشنتمري (بيروت: ١٩٨١م).

٥٠. *اصلاح المنطق* . ابن السكيت، يعقوب ، (دار المعارف: ١٣٧٥هـ)

٥١. *إصلاح الوجوه و النظائر* . الفقيه الدامغانى، (بيروت: ١٩٧٠م)

٥٢. *اصول التفسير وقواعده* . العك : خالد بن عبد الرحمن ، (بيروت: ١٩٧٠م)

٥٣. ***الاضداد في اللغة*** . ابن دهان البغدادي ، (بغداد: ١٩٩٤هـ)
٥٤. ***الاضداد في كلام العرب*** . أبو الطيب عبد الواحد على اللغوي الحلبي، تحقيق عزة حسن (المجمع العلمي، دمشق).
٥٥. ***اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن*** . الشنقيطي : محمد الامين المختار ، (بيروت: ١٩٩٤م)
٥٦. ***الاطول (الشرح الاطول على تلخيص القزويني)*** . عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني. (تركيا: ١٢٨٤هـ).
٥٧. ***الاعجاز البلاغي*** . محمد محمد أبو موسى (القاهرة: ١٩٨٥م).
٥٨. ***الاعجاز البياني في صيغ الالفاظ*** . الخضري : محمد الامين ، (القاهرة: ١٩٩٣م)
٥٩. ***الاعجاز البياني للقرآن*** . بنت الشاطئ ، (القاهرة: بلا.ت)
٦٠. ***إعجاز القرآن البياني*** . شرف، حفني محمد (مطابع الاهرام التجارية: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
٦١. ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*** . الرافعي: مصطفى صادق، تحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة: ١٩٤٠م).
٦٢. ***إعجاز القرآن*** . الباقلاني: أبوبكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ). تحقيق أحمد صقر (القاهرة: ١٩٧٧م).
٦٣. ***الاعجاز في نظم القرآن*** . محمود السيد شيخون ، (القاهرة: بلا.ت)
٦٤. ***الاعجاز والايجاز*** . الثعالبي، ابومنصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٣٠هـ) (القاهرة ١٩٩٧م).
٦٥. ***اعراب القرآن*** . الزجاج : ابراهيم بن سهل ، (بيروت: ١٩٨٢م)
٦٦. ***اعراب القرآن*** . النحاس : أحمد بن محمد بن اسماعيل ، (بيروت: ١٩٩٨م)
٦٧. ***اعراب القرآن*** . قوام السنة ، اسماعيل بن محمد بن الفضل ، (بيروت: ١٩٩٨م)
٦٨. ***اعراب القرآن*** . الكرباسي : محمد جعفر الشيخ ابراهيم ، (بيروت: ٢٠٠١م)
٦٩. ***اعراب القرآن الكريم*** . محمود سليمان ياقوت ، (الاسكندرية: ١٩٩٥م)
٧٠. ***اعراب القرآن وبيانه*** . الدرويش محمد ، (بيروت: بلا.ت)
٧١. ***الاعراب المحيط في تفسير البحر المحيط*** . ابن حيان الاندلسي ، (بيروت: ٢٠٠١م)
٧٢. ***اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم*** . ابن خالويه، ابوعبدالله الحسين، (بيروت: ١٩٨٨م)
٧٣. ***الاغاني*** . الاصفهاني: أبو الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) (القاهرة: ١٩٢٣).
٧٤. ***أقصى الاماني في علم البيان والبديع والمعاني*** . الانصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد (مخطوط دار الكتب المصرية رقم: ٦٠٤).
٧٥. ***الاقصى القريب في علم البيان*** . التنوخي : أبو عبد الله محمد بن محمد. (القاهرة: ١٣٣٧هـ).
٧٦. ***الالفاظ المترادفة المتقاربة المعنى*** . الرماني ، (دار الوفاء: بلا.ت)
٧٧. ***الام*** . الشافعي: الامام أبو عبد الله محمد ابن إدريس (ت ٢٤٠ هـ) تصحيح محمد النجار (مكتبة كليات الازهرية).
٧٨. ***الامالي الشجرية*** . ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن على بن حمزة العلوي (بيروت: بلا.ت).
٧٩. ***امالي المرتضى (غُرَر الفوائد ودُرَر القلائد)*** . المرتضى على بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ،

(بيروت: ١٩٦٧م).

٨٠. *الامالي*. ابن المبارك اليزيدي، أبو عبد الله محمد (القاهرة: بلا. ت).

٨١. *الامالي*. القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم(بيروت: بلا. ت).

٨٢. *الامالي*. الشجري، يحيى بن الحسين (بيروت: بلا.ت).

٨٣. *أمثال القرآن* . ابن قيم الجوزية ، (بغداد: ١٩٨٠م)

٨٤. *الامثال القرآنية* . الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، (بيروت: ١٩٩٢م)

٨٥. *الامثال الكامنة في القرآن* . الحسين بن الفضل ، (الرياض: ١٩٨١م)

٨٦. *الامثال في القرآن* . محمد بن الشريف ، (بيروت: ١٩٨٠م)

٨٧. *املاء ما من به الرحمن* . العكبري : عبد الله بن الحسين ، (مصر: ١٣٢١هـ)

٨٨. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* . البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ) (المطبعة العثمانية: ١٣١٤هـ).

٨٩. *أنوار الربيع في أنواع البديع*. إبن معصوم المدني،علي صدر الدين،(ت ١١٢٠هـ) تحقيق شاكر هادي شكر (النجف الاشرف: ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م).

٩٠. *ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّوجل* . ابن الانباري ، (دمشق: ١٩٧١م)

٩١. *الايضاح في شرح مقامات الحريري*. المطرزي، أبو المظفر ناصر. (طبعة حجرية ايران: ١٢٧٢هـ).

٩٢. *الايضاح في علوم البلاغة*. القزويني: الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٧٣٩هـ) (ت ٤٣٦هـ) تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت:١٩٨٠م)

٩٣. *البحر المحيط في التفسير* . أبو حيان الاندلسي ، محمد بن يوسف(ت٧٤٥هـ)(بيروت: ١٩٩٢م)

٩٤. *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد* . أحمد بن محمد بن المهدي ، (بيروت: ٢٠٠٢م)

٩٥. *بدائع التفسير الجامع لتفسير الامام ابن قيم الجوزية* . ابن قيم الجوزية ، (السعودية: ١٩٩٣م)

٩٦. *بدائع الفوائد* . ابن قيم الجوزية ، (بيروت: بلا.ت)

٩٧. *بدائع القصر في النظم العربي*. د. إبراهيم داود (مطبعة الامانة بمصر:بلا.ت).

٩٨. *بدع التفاسير* . عبد الله بن الصديق الغماري ، (القاهرة: بلا.ت)

٩٩. *بديع القرآن*. ابن أبي الاصبع المصري عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٣٩م) تحقيق حفني محمد شرف (مصر: ١٩٥٧م).

١٠٠. *البديع تأصيل وتجديد*. د. منير سلطان (منشأة المعارف بالاسكندرية).

١٠١. *البديع في نقد الشعر*. ابن منقذ، أسامة (ت ٥٨٤هـ)، (القاهرة: ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م).

١٠٢. *البديع*. ابن المعتز: عبد الله (ت ٢٩٦هـ) تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي (مصر: ١٩٤٥م).

١٠٣. *البديهيات في القرآن الكريم* . فهد عبد الرحمن الرومي ، (الرياض: ١٤١٧هـ)

١٠٤. *البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن*. الزملكاني: عبد الواحد بن عبد الكريم، تحقيق. د. مطلوب، الحديثي. (بغداد: ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م).

١٠٥. *البرهان في اعراب آيات القرآن* . احمد ميقري بن أحمد . (بيروت: ٢٠٠١م)

١٠٦. *البرهان في توجيه متشابه القرآن* . الكرماني : محمود بن حمزة ، (بيروت: ١٩٨٦م)

١٠٧. *البرهان في علوم القرآن*. الزركشي، بدر الدين محمد (ت بعد ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم (بيروت: ١٩٧٢م).

١٠٨. *البرهان في غريب القرآن* . الحبشي : حسن بن صالح ، (القاهرة: ١٩٩١م)

١٠٩. *البرهان في وجوه البيان*. ابن وهب: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب. تحقيق د. أحمد مطلوب (بغداد: ١٩٦٧ م).

١١٠. *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز* . الفيروزآبادي : محمدبن يعقوب ، (القاهرة: ١٩٦٩م)

١١١. *بغية الايضاح لتخليص المفتاح*. عبد المتعال الصعيدي (مطبعة محمد على صبيح وأولاده).

١١٢. *البلاغة التطبيقية*. احمد موسى (مطبعة الموفة: ١٩٦٣م).

١١٣. *البلاغة الصافية* . د. حسن إسماعيل عبد الرزاق (القاهرة: ١٩٩٣).

١١٤. *البلاغة العربية في ثوبها الجديد*. د. بكري شيخ أمين (بيروت: ١٩٨٧).

١١٥. *بلاغة العطف في القرآن الكريم*. د. عفت الشرقاوي (بيروت: ١٩٨١).

١١٦. *بلاغة القرآن* . محمد الخضر الحسين ، (الدار الحسينية للكتاب: ١٩٩٧م)

١١٧. *بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار*. لاشين، عبد الفتاح (دارالفكر العربي: بلا.ت).

١١٨. *البلاغة القرآنية عند الامام الخطابي*. صباح عبيد دراز ، (مصر: ١٩٨٦م)

١١٩. *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري*. محمد أبوموسى (دار الفكر العربي: بلا.ت).

١٢٠. *البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري*. د. عفت الشرقاوي (بيروت: ١٩٨١).

١٢١. *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني* . السامرائي : فاضل صالح ، (عمان: ١٩٩٩م)

١٢٢. *البلاغة الواضحة* . علي الجارم، وآخر، (دارالمعارف: ١٩٦٤م).

١٢٣. *البلاغة الواضحة* . علي الجارم ومصطفى أمين. (دار المعارف مصر: ١٩٦٩م).

١٢٤. *البلاغة تطور وتاريخ*. شوقي ضيف، (دارالمعارف: ١٩٦٥م).

١٢٥. *البلاغة عن السكاكي*. مطلوب، أحمد. الطبعة الاولى (بغداد: ١٩٦٤م)

١٢٦. *البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري* . رابحدوب ، (القاهرة: ١٩٩٧م)

١٢٧. *البلاغة فنونها وأفنانها* . فضل حسن عباس ، (عمان: ١٩٨٥م)

١٢٨. *البلاغة والتحليل الادبي*. د. أحمد أبو حاقة (بيروت: ١٩٨٨).

١٢٩. *البلاغة*. المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد. تحقيق د. رمضان عبد التواب (القاهرة: ١٩٦٥).

١٣٠. *بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو*. د. نجاة الكوفي (النهضة العربية).

١٣١. *بيان إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)*. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ). تحقيق محمد خلف الله، د. زغلول سلام. (دار المعارف مصر: لا. ت).

١٣٢. *البيان القرآني*. البيومي، محمد رجب (دار النصر للطباعة: ١٣٩١هـ ١٩٧١م).

١٣٣. *البيان بالقرآن* . مصطفى كمال المهدي ، (ليبيا: ١٩٩٠م)
١٣٤. *البيان فى اعجاز القرآن* . الخالدي : صلاح عبد الفتاح ، (عمان: ١٩٩٢م)
١٣٥. *البيان فى إعجاز القرآن*. الديب، على محمد السباعى (مطبعة محمد على صبيح: ١٩٨٠هـ ١٩٦٠م).
١٣٦. *البيان فى تفسير القرآن*. الخوئى، السيد أبو القاسم الموسوي. (بيروت: ١٣٩٤هـ).
١٣٧. *البيان فى روائع القرآن* . تمّام حسّان ، (القاهرة: ١٩٩٢م)
١٣٨. *البيان فى ضوء أساليب القرآن* . عبد الفتاح لاشين ، (القاهرة: ١٩٩٢م)
١٣٩. *البيان فى مباحث من علوم القرآن*. غزلان، عبد الوهاب عبد المجيد (مطبعة دار التأليف: ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م).
١٤٠. *البيان والتبيين*. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨١٨هـ). تحقيق عبد السلام محمد هارون (مصر: ١٩٦٠).
١٤١. *تأثير الفكر الدينى فى البلاغة العربية* . السامرائى، مهدي، (دمشق: ١٩٧٧م).
١٤٢. *تاج العروس من جواهر القاموس (تفصيل وشرح للقاموس المحيط)* . الزبيدي، مرتضى الحسينى (المطبعة الخيرية بمصر: ١٣٠٧هـ).
١٤٣. *تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها* . أحمد مصطفى المراغى. (القاهرة: ١٩٥٠).
١٤٤. *تأويل مشكل القرآن*. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ.(بيروت: بلا. ت).
١٤٥. *التبيان فى اعراب القرآن* . العكبري : أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، (بيروت: ١٩٨٧م)
١٤٦. *التبيان فى اقسام القرآن الكريم* . ابن قيم الجوزية ، (بيروت: ١٤٠٢هـ)
١٤٧. *التبيان فى تفسير القرآن*. الطوسى، الشيخ جعفر بن محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) (دار إحياء التراث العربى: بلا. ت).
١٤٨. *التبيان فى تفسير غريب القرآن* . أحمد بن محمد الهائم ، (القاهرة: ١٤١٣هـ)
١٤٩. *التبيان فى علم البيان المطلع على إعجاز القرآن*. ابن الزملكانى، أبو محمدزكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن عبد الكريم، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثى (بغداد: ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م).
١٥٠. *التبيان فى علوم القرآن* . الصابونى : محمد على ، (بيروت: ١٩٧٠م)
١٥١. *تجريد البنانى على مختصر سعد الدين*. مصطفى إبن محمد البنانى (مطبعة السعادة بمصر: ١٣٣٠هـ).
١٥٢. *تحبير التيسير فى قراءات الائمة العشرة* . الجزري : محمد بن محمد ، (بيروت: ١٩٨٣م)
١٥٣. *التحبير فى علم التفسير* . السيوطى ، (بيروت: ١٩٩٦م)
١٥٤. *التحبير فى علم التفسير* . عبد الله شحاته ، (القاهرة: ١٩٩٦م)
١٥٥. *تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*. إبن أبى الاصبع المصري. تحقيق د. حفنى محمد شرف (القاهرة: ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م).
١٥٦. *تحفة الاريب بما فى القرآن من الغريب* . أبو حيان الاندلسى ، (بغداد:) ١٩٧٧
١٥٧. *الترادف فى القرآن الكريم* . محمد نور الدين المنجد ، (بيروت: ١٩٩٧م)

١٥٨. *الترادف في اللغة* . حاكم مالك العيبي ، (بغداد: ١٩٨٠م)
١٥٩. *التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عن عبد القاهر*. عبد الفتاح لاشين، (الرياض: ١٩٨٠م).
١٦٠. *ترتيب القاموس المحيط للفيروز آبادي*. الزاوي، الطاهر أحمد (دار المعرفة بيروت: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).
١٦١. *التركيب النحوي وشواهده القرآنية* . محمد أبو الفتوح الشريف ، (القاهرة: ١٩٩٣م)
١٦٢. *تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد*. أبو مالك. تحقيق محمد كامل بركات (مصر: ١٩٦٧).
١٦٣. *التسهيل لعلوم التنزيل* . ابن جزي الغرناطي : محمد بن أحمد ، (بيروت: ١٩٩٥م)
١٦٤. *تسهيل لعلوم التنزيل*. الكلبي، محمد بن أحمد (مصر: ١٣٥٥هـ).
١٦٥. *التصوير الساخر في القرآن الكريم* . عبد الحليم حفني ، (مصر: ١٩٩٢م)
١٦٦. *التصوير الفني في القرآن* . سيد قطب ، (القاهرة: بلا.ت)
١٦٧. *التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن* . عودة خليل ابو عودة ، (الاردن: ١٩٨٥م)
١٦٨. *التطور النحوي للغة العربية*. برحشتراب (القاهرة: ١٩٢٩).
١٦٩. *تطور تفسير القرآن* . محسن عبد الحميد ، (بغداد: بلا.ت)
١٧٠. *تطور دراسات اعجاز القرآن* . عمر الملة حويش ، (بغداد: ١٩٧٢م)
١٧١. *التعابير القرآنية والبيئة العربية* . ابتسام مرهون الصفار ، (النجف: ١٩٧٢م)
١٧٢. *التعبير الفني في القرآن الكريم*. د. بكري شيخ أمين (دار الشروق:بلا.ت).
١٧٣. *التعبير الفني في القرآن الكريم*. د. بكري شيخ امين.
١٧٤. *التعبير القرآني*. السامرائي : فاضل صالح ، (بغداد: ١٩٦٧م)
١٧٥. *التعبير في القرآن الكريم* . محمد سالم محمد ، (القاهرة: ١٩٨٧م)
١٧٦. *التعريفات* . السيد الشريف، علي بن محمد بن علي الجرجاني (بيروت: ١٩٨٥م).
١٧٧. *تفسير آيات الاحكام* . الحصري : أحمد محمد ، (بيروت: ١٩٩١م)
١٧٨. *تفسير آيات الاحكام* . السايس : محمد علي ، (بيروت: ١٩٩٣م)
١٧٩. *تفسير آيات الاحكام* . الصابوني : محمد علي ، (حلب: ١٩٩٣م)
١٨٠. *تفسير ابن جزي* . محمد بن أحمد ، (بيروت: ١٩٨٣م)
١٨١. *تفسير ابن عباس المسمى تنوير المقباس*. (طهران: لا. ت).
١٨٢. *تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. أبو السعود، بن محمد بن محمد العماري (مطبعة محمد علي صبيح).
١٨٣. *تفسير البحر المحيط*. أبو حيان، محمد بن يوسف (٧٥٤هـ) (بيروت: ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).
١٨٤. *تفسير البرهان*. البحراني: السيد هاشم (النجف: بلا. ت).
١٨٥. *تفسير البشائر وتنوير البصائر* . علي الشربجي ، (دمشق: ١٩٩٧م)
١٨٦. *تفسير البصائر* . الجويباري : يعسوب الدين رستگار ، (قم: بلا.ت)
١٨٧. *تفسير البلاغي الميسر* . عبد القادر حسين ، (القاهرة: ٢٠٠١م)

١٨٨. *التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم* . المطعنى : عبد العظيم ابراهيم . (القاهرة: ١٩٩٩م)
١٨٩. *التفسير البنائى للقرآن الكريم* . البستانى : محمود . (مشهد: ١٤٢٢ﻫ)
١٩٠. *التفسير البيانى للقرآن الكريم* . بنت الشاطئ : عائشة عبد الرحمن . (القاهرة: بلا.ت)
١٩١. *تفسير البيضاوي* . عبد الله بن عمر (بيروت: ١٩٩٦م)
١٩٢. *تفسير التحرير والتنوير*. ابن عاشور، محمدالطاهر (البابى الحلبى: ١٩٦٥م).
١٩٣. *تفسير الخازن* . (لباب التأويل فى معانى التنزيل)، على بن محمد بن ابراهيم البغدادي . (بيروت: ١٩٩٥م)
١٩٤. *تفسير السمعانى* . ابو المظفر . (المدينة المنورة: ١٩٩٢م)
١٩٥. *التفسير الشامل للقرآن الكريم* . أمير عبد العزيز . (القاهرة: ٢٠٠٠م)
١٩٦. *تفسير الشهرستانى* . محمد بن عبد الكريم . (طهران: ١٩٩٧م)
١٩٧. *التفسير الصحيح* . حكمت بن بشير بن ياسين . (المدينة: ١٩٩٩م)
١٩٨. *تفسير الصراط المستقيم* . البروجردي : حسين . (قم: ١٩٩٥م)
١٩٩. *تفسير الضحاك* . ابن مزاحم البلخى الهلالى . (القاهرة: ١٩٩٩م)
٢٠٠. *تفسير الطبري* . (جامع البيان) محمد بن جرير . (بيروت: ١٩٩٢م)
٢٠١. *التفسير العصري* . عثمان محمد عبد السلام عمر . (القاهرة: ١٩٩٧م)
٢٠٢. *تفسير غريب الحديث* . ابن حجر العسقلانى،(مصر:بلا.ت)
٢٠٣. *تفسير غريب القرآن* .الدينوري ،ابن قتيبة،(مصر:)١٩٥٨
٢٠٤. *تفسير غريب القرآن العظيم* . الرازي: زين الدين محمد بن أبىبكر . (انقره:) ١٩٩٧
٢٠٥. *تفسير الفخر الرازي* . (مفاتيح الغيب) الرازي: فخر الدين بن ضياء الدين محمد بن عمر . (بيروت: ١٩٩٣م)
٢٠٦. *التفسير الفريد للقرآن المجيد* . محمد عبد المنعم الجمال . (دار الكتاب الجديد)
٢٠٧. *تفسير القاسمى المسمى: محاسن التأويل* . القاسمى: محمد جمال الدين. (بيروت: ١٣٩٨ﻫ١٩٧٨م).
٢٠٨. *تفسير القرآن الحكيم* . محمد رشيد رضا . (بيروت: ١٩٩٣م)
٢٠٩. *تفسير القرآن العزيز*. عبد الرزاق بن همام الصنعانى . (بيروت: ١٩٩١م)
٢١٠. *تفسير القرآن العزيز*. محمد بن عبد الله بن أبى زمنين . (القاهرة: ٢٠٠٢م)
٢١١. *تفسير القرآن العظيم*. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشى (ت ٧٧٤ ﻫ)، (دار المعرفة بيروت: ١٤٠٢ﻫ ١٩٨٢م).
٢١٢. *تفسير القرآن الكريم* . محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي . (بيروت: ١٩٩٨م)
٢١٣. *تفسير القرآن الكريم البحر العلوم* . نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي . (بغداد: ١٩٨٥م)
٢١٤. *تفسير القرآن الكريم السراج المنير* . محمد الشربينى . (بيروت: بلا.ت)
٢١٥. *تفسير القرآن الكريم واعرابه وبيانه* . محمد على الدرّة . (دمشق: ١٩٨٢م)
٢١٦. *تفسير القرآن اللغوي* . مصطفى النقاتى . (بغداد: ١٩٦٨م)
٢١٧. *تفسير القرآن المرتب* . اسعد أحمد على . (دمشق: ١٩٩٦م)

٢١٨. *تفسير القرآن كشف الحقائق عن نكت الا يات* . محمد كريم العلوي الموسوي ، (طهران: بلا.ت)
٢١٩. *تفسير الكبير*. الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري الطبرستاني (ت ٦٠٦ﻫ) ط ؟.
٢٢٠. *التفسير المبين* . محمد جواد مغنية ، (قم: ١٤٢٣ﻫ)
٢٢١. *تفسير المراغي*. المراغي، أحمد مصطفى. (دار احياء التراث العربي بيروت: ١٩٨٥م).
٢٢٢. *تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم* . مكي بن أبي‌طالب، (الاردت: ١٩٨٥م)
٢٢٣. *تفسير المنار*. محمد رشيد رضا، (طبع مصر دار المنار: ١٣٧٣ﻫ)، اعيد طبعه في دار المعرفة بيروت.
٢٢٤. *التفسير المنير*. وهبة الزحيلي ، (بيروت: ١٩٩١م)
٢٢٥. *تفسير الميزان*. الطباطبائي: السيد محمد حسين (بيروت: ١٩٩٤ﻫ).
٢٢٦. *تفسير النسائي*. أحمد بن شعيب بن علي ، (بيروت: ١٩٩٠م)
٢٢٧. *تفسير النسفي (مدارک التنزيل وحقائق التأويل)* . النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت ٧٠١ﻫ) (مصر: بلا.ت).
٢٢٨. *تفسير النهر الماد من البحر*. أبو حيان، محمد بن يوسف، بهامش البحر المحيط.
٢٢٩. *التفسير الواضح* . محمد محمود حجازي ، (القاهرة: ١٩٩٢م)
٢٣٠. *التفسير الوسيط* . وهبة الزحيلي ، (بيروت: ٢٠٠٠م)
٢٣١. *تفسير روح البيان*. حقي، إسماعيل (طبع مصر عثمانية: ١٣٣٠ ﻫ).
٢٣٢. *تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان* . النيسابوري : الحسن بن محمد ، (انقره: ١٩٩٧م)
٢٣٣. *تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. نظام الدين حسن بن محمد القمي النيسابوري، (ت ٧٢٨ ﻫ)، دار الكتب العلمية.
٢٣٤. *تفسير غريب القرآن العظيم* . الرازي : محمد بن ابي‌بكر ،
٢٣٥. *تفسير غريب القرآن الكريم* . الطريحي : فخر الدين ، (قم: بلا.ت)
٢٣٦. *تفسير غريب القرآن*. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. تحقيق أحمد صقر (بيروت: ١٩٧٨).
٢٣٧. *تفسير مبهمات القرآن* . البلنسي ، محمد بن علي ، (بيروت: ١٩٩١م)
٢٣٨. *تفسير مشكل القرآن* . راشد عبد الله الفرحان ، (ليبيا: ١٩٨٤م)
٢٣٩. *تفسير مقتنيات الدرر* . علي الحائري الطهراني ، (طهران: ١٣٣٧هـش)
٢٤٠. *التفسير والمفسرون* . الذهبي، محمد حسين. (القاهرة: ١٩٦١م).
٢٤١. *التفسير القرآني للقرآن*. عبد الكريم الخطيب (القاهرة: ١٩٧٠م).
٢٤٢. *تفصيل آيات القرآن الحكيم (ويليه المستدرک لادوار مونيته)*. لابوم، جول. نقلها الى العربية محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار الكتاب العربي: ١٩٦٩م).
٢٤٣. *التفكير البلاغي عند الرب: «أسسه وتطوره الى القرن السادس»*. حمادي صمود، (تونس: ١٩٨١م).
٢٤٤. *التقديم و التأخير في القرآن الكريم* . العامري: حميد احمد عيسى
٢٤٥. *تكملة الصلة لابن بشكوال*. ابن الابار، محمد عبد الله، (ت ٦٥٨ﻫ/١٢٥٩م) (القاهرة: ١٩٥٥م).

٢٤٦. *تلخيص البيان في مجازات القرآن*. الرضي، أبو الحسن محمد بن حسين (طهران: ١٤٠٧هـ).

٢٤٧. *تلخيص الخطابة* . ابن رشد، تحقيق عبد الرحمن بدوي (مصر: ١٩٦٠م).

٢٤٨. *التلخيص في علوم البلاغة للقزويني*. شرح عبد الرحمن البرقوقي (بيروت: ١٩٠٤م).

٢٤٩. *التمثيل والمحاضرة* . الثعالبي، أبو منصور، تحقيق عبد الفتاح الحلو، (القاهرة: ١٩٦١م).

٢٥٠. *التمهيد في علوم القرآن*. معرفة، محمد هادي (قم: ١٣٩٦هـ).

٢٥١. *توضيح المطول*. السيد يوسف الحسيني التبريزي (قم: بلا. ت).

٢٥٢. *تهذيب اللغة* . الازهري ،ابو منصور (القاهرة :)١٩٦٧-١٩٦٤

٢٥٣. *ثلاث رسائل في اعجاز القرآن*. الرماني والخطابي وعبد القادر الجرجاني. تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام. (القاهرة: .) ١٩٧٦

٢٥٤. *ثلاث كتب في الاضداد* . الاصمعي، (بيروت: بلا.ت).

٢٥٥. *جامع أحاديث الشيعة* . البروجردي، السيد الحاج الاغا حسين (قم: ١٣٩٩هـ).

٢٥٦. *جامع البيان في تفسير القرآن*. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، (دار المعرفة بيروت: ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٢٥٧. *جامع الجوامع* . الطبرسي : الفضل بن الحسن، (ايران: ١٣٣١هـ)

٢٥٨. *الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير*. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م). (دار الفكر بيروت: ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

٢٥٩. *الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور*. ابن الاثير، ضياء الدين الجزري (ت٦٣٧هـ /١٢٣٩م). تحقيق مصطفى جواد. جميل سعيد (بغداد: ١٩٥٦).

٢٦٠. *الجامع لاحكام القرآن*. (تفسير القرطبي). القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد بن العليم البردوني (القاهرة: ١٣٥٣هـ).

٢٦١. *الجمان في تشبيهات القرآن*. ابن ناقيا، ابو القاسم عبد الله ابن محمد البغدادي

٢٦٢. *جمهرة أشعار العرب*. القرشي، أبو زيد، (بيروت: ١٩٧٨م).

٢٦٣. *جمهرة الامثال*. العسكري، أبو هلال (القاهرة: ١٩٦٤م).

٢٦٤. *جمهرة اللغة*. ابن دريد، (بيروت: ١٩٢٥م).

٢٦٥. *جواهر الالفاظ* . قدامة بن جعفر، (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: ١٣٩٩هـ).

٢٦٦. *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. الهاشمي، أحمد (ت ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، (مطبعة الاعتماد بمصر: بلا. ت).

٢٦٧. *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*. الجوهري، طنطاوي. (مصر: ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م) ط ؟.

٢٦٨. *جوهرالكنز*. ابن الاثيرالحلبي، نجم الدين أحمدبن اسماعيل (ت ٧٣٧هـ) تحقيق د.محمد زغلول سلام، (الاسكندرية: لا.ت).

٢٦٩. ***حاشية الدسوقي على مختصر السعد على تلخيص المفتاح***. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة (ت ١٢٣٠هـ) بهامش شروح التلخيص (القاهرة: ١٣١٧هـ).
٢٧٠. ***حاشية السيالكوتي على المطول***. السيالكوتي، عبد الحكيم. (الشركة الصحافية العثمانية استانبول: ١٣١١هـ).
٢٧١. ***حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي***، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي. (دار بيروت صادر: بلا. ت).
٢٧٢. ***حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي***. شيخ زاده، محي الدين (المكتبة الاسلامية. ديار بكر. تركيا: بلا. ت).
٢٧٣. ***حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين***. (بيروت. دار إحياء التراث العربي: بلا. ت).
٢٧٤. ***حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي***. الخطيب الكازروني، أبي الفضل القرشي الصديقي (بيروت، مؤسسة شعبان: بلا. ت).
٢٧٥. ***حاشية المطول***. الكلبي، حسن (قم: بلا. ت).
٢٧٦. ***الحجة في القراآت السبع***. إبن خالويه، أبو عبدالله. تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم. (بيروت: ١٩٧٧م).
٢٧٧. ***حدائق السحر في دقائق الشعر***. الوطواط، رشيد الدين محمد العمري، ترجمة د. إبراهيم أمين الشورابي (القاهرة: ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م).
٢٧٨. ***حسن البيان في تفسير مفردات القرآن*** .الخاني، محيي الدين، (دمشق:)١٣٤٢
٢٧٩. ***حسن التوسل الى صناعة الترسل***. الحلبي، شهاب الدين محمود (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م). تحقيق د. اكرم عثمان يوسف (بغداد: ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م).
٢٨٠. ***حقائق التأويل في متشابه التنزيل***. الرضي، السيد الشريف (طهران: ١٤٠٦هـ).
٢٨١. ***حلية المحاضرة في صناعة الشعر والادب والاخبار***. الحاتمي، أبو علي محمد بن الحسن المظفر (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) تحقيق د. جعفر الكتاني. (بغداد: ١٩٧٨م).
٢٨٢. ***الحماسة البصرية***. البصري (بيروت: بلا. ت).
٢٨٣. ***الحماسة*** . البحتري، أبو عبادة، (بيروت: ١٩٦٧م).
٢٨٤. ***الحور العين***. الحميدي، أبو سعيد بن نشوان، تحقيق كمال مصطفى (القاهرة: ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م).
٢٨٥. ***الحيوان***. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨١٨م)، تحقيق عبد السلام محمد هارون. (القاهرة: ١٣٥٦هـ ١٩٣٨م).
٢٨٦. ***خزانة الادب وغاية الارب*** . ابن حجة الحموي، أبوبكر محمد بن علي (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م)، (مصر، بولاق بالقاهرة: ١٨٧٤م).
٢٨٧. ***خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب***. البغدادي، عبد القادر (ت ١٠٩٣هـ/١٧١٣م) (القاهرة: ١٩٧٧م).
٢٨٨. ***خصائص التراكيب «دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني»***. محمد أبو موسى (القاهرة: ١٩٨٠م).
٢٨٩. ***الخصائص*** . ابن جني، ابو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: ١٣٧١هـ ١٩٥٢م).

٢٩٠. *الخطابة (الشفاء المنطق)*. ابن سينا تحقيق د. محمد سليم سالم. (القاهرة: ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م).

٢٩١. *خطوات التفسير البياني*. البيومي، محمد رجب (مطابع الشركة المصرية: ١٣٩١هـ ١٩٧١م).

٢٩٢. *خطوات التفسير البياني*. البيومي: محمد رجب، (القاهرة: ١٩٧١م)

٢٩٣. *الدر اللقيط من البحر المحيط*. تاج الدين الحنفي النحوي (ت ٧٤٩هـ) تلميذ ابن حيان. بهامش البحر المحيط.

٢٩٤. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، (بيروت، نشر محمد أمين: بلا. ت).

٢٩٥. *دراسات أصولية في القرآن الكريم*. الحفناوي : محمد ابراهيم ، (القاهرة: ١٩٩٩م)

٢٩٦. *الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري*. فاضل السامرائي: (دار النذير: ١٩٧٠م)

٢٩٧. *دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر*. عبد الهادي العدل (دار الفكر: بلا.ت).

٢٩٨. *دراسات في الاعجاز البياني*. محمد بركات حمدي ، (عمان: ٢٠٠٠م)

٢٩٩. *دراسات في القرآن*. السيد احمد خليل، (القاهرة: ١٩٧٢م)

٣٠٠. *دراسات لاسلوب القرآن الكريم*. محمد عبد الخالق عظيمة (القاهرة: ١٩٧٢م).

٣٠١. *درة التنزيل وغرة التأويل*. الخطيب الاسكافي، محمد بن عبدالله (مطبعة السعادة: ١٩٠٨م) ط ؟.

٣٠٢. *درة الغواص في أهوام الخواص*. الحريري، القاسم بن علي (ت بعد ٥١٦ هـ/ بعد ١١٣٦م) (بغداد: ١٩١٧م).

٣٠٣. *دروس في البلاغة العربية وتطورها*. د. جميل سعيد (مطبعة المعارف: بغداد).

٣٠٤. *دفاع عن البلاغة*. الزيات، احمد حسن. (القاهرة: بلا. ت).

٣٠٥. *دلائل الاعجاز*. الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ/١٠٧٨م)، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت. (أعيد طبعه في قم: ١٤٠٤هـ).

٣٠٦. *دلائل الالفاظ*. ابراهيم انيس، (مكتبة الانجلو الثالثة، ١٩٨٦م)

٣٠٧. *دلالات التراكيب*. محمد أبو موسى، (القاهرة: ١٩٧٩م).

٣٠٨. *دلالة الالفاظ العربية وتطورها*. مراد كامل. (مطبعة نهضة مصر: ١٩٦٣).

٣٠٩. *دلالة الالفاظ*. د. ابراهيم انيس. (مكتبة الانجلو المصرية).

٣١٠. *ديوان ابن الرومي*. تحقيق حسين نصار، (القاهرة: بلا.ت)

٣١١. *ديوان ابن سناء الملك*. هبة الله (ت ٦٠٧هـ / ١٢١١م) (دار المعارف العثمانية: ١٩٥٨م).

٣١٢. *ديوان أبي الاسود الدؤلي*. تحقيق محمّد محمّد حسن آل ياسين، (بغداد:) ١٩٦٥

٣١٣. *ديوان أبي العتاهية*. تحقيق شكري فيصل، (دمشق: ١٩٧٨م)

٣١٤. *ديوان أبي نواس*. (بيروت: ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م).

٣١٥. *ديوان أعشى همدان*. (الرياض: ١٤٠٣هـ)

٣١٦. *ديوان الادب*. الفارابي، إبراهيم، تحقيق أحمد مختار عمر، (القاهرة: ١٩٧٥م).

٣١٧. *ديوان الاعشى الكبير*. ميمون بن قيس، (دار الكتاب اللبناني: ١٩٨٥م)

٣١٨. ***ديوان الافوه الاودي***. تحقيق: عبد العزيز الميمني، (بيروت: بلا.ت).

٣١٩. ***ديوان البحتري***. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: ١٩٦٣م).

٣٢٠. ***ديوان البستي***. البستي، على أبو الفتح (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م) (بيروت: ١٩١٦م).

٣٢١. ***ديوان الحارث بن حلزة اليشكري*** . (بغداد: ١٩٦٩م)

٣٢٢. ***ديوان الحلى***. صفي الدين (ت ٧٥٠هـ/١٣٥٠م) (دمشق، ١٢٩٧م).

٣٢٣. ***ديوان الخنساء*** . تحقيق وشرح كرم بستاني، (بيروت: مكتبة صادر ١٩٥١م).

٣٢٤. ***ديوان الراعي النميري***. (بيروت: ١٩٨١م).

٣٢٥. ***ديوان السري الرفاء***. (القاهرة: ١٩٣٥م).

٣٢٦. ***ديوان الشريف الرضي***. (بيروت: ١٣٨٠هـ).

٣٢٧. ***ديوان العباس بن الاحنف***. (بيروت: ١٩٧٨م).

٣٢٨. ***ديوان الفرزدق***. (بيروت: ١٩٨٠م).

٣٢٩. ***ديوان المتنبي***. شرح أبي البقاء العكبري. (دار المعرفة بيروت: ١٩٧٨م).

٣٣٠. ***ديوان المعاني***. أبو هلال العسكري، (بغداد: ١٩٣٢م).

٣٣١. ***ديوان النابغة الذبياني***. (بيروت: ١٩٨٢م).

٣٣٢. ***ديوان الهذليين*** . (المدينة المنورة: ١٩٦٥م).

٣٣٣. ***ديوان امرئ القيس*** . شرح حسن السندوبي، (القاهرة: بلا.ت)

٣٣٤. ***ديوان أمية بن أبي الصلت*** . (بيروت: ١٩٣٤م) (دمشق: ١٩٧٧م)

٣٣٥. ***ديوان امير المؤمنين الامام على بن أبي طالب وسيد البلغاء والمتكلمين***. (المكتبة الشعبية).

٣٣٦. ***ديوان أوس بن حجر***. (بيروت: ١٩٧٩م).

٣٣٧. ***ديوان بشر بن أبيّ خازم*** . (بيروت: ١٤١٦هـ)

٣٣٨. ***ديوان جرير*** . (بيروت:) ١٩?٠

٣٣٩. ***ديوان حسان بن ثابت***. (دارصادر، بيروت: بلا.ت).

٣٤٠. ***ديوان دُريد بن الصِّمة*** . تحقيق: محمد خير البقاعي، (دمشق: ١٤٠١هـ)

٣٤١. ***ديوان ذي الرمة «غيلان بن عقبة»***. شرح: أبي نصر الباهلي، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، (بيروت: ١٩٨٢م).

٣٤٢. ***ديوان رؤية بن العجاج «مجموع أشعار العرب»***. (بيروت: ١٩٨٠م).

٣٤٣. ***ديوان زهير بن أبي سلمى*** . (بيروت: ١٩٧٠م)

٣٤٤. ***ديوان زيد الخيل الطائي***. (النجف الاشرف: ١٩٦٨م)

٣٤٥. ***ديوان سبط ابن التعاويذي***. (بيروت: ١٩٠٣م).

٣٤٦. ***ديوان عامر بن الطفيل*** . (بيروت: ١٩٦٣م).

٣٤٧. ***ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات*** . تحقيق: محمد يوسف نجم، (بيروت: ١٩٨٦م).

٣٤٨. *ديوان عمر بن أبي ربيعة*. شرح: فايز محمد، (بيروت: ١٩٩٢).
٣٤٩. *ديوان كُثَيِّر عَزَّة*. تحقيق: أحسان عباس، (بيروت: ١٩٧١م).
٣٥٠. *ديوان كعب بن زهير*. (القاهرة: ١٩٥٠م)
٣٥١. *ربيع الابرار ونصوص الاخيار*. الزمخشري ،محمد بن عمر
٣٥٢. *رغبة الامل من كتاب الكامل*. المرصفي، سعيد بن علي، (اعيد طبعه بطهران: ١٩٧٠م).
٣٥٣. *روائع البيان، تفسير آيات الاحكام*. الصابوني، محمد علي، (بيروت: ١٤٠١هـ ١٩٨٣م) ط ؟.
٣٥٤. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. الالوسي، شهاب الدين محمود (ت ١٢٧٠هـ)، (مصر المطبعة المنيرية: بلا. ت).
٣٥٥. *زهر الاداب وثمر الالباب*. الحصري، أبو اسحق ابراهيم بن علي القيرواني. (ت ٤٥٣هـ). تحقيق د. زكي مبارك (القاهرة: ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م).
٣٥٦. *سحر البلاغة*. الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ) طبع بدمشق.
٣٥٧. *سر الفصاحة*. الخفاجي، الامير أبو عبد الله بن محمد بن سنان (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م). تصحيح عبد المتعال الصعيدي (طبع بمصر: ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م).
٣٥٨. *شرح أشعار الهذليين*. صنعه: السكري ، (القاهرة: ١٣٨٤هـ)
٣٥٩. *شرح الاصول الخمسة*. القاضي عبد الجبار أسد آبادي (ت ٤١٥هـ). تحقيق: د. عبد الكريم عثمان (القاهرة: ١٩٧٠).
٣٦٠. *شرح الرضي على الكافية*. رضي الدين الاسترابادي، تحقيق محمد نور الحسن (بيروت: ١٩٧٥م).
٣٦١. *شرح ديوان الحماسة*. التبريزي ، (القاهرة: ١٣٥٧هـ)
٣٦٢. *شرح ديوان الحماسة*. المرزوقي، احمد بن محمد بن الحسن. تحقيق: احمد امين وعبد السلام هـارون. (القاهرة: ١٩٧١هـ ١٩٥١م).
٣٦٣. *شرح مقامات الحريري*. الشريشي ،
٣٦٤. *شرح نهج البلاغة*. الشيخ محمدعبده، (دار المعرفة: بلا. ت).
٣٦٥. *شرح نهج البلاغة*. ابن أبي الحديد، عبد الحميد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ) (دار احياء الكتب العربية: ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م).
٣٦٦. *شرح نهج البلاغة*. البحراني، ابن ميثم (ت ٦٧٩هـ) (دار العالم الاسلامي بيروت: ١٩٨١م).
٣٦٧. *شروح التلخيص للقزويني*. وفيع عروس الافراح لبهاء الدين السبكي، ومواهب الفتاح لابـن يـعقوب المغربي، والايضاح للقزويني، وحاشية الدسوقي، والمختصر على شرح التلخيص للتفتازاني.
٣٦٨. *شعر الطبيعة في الادب العربي*. سيد نوفل (مصر ١٩٤٥م).
٣٦٩. *الشعر والتجديد*. الخفاجي، محمد عبد المنعم، (القاهرة: بعد ١٩٥٠م).
٣٧٠. *الصاحبي في فقه اللغة*. ابن فارس ،أحمد (القاهرة: ١٩٧٧م)

٣٧١. *صبح الاعشى فى صناعة الانشا*. القلقشندي، ابو العباس أحمد بن على (دار الكتب المصرية القاهرة: بلا. ت).
٣٧٢. *الصحاح .(تاج اللغة وصحاح العربية)*. الجوهري، اسماعيل، (بيروت: ١٤٠٢هـ)
٣٧٣. *صفوة البيان لمعانى القرآن*. حسنين محمد مخلوف، (القاهرة: ١٩٥٦م)
٣٧٤. *الصناعتين: الكتابة والشعر*. (انظر: كتاب الصناعتين)
٣٧٥. *صور من تطور البيان العربى الى أوائل القرن الثامن الهجري*. د. كامل امام الخولي.
٣٧٦. *الضمائر فى اللغة العربية*. سلومة، جبر (دار المعارف: ١٩٨٠).
٣٧٧. *طبقات فحول الشعراء*. الجمحي، محمد بن سلام. تحقيق محمود محمد شاكر، (ط ؟ القاهرة: ١٩٧٤م).
٣٧٨. *الطراز «المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز»*. العلوي اليمنى، يحيى بن حمزة بن على بن ابراهيم (ت ٧٤٥هـ)، (بيروت: ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م).
٣٧٩. *عبد القاهر الجرجانى بلاغته ونقده*. مطلوب، أحمد (بيروت: ١٩٧٣).
٣٨٠. *عبد القاهر الجرجانى وجهوده فى البلاغة العربية*. بدوي، أحمد (مكتبة مصر القاهرة).
٣٨١. *عروس الافراح فى شرح تلخيص المفتاح*. السبكي، بهاءالدين أحمد بن على (ت ٧٧٣هـ) (المطبعة الاميرية بالقاهرة: ١٣١٧هـ).
٣٨٢. *العقد الفريد*. ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري. (القاهرة: ١٣٨٤هـ ١٩٦٥).
٣٨٣. *علم أساليب البيان*. يموت، غازي (دار الاصالة بيروت: ١٩٨٣م).
٣٨٤. *علم البيان*. عتيق، عبد العزيز (بيروت: ١٩٧٤م).
٣٨٥. *علم البيان*. البكري، أمين (دار العلم للملايين بيروت: ١٩٨٢م).
٣٨٦. *علم البيان*. طبانة، بدوي (بيروت: ١٩٨١م).
٣٨٧. *علم المعانى*. عتيق، عبد العزيز (بيروت: ١٩٧١).
٣٨٨. *علوم البلاغة*. المراغى، أحمد مصطفى (بيروت: بلا. ت).
٣٨٩. *عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الالفاظ*. السمين الحلبى، تحقيق: محمد التونجي، (بيروت: .)١٩٩٣
٣٩٠. *العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده*. ابن رشيق القيرواني: أبو على الحسن (ت ٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي‌الدين عبد الحميد (بيروت: ١٤٠١هـ ١٩٨١م) ط. ن.
٣٩١. *عنوان البيان فى علوم التبيان*. العدوي، محمد حسنين مخلوف (مطبعة المعاهد بمصر: ١٣٤٤هـ).
٣٩٢. *عيار الشعر*. ابن طباطبا العلوي: محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق د. طه الحاجري ود. محمد غلول سلام (القاهرة: ١٩٥٦م).
٣٩٣. *العين*. الفراهيدي، عبد الرحمن بن أحمد (ت ١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومى د. إبراهيم السامرائي، (أوفست قم).
٣٩٤. *عيون الاخبار*. إبن قتيبة. (دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٥م).

٣٩٥. *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمى (ت ٧٢٨هـ) تـحقيق إبراهيم عطوة عوض، (القاهرة: ١٩٢٥م).

٣٩٦. غريب *الحديث*. إبن سلام الهروي، أبى عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ) بيروت منشورات دار الكتاب العربى مصور عما طبع فى حيدر آباد الدكن (١٣٩٩هـ).

٣٩٧. غريب *القرآن وتفسيره* . ابن اليزيدي ، أبو عبد الرحمن عبد الله ، (بيروت: ١٩٨٥م)

٣٩٨. *الفاصلة القرآنية* . عبد الفتاح لاشين (القاهرة: بلا.ت)

٣٩٩. *الفصل والوصل فى القرآن الكريم* . منير سلطان ، (دار المعارف: ١٩٨٢م)

٤٠٠. *فقه اللغات السامية* . كارل بروكلمان (الرياض: ١٣٩٧هـ)

٤٠١. *فكرة النظم بين وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم* . فتحى أحمد عامر ، (القاهرة: ١٩٧٥م)

٤٠٢. *فلسفة البلاغة*. ضومط، جبر (المطبعة العثمانية، بعبدا لبنان: ١٩٩٨م)

٤٠٣. *فلسفة اللغة العربية وتطورها*. ضومط، جبر (مصر: ١٩٢٩م).

٤٠٤. فن *الادب* . الحكيم، توفيق (القاهرة: ١٩٥٢م).

٤٠٥. فن *الشعر*. إحسان رشيد عباس (بيروت: ١٩٥٥م).

٤٠٦. فن *الشعر*. أرسطو طاليس: ترجمة عبد الرحمن بدوي (دار الثقافة بيروت: ١٩٧٣م).

٤٠٧. فن بلاغة *القرآن* . أحمد بدوي ، (مكتبة النهضة مصر)

٤٠٨. *الفن ومذاهبه فى النثر العربى*. ضيف: شوقى (بيروت: ١٩٥٦م).

٤٠٩. *فنون الافنان فى عيون علوم القرآن* . ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن على ، (بيروت: ١٩٨٧م)

٤١٠. *الفوائد (المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان)*. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٧٥١هـ) (القاهرة: ١٣٢٧هـ).

٤١١. *الفوائد فى مشكل القرآن*. عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) تحقيق د. سيد رضوان الندوي (الكويت: ١٣٨٧هـ).

٤١٢. *الفوائد فى مشكل القرآن*. العز بن عبد السلام (المطبعة العصرية بالكويت: ١٩٦٧م).

٤١٣. *فى الدراسات القرآنية واللغوية* . شبلى، عبد الفتاح إسماعيل (القاهرة: ١٩٥٧م).

٤١٤. *فى ظلال القرآن*. سيد قطب، (دار الشروق بيروت: ١٩٧٣م).

٤١٥. *قاموس الفاظ واعلام القرآن* . محمد اسماعيل ابراهيم ، (بيروت: ١٩٦١م)

٤١٦. *القاموس المحيط* . الفيروز آبادي ، (بيروت: ١٤٠٦هـ)

٤١٧. *قانون البلاغة*. إبن حيدر البغدادي، أبى طاهر محمد بن حيدر (ت ٥١٧هـ)، تحقيق محسن غياض عجيل، بيروت مؤسسة الرسالة (١٤٠١هـ ١٩٨١م).

٤١٨. *القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية*. عبد العال سالم مكرم. (مصر: ١٩٨٨).

٤١٩. *القرآن والصور البيانية*. عبد القادر حسن (بيروت: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).

٤٢٠. *القرآن وصفه، هدايته، أثره، إعجازه*. الخولى، محمد عبد العزيز (مطبعة التقوى بمصر: ١٣٥٧هـ).

٤٢١. *قراضة الذهب في نقد أشعار العرب*. ابن رشيق، أبي علي الحسن (القاهرة: ١٩٢٦م).
٤٢٢. *القزويني وشروح التلخيص*. مطلوب، أحمد (بغداد: ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م).
٤٢٣. *قضية الادب بين اللفظ والمعنى أو بين الاشكال والدلالات قديماً وحديثاً*. عنبر، أحمد محمد (القاهرة: ١٩٥٤م).
٤٢٤. *قواعد النقد الادبي*. آبر كرمبي، لاسل، نقله الى العربية محمد عوض محمد (مصر: ١٩٤٤م).
٤٢٥. *الكافي في علوم البلاغة العربية*. د. عيسى علي العاكوب. استاذ علي سعد الشتيوي (الجامعة المفتوحة، ليبيا: ١٩٩٣).
٤٢٦. *الكامل*. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦هـ)، تحقيق زكي مبارك (القاهرة: ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م).
٤٢٧. *كتاب الصناعتين*. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: ١٣٧١هـ ١٩٥٢م).
٤٢٨. *كتاب سيبوية*. سيبوية، أبو بشر عمرو، (مصر: ١٣١٦هـ) (بيروت: بلا. ت. اعيد طبعه بقم).
٤٢٩. *كشاف اصطلاحات الفنون*. محمد علي الفاروقي. تحقيق: لطفي عبد البديع (مصر: ١٩٧٧).
٤٣٠. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل*. الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٢٨ هـ).(بيروت ،١٩٩٧م)
٤٣١. *كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام*. ابن حجّة الحموي، (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) (بيروت: ١٩٣٢م).
٤٣٢. *كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب*. ضياء الدين بن الاثير، تحقيق د. نوري القيس ود. حاتم الضامن وهلال ناجي، (الموصل: ١٩٨٢م).
٤٣٣. *الكلمة في دراسة لغوية ومعجمية*. خليل، حلمي. (الهيئة للكتاب بالاسكندرية: ١٩٨٠).
٤٣٤. *الكناية والتعريض*. الثعالبي. أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ)، (طبع مصر: بلا. ت).
٤٣٥. *كنز العرفان في فقه القرآن*. السيوري، جمال الدين المقداد بن عبد الله (ت٨٢٨ هـ)، (طهران ١٣٨٤هـ).
٤٣٦. *الكواكب الدرية في الفنون الادبية*. الجسر، حسين (ت ١٨٤٥م)، (مخطوط: بلا. ت).
٤٣٧. *لباب التأويل في معاني التنزيل*. الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (القاهرة: بلا.ت)
٤٣٨. *لسان العرب*. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، (دار بيروت دار صادر: ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م).
٤٣٩. *لغة القرآن*. عبد الجليل عبد الرحيم، (عمان: ١٩٨١م)
٤٤٠. *اللغة والنحويين القديم والحديث*. عباس حسن.
٤٤١. *مباحث في علوم القرآن*. الصالح، صبحي. (دار العلم للملايين بيروت: ١٩٧٤م).
٤٤٢. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. ابن الاثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ /١٢٣٩م)، نشره محمد محي الدين عبد الحميد ابي الحلبي مصر: ١٣٥٩هـ).
٤٤٣. *مجاز القرآن*. ابن المثنى، أبو عبيد معمر (ت ٢١٠هـ)، تحقيق د. فؤاد سزجين (مطبعة السعادة: ١٣٧٤هـ).
٤٤٤. *المجازات النبوية*. الشريف الرضي. تحقيق طه محمد الزيتي، (أعيد طبعه بقم: بلا. ت).

٤٤٥. ***مجالس العلماء***. الزجاجي، أبو القاسم. تحقيق: عبد السلام محمد هارون (الكويت: ١٩٦٢).
٤٤٦. ***مجمع الامثال***. الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ) . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (القاهرة: ١٩٥٥م).
٤٤٧. ***مجمع البحرين***. الطريحى ، الشيخ فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق السيد احمد الحسينى (طهران: ١٣٦٥هـ).
٤٤٨. ***مجمع البيان فى تفسير القرآن***. الطبرسى، ابو على الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣) (بيروت: ١٣٧٩هـ).
٤٤٩. ***المجمل فى اللغة*** . ابن فارس ، (بيروت، دار الكتب العلمية).
٤٥٠. ***المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث*** . أبو موسى الاصفهانى.
٤٥١. ***المحاسن والاضداد***. الجاحظ، (بيروت: ١٩٦٩م).
٤٥٢. ***المحاسن والمساوئ***. البيهقى، إبراهيم (بيروت: ١٩٧٠م).
٤٥٣. ***محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء***. الاصفهانى، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب (بيروت: ١٩٦١م).
٤٥٤. ***محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء***. الراغب الاصبهانى، (بيروت: بلا. ت).
٤٥٥. ***المحرر الوجيز*** . ابن عطية الاندلسى ، (بيروت: ١٤١٣هـ)
٤٥٦. ***المحكم والمحيط الاعظم فى اللغة*** . ابن سيدة ، (القاهرة: ١٩٥٨م).
٤٥٧. ***مختار الصحاح***. الرازي: محمد بن أبيبكر، (بيروت: ١٩٨١م).
٤٥٨. ***مختصر المطول مع شروح التلخيص***. التفتازانى، سعد الدين.
٤٥٩. ***مدارک التنزيل وحقائق التأويل*** . النسفى ، (بيروت: بلا.ت)
٤٦٠. ***المذاهب الاسلامية فى التفسير***. جولدزيهر، تحقيق د.عبد الحليم النجار، (القاهرة: ١٣٧٤هـ)
٤٦١. ***المزهر فى علوم اللغة وأنواعها***. السيوطى، جلال الدين،(ط ؟ دار احياء الكتب العربية).
٤٦٢. ***مسائل الرازي من غرائب آية التنزيل***. الرازي، محمد بن ابىبكر بن عبد القاهر (ت ٦٦٦هـ) ، (طهران: ١٤٠٤هـ).
٤٦٣. ***مسائل بلاغية هامة***. فاضلى، محمد (مشهد: ١٣٦٥هـش).
٤٦٤. ***المستطرف فى كل فن مستظرف***. الابشيهى، محمدبن احمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) (بولاق: ١٨٦٨م).
٤٦٥. ***المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى***. القيومى، احمد بن محمد بن على المعزي (ت ٧٧٠هـ)، (اعيد طبعه بقم: ١٤٠٥).
٤٦٦. ***المصباح فى علم المعانى و البيان و البديع***. بدر الدين بن مالک الشهير بابن الناظم. تحقيق : حسين عبد الجليل يوسف (مكتبة الاداب القاهرة).
٤٦٧. ***المطول و عليه حاشية الكلبى***. التفتازانى، سعد الدين (ت ٧٩٣هـ) (طبع ايران: ١٣١٠هـ).
٤٦٨. ***معانى القرآن***. الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) (القاهرة: ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م).

٤٦٩. ***معاني القرآن***. الزجاج، ابو اسحاق بن ابراهيم (ت ٣١١هـ). تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي (بيروت: بلا.ت).

٤٧٠. ***المعاني في ضوء اساليب القرآن***. د.عبد الفتاح لاشين (دار المعارف).

٤٧١. ***معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص***. العباس عبد الرحيم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: ١٣٧٦هـ ١٩٤٧م).

٤٧٢. ***معترك الاقران في اعجاز القرآن***. السيوطي جلال الدين، تحقيق: على محمد البجاوي (القاهرة: ١٩٦٩م ١٩٧٣م).

٤٧٣. ***المعجزة الكبرى (القرآن)***. محمد أبو زهرة ، (القاهرة: ١٩٧٠م)

٤٧٤. ***معجم الادباء***. ياقوت الحموي : (القاهرة: ١٩٢٣م) .

٤٧٥. ***معجم الشعراء*** . المرزباني ، ابو عبيد الله محمد بن عمران ، (دار احياء الكتب العربية: ١٩٦٠م)

٤٧٦. ***معجم الشواهد العربية*** . عبد السلام محمد هارون ، (القاهرة: ١٩٧٢م)

٤٧٧. ***المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي الشريف***. لجماعة من المستشرقين (ليدن: ١٩٦٧م).

٤٧٨. ***معجم غريب القرآن***. عبدالباقي،محمد فؤاد (مطبعة عيسى الحلبي. الطبعة؟).

٤٧٩. ***معجم مقاييس اللغة*** . ابن فارس، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اعيد طبعه بطهران ١٤٠٤هـ

٤٨٠. ***المعرب من الكلام الاعجمي***. الجواليقي، ابومنصور موهوب بن احمد بن محمد(ت ٥٤٠هـ)، تحقيق احمد محمد شكر، (اعيد طبعه بطهران: ١٩٦٦م).

٤٨١. ***المعيار في اوزان الاشعار***. ابوبكر محمد بن عبد الملك الشنتريني الاندلسي، تحقيق الداية. (بيروت: ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م)

٤٨٢. ***مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب*** . ابن هشام الانصاري، جمال الدين بن هشام(ت ٧٦١هـ).

٤٨٣. ***مفتاح العلوم***. السكاكي، ابو يعقوب يوسف بن ابيبكر محمد بن على (ت ٦٢٦هـ)، (مصر: ١٩٣٧م).

٤٨٤. ***المفردات في غريب القرآن***. الراغب، ابو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني (بيروت دار المعرفة: بلا.ت).

٤٨٥. ***مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري***. د. احمد جمال العمري. (دار المعارف).

٤٨٦. ***المقابسات*** . ابو حيان التوحيدي، تحقيق محمد توفيق حسين، (بغداد: ١٩٧٠م).

٤٨٧. ***مقدمتان في علوم القرآن*** . ابن عطية: عبد الحق بن أبي بكر (القاهرة: ١٩٥٤م)

٤٨٨. ***مكاتيب الرسول***. الاحمدي، على بن حسين على (طبع بقم: بلا.ت).

٤٨٩. ***من بلاغة القرآن (مجموعة مقالات)*** . محمد الخضر حسين، جمعه على الرضا(دمشق: ١٣٩١هـ ١٩٧١م).

٤٩٠. ***من بلاغة القرآن***. بدوي، احمد، (مطبعة نهضة مصر ط؟: ١٩٥٢م).

٤٩١. ***من بلاغة النظم العربي***. د. عبد العزيز عبدالمعطى عرفة. (بيروت عالم الكتب).

٤٩٢. ***من روائع القرآن***. البوطي: محمد سعيد رمضان، (مكتبة الفارابي دمشق طبعة ثانية لكتاب حسن الحديث).

٤٩٣. *مناهل العرفان فى علوم القرآن*. الزرقانى، محمد عبد العظيم (دار احياء الكتب العربية، بيروت).

٤٩٤. *منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة*. الراوندي، ابو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ). (قم: ١٤٠٦هـ).

٤٩٥. *منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة*. الخوئى، الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمى (طهران: ١٣٨٦هـ).

٤٩٦. *المنهاج الواضح للبلاغة*. حامد عونى (الجامعة الازهرية، القاهرة).

٤٩٧. *الموازنة* بين شعر *أبى تمام و البحتري*. الامدي، ابوالقاسم الحسن بن بشر، تحقيق السيد احمد صـفر (بيروت: ١٩٦١م)

٤٩٨. *الموجز الكافى فى علوم البلاغة*. د. نايف معروف. (بيروت: لا. ت).

٤٩٩. *النثر الفنى فى القرن الرابع*. مبارك، زكي. (مطبعة السعادة بمصر: ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م) ط ؟.

٥٠٠. نزهة *الاعين النواظر* . ابن الجوزي (بيروت: ١٤٠٤هـ)

٥٠١. نزهة *القلوب فى غريب القرآن* . السجستانى: أبو بكر محمد العزيري ، (القاهرة: ١٩٦٤م)

٥٠٢. *النشر فى القراءا ت العشر*. ابن الجزري ، شمس الدين محمد (القاهرة : ١٩٤٠م)

٥٠٣. *نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب* . التلمسانى، احمد بن محمد المعزي، تحقيق د. احسان عباس (بيروت: ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م).

٥٠٤. *نقد الشعر*. قدامة بن جعفر. تحقيق: كمال مصطفى (القاهرة: ١٩٦٣).

٥٠٥. *النكت فى اعجاز القرآن* . الرمانى ، أبو الحسن على بن عيسى (دار المعارف)

٥٠٦. *النواد فى اللغة* . أبو زيد الانصاري (بيروت : ١٤٠١هـ)

٥٠٧. *نهاية الارب فى فنون الادب* . النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب دار الكتب المصرية، القاهرة.

٥٠٨. *نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز*. الرازي: فخر الدين محمد بن عمر: (القاهرة: ١٣١٧هـ).

٥٠٩. *الوساطة بين المتنبى و خصومه* . الجرجانى: القاضى على بن عبد العزيز (ت ٣٩٢هـ/٩٨١م): تـحقيق فخر الدين قبادة و عمر يحيى. (ط ؟ دمشق: ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م).

٥١٠. *وضح البرهان فى مشكلات القرآن* . بيان الحق النيسابوري ،

٥١١. *يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر*. الثعالبى، ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م). تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد (مطبعة السعادة: ١٩٥٦م).

فهرس التفصيلي

أبواب علم المعاني

چکیده

هدف از گوناگونی عرصه‌های کاوش و پژوهش در معانی قرآن کریم، آن است که اعجاز و معانی قرآن بیان شود و مفاهیم بلند آن با روشی که قرآن عرضه کرده است، و نیز اثر آن در پیش‌برد ذوق ادبی، ابراز گردد.

در این کتاب، کوشیده شده یکی از عرصه‌های مهم و وسیع پژوهش، یعنی علم معانی بیان گردد که مهم‌ترین نوع از انواع علم بلاغت در استواری دلالت معنوی در نوشته و بخشیدن زیبایی بیان و گونه‌های مختلف ادای مبانی و پر و پیمان کردن آفرینش‌های هنری از طریق شیوه‌های متعدد بیان مفاهیم و معانی است.

کتاب با تقسیم کلام به خبر و انشاء آغاز، و با اسلوب قصر، و وصل و فصل و احوال جمله پی گرفته می‌شود و با بحث ایجاز و اطناب و مساوات پایان می‌پذیرد.

مؤسسه بوستان کتاب

مؤسسه بوستان کتاب
(مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم)
پرافتخارترین ناشر برگزیدهٔ کشور
نشانی دفتر مرکزی: ایران، قم، اول خیابان شهدا، نبش کوچهٔ ۱۷، ص پ: ۹۱۷
تلفن: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۵+، فاکس: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۴+، پخش: ۹۸۲۵۱۷۷۴۳۴۲۶+

روش‌های دانش معانی بیان در قرآن

سید جعفر حسینی



Abstract

The goal of search and research in various fields of Qur'ānic meaning is to discover the miraculous meanings in the Glorious Book, bring out the exalted concepts expressed through different syntactic methods used by the Noble Book, and present the literary taste and styles employed by the Holy Book.

This work tries to review one of the most important sciences related to the study of the Qur'ān called 'ilm-u l-Ma'ānī, or the science of meanings. One of the most important branches among the different types of 'ilm-u l-Balāghah, or the science of eloquence, the science of meaning is concerned with the soundness of meaning effectively projected in writing, the beauty of different literary styles eloquently used in writing, and the aesthetics of artistic creativity elegantly manifested through various styles employed in expressing dissimilar concepts and meanings in writing.

The book begins by dividing sentences into statement and exclamation types; continues by discussing ghasr (ellipsis), wasl (connection), fasl (separation) and other literary styles that can be incorporated by the sentence; and concludes with a discussion of Ījāz (shortening), itnāb (lengthening) and Musāwāt (equalizing) in relation to sentences.

The Publisher

Būstān-e Ketāb Publishers

Frequently selected as the top publishing company in Irān, Būstān-e Ketāb Publishers is the publishing and printing house of the Islāmic Propagation Office of Howzeh-ye Elmīyeh-ye Ghom, Islāmic Republic of Irān.
P.O. Box: 37185-917
Telephone: +98 251 774 2155
Fax: +98 251 774 2154
E-mail: info@bustaneketab.com
Web-site: www.bustaneketab.com

Asālīb al-Ma‘ānī f(ī)-i l-Ghur’ān

Style and Meaning
in the Qur’ān

as-Sayyid Ja‘far al-Ḫusaynī

Būstān-e Ketāb Publishers
1386/2007